

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة الشهيد حمّه لخضر

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ



الكُتَّاب الرُومَان وتَارِيخ بِلَاد المَغْرِبِ القَدِيم 814 ق.م-429 م

-دراسة نقدية تحليلية-

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه (ال م د) في التاريخ

تخصص: تاريخ بلاد المغرب القديم

- الأستاذ المشرف:

أ. د. السعيد شلالقة

- مشرف مساعـــد:

د. التجاني مياطـــة

إعداد الطالبة:

فتيحة غديري

لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الصفة	المؤسسة	الرتبة
01	محمد رشدي جراية	رئيسا	جامعة الوادي	أستاذ التعليم العالي
02	السعيد شلالقة	مشرفا ومقررا	جامعة الوادي	أستاذ التعليم العالي
03	التجاني مياطة	مشرفا مساعدا	جامعة الوادي	أستاذ محاضر -أ-
04	عمر بوصبيع	عضوا مناقشا	جامعة الوادي	أستاذ محاضر -أ-
05	عبد الحق بالنور	عضوا مناقشا	جامعة الوادي	أستاذ محاضر -أ-
06	حسن معمري	عضوا مناقشا	جامعة ورقلة	أستاذ محاضر -أ-
07	بومعقل مولاي الحاج أحمد	عضوا مناقشا	جامعة جلفة	أستاذ محاضر -أ-

الموسم الجامعي: 1443-1444هـ / 2022-2023م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

I- اللاتينية:

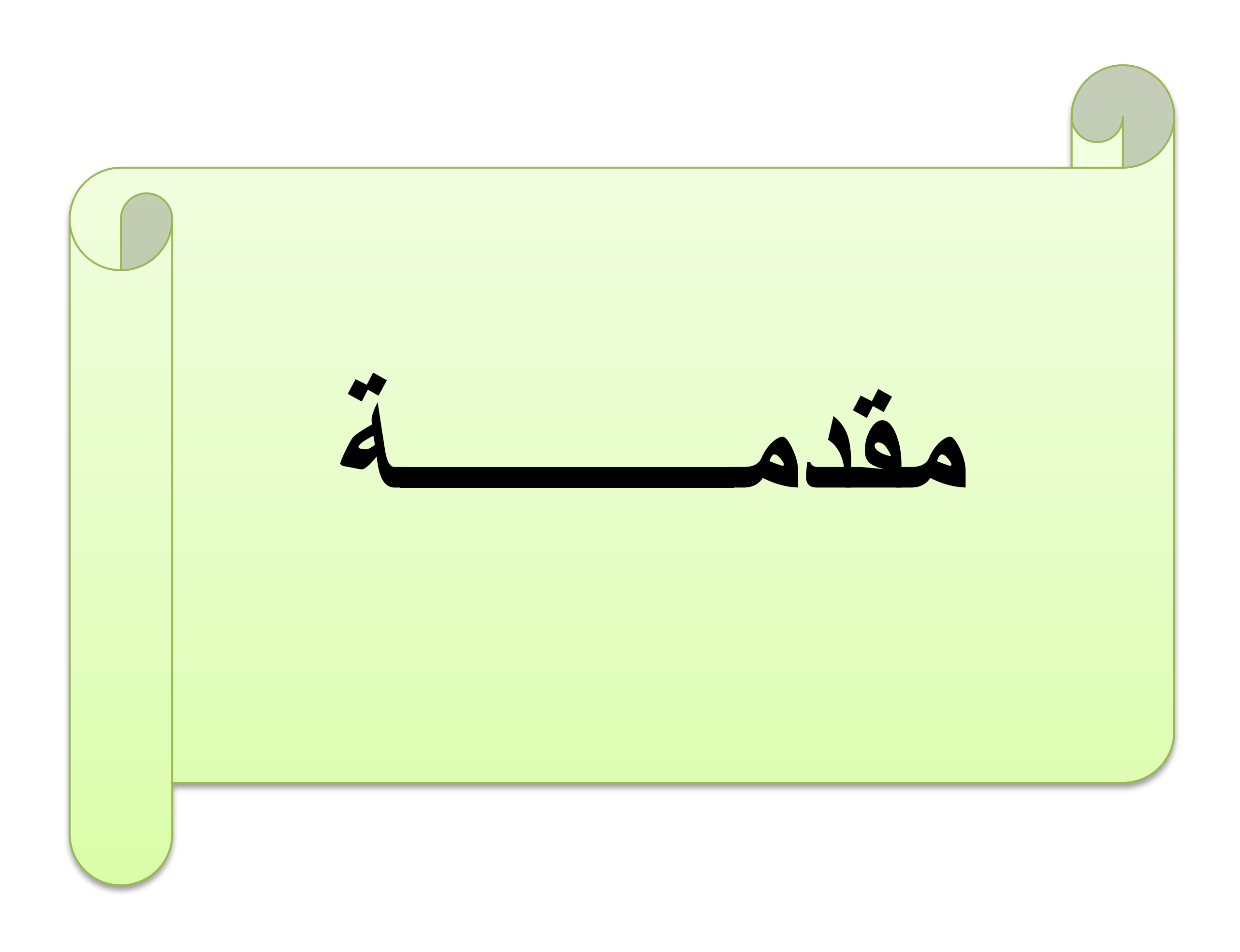
المعنى بالعربية	الكلمة	الاختصار
كتاب	Libri	Lib
فصل خاص	Prevecum Caputum	Prev Capt
مختصر، خلاصة	priocha	Prioch
رسالة	Epistolum	Epist
ملخص	Epitre	Epit
مرافعة حول قانون الأراضي	Oratio de Lege Agraria	Orat. Leg. Agr

II- الإنجليزية:

المعنى بالعربية	الكلمة	الاختصار
كتاب	book	BK

III-الفرنسية:

المعنى	الكلمة	الاختصار
كتاب	Livre	Liv
فقرة	Paragraphe	Para
مقدمة	Introduction	Intro
هامش	Marge	Mrg
ملاحظات	Notes	Not
شذرات	Fragments	Fragmnt
الأعمال الكاملة	Œuvre Complètes	Œuvr. Cmplt
رسالة	Lettre	Ltr


مقدمـــــــــــة

تمهيد:

تعتمد الدراسات التاريخية على المصادر المتنوعة، فهي الركيزة الأساسية التي يستند عليها الباحث في كتابة التاريخ القديم، حيث تُوقِفه على بعض المعلومات التي تكون منطلقا لتفرعات معرفية أخرى، وتاريخ بلاد المغرب القديم يعتمد في الكثير من جوانبه الحضارية على المدونات الأدبية القديمة، أبرزها الكتابات الرومانية التي وردت فيها أخبارا متفرقة في مختلف الجوانب المعرفية.

ارتبطت مواطن هؤلاء الكتاب وبلاد المغرب القديم بعلاقات غير واضحة المعالم في فترات تاريخية متباينة، أو علاقات عدائية حربية في أحيان أخرى، جعلت من معارفها إما سطحية وغامضة أو منحازة للطرف الآخر، وفي الوقت الذي لا يزال المنهج التاريخي لم ينفصل عن باقي الفنون الأدبية فامتزجت الأحداث التاريخية بآداب الرحلة، ورمزيات الأسطورة، وحَشْد الغريب من أحداث العالم القديم، وما تقتضيه فنون الخطابة ومسائل السياسة وما يلهمه خيال الشعراء من قصص السمر والإمتاع، ومن هؤلاء المؤرخين الرومان الذين سمح لهم احتلال المغرب القديم بالاحتكاك المباشر بالمنطقة وسكانها لفترة طويلة من الزمن.

- **التعريف بالموضوع:**

تعتبر الكتابات الأدبية الرومانية القديمة، أحد المصادر التي يلجأ إليها المؤرخ والباحث في تاريخ المنطقة، وقد أثرت مختلف التحولات الحضارية في روما على الإنتاج الأدبي ومنه على مدى ثراء وشح المعارف حول تاريخ بلاد المغرب القديم، ففي بداية التوسعات الرومانية في الحوض الغربي للمتوسط، خاصة في فترة الحرب البونية الأولى (264-241 ق.م)، حيث ازدهر الشعر الشفوي المحفوظ في ذاكرة الرومان دون تدوين، لذلك معظم أعمال هذه الفترة تعرضت للفقد والنسيان، ولم يكتب لها البقاء إلا من خلال الاقتباسات الموجودة في نصوص من جاء بعدهم.

لكن في العصر الذهبي أو ما يصطلح عليه بعصر شيشرون ما بين (60-45 ق.م)، الذي عرفت فيه الخطابة والبلاغة اللغوية رواجا كبيرا، وقد اعتبرت المناظرات الخطابية التي تتسع لكل الألوان الأدبية واحدة من أهم المعارك السياسية التي لا تختلف في ضراوتها عن المعارك العسكرية المميزة للقرن الأخير من عمر الجمهورية، وشهدت هذه الحقبة شهرة العديد

من الكتاب والمحامين والسياسيين والمؤرخين أمثال: سالوستي، شيشرون وقيصر، الذين لم يستغن أدبهم عن تاريخ المغرب القديم الذي استخدم لأغراض سياسية ودعائية.

وبأفول الجمهورية وبزوغ شمس الإمبراطورية، شهدت الكتابة الأدبية في روما تحولا آخرا بتشجيع من الامبراطور أوغسطس أوكتافيوس (31ق.م–14م) الذي قرّب منه الأدباء والشعراء والمؤرخين أمثال: فرجيلوس، تيتي ليفي، وتروغوس بومبيوس، لإعادة كتابة التاريخ الروماني وفق المنهج الإمبراطوري ومقتضيات الدعاية لروما الجديدة بإبراز أمجاد الرومان وسر القوة الذي مكنهم من الهيمنة على كل العالم القديم وتلميع صورة روما وشخصياتها العظيمة، فكانت قرطاجة الخصم والمنافس القديم للرومان حاضرا في أدبيات هذا العصر ليذكر الرومانيين ببطولات أسلافهم وسر تفوقهم.

كما سمح الاستقرار السياسي في عاصمة الإمبراطورية والمقاطعات منذ بداية القرن الميلادي الأول، وحتى نهاية القرن الثاني، بتطور الكتابة الأدبية الرومانية التي اتسعت لكل أنواع الكتابة؛ التاريخ والأدب، الاقتصاد، الطب والصيدلة والفنون وهو ما يطلق عليه المعاصرون بعصر الكتابة العلمية، ومثال ذلك التاريخ الطبيعي لبليني الكبير الذي يصفه المعاصرون بالموسوعة العلمية لشمولها على عدة تخصصات وموضوعات.

وفي أواخر القرن الثاني وبداية القرن الميلادي الثالث، وبتغير الظروف العامة في الإمبراطورية الرومانية تراجع الأدب الروماني، ويشهد العالم القديم نهضة جديدة للكتابة الإغريقية، بل من مختلف المقاطعات الأخرى كبلاد المغرب القديم وأيبيريا. وبانتشار المسيحية حلت الكتابة الدينية محل الكتابات الأخرى التي ترفض الموروث الوثني وتبغضه، وترى أنه لا فائدة من ذكر أخبار من سبقهم، والجدير بالكاتب أن يؤلف ما يستفاد منه، فجاءت أخبارهم وعظية ارشادية لا تهتم بسير الأشخاص ولا أحداث السياسة سوى ما يحقق الواجب الديني لهؤلاء، لذلك منذ اواخر القرن الثالث وحتى القرن الخامس الميلادي يجد الباحث نفسه أمام شح كبير في المصادر التي تعنى بتاريخ المنطقة، وإن وجدت فهي إشارات زهيدة لا تغني البحث.

- **أسباب اختيار الموضوع:**

يعتبر موضوع الكتابات الرومانية وبلاد المغرب القديم جزئية من الموضوع الذي درسته في الماستر والمتمثل في دراسة تاريخ بلاد المغرب لنفس الفترة المشار إليها سلفا، من خلال نماذج من الكتاب الإغريق والرومان، وحسب ملاحظتي وفي حدود ما أطلعت عليه، أن

الكتابات الرومانية هي أكثر الأعمال التي يميل أصحابها إلى تعظيم أعمالهم وأبطالهم والحط من قيمة خصومهم، وبتشجيع من المشرف الذي نصحني للإختيار بين أحد الصنفين الكتابات الإغريقية أو الرومانية بحكم الإطلاع عليها سابقا، فوقع اختياري على موضوع النصوص الأدبية الرومانية، رغبة مني في النقد والتحليل.

ندرة الدراسات التي تهتم بنقد المصادر الرومانية كون النقد يساهم في إثراء الدراسات الجامعية، وقد اهتمت المدرسة الفرنسية إبان الحقبة الاستعمارية ولا يزال اهتمامها مستمرا من خلال العديد من الإصدارات والمجلات التي تعنى بتاريخ المنطقة، لكن هذه الأقلام لا تختلف كثيرا عن الكتابة الرومانية في رأيها ووجهة نظرها تجاه المنطقة وسكانها، خاصة فيما يخص الأحداث التي تخص المنطقة وشخصياتها وفيم يتعلق بعادات وتقاليد الشعوب.

- **الإطار الزماني والمكاني:**

وفق ما توفر من مصادر التي حددت موضوع البحث تاريخيا من 814 ق.م تأسيس قرطاجة، حيث يعد هذا التاريخ معلما شغل العديد من الكتاب الرومان، وحتى 429 م تاريخ نهاية الهيمنة الرومانية على بلاد المغرب القديم، على الرغم من أنه تاريخ تقريبي لأن المصادر الأدبية الرومانية تصبح أكثر شحا وندرة فلا تسهب في ذكر أحداث أواخر الإمبراطورية في بلاد المغرب القديم.

- **الإشكالية المطروحة:**

جاءت إشكالية الموضوع كالآتي:

إلى أي مدى ساهم الكتاب الرومان في رسم صورة تاريخ المغرب القديم وكيف أثروا في مساره التاريخي؟

ومن أهم التساؤلات التي تدعم هذه الدراسة:

1 – ما هي الدوافع الحقيقية للكتاب الرومان للخوض في تاريخ المغرب القديم ؟

2 – كيف برزت الأحداث التاريخية في كتابات الرومان القدامى؟ وما طبيعة تعامل الكتاب معها ؟

3– فيم تمثلت ردود كتابات المؤرخين المعاصرين اتجاه مختلف النصوص الأدبية الرومانية القديمة؟

- **خطة البحث:**

للإجابة على الإشكالية وتساؤلاتها الفرعية قُسم البحث إلى أربعة أبواب، تناول الباب الأول والموسوم بـ: **الجغرافيين الرومان والجغرافية التاريخية لبلاد المغرب القديم**، وينضوي تحته ثلاثة فصول، في الفصل الأول تم معالجة تسمية إفريقيا ودلالتها الجغرافية والإثنية والظروف والأحداث التي جعلت تسمية شعب صغير في محيط قرطاجة ينسحب على كل بلاد المغرب، فيما تطرق الفصل الثاني إلى مقاطعات ومدن المغرب القديم ومدى إلمام الجغرافيين الرومان بإحصاء هذه المدن وحدود المقاطعات، أما الفصل الثالث فيدرس قبائل وشعوب المنطقة من أعمدة هرقل إلى غرب النيل، ومن سواحل البحر الأبيض المتوسط إلى بلاد جيتوليا.

ويقدم الباب الثاني **تاريخ قرطاجة وفق المنظور الروماني** يشتمل على ثلاث فصول، يتناول الفصل الأول تأسيس قرطاجة وروايات تأسيسها، ويخوض الفصل الثاني في سير نساء قرطاجيات تم ذكرهن في المصادر الرومانية، ويبحث الفصل الثالث في قرطاجة والعالم المتوسطي، بين الوطن الأم والوطن المستضيف وكذا أيضا علاقاتها مع الإغريق والرومان.

أما الباب الثالث فيعنى ب**موقف الكتاب الرومان من التاريخ العسكري لقرطاجة** في سلسلة الحروب البونية، من خلال سيرورة الحروب الثلاثة وما تضمنته من أحداث ووقائع، يشتمل الفصل الأول على قراءة في الأسباب والظروف التي قادت الى الحرب البونية الأولى والتي دفعت روما للخروج نحو البحر المتوسط لمواجهة قرطاجة حول سيادة العالم القديم، ثم الفصل الثاني الذي يعكس مدى نمو وتطور الأفكار السياسية والعسكرية، التي لم تغير وجه العالم القديم فقط بل استمرت تأثيراتها دون مبالغة إلى يومنا الحالي ليس على المستوى السياسي والعسكري بل تتجاوزه إلى الجانب الفكري والثقافي.

في حين يتطرق الباب الرابع إلى **الرومان والممالك المحلية من الجمهورية إلى الإمبراطورية111ق.م- 430م** مقسما إلى ثلاثة فصول، يتناول الفصل الأول موقف الرومان من يوغرطة والسيادة النوميدية من خلال كتاب سالوستي "حرب يوغرطة" حيث تم إلقاء الضوء على نظرة الرومان للأمراء المحليين؛ يوغرطة من خلال إصراره وتمسكه بالحرية واستقلال مملكة أجداده، وبوكوس الذي عرفت شخصيته الكثير من التحولات والاضطراب طيلة الحرب من حليف ليوغرطة ثم صديق الرومان، أما الفصل الثاني فيدرس بلاد المغرب القديم في أواخر العهد الجمهوري الروماني (88 ق.م- 42 م) هذه الفترة التي ارتبطت بلاد المغرب القديم

بالواقع السياسي في روما وأثرت أحداثه في المنطقة كحرب قيصر والبومبيين التي ساهمت في سقوط المملكة النوميدية وتقسيم أراضيها بين روما وحلفائها، بينما تتسم الفترة ما بين مقتل قيصر وقيام الحكم الإمبراطوري بندرة الكتابات حولها وغموض الأحداث، أما الفصل الثالث فيتناول بلاد المغرب في العصر الإمبراطوري، يهتم بأهم التحولات السياسية والاجتماعية التي شهدتها المنطقة في هذه الفترة، بالإضافة إلى دراسة نموذجين من الاقتصاد المغربي وهما تصدير حيوانات التسلية وقمح المغرب وتأثيرهما على الاستقرار السياسي في روما من خلال الكتابات الرومانية، وخاتمة الدراسة تتضمن أهم النتائج المتوصل إليها من البحث.

- **المنـهج المتبـع:**

احتاجت الإجابة على الإشكالية المطروحة وتساؤلاتها الفرعية إلى بعض المناهج، المنهج التاريخي لأنه الأنسب لوصف وسرد الأحداث والتعليق عليها، والمنهج التحليلي في المواقع التي تحتاج إلى تحليل وتعليل وذكر حيثيات وجوانب معينة من الموضوع المتطرق إليه، بالإضافة إلى المنهج المقارن الذي تتطلبه دراسة النصوص الأدبية الرومانية ومقارنتها مع المصادر الإغريقية، والمصادر المادية وكتابات المؤرخين المعاصرين للوصول إلى مقاربة تاريخية واضحة.

- **الدراسات السابقة:**

أثناء البحث لم أعثر على عنوان مطابق للعنوان المدروس، لكن كدراسات جزئية، فقد وجدت على عدة عناوين منها: شمال إفريقيا في العصور القديمة الإغريقية والرومانية – دراسة جغرافية تاريخية– (Le nord de l'Afrique dans l'antiquité grecque et romaine: etude historique et Géographique)، لصاحبه لويس فيفيان دو سان مارتن (Louis Vivien De Saint Martin) يعالج الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب القديم من خلال الكتابات الإغريقية واللاتينية، وتكمن أهمية هذه الدراسة بالتعريف بالجغرافية التاريخية للمنطقة، بالإضافة إلى التعريف بالكتاب الرومان الذين اهتموا بالمنطقة، خاصة وأنها من أولى الدراسات التي تعنى بالمنطقة، غير أن ما تقدمه من تفسير وتحديد للمواقع الجغرافية يشبوه الغموض وعدم الدقة في كثير من المواطن.

وكتاب نصوص ليبية لصاحبه علي فهمي الخشيم، الذي وقع اختياره على مجموعة من النصوص الجغرافية والتاريخية الإغريقية والرومانية، قام بترجمتها والتعليق عليها، لكن بنقد بسيط، كما أنها تصوص جزئية تخص ليبيا الحالية والمنطقة الشرقية من البلاد المغربة.

- **نقد المصادر:**

تجدر الإشارة أن المقصود بالكتاب الرومان في هذا الموضوع هم الكتاب ذوي الأصول الرومانية وليس المترومنين منهم، أما بالنسبة لموضوع نقد وتحليل النصوص الرومانية المتعلقة بتاريخ بلاد المغرب القديم وموضوع دراسته لا يتسم بالجدة في كل أفكاره وعناصره، كما لا يمكن لم شتاته في عمل بحثي واحد يرتبط بفترة تكوينية معينة يحاول طالب الدكتوراه أن لا يتجاوزها، لذلك تم تحديد عدة مواضيع تعتبر المفاصل الكبرى في تاريخ المغرب القديم.

تم الاعتماد على المصادر الرومانية باعتبارها المعنية بالدراسة والبحث، ويمكن الإشارة إلى بعض منها والتي تعتبر الأكثر ثراء من غيرها في الإلمام بتاريخ المنطقة مثال على ذلك: بليني الكبير(C.Plinii Secundi) صاحب التاريخ الطبيعي (Historiae naturalis) خاصة الكتاب الخامس(Lib V) المخصص لبلاد المغرب القديم ومصر، ذكر فيه مدن وشعوب وقبائل المغرب القديم، إلى جانب الكتابين الثالث عشر(XIII) والسادس عشر(XVI) المختصين في الثروة الحيوانية والنباتية التي يزخر بها سطح المغرب، ومن جانبه سالوستي (C.Sallusti Cirspe) وكتابه الموسوم بحرب يوغرطة (Bellum Iugarthinum)، فرجيلوس (Vergilus) حيث تعتبر الإنيادة (Enéide) من أهم المصادر التي تسرد قصة تأسيس قرطاجة على يد عليسا ديدون في الكتب الستة الأولى، وعلى الرغم من الجنوح الأدبي والخيال الشعري، والذاتية الصارخة لكل ما هو روماني على حساب قرطاجة، لكن يمكن الخروج بالكثير من المعارف التاريخية والظروف التي ساهمت في ابراز تاريخ البلاد المغربة بذلك الشكل ، أما كتاب تيتي ليفي (Titi livi) بعنوان منذ تأسيس المدينة (Ab Urba Condita) حيث تشير الشذرات المتبقية من الكتاب الخامس عشر (XV) إلى ومضات من الحرب البونية الأولى ويغطي الكتاب العشرين الى الكتاب الأربعة والثلاثين (XX– XXXIV) فترة الحرب البونية الثانية كاملة، أما الشذرات المتبقية من الكتاب السادس والأريعين إلى الكتاب الثالث والخمسين (XLVI– LXIII) فتتطرق إلى الحرب البونية الثالثة، إلى جانب ما تحتويه هذه الكتب من

إشارات إلى الملوك والممالك النوميدية، ويبرز ليفي الجناح الروماني كطرف متفوق على المستوى الحضاري قبل تفوقه في المجال العسكري.

ومن القرن الثاني للميلاد كتاب سويتنيوس (Séutonius) حياة القياصرة (Vita) (Ceaséres من المؤلفات التي تتسم بالموضوعية تجاه تاريخ الأباطرة من قيصر أوكتافيوس إلى كومودوس وقد حملت الكثير من أحداث عصرهم، على الرغم من أن الكاتب لم يمنح الأباطرة نفس القيمة المعرفية فقد أسهب في سير الأباطرة من الأسرة اليوليانية وكذا أيضا فسبسيان واختصر في سير الأباطرة الآخرين.

كما كان للمصادر المادية دور في الاستدلال على بعض المعارف التي احتفظت بها النقوش والنصب، مثل جدارية أغسطس أوكتافيوس (Res Gestae Divi Augusti) التي تلخص كل أعماله وانتصاراته وإنجازاته لاستقرار الإمبراطورية، ومن بين النصوص التي أُعتمد عليها مبادئه في سياسة وتسيير الإمبراطورية.

- **أهداف الدراسة:**

بعد القراءة والتمحيص في المصادر وما يقابلها من دراسات حديثة ومعاصرة تعنى بالتحليل والنقد، جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على أركان وزوايا لم يتم تناولها بالبحث والدراسة، لإظهار مواطن الحقيقة التاريخية ووضع اليد على مكامن ذاتية الكتاب الرومان، ضف إلى ذلك مناسبة الكتابة ومدى ارتباطها بالوقائع التاريخية في روما.

كما كانت الاستجابة لرواد المدرسة التاريخية الجزائرية الذين يدعون الباحثين إلى ترجمة النصوص الأجنبية وتمحيصها بالنقد والتحليل من أجل تنقيح التاريخ الوطني والمغاربي عموما من شوائب الاحتلال، وتحديد مواطن الحقيقة التاريخية في الكتابات الرومانية، وإبراز النظرة الذاتية الاستعمارية الرومانية اتجاه الشعوب المستعمرة من جهة، والقاء الضوء على جهود الكتاب المغاربة في تصفية تاريخ المغرب القديم من جهة أخرى.

ضف إلى ذلك إبراز تأثير الحوادث التاريخية على مجريات تاريخ العالم المعاصر، من خلال الاطلاع على الدراسات الأجنبية التاريخية الحديثة في التاريخ القديم، التي تتجاوز الحكم على أخبار الكتابات الأدبية القديمة بالصدق والكذب إلى مدى تأثير الأحداث والشخصيات على مسار التاريخ والعلاقات السياسية والعسكرية المعاصرة، بل تتجاوزهما إلى الجوانب الفكرية

والثقافية وربما الاجتماعية والنفسية ومساهمتها في الحضارة الإنسانية بخلق العوامل والظروف التي تساعد الشعوب على قراءة التاريخ وإعادة بناء الواقع الحضاري.

- **صعوبات البحث:**

أثناء عملية البحث التاريخي واجهتني العديد من العقبات، أولها الظرف الصحي الذي مر به العالم، كورونا كوفيد 19(coronavirus COVID-19) ، الذي تزامن مع فترة التكوين في الدكتوراه، والذي عرقل كل التنقلات إلى المكتبات والجامعات بحثا عن المادة العلمية، ولو أن قواعد البحث الوطنية والعالمية مفعلة، لكن كما هو معلوم أن الفضاء المغاربي لا تزال الكثير من الدراسات خارج مجال الرقمنة، وهو ما زاد من عمق الصعوبة الثاني المتمثلة في قلة الدراسات النقدية التي يُعنى أصحابها بنقد النصوص الرومانية القديمة، وثالثا انعدام المصادر المحلية البونية أو الليبية التي تقابل النص الروماني والإغريقي على حد سواء، مما يجعل الباحث يفتح باب التشكيك في كل ما يَرِد في هذه المؤلفات والنصوص، خاصة أولئك الذين يعانون مشاكل في الصحة النفسية وآراء سياسية يمكن اعتبارها فاسدة.

الندرة الشديدة للدراسات النقدية بأقلام محلية التي تعنى بتاريخ المغرب القديم، بالإضافة إلى صعوبة التعامل مع اللغة اللاتينية القديمة، لأن النصوص المترجمة في كثير من الأحيان يحدث فيها إنزياح عن النص الأصلي، لعدم التزام المترجم بالترجمة من اللغة الأصل إلى اللغة الهدف، بل يأخذ المعنى العام بتعبيره الخاص بالإضافة أو النقصان أو كلاهما معا، وكذلك إضافة نعوت وصفات وحتى تفسير أحداث وفق رؤيته الخاصة خاصة في الاشعار والملاحم فيفقد النص أصالته، خاصة إذا كان المترجم ليس مختصا في التاريخ، وبما أن محركات الترجمة الإلكترونية لا تدعم ترجمة اللغة اللاتينية القديمة، فيضطر الباحث إلى اللجوء الى قواميس اللغة اللاتينية، للتأكيد على أصالة النص المترجم، التي في كثير من الأحيان لا تعطي المعنى الدقيق للكلمة بل تعطي إحصاء لعدد المرات التي ذكرت في المصادر القديمة والمناسبات التي ذكرت فيها .

- **المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة:**

لا بد من الرجوع إلى المصادر الإغريقية خاصة التي اقتبس منها الرومان مواضيعهم أو تطرقت لأحد المواضيع حول بلاد المغرب القديم واختلفت الآراء ووجهات النظر مع كتاب روما وأدبائها، مثل هيرودوت (Hérodote) من القرن الخامس قبل الميلاد صاحب التاريخ

(Histoire)، وحسب أقدميته يلجأ الباحث إلى الكتاب الرابع منه الذي يتناول بلاد الليبيين لمقارنة حجم التغيرات التي حدثت على البنية الاجتماعية في بلاد المغرب مقارنة بما هي عليه في كتابات بليني.

ويعد التاريخ العام (Histoire Générale) بوليب (Polybe) من الكتابات المهمة في تاريخ المغرب وكذلك بالنسبة للرومان، حيث يعتبر معلم الاستراتيجية العسكرية في روما خاصة لعائلة آل سكيبيو باعتباره رجل عسكري، وكاتب ملم بثقافات الشعوب خاصة جانبها العسكري، لا يكاد كاتب روماني لا يقتبس من مؤلفه، لذلك وجب الاطلاع على المواضيع ذات الصلة بنصوصه.

وسترابون (Strabon) الذي عاش في القرن الأول للميلاد، وعمل في الدوائر الرومانية ودَوَّن كتاب الجغرافيا (Géographie) بناء على أوامر السلطة الرومانية، زار كل بقاع العالم المأهول الذي وصفه في كتاباته، إلا ما يعاب على كتاباته، السطحية وعدم الدقة خاصة الكتاب السابع عشر المخصص لليبيا ومصر، لكن من خلال ما ورد من وصف وأخبار فيه يمكن أن يقارن بما ورد ذكره في كتابه وما ذكرته مصادر أخرى.

أما بلوتارك (Plutarque) الذي خصص عمله المقارن بين رجال الإغريق ورجال من الأمم المختلفة سماه حياة المشاهير من الرجال (Vie de Les Hommes Illustres)، يراه النقاد من المؤلفات التي اعتمد صاحبها على الموضوعية العلمية في البحث والاستقصاء على الرغم من أن بلوتارك عاش في القرن الثاني للميلاد وتقلد مناصب سياسية في عهد الهيمنة الرومانية على العالم القديم، يعتمد عليه في التعرف على أعمال الشخصيات الرومانية والبونية حيث أفرد متسعا لحياة حنبعل برقة وماريوس وغيرهما.

وأميان مارسلين (Ammien Marcelin) مؤرخ إغريقي من القرن الرابع للميلاد، سمح مؤلفه تاريخ الرومان (Histoire de Romain) بتتبع أخبار القبائل وشعوب المغرب التي ذكرها أثناء ثوراتها ضد الاحتلال الروماني في نهاية سيطرته على المنطقة.

بالإضافة إلى مؤرخين من أصول مختلفة مثل بومبينيوس ميلا (Pomponius Mela) صاحب كتاب وصف العالم (De situ Orbis) ذو الأصل الإسباني، عاش في القرن الأول للميلاد، قدم وصفا جغرافيا للعالم القديم في شكل مختصر، يسمح بمعرفة وتقدير حجم اقتباسات بليني الكبير من كتاباته باعتباره سابق له.

وكتابات بول أوروسيوس (Pauli Orosius) الذي تختلف الآراء حول أصوله ما بين الإسبانية والبريطانية، وكذا أيضا المغربة لديه شذرات من جغرافيا العالم القديم، الذي أشار الى الشعوب المغربة في أواخر فترة الاحتلال الروماني للمنطقة، كما لديه كتاب حول تاريخ الوثنية (Adversus paganos historiarum) يسمح بالتعرف عن اقتباسات المؤرخين والأدباء السابقين لعصره، مثال على ذلك اقتباساته من نصوص تيتي ليفي المفقودة.

أما كلوديوس كلوديانوس (Claudius Claudianus) شاعر البلاط الروماني في عصر هونريوس (Honourius) أواخر القرن الخامس وبداية السادس من أصول إغريقية مصرية، يسمح عمله الشعري جيلدونيك (Gelidonic) بالكشف على أهم الأسماء والصفات التي أُصبغت على مقاطعات المنطقة وصفات سكانها، ويشترك في ذلك مع رسائل الأسقف المغرب أوغسطين (Saint Augustin) إلى أصدقائه، والذي عاش في أواخر القرن الرابع وبداية الخامس، ضف إلى ذلك بروكوب القيصري (Procope de Césarie) المؤرخ البيزنطي الذي يعود إلى القرن السادس، يحتوي مؤلفه حرب الوندال (Guerre du Vendalle) على معارف تخص مجتمع المغرب يمكن مقارنتها مع الفترات السابقة.

أما المراجع فهي كثيرة يمكن الإشارة إلى بعض منها: من الكتابات المحلية كتاب المملكة النوميدية والحضارة البونية لمحمد الصغير غانم، يناقش جوانب من العلاقات البونية النوميدية التي قد أغفلها الرومان أو نظر إليها بمنظور مختلف عما هي عليه طبيعة العلاقات الجوارية القرطاجية النوميدية، وكتاب مملكة نوميديا دراسة حضارية لمحمد الهادي حارش، يُعَرف بالجوانب الحضارية لمملكة نوميديا، جاءت الاستفادة من هذه الدراسة، في الجانب الاقتصادي للمملكة النوميدية، كتاب محمد فنطر بعنوان يوغرطا يتناول حرب يوغرطة وفق الرؤية المغربية للموقف الذي سار عليه الملك النوميدي لتوحيد نوميديا واستقلاليتها برفض التدخل الروماني وكتاب نصوص ليبية لصاحبه علي فهمي الخشيم، الذي اختار مجموعة من النصوص الإغريقية والرومانية، وأردفها بتعليقاته حول ما ورد فيها من معارف حول المنطقة، ساهم عمله كواحد من الدراسات المحلية في اثراء الموضوع.

وبالنسبة للكتابات الأجنبية؛ في مقدمتها ستيفان جزال (Stéphane Gsell) تاريخ شمال إفريقيا القديم (Histoire Ancienne de L'Afrique du Nord) الأجزاء الثلاثة الأولى، على الرغم من الإنتقادات الواسعة تجاه حذره وصمته في بعض المواطن، وتسرعه في الحكم على

عادات وتقاليد الشعوب المغربية في أحيان أخرى، لكن تجمع موسوعته بين ثناياها على المواضيع والآراء التي يمكن اتخاذ مرجعه كخطوة أولى ينطلق منها الباحث.

كتاب جوهان ديزونج (Jehan Desange) (Catalogue de Les Tribus Africaines) والذي جمع فيه قوائم بالقبائل وشعوب المغرب من أعمدة هرقل وحتى غرب النيل ومن الساحل المتوسطي إلى جنوب الصحراء عبر حقب تاريخية مختلفة من العصور القديمة، سهل هذا العمل دراسة الشعوب المغرب ومناطق انتجاعها واقامتها كما سهل عملية البحث عنها في المصادر القديمة، على الرغم من بعض الأخطاء التي وردت في ذكر بعض القبائل خاصة الصحراوية منها، بالإضافة إلى ترجمته للكتاب الخامس من التاريخ الطبيعي لبليني الكبير (Pline L'Ancien Histoire Naturelle Livre V, 1-46, Texte Etabli, Traduit et Commenté)، وأرفق ديزونج النص اللاتيني المتعلقة ببلاد المغرب القديم بالترجمة ثم قام بالشرح والتعليق على كل المعارف والمعلومات التي تحتاج إلى تفسير مدعومة بالنصوص الأدبية القديمة والشهادات المادية، وهو ما يسر مهمة فهم النص.

كتاب الأدب اللاتيني (Littérature latine) لهيبرت زينشكر وجون كلود فردويل (Hubert Zehnacker, Jean-Claude Fredouille)، وكذلك تاريخ الأدب في روما (Histoire de Littéraire De Rome) لصاحبه فلورنس ديبو (Flourence Dupont) اللذان يعطيان صورة تاريخية حول تطور الأدب اللاتيني من البداية وحتى انهيار الإمبراطورية الرومانية.

وكذلك الأمر بالنسبة للمقالات فهي متعددة ولا يمكن حصرها، لكن يمكن ذكر بعضها فعلى سبيل المثال: مقالات تعنى بالجانب البشري وبدايات التعمير البشري في المغرب القديم منها مقال لأم الخير العقون تحت عنوان إطلالة على الصلات بين مصر وشمال غرب افريقيا في فجر التاريخ ومرحلة ما قبل الأسرات، منشور بمجلة دراسات آثار الوطن العربي العدد الثامن، ومقالات تعنى بمدن بلاد المغرب القديم نشرتها مجلة الموسوعة البربرية (Encyclopédie Berbere) ألالي (Alele) سيداموس(Cidamus) وكاربيس (Carpis) لصاحبها ب. تروسيت (P. Trousset) بالإضافة إلى عدد من المقالات لـ ب. أوزينات (N.Euzennat) تعنى بتاريخ مدن المغرب الأقصى أرزيلة (Arzila) وباناسا (Banasa) وجزيرة كيرني (Cerné) على الساحل الأطلسي، سهلت هذه المقالات عملية البحث عن المدن

التي تم ذكرها لدى القدامى، ومقال لـ: س. موانيي(C. Moinier) بعنوان مخيم يوليوس قيصر في افريقيا (Compagne de J.César en Afrique) ، يشرح بشكل مسهب أهم الخطوات التي تبعها جيش قيصر أثناء الحرب الأهلية ونزول القيصريين في بلاد المغرب بالأدلة المادية، ضف إلى ذلك مقال ألعاب الصيد ومبارزة الحيوانات المجسدة على مواد مختلفة في المغرب القديم، لصاحبه رضا بن علال يدرس فيه تاريخ ألعاب التسلية والصيد الروماني، ومدى استفادة روما من حيوانات الغابة المغربية.

الباب الأول: الجغرافيون الرومان والجغرافية التاريخية لإفريقيا

I – إفريقيا: التسمية ومدلولها التاريخي، الجغرافي والإثني

II – مقاطعات ومدن إفريقيا

III- شعوب وقبائل إفريقيا

I – إفريقيا: التسمية ومدلولها التاريخي، الجغرافي والإثني

1 – الإطار التاريخي والجغرافي لإفريقيا في المصادر الرومانية

2– أصل تسمية الأفري ومجال نفوذه

3– الهوية المغاربية وانتمائها الحضاري بين المصادر الرومانية والدراسات المعاصرة

عُرفت بلاد المغرب القديم لدى الكتاب الرومان بأفريكام (Africam)، وشملت المنطقة الممتدة من غرب النيل إلى أعمدة هرقل، وقد اختلفت الآراء حول أصل التسمية ومعناها وتاريخها، ذلك أن المصادر الأدبية الرومانية التي تتعرض إلى تاريخ المغرب القديم وعلاقته بالرومان لا تهتم بتاريخ المنطقة قبل الحروب البونية، كما انصب اهتمامها فيما بعد على الجوانب السياسية والعسكرية، أما المصادر المحلية[1] فقد أصابها التلف والضياع، لذلك ظلّ اسم أفريكا الذي تحول فيما بعد إلى إفريقيا يكتنفه الغموض، في هذا الفصل سيتم وضع مقاربة تاريخية حول اسم أفريكا وسياقاته التاريخية والجغرافية وخصوصيته الإثنية.

1 – الإطار التاريخي والجغرافي لأفريكام في المصادر الرومانية:

أشار سالوستي(Sallusti 86– 34/35 ق.م) إلى بلاد المغرب القديم بأفريكا في مؤلفه حرب يوغرطة (Bellum Jugartum) الذي أصدره حوالي سنة 40 ق.م، حيث يقول:

In divisione orbis terræ, plerique in partem tertiam Africam Posuere pauci tantummodo Asiam et Europam esse, sed Africam in Europa Ea fines habet, ab occidente, fretum nostri maris et Oceani ab ortu solis, declivem latitudinem, quem locum Catabathmon iricolae appellant (Sallusti, 1971, XVII).

في تقسيم الأرض يضع معظم المؤلفين أفريكام جزءا ثالثا من العالم، وآخرون وهم فئة قليلة تُعَدِدُ إثنين فقط آسيا وأوروبا وفهموا أن أفريكام في أوروبا، يحد هذه البلاد من الغرب المضيق الذي يربط بحرنا بالمحيط، ومن الشرق مساحة شاسعة شبه منحرفة يسميها الأهالي كاتابثمون[2]، البحر عاصف بدون موانئ، والأرض منتجة للحبوب خاصة.

---

[1] – المقصود بالمصادر الأدبية المحلية المصادر الأدبية البونية التي أصابها التلف في حريق قرطاجة سنة 146 ق.م، ضف إلى ذلك ضياع كتابات الملك هيمبصال (Sallusti, 1971, XVII) وحفيده يوبا الثاني اللذان تضفي عليهما المصادر الرومانية صفة العالم، خاصة يوبا الثاني الذي ألف مصنفا يعنى بتاريخ المنطقة بعنوان لبيكا (Lybica)، وقد جمع مولر الشذرات المتقية من كتاباته –التي اقتبسها الكتاب القدامى في مؤلفاتهم– في فصل خاص تحت إسم يوبا الموريطاني (Jubæ Mauritani)، للمزيد ينظر: (Muller, 1883, pp.465–484)

[2] – هضبة كاتابثمون: كلمة إغريقية تعني المنحدر، وهي المنطقة الواقعة شرق لبدة، حيث منطقة السلوم تقريبا، على الحدود الليبية المصرية الحالية، للمزيد ينظر: (الذويب، د ت ن ، ص 31).

كما ذكرها الكتاب الخامس من التاريخ الطبيعي (Historae Naturalisa) لصاحبه بليني الكبير (Caius Plini Secundi 23- 79 م) فيقول الآتي:

Africam Græci Lybiam appellauere, qua mare ante eam Libycum incipiens Aegyptio finitur nec alia pars terrarù pauciores recipit finus, longé ab Occidente litorum obliquo Spatio PopuIorum eius oppidorumque nomina, vel maximè funt ineffabilia; preatrquàm ipsorum linguis "(Plini, 1851, Lib. V,1).

يسمي الإغريق أفريكام ليبيوم، والبحر الذي يحيط بها البحر الليبي، تبدأ حدودها من مصر وهي أقل المناطق خلجانا، يمتد ساحلها بشكل مائل نحو الغرب، أسماء شعوبها ومدنها أكثر من أي أسماء بلد آخر يصعب على الأجانب نطقها.

وكذا الأمر بالنسبة للمؤرخ واللغوي الروماني كايوس يوليوس سولنيوس (Caius Julius Solinus) الذي عاش أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع للميلاد، بأن الرومان منحوا لليبيا تسمية أفريكا(Solini, 1757, XL) "placuit, ut Africaim Libyam diceremus" " مُنِح اِسم إفريقيا لليبيا".

إن أقدم اسم عرفت به بلاد المغرب القديم هو ليبيا أو لوبا، الذي أشارت إليه المصادر التاريخية لجيرانهم المصريين منذ عصر ما قبل الأسرات، عندما أطلقوا على القبائل القاطنة غرب نهر النيل اسم الليبو(L.BW) أما جهة الغرب عموما فأطلقوا عليها اسم إمنت (Imn-t) حسب أوريك باتس (Bates, 1914, p. 46)، ولوبا (LBT, LBY) التسمية التي نقشت بالكتابة البونية والبونية الجديدة في معبد سلامبو (Salombo) بقرطاجة، وفي معبد الحفرة بكيرتا (Cyrta) ترجم الأثري الفرنسي فيفري (J.G. Févrie) النقيشة البونية التي تحمل عبارة " BSD" LBYM بمعنى "في بلاد الليبيين" (حارش، 2009، ص ص 22-23)، وهو الأمر الذي يؤكده محمد حسين فنطر (محادثة إلكترونية، 2018) أن لوبا(LUBA) أو لوبيوم (LWBYM) تسمية محلية كان اللوبيون يسمون أبناءهم لوبي (LBY) في حالة المذكر، ولوبة (LBT) في حالة المؤنث، كما تعتبر التوراة لهابيم قبيلة تفرعت من المصريين أو اتحدت معهم وهم أهل ليبيا الواقعة غرب النيل وذكرت نسبهم إلى بنو حام (العهد القديم، سفر أخبار الأيام الأول، 1،1).

أما عن أول إشارة لليبيا في أدبيات الإغريق، فتعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد في أوديسة هوميروس (Homér)، حيث يقول على لسان أوديسيوس (Odysseus): " ثم أنطلق في رحلتي إلى العواصف الجنوبية وأُطِل على الموجة الليبية الدافئة لنشر أشرعتي... هذا

المناخ السعيد حيث كل حَوْلٍ تلد النعاج ثلاثا بقرنين جميلين"(Homér, 1912, p. 60) ، ثم لدى هيكاتي الملطي (Hécaté de Mélet) في القرن السادس ميلادي[1]، ليأتي هيرودوت (Hérodote) في القرن الخامس ويخبر بما سمعه من أهل قورينة عن اسم ليبيا وصلته بامرأة محلية (Herodote, 1858, Liv IV,CLXLV)، لكن لا يمكن التعرف على معنى ليبيا من خلال الأساطير والتقاليد الإغريقية التي تجعل لكل مدينة أو منطقة جغرافية أسطورة تأسيس، فربطوا أرض المغرب بآلهة جبل الأولمب، وغدت ليبيا مرة ابنة لإزيس (Isis) المصرية، ومرة زوجة لإله البحر بوسيدون (Posidon)، إختطفتها هيرا (Héra) ربة الزواج ليلة زفافها غيرة منها، وأخفتها في الصحراء المغاربية، ومن ثمة إنسحب الاسم على كل البلاد، وقد اعتبر إغريق قورينة ليبيا الإلهة مانحة النصر والجوائز ومتوجة الملوك، كما عثر على لوحة نحاسية في ليبيا الحالية تمثل الإلهة ليبيا تضع إكليلا على رأس قورينة مروضة الأسود (بازامة، د.ت، ص ص 85-86).

أما عن معنى لوبا (Loby) في اللغة الإغريقية فهو مرادف لمعنى العطش (Lob) أي الأرض العطشى وذلك لندرة المياه في ليبيا الشرقية المجاور لقورينة، كما يطلق على الرياح الجنوبية الجافة في اللغة الإيطالية لبينشو (Libecco) (Pline L'ancien, S.d, Not, p. 125).

حسب ستيفان جزيل (Stéphane Gsell)، محمد فنطر وفرنسوا دوكريه (François decret) لم تظهر تسمية أفري وعفري وأفر (Afri) أو (Afer) وأفريكا (Africa) إلا في نهاية القرن الثاني قبل الميلاد وبعد معركة زاما (Zama) 202 ق.م أُطلق لقب الإفريقي (Africanus) على سكبيو (Scipio) الذي هزم في الحرب البونية الثانية، وتلتصق هذه التسمية الجغرافية أيضا بالكاتبين المسرحيين ذو الأصول الإفريقية بلوت (Plaute) وترنتيوس أفر (Térentius Afer)[2] كتعبير عن الأصول التي ينتسبان إليها، كما التصق اسم الأفري بالنباتات والفواكه ذات الأصل

1- هيكاتي المليتي: جغرافي ورحالة إغريقي عاش مابين (549-480 ق.م) بمدينة مليتوس بآسيا الصغرى، قام برحلات في أنحاء الأمبراطورية الفارسية، مصر والبحر الابيض المتوسط، رغم أن كتاباته لم تصلنا لكن أخذها الكتاب اللاحقين في شكل مقتطفات، للمزيد ينظر: (Schoell, 1825, p. 64).

2 - بلوت وترنتينوس الإفريقيان: هما كاتبان مسرحيان في الكوميديا، جلبا إلى روما كأسرى حرب، عاش بلوتوس ماكيوس (Maccius Plutus) في الفترة ما بين 254-184 ق.م، أما ترنتيوس فلا يعرف تاريخ ميلاده بدقة، لكن تاريخ وفاته معروف كان في 159 ق.م، في عمر الخامسة والعشرين أو الخامسة والثلاثين، لذلك يفترض أنه ولد في 194 أو 184 ق.م، للمزيد ينظر: (Zehnacker & Fredouille, 2013, pp. 29-30, 40).

الإفريقي مثل التين الإفريقي (Ficos Africanos) لدى كاتو (Caton)[1] قبيل الحرب البونية الثالثة سنة 146 ق.م، وأخيرا استخدم مصطلح أفريكا(Africa) في الدوائر الرسمية للسلطة الرومانية للإشارة لقرطاجة والإقليم المحيط بها والخاضع لها بعد تدميرها في 146 ق.م (Decret & Fantar, 1981, pp. 22-23; Gsell,1918, pp. 2-3).

وقد ظل الأفري مرادفا لليبي والقرطاجي لدى الإغريق حتى فترة متأخرة، فقد أشار بوليب (Poybe) إلى الليبيين أثناء حديثه في حرب المرتزقة التي شاركت فيها الشعوب القاطنة في محيط قرطاجة أو الفضاء الإفريقي، وقد أطلق عليهم اسم الليبييو(Λιβύην) وأرضهم هي أرض ليبيا(Λιβύης) (Polybe, 1847, Liv I, 72, 73) ، أما بالنسبة لتيتي ليفي(Titi Livi) في مؤلفة منذ تأسيس المدينة (Ab Urbe Condita) فسكان المحيط القرطاجي هم الأفري والأفارقة (Livi, 1883, Lib XXIII, 29, 10)، في حين لا يثبت أريان (Arrien) على وصف، فالقرطاجي أحيانا هو الليبي حيث أطلق لقب الليبي على حنون القرطاجي، وأحيانا أخرى يفصل ليبيا عن قرطاجة مثل ما فعل في إشارته إلى حملات الإسكندر المقدوني يفصل ليبيا عن نوميديا "في شبه الجزيرة العربية، بلد الأثيوبيين، ليبيا، نوميديا وراء جبل الأطلس إلى قادس"، ثم يفصل قرطاجة كذلك: "أنه لو سيطر... على كل من ليبيا وقرطاجة سيكون بحق ملك لكل آسيا"(Arrian, 1893, Andica, BK VII, I).

تباين محيط الأفري لدى الرومان بين الأفري المجاور لقرطاجة ورعاياها، والجانب الموري، لكن أحيانا يعبر به عن الكل أي عموم البلاد المغاربية مثلما توضح سلفا، وأحيانا أخرى يشار به إلى جزء من الكل، مثل وصف الشاعر الروماني هوراس (Horace) لحنبعل (Hannibal): "dirus per urbes Afer ut Italas ceu flamma per taedas" "حيث كان الأفري الرهيب يقود فرسانه عبر المدن الإيطالية مثل اللهب في أشجار الصنوبر"فيلحق هوراس القرطاجي بالتسمية الرومانية لقرطاجة (Horace, S.d, Liv IV,4, 42).

[1] – كاتو الكبير: بروسيوس كاتو، (234–149 ق.م)، هو كاتب روماني، ورجل عسكري وسياسي وخطيب، افتتح على يديه عصر النثر اللاتيني، داعيا المجتمع الروماني إلى العودة الى عادات وتقاليد أسلافهم، عرف بخطاباته السياسية القوية، كما إشتهر كتاب التاريخ الذي أطلق عليه عنوان الأصول (Origines)، الذي يسرد تاريخ الرومان من البدايات وحتى أيام وفاته، لكن لم يتبق منها سوى شذرات في أدبيات الكتاب اللاحقين لعصره مثل شيشرون وليفي وفرجيلوس، ويعد كتاب الزراعة (De Agritura) هو المصنف الأدبي الوحيد الذي وصل إلى عصرنا، للمزيد ينظر:(Néraudau, 1994, pp. 30–31).

وقد أطلق الرومان على الشرق النوميدي بعد هزيمة الملك يوبا الأول في 46 ق.م في الحرب ضد يوليوس قيصر (Julius César) اسم أفريقيا الجديدة (Africa Nova) تمييزا عن إفريقيا القديمة (Africa Vetus)، (César, 1905, XCVII)، مثل إشارة شيشرون (Céciron) إلى الجيش النوميدي باسم الجيش الإفريقي في إحدى رسائله إلى صديقه أتيكوس (Atticus): "hi autem ex Africa iam adfuturi videntur" " هذا الجيش الإفريقي الذي سيسقط بين أيديهم" (Ciceronis, 1840, Lib. XI,15).

حسب ستيفان جزيل فإن الخندق الذي حفرته قرطاجة قبيل بداية الحرب البونية الثانية (218ق.م) لتأمين حدودها غربا حيث يمر على منطقة السهول الكبرى وناحية سوق الإربعاء الحالي وشرق مادورو(Madauros) مداوروش وجنوب تجاست (Thagaste) سوق أهراس بالشرق الجزائري الحالي (Gsell, 1918, pp. 465-466) وهي الفترة التي برزت إلى سطح العلاقات القرطاجية النوميدية بوادر نزاع بين قرطاجة و وملك الماسيل جايا (Gaia) والد ماسينيسا (Masinissa) بسبب توسع القرطاجيين على حساب أراضيه التي لا تذكر المصادر موقعها بدقة، ويرجح أنه إقليم الشرق النوميدي المتنازع عنه عند إندلاع الحرب البونية الثانية 218 ق.م (فرحاتي، 2007، ص 52)، ويكون قيصر ومعاصريه اعتمدوا في التسمية على خلفية تاريخية لمنطقة التوسع القرطاجي قبل 146 ق.م حيث كان الشرق النوميدي خاضعا لها في أقصى اتساع بلغته غربا في البلاد المغاربية إذ اعتبر قيصر شرق نوميديا ملحقا جغرافيا لإفريقيا القديمة.

لم تُعْرف تسمية إفريقيا إلا باحتكاك الرومان المباشر بالمجال المغربي القديم في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد، ولم يعرف هذا الاسم الثبات الجغرافي، فيشار به تارة إلى الإقليم القرطاجي وتارة أخرى على الإقليم الشرقي النوميدي، وأحيانا أخرى لكل المنطقة المغاربية كاملة ويحل محل التسيمة الإغريقية (ليبيوم)، لكن السؤال المطروح من أين اتخذ الرومان هذا الاسم، هل هو تسمية لاتينية للسكان المحليين رعايا قرطاجة أم من صنيع البونيين أم أطلقه أصحاب المحلة على أنفسهم؟

2 – أصل تسمية شعب الأفري ومجال نفوذه:

تتمسك المصادر الأدبية الرومانية بمنهج الإغريق في تأصيل أسماء المناطق والمدن يبدو ذلك واضحا من خلال رأي سولينيوس الذي عاش في القرن الثالث للميلاد يرجع أصل تسمية "Africain autem ab Afro Libyis Herculis flio" "إفريقيا من أفرو بن هرقل الليبي"(Solini, 1757,Capt. XL)، وما يذهب الباحثون إليه في تأصيل تسمية الأفري، التي ترتبط بقبيلة محلية تقع شمال تونس وشمال شرق الجزائر الحاليتين، والأفر هو مفرد أفري ويعتقد أنه نفسه الاسم المحلي إِفْرِي (Ifri) الذي يعني الكهف وسكان الكهوف حسب اللغة المحلية(شفيق، دت ، ص 14 ؛ غانم، 2010، ص10; Docret & Fantar,1981, p.24).

أما الأفري لدى لدى إزدور (Isidore) من إشبيلية الإسبانية في القرن السادس للميلاد، فتعني الجو الحار أو المحروم من البرد، وعند تحويرها تصبح أبريكو(Apricau) بمعنى بلاد الفواكه أو المشمش ضف إلى ذلك من يحاول نسبها إلى اللغة اللاتينية وتعني الرياح الجنوبية الغربية القادمة من إفريقيا (Siraj, 2001, pp. 3661-3662).

ويقترح المؤرخ والأثري التونسي حمدان بن رمضان الرجوع للأسماء الجغرافية في العصور الإسلامية هو العمل الأكثر واقعية نظرا لصلتها القريبة والمباشرة بالعصور القديمة، ويستحضر من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار إسميين لمدينتين تونسيتين هما إفرن الصغرى وإفرن الكبرى بالأربس – نواحي الكاف– (الحميرى، 1974، ص 50)، ويرى أن المكون اللاتيني للاسمين هو فورنوس (Fournus) بمعنى الفرن أو موقد الخبز، إحداهما إفرن الكبرى (Fornus Maius) والأخرى إفرن الصغرى (Fournus Minus) بمعنى الفرن الكبير والفرن الصغير (Ben Romdhane, 2017, p. 112)، وفي القبائل الكبرى قبيلة بني إيفران و إفري بن دلال وتنسب فتيحة فرحاتي التسمية إلى الإلهة المحلية أفرو (فرحاتي، 2007، ص33)، ويتذكر محمد حسين فنطر البدو عندما يقدمون من الإقليم الإستبسي التونسي إلى قرية صغيرة بالقرب من الوادي الأوسط لنهر مجردة تسمى بلاد فريقية، يعملون في موسم الحصاد، وإذا سُئِلوا إلى أين تذهبون؟ يجيبون: "إلى فريقية بلاد القمح"(Fantar & Decret, 1981, p. 24) .

من الصعوبة بمكان تحديد أصل التسمية ومعناها التي لم تحفظها سجلات الإغريق الذين يصفون الشعوب والمناطق بصفات جغرافية أو عادات اجتماعية معينة تميز القبائل والشعوب،

لكنها ترتبط بالوجود الروماني وبداية احتكاكه بالمنطقة، والذي لم يعتن كُتَابُه بإبراز تفاصيل شعوب المنطقة وعاداتها.

تبعا لأبحاثٍ قام بها ت. كوتيلا (T. Kotula) فإن تسمية الأفري أو الأفر يعود إلى قبيلة تنتجع حول أراضي قرطاجة في مدينتي سواس أو شواش (Suas) وأشولا (Uccula) الواقعتين في حوض وادي التين أحد روافد وادي مجردة، وتؤكد الوثيقة الأولى من مدينة سواس على وجود سكان الأفري أو العفري كشريحة أساسية من التركيبة الاجتماعية للمدينة إلى جانب المواطنين الرومان:

CILVIII, 25850 = ILS, 6776 : C(aio) Iulio Meandro/ Socero/ L(uci) Popili Primi./ Afri et Cives/ Romani/ Suenses/ ob meritum/ d(onum) d(ederunt).

(Afri et Cives Romani) = الأفري والمواطنين الرومان

والوثيقة الأخرى من أشولا :

CIL VIII 14864: C(aio) Annioleno C(ai) f(ilio)/ Arn(ensi) Karthagi/n(i)ensi Galliano/ flam(ini)/ divi Titi/ Civitas Uccula/ decreto Afror(um)/ Posuit .

يرى كوتيلا أنه يجب التفريق بين أفري سواس وأفري أشولا، ومبرره في ذلك أن ساكنة المدينة الأخيرة في منطقة أكثر تحضرا وترومنا من سابقتها ووجود قبيلة أو عشيرة (Gentis) في منطقة مترومنة رأي غير صائب، وقد عارض ج. بيارس (J. Peyars) رأي كوتيلا، بناء على ما توصل إليه من معطيات جغرافية وإثنية وتاريخية تجعله لا يقبل فصل أفري سواس عن إخوانهم في أشولا، ورأى أنه وجب قبول هذه الفئة التي تشكل مجتمعا بسيطا في وسط مترومن تمتد مضاربه بين وادي مجردة ووادي تين (Kotula & Peyares, 1985, pp. 209-212).

يرى المؤرخ التونسي حمدان بن رمضان أن المؤرخين اللاحقين اكتفوا بهذه النتيجة التي مفادها أن الأفري مجتمع قبلي محلي صغير ينتجع ما بين واديي التين ومجردة، رغم الجدل والتناقض القائم بين البَاحِثَيْن كوتيلا وبيارس (Ben Romdhane, 2017, p. 104)، لكن الوقوف على إشارة بوليب إلى عدد المنضمين من الأفارقة لجيش المرتزقة بقيادة ماتو(Matho) الذي يبلغ سبعون ألفا لا يمكن وصفه بالمجتمع الصغير (Polybe, 1856, Liv I, 73)، وكذلك العدد الكبير من الأفري في الوحدات العسكرية المساعدة في الجيش الروماني في القرن الأول للميلاد، حتى أن ج. م لاسير (J. M. Lassèr) لم يخف دهشته كيف لمجتمع صغير أن يقدم هذه الأعداد من المجندين؟ (Ben Romdhane, 2017, p. 104).

بعد سنوات من ذلك الجدل التاريخي والصمت الذي أعقبه، يعيد رمضان بن حمدان أعاد فتح ملف الأفري عند توفر معطيات أثرية وتاريخية جديدة، وأعاد الجدل للواجهة بإعطاء بُعد جديد لإقليم الأفري ومفهوم أوسع لهذه المجموعة العرقية، أمام وثيقتين ماديتين الأولى عثر عليها في بير مقرة الحالي ثيبيكايس قديما (Thibicaae) في المجرى الأوسط لوادي كاتادا (Catada) وادي مليان حاليا، وتتمثل في حجر من الجير الأصفر تم العثور عليه في ديسمبر 2011 وهو محفوظ في محمية حفظ الآثار في توبربو ماجوس(Thuburbo Majus) الواقعة بنواحي مدينة الفحص بزغوان الحالية، وما تبقى من الحجر المكسور يذكر فيه أفري ثيبيكايس (Thibicaeses Afri) على النحو الآتي: (ينظر الشكل رقم 01).

شكل رقم 01:

صورة النقيشة التي تؤرخ إلى أفري ثيبيكايس



المرجع:(Ben Romdhane, 2016, p. 300)

[AVG.PON[TIFICI[…]
[...]G.THIBICAENSES.AFRI.S[…]
أغسطس المؤله
أفري ثيبيكايس.

يُرَجح أن هذا النقش الإهدائي يعود إلى فترة حكم الإمبراطور دوميتيان(Domitien) ما بين (81 –96م)، حيث تظهر في السطر الثاني ثيبيكانس إلى جانب الأفري، مثلما هو موجود في سواس وأشولا، أما النقشية الثانية التي اكتشفها زميله علي الشريف والتي تضع الأفري على حواف مدينة طابورا (Thabbora) هنشير طمبرة حاليا (Romdhane, 2016, pp. 300-301) وقد عثر على عدة نقوش في المنطقة المسماة طابورا بمنطقة وادي سليانة، فمن جهة سمح هذا

الاكتشاف بإعادة رسم حدود الخندق الملكي في حوض وادي سليانة ومن جهة أخرى تفيد حدود طابورا كموقع إقامة الأفري على حدود الخندق الملكي (عبيد، 2016، ص 12).

كما يبدو التمييز الإثني واضحا في وحدات الجيوش المساعدة الرومانية في بلاد المغرب منذ القرن الأول ميلادي إلى غاية منتصف القرن الثاني الميلادي الموسولامي (Musulames) النوميدي، الجيتولي (Geatule) والأفري، ومن خلال الوثائق المادية التي عثر عليها في واديي مجردة ومليان التي تشير إلى إقليم الأفري الواقع أسفل (جنوب) قرطاجة، ولا وجود للأفري في النقوش البونية في مناطق غيره، وفي نهاية القرن الأول قبل الميلاد ما بين 17-15 ق.م تُرجمت نقوش طرابلس مقاطعة إفريكا إلى أرض ليبيا (bsd Lwbym)، أما البيزاسيوم[1] منطقة الليبوفينيقين سكان المدن الساحلية وعلى الرغم أن الحدود الجنوبية للمنطقة مدرجة في نطاق الخندق الملكي، فقد تمتع أهلها في بداية الاحتلال بمكانة خاصة لدى الرومان، وتمتعت أغلب المدن بالاستقلال الذاتي ، لذلك لا يمكن تحديد المناطق الجنوبية للوجود الأفري، لكن من المؤكد أن البيزاسيوم والنوميد هم الجيران الأبرز في الغرب والجنوب (Ben Romdhane, 2017, pp. 109-110) (ينظر الشكل رقم2)

من خلال ما توفر من وثائق مادية تبرز شعوب الأفري في المحيط القرطاجي في القرن الأول للميلاد ويتضح أن هذه الإثنية شكلت كيانا اجتماعيا خاصا ومتفردا يشار له بالاسم إلى جانب المواطنين الرومان في المدن المترومنة والأقل رومنة على حد سواء، بل انسحب اسمهم على كل المنطقة، وهذا مرده إلى الكثرة العددية وانخراطهم في وحدات الجيش الروماني مما جعلهم يستفادون من الامتيازات الرومانية، وهذا يستدعي البحث عن جذور العلاقات العسكرية هل هي وليدة إخضاع الغالب للمغلوب، أم أنها نتيجة تحالف سابق قبل تدمير قرطاجة؟

مُنِح الأفري مكانة الأجانب الأحرار في المستعمرات الرومانية، وكما هو معلوم أن الرومان قد قاموا بمكافأة المدن والشعوب التي وقفت إلى جانبهم في الحرب ضد قرطاجة أو دعمت احتلال نوميديا، ومنح الإمتيازات حيث أبقت على الأنظمة الإدارية البونية وقامت بعملية الإشراف عليها بطريقة غير مباشرة بتنصيب زعامات محلية موالية للرومان والعمل على ترومنهم تدريجيا مثل مدينة أوتيكا (شنيتي، 1985، ص ص 91-95)، لذلك فالتسمية لها

[1] - البيزاسيوم: هي المنطقة الممتدة بين رأس الطيب شرق قرطاجة وحتى السرت الصغير قابس في الوقت الراهن، للمزيد ينظر: (الباب الأول، الفصل الثاني، ص65)

علاقة بالقرارات الرومانية التي تهدف إلى استغلال إثنية محلية ضد قرطاجة، وهو بمثابة الاعتراف بكيان هذه الشعوب التي لا تنتمي للقرطاجيين بل خاضعة لهم، والتي دعمت الاحتلال أو على الأقل سهلت عملية دخوله (Ben Romdhane, 2017, p. 110)، وتذكرنا هذه الفرضية بالشعار المنسوب إلى الملك النوميدي ماسينيسا "إفريقيا للأفارقة"، وهذا ما يدعم الرأي السابق، وحتما سيفضي إلى تحالف نوميدي أفري مع الرومان ضد قرطاجة، ثمنه بعض الامتيازات للنوميديين والاعتراف بالأفريين كأحرار في البلديات الرومانية إلى جانب المواطنين الرومان.

شكل رقم 2:
خريطة توضح موقع الأفري حول المحيط القرطاجي

المرجع:(Ben Romdhane, 2017,p. 114)

يُرجح أن تسمية أفريكا اشتقت من تسمية الأفري أو العفري النطق المحلي للشعوب جنوب وشمال غرب قرطاجة وهي الأفري بالمنطوق الروماني، الذي لا يهتم بالحروف المتحركة حيث جاءت التسمية بعدة أشكال مثال على ذلك: ورد إسم الأفر لدى ليفي في قوله: "hinc Poenus, hinc Afer urge" " من جهة القرطاجيون ومن جهة الأفر" كما ورد الأفري

"eam prouinciam destinat والأفرسيس "الأفري في إسبانيا" "Afri in Hispani" firmatque eum Africis maxime praesidiis, peditum Afrorum undecim milibus"، "ترك جيشا افريقيا، لأنه يتكون من 11850 من مشاة من إفريقيا" (Livi, 1860, Lib XXIII, XXIX, 10; Lib XXI, XXI, 11; XXI, XXII,1) ، والأفرو "Afro" لدى جوستني عند الإشارة إلى مقدم عليسا إلى بلاد المغرب القديم "Sed et Afros detinendi advenas amor" " أحب الأفرو بقاء الوافدين الجدد".

ثم انسحبت هذه الأسماء على البلاد المغاربية والتي في أصلها من جذر واحد الأفري؛ حيث "أفريكا" "Africæ" و"أفريكام" "Africam" وأفريكانوم" "Africanum" حيث تختلف نهايات الكلمات لدى الرومان دون أن تحدث أثرا في المعنى، وعندما تحول الاسم إلى اللغة العربية أصبح إفريقية وإفريقيا.

3- الهوية المغاربية وانتمائها الحضاري بين المصادر الرومانية والدراسات المعاصرة:

أخذ بعض المؤرخين المعاصرين وخاصة مؤرخي المدرسة الفرنسية آراء الكتاب الرومان وصدحوا بها حول هوية بلاد المغرب القديم وانتمائها الحضاري، مثل مقولة سالوستي: "sed Africam in Europa Ea fines habet" (Sallusti, 1971, XVII) "فئة قليلة تُعَدِدُ إثنين من القارات آسيا وأوروبا وفهموا أن إفريقيا في أوروبا" هذه العبارة التي يراها البعض مجرد تعبير عن واقع سياسي بعد تدمير قرطاجة وإسقاط نوميديا حيث دخلت المنطقة إلى حيز الهيمنة الرومانية والقارة الأوروبية (Ben Romdhane, 2017, p. 111)، أما سليوس إيطاليكوس (Silius Italicus) الذي عاش في القرن الثاني للميلاد في فترة حكم الأسرة الفلافية، فيلحقها بقارة آسيا لدرجة أنها قد تكون جزء منها:

"aut ingens Asie latus, aut Pars tertia terris…
Herculeo dirimente freto, diducata propine
Europs uidet arua uigis, Ultra obsidet" (Italici, 1890, Lib I, 195, 198-200).

" إذا كانت جزء كبير من آسيا أو قسم ثالث من الأرض

يعتقد أن هرقل بمضيق

وعن أوروبا هي ليست بعيدة تُرى من أعالي المرتفعات المجاورة".

كما تغنى الشاعر ذو الأصول الإسبانية لوكان (Lucain) كذلك بانتماء المجال المغاربي إلى أوروبا، عندما ذكر الشبه الكبير بين المظهر الطبيعي لإفريقيا وأوروبا لدرجة الخلط الذي يقع للعامة ويعتقدون أن إفريقيا لا تنتمي لأوروبا ويذكرهم مناخها وسماها بأنها أوروبية، حيث قال: " Tertia pars rerum Libye, si credere famæ cuncta velis: at si vontos cœlumque sequaris pars erit Europæ" (Lucain, 1836, Lib VI, X)"إذا أردنا أن نصدق الرأي الشائع بأن ليبيا القسم الثالث من العالم، ولكن إذا نظرنا إلى هوائها وسماها فهي جزء من أوروبا".

هذه الشهادات حول البنية الطبيعة المتشابهة والتقارب الجغرافي بين البلاد المغاربية والضفة الشمالية للمتوسط من خلال المضائق والرعون البحرية التي شاهدها القدامى في أسفارهم، قول تصدقه البنية التضاريسية والمناخية لشمال المنطقة المغاربية المشابهة للمظاهر الطبيعية لأوروبا، وهو ما جعل ستيفان جزيل يصر على انتماء البلاد المغاربية صوب الضفة الشمالية للمتوسط أكثر منها إلى جنوبها، فمن الناحية الطبيعية يراها مرتبطة جغرافيا بدوله خاصة اسبانيا التي لا يفصلها عنها سوى مضيق جبل طارق المقدر ب14كلم والتي يشبه مناخها وجبالها حديثة التكوين تضاريس المنطقة المغاربية، وأنهارها الجارية شتاء والجافة صيفا، وهي طبيعة مناخ البحر الأبيض المتوسط البارد والممطر شتاء والجاف والحار صيفا ويضيف إلى ذلك الاتصال الجيولوجي في العصر الجيولوجي الرابع أين كانت القارات الأربع متصلة ببعضها البعض (Gsell, 1918, pp. 30-32).

لكن التشابه في السيمات الطبيعية بين بلاد المغرب القديم وأوروبا، لا يجيز فصل شمال البلاد عن جنوبها وصحرائها، فشساعة المنطقة تتيح لها الامتداد جنوبا وتمنحها خصائص طبيعية أخرى لا تشبه البلاد الأوروبية ولكنها تشبه المنطقة الصحراوية الداخلية من القارة الإفريقية، حيث الميزة الغالبة للمغرب القديم هي التنوع الطبيعي والمناخي ولا يمكن حصر البلاد المغاربية في الشريط الساحلي الذي يقع في مواجهة أوروبا، وهو ما جعل المؤرخون المعاصرون يتأثرون برأي القدامى.

أما إذا تم التمعن في الإشارة للسكان الأوائل لإفريقيا يقول سالوستي أنه " Africam initio habuere Getuli et Libyes" (Sallusti, 1971, XVIII) "في البداية سكن إفريقيا الجيتول والليبيون"، ويضع بليني الكبير وادي نقريس (flumen Negris) الحد الفاصل بين

الجيتول والإثيوبيين "tota Gætulia ad flumen Negris, qui Africum ab Aethiopia dirimt" (Plinii, 1851, Lib,V,5) "كل جيتوليا إلى نهر نقريس الذي يفصل إفريقيا عن اثيوبيا"، في هذه الحالة يصبح وادي نقريس الذي يوافق وادي جدي الذي ينبع من جبال العمور بالأغواط ويسير شرق- غرب نحو ديميدي (Dimidi) ويتجه إلى أولاد جلال وبسكرة (Le Bohec, 1995, pp. 2345-2346)، فإذا كانت جيتوليا في جنوب السهوب وأطراف الصحراء الشمالية فإن شريط ليبيا الرملية وبلاد الجرامنت سيكون في بلاد الأثيوبيين، وهي تقريبا حدود الليمس الروماني الذي يفصل العالم الروماني عن الأجانب، حيث يضع كل الشعوب غير الخاضعة في إقليم واحد، ولا يهتم لتصنيفاتهم الإثنية من جيتول وجرامنت وأثيوبيين (ينظر الفصل الثالث ص ص 94–95).

لذلك يطابق قابريال كامبس (Gabriel Camps) الشمال الإفريقي بمحيط قرطاجة والممالك المحلية وهو مفهوم الرومان لمنطقة إفريقيا القديمة، فشمال إفريقيا هي نقطة الليمس الذي زرعه الرومان والنقطة الفاصلة بين إفريقيا وأثيوبيا حيث يبدأ إقليم السهوب الذي يؤم البدو والجيتول والأثيوبيين دون تمييز، وهو التقليد الذي حافظ عليه غابريال كامبس حيث ظل إقليمي السهوب وشمال الصحراء خارجا عن الانتماء للبرباريا(Barbarie) كما هو موضح من عنوان كتابه "حضارات ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا والصحراء" "Les civilisations préhistorique de l'Afrique du Nord et Le Sahara" الصادر سنة 1974.

لكن التركيبة البشرية للشمال الإفريقي والصحراء تمثل وحدة إجتماعية لم تنفصل عن بعضها البعض، وقد عبر هيرودوت في القرن الخامس عن هذه اللحمة البشرية بـ: "هذا البلد تسكنه أربع أمم، اثنان منها أصيلتان واثنان من الأجانب، السكان الأصليون هم الليبيون والأثيوبيون ويقيم الليبيون في الشمال والآخرون في الجنوب، الاثنان الأجنبيتان هما الفنيقيون والإغريق" (Hérodote, 1858, Liv IV, CXCVII)، كما قسم ليبيا إلى ثلاثة أقسام ليبيا الساحلية المطلة على البحر الأبيض المتوسط، ليبيا الداخلية الغنية بالحيوانات المفترسة، وليبيا الرملية الواقعة على رفارف الصحراء، وذكر جانبا من مواقع ومضارب القبائل الليبية التي تعيش في واحات إفريقيا مثل الجرامنت (Garamantes) والأمونيين وسكان أوجيلا (Augile) وتطرق إلى العلاقات السلمية والحربية بين الجرامنت والأثيوبيين الذين يقيمون على بعد ثلاثين يوما من مضارب اللتوفاجيين (Lotophagie) أكلي اللوتس الواقعة بين جزيرة

جربة ووادي كينيبس (Cinyps) وادي كعام الحالي وعشرة أيام من أوجيلا (Hérodote, 1858, Liv IV, CLXXIV- CLXXVII).

وقد أثبتت التجربة أن ثلاثين يوما هي المدة المستغرقة لقطع المسافة من لبدة الكبرى إلى بلاد الجرامنت، حيث استغرق سبتيموس فلاكيوس (Septimius Flacius) في عهد الفلافيين المدة نفسها وهي حوالي1000 كلم (Toutin, 1896, pp. 65-66)، ومن واحة أوجيلا يطارد الجرامنت الأثيوبيون والتروغلوديتس(Troglodyts) مستخدمين عربات يجرها أربع خيول لأن الأثيوبيون أسرع الاقوام ويتكلمون لغة غريبة عن سائر الأمم التي يعرفها هيرودوت (Herodote, 1858, Liv IV, CXXXIII, CLXXXIII)، فالجرامنت هم إحدى قبائل الليبيين التي تعيش في شمال الصحراء حسب وصف هيرودوت لواحات النخيل أوجيلا وموضع الأثيوبيون غير بعيد عنهم فمن السهولة مطاردتهم، كما لعبوا دور الوساطة التجارية بين الأثيوبيين وموانئ الساحل المغاربي، أويا (Oea)، لبدة الكبرى (Leptis Magnus) صبراتة (Sebrata) وتواصلوا مع الفنيقيين والإغريق، وتاجروا بالمنتجات الصحراوية خاصة العاج والأحجار الكريمة بالإضافة إلى الجلود والعبيد، كما كانوا أدلة القوافل في وقت متأخر مع الرومان (Toutin, 1896, pp. 65-66).

ولا يختلف رأي كامبس عن رأي الرومان القدامى في كتابه "في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بداية التاريخ" الذي نشر في مجلة ليبيكا (Libyca) في السداسي الأول من سنة 1960، الذي يذهب فيه إلى أن البلاد المغاربية في طرفها الغربي كان اتصالها باكرا وواضحا مع شبه جزيرة أيبيريا وحضاراتها مثل الحضارة الأرغارية (ELArgaria)[1] منذ الألف الرابعة، كما عثر على أسلحة مختلفة في عدة مناطق من ساحل ليكسوس العرائش حاليا ووادي أكرش قرب الرباط، بالإضافة إلى عادات الدفن في الجرار التي تعود إلى تقاليد الثقافة الأرغارية بجنوب غرب اسبانيا في أواخر الألفية الرابعة، ومنذ منتصف الألفية الثالثة

[1] – الحضارة الألغارية: نسبة إلى منطقة الألغار (Elargar) على الضفة اليسرى من وادي أنتاس (Antas) في القرية التي تحمل إسم النهر أنتاس في مدينة المرية (Almeria) جنوب شرق إسبانيا، تعود ثقافة العصر الألغاري إلى عصر البرونز بإسبانيا، للمزيد ينظر:) (Desideri & Autres, 2012, p.103).

السابقة للميلاد يظهر تأثير حضارة الكمباني (Campaniforme)[1] في المغرب الأقصى على سواحل المحيط الأطلسي من خلال تبادل العاج وبيض النعام من بلاد المغرب القديم والأواني الكمبانية من أيبيريا، والشاهد على ذلك مخلفات ساحل المغرب الأقصى المتمثلة في الفخار ذو الأشكال الهندسية الدقيقة (Souville, 1992, para.2)، بالإضافة إلى الأسلحة البرونزية والبلطة طويلة المقبض في النقوش الصخرية في الأطلس الأعلى، أما عن التأثيرات القادمة من جنوب الصحراء فيرى بأنها قد أدخلت بعض المبادئ الحضارية والرقي المعيشي للمنطقة لكن هذه التأثيرات قد أخذت وقتها لتتطور حول حواف النيل خاصة عادات الدفن، ثم تتداول في البلاد المغاربية (كامبس، 2009، ص ص 165-171).

إن الصلات الحضارية بين المنطقة المغاربية والقارة الإفريقية تمتد إلى آلاف السنين بين الليبيين والأثيوبيين أو سكان الشمال الإفريقي والصحراء بطرفيها الشمالي والجنوبي، فالنيوليتي الصحراوي ذو التقاليد السودانية الممتد تاريخيا بين6100 – 1000 ق.م، والذي يشغل منطقة الأهقار، أدرار إيفوراس، التلمسي، التنبري، والصحراء الغربية (سحنوني، 1999، ص 132) وهي مظهر من مظاهر التفاعل الحضاري بين شمال الصحراء وجنوبها حيث الشبه الكبير بين الصناعات الخزفية في أمكني وما هو موجود على ضفاف النيل في الخرطوم واقترح تسميتها بالنيوليتي الصحراوي السوداني، الأمر الذي رفضه كامبس واقترح إبقاء هذا الرأي مجرد فرضية بسبب عدم استكمال حفرية أمكني آنذاك، كما أنه رأى النيوليتي الصحراوي منفصل تماما عن أي تأثيرات قادمة من إفريقيا جنوب الصحراء(Hugot, 1973, pp. 455-456) ، لكن الأبحاث الأنثبرولوجية التي قام بها هـ.ج. هوجو (H.J. Hugot) سنتي 1957 و1963 في منطقة المنية (Meniet) شمال غرب الأهقار والتي عثر فيها على بقايا بشرية تعود إلى 5410 (300+-) ق.م، تخص الإنسان السوداني (الزنجي) والذي يتصف ببنية قوية وعظام أطراف طويلة، فك بارز، وأنف عريض وأفطس، الذي عبر من ضفاف النيل في الخرطوم نحو الشمال الغربي، (Chron, Hugot, & Petit, 1974, pp. 294-298) ، ليعترف كامبس في 1986 في مقال مشترك مع مجموعة من الباحثين حول الأهقار عبر العصور من فترة ما قبل التاريخ إلى

---

[1] – حضارة الكمباني: هي ثقافة نيوليتية شهدتها أوروبا خلال الألفية الثالثة، نشأت غرب السواحل الأطلسية في إسبانيا والبرتغال، وانتشرت حتى بلغت سواحل الأطلس بالمغرب الأقصى وحتى شرق أوروبا ببولاندا، ومن إرلندا في إفريقيا جنوبا حتى صقلية شمالا، للمزيد ينظر: (Lemercier,2006, p.1).

العصور التاريخية ويعلن أن جل البقايا البشرية التي عثر عليها في منطقة أمكني والمنية للإنسان السوداني(Rognon, Camps, & Chker, 1986, p. 279) .

لا شك أن المعرفة التاريخية إنتاج تراكمي مرهون بتطور الدراسات والبحوث، وليس في الأمر شيئا عندما يغير الباحث رأيه عند توفره على حجج تفضي إلى الحقيقة التاريخية، لكن بناء رأي جازم ويقيني نابع من خلفية ثقافية معينة (فكر استعماري) يعمل على إطفاء كل بريق حضاري للمنطقة وجعلها تابعة للدائرة الأوروبية ومنفصلة عن بقية أجزائها الداخلية القارية السهبية والصحراوية، وهو ما قام به أولا مؤرخو الرومان الذين تمسكوا بليبيا هيرودوت الساحلية، أو ما أصطلح عليه فيما بعد بإفريقيا الرومانية (Africa Romana) واعتبروا المنطقتين الأخرتين عدما، وأورثوا عقيدتهم لمؤرخي فرنسا فيشيد كامبس بالاتصال المغاربي الأيبيري، ويقلل من أثر الروابط المصرية وجنوب الصحراء أمام نظيرتها الأوروبية هذا من جهة. ومن جهة أخرى يعزل المنطقة الشمالية من بلاد المغرب عن امتدادها الصحراوي والإفريقي القاري في حقبة ما قبل التاريخ خاصة النيوليتي وهي حقبة بعيدة عن المنظور الجغرافي والتاريخي الاستعماري الروماني لكنها الفترة التي كان للمنطقة دور هام في قيام حضارات العصور التاريخية.

أما عن الصلات المغاربية المصرية فهي علاقة جدلية موغلة جذورها في القدم، ف فقد عثر على بقايا الحضارة العاترية[1] في واحة سيوة الواحة الداخلية، والواحة الخارجية، الأقصر نقادة والمراشدة وكذا شرق النيل، والتي يرى محمد الصغير غانم نقلا عن ك. طومسون (Caton Thompson) التي نسبتها إلى أقوام قدموا من شمال غرب إفريقيا حيث أثرت في صناعة أدوات العصر الحجري الحديث وعصر ما قبل الأسرات في مصر (غانم، 2003، ص 78) وتوافق أم الخير العقون كذلك على رأي طومسون (Thomsson) حول مواقع الحضارة القبصية[2] التي امتدت إلى شمال حلوان، ويعود انتشار حضارة القبصيين في مصر إلى أواخر

---

[1] – الحضارة العاترية: نسبة إلى منطقة بئر العاتر جنوب تبسة، حيث أولى الحفريات التي كشفت هذه الحضارة، تنتمي الحضارة العاترية إلى العصر الحجري القديم الأوسط في المغرب القديم، يمكن حصر فترتها ما بين 40000 -25000 سنة، للمزيد ينظر: (جراية، 2017، ص ص 135-136)

[2]– الحضارة القبصية: نسبة إلى التسمية اللاتينية لمدينة ققصة التونسية، حيث تكثر مواقع هذه الحضارة ، وهي من مخلفات العصر الحجري القديم المتأخر، تمتد ما بين 6900- 4500 ق.م، للمزيد ينظر: (جراية، 2017، ص ص 194-196).

العصر الحجري القديم (الباليوليتي الأعلى) حيث بداية التغير المناخي نحو الجفاف في المنطقة المغاربية (العقون، 2005، ص ص 51-52).

تعتبر أم الخير العقون الصحراء منطقة تصدير التأثيرات الحضارية لمصر وبلاد المغرب في مرحلة الجفاف التي سبقت النيوليتي، وتستشهد بالصناعات الحجرية المتشابهة، وكذا عادات الدفن تحت أرضيه المسكن لدى القبصيين النيوليتيين وحضارة مرمدة بن سلامة ومقابر المعادي النيوليتية تشبه مقابر الدولمن في شمال البلاد المغاربية، ضف إلى ذلك التشابه في التكوين المورفولوجي بين صانع الحضارة النيولتية الصحراوية السودانية، والمزيج البشري المكون للمجتمع المصري المتضمن للعرق الزنجي (العقون، 2005، ص 53).

من بين دلائل الصلات الحضارية الباكرة في الفترة التاريخية بين المصريين والليبيين في عصر ما قبل الأسرات، لوحة الصيادين أو لوحة صيد الأسود (ينظر الشكل رقم3) والتي تعود إلى منتصف الألف الرابعة ويصور أحد وجوهها صفين من الرجال تفصل بينهما ساحة صيد تضم غزلان، أرانب، كلاب، ونعام ويقابلهما أسدين قد رشقا بأسهم، وغزالة عالقة في شبكة الصيد يبدو أنها كانت طعما للأسدين، أما الرجال فكانوا بشعر مستعار ولحية وريشة على رؤوسهم، كما تصورهم اللوحة يتأزرون برداء ويحيطون الخصر بحزام، وهي صفة الليبيين في المصادر المصرية (السعدي، 2009، ص ص 146−150).

شكل رقم 03:

صورة لوحة الصيادين التي تعود إلى منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد



المرجع: (العقون، 2005، ص 64)

خلقت الرؤوس البحرية نوعا من التقارب الجغرافي (ينظر الشكل رقم 4) الذي أسفر عنه تبادل التأثيرات والصلات الحضارية بين ضفتي المتوسط في الجهة الشرقية، فالإمتداد بين رأس الطيب (Cap Bon) بتونس الحالية و رأس ليليبي (Lilybé) غرب جزيرة صقلية (Sicile) لا يتجاوز 140 كلم (Gsell, S.d, p.387)، بالإضافة إلى رأس أبوللو (Cap Apollon) أو كاب فرينة (Cap Farina) المقابل لسردينيا (Sardaigne)، حيث ورد لدى بليني الآتي: "mox Apollinis aduersum Sardiniæ, Mercurii aduersum Siciliæ" يقابل رأس أبوللو جزيرة سردينيا، ويواجه رأس مركير (كاب فرينة) جزيرة صقلية" ويضيف : "mox CCLM promonorum phycus per Creticum mare excurrit, distans CCCLM à Tænaro Laconicæ promonotorio a Creta vero ipsa (Plini,1851, Lib. V, I, 3; V, 4). "يبرز رأس فيكوس في البحر الكريتي، ويقرب بمسافة 350 ألف خطوة[1] نحو تينار لاكونيا 225 ألف خطوة من كريت نفسها"

الشكل رقم 4:
خريطة تبين نقاط التواصل بين المغرب القديم والضفة الشمالية للبحر الأبيض للمتوسط

المرجع: (إنجاز الباحث)

[1]- الخطوة الرومانية: تبلغ الخطوة الرومانية حوالي 0.30 م، للمزيد ينظر: (Reguin, 2021, p. 17).

سمحت الرؤوس البحرية في الجهة الشرقية من بلاد المغرب القديم ببناء جسرا حضاري للعبور بين ضفتي المتوسط، وتذكر المصادر المصرية تحالف شعوب البحر والليبين القدامى ضد أمنبيتاح المصري في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وهي أقدم الدلائل المادية على الاحتكاك الشرقي ببلاد المغرب القديم (السعدي، 2009، ص ص 204–207).

كما تعطي المصادر الأدبية الإغريقية إشارات خاطفة عن بلاد الليبيين، فهوميروس يتحدث عن أوديسيوس ورفاقه الذين قذفتهم أمواج البحر على الساحل الليبي والتقى بقبيلة اللوتوفاجي الليبية (هوميروس، 2013، ص 96)، ويذكر هيرودوت رحلة الإغريق إلى ليبيا والاستيطان في برقة في القرن السابع قبل الميلاد بعد رحلة استكشافية سمحت لهم بالتعرف عن الساحل المغاربي وإنشاء مدينة قورينة، ويشير إلى الأصل الطروادي لقبيلة الماكسيس (Hérodote, 1858, Liv IV,CXLV,CXCI)، كما يشير ديودور الصقلي إلى تأسيس الطرواديين لمدينة ماسكولا (Mascheka) (Diodore de Sicile, 1851, XX, LVII) والتي يفترض كامبس موقعها في على الساحل الشرقي لبلاد المغرب القديم شرق الجزائر أو غرب تونس الحاليتين (كامبس، 2010، ص163).

وقد حذر ستيفان جزال من الانصياع لهذه الإشارات في المصادر الإغريقية التي لا تمتلك أثرا ماديا يوطد صحة روايتها، لما عرف لدى الإغريق من إطلاق التسميات الإغريقية على مدن وأسماء الآلهة الإغريقية على مدن وآلهة الأمم المجاورة (Gsell, 1918, p. 344) كما قد تكون هجرات لجماعات صغيرة لا تكاد تحدث أثرا حضاريا فالأقرب الاندماج مع العنصر المحلي أو العودة من حيث أتت، كما يمكن أن تكون ذكرى من أشعار هوميروس حول أساطير الساحل الليبي.

إلا أنه في العصر الحجري الحديث يربط مؤرخو الغرب شرق البلاد المغاربية القديمة بجنوبي ايطاليا وجزرها وكذا مالطا وبعض الجزر الصغيرة الأخرى، فإلى جانب الفخاريات الإيطالية المزخرفة التي دخلت إلى المنطقة والتي لا يزال استخدامها في منطقة الأوراس وبعض الخرز الزجاجي الذي عثر عليه في شرق تونس، حيث ينسب دايرول (Deyrolle) وغابريال كامبس المدافن والمقابر ببلاد المغرب إلى الضفة الشمالية، حوانيت رأس الطيب شمال مجردة، دوقة، كيرتا وتافست قبل مجيء الفينيقيين، واذا كان غابريال كامبس اكتفى بالأصل الإيطالي، فإن دايرول يوظف فرضيتين للحوانيت بالإضافة إلى الأصل البوني يضع الأصل

الإيجي ويماثل كامبس دلومانات الجزائر وتونس مع المقابر الميغاليتية في سردينيا وايطاليا ومالطا في عصر البرونز (كامبس، 2009، ص 157; Deyrolle, 1909, p. 164). ويتساءل محمد العربي عقون عن هذه التأويلات وانتقال المؤثرات من شمال الضفة إلى جنوبها وما هو الدليل على ذلك ولماذا تظل البلاد المغاربية عنصرا مستقبلا للمؤثرات دون أن تكون عنصرا مبدعا[1]؟

إن عبارة الحوانيت التي تطلق على المدافن والتي تعني الدكاكين أو المتاجر تعبير اصطلاحي حسب محمد فنطر، كما تنتشر هذه المقابر المبكرة في كل العالم المتوسطي، حيث يحفر القبر على جانب تلة أو جبل، ويسمى في الضفة الشمالية التي تشبه الحوانيت الليبية بالايبوجي (Hypogée) (سلاطنية، 2018، ص ص 60-61).

وتشير أم الخير العقون إلى تشابه طقوس الدفن تحت أرضية المساكن في حضارات النيوليتي المصري المشابهة للعادات القبصية في حضارة مرمدة بن سلامة، والدلومن المغاربي في مقابر المعادي، وهذا مرده للأصول المشتركة لحضارتي مصر وشمال إفريقيا والتي مركزها الصحراء، التي هجرت أثناء الجفاف الذي حل بها إلى مناطق أكثر رطوبة كوادي النيل وشمال إفريقيا بل وتجاوزها إلى الضفة الشمالية للمتوسط (العقون، 2005، ص 53).

كما أن بوزنياس (Pausanias) عندما يتحدث عن أصل تسمية جزيرة سردينيا وينسبها إلى القائد الليبي ساردوس(Sardus) بن ماكريس (Maceris) الذي سيّر حملة إلى الجزيرة التي كان يقطنها أقوام ضعاف، وتوطن بالجزيرة وأطلق اسمه عليها، فيما والده اتجه نحو دلفي (Delphes) لإنشاء مستعمرات ليبية (Pausanias, 1731, Liv X, XVII).

ولأن الأسطورة تحمل خيوطا رفيعة من الحقيقة يمكن أن تدل أسطورة ساردوس الليبي على هجرات بشرية خرجت من إفريقيا نحو جزر البحر الأبيض المتوسط وجنوبي إيطاليا وبحر ايجه، تحمل مؤهلاتها الحضارية نحو أوروبا، كما اتجهت شرقا إلى ضفاف النيل والشمال الإفريقي عند جفاف مناخ الصحراء، وهذا ما يعزز فكرة تشابه الفخاريات المزخرفة والمقابر على السواحل المتوسطية الشمالية في بحر ايجه (Egée) وجنوبي إيطاليا وصقلية.

---

[1] – ورد هذا التساؤل في الهامش رقم 2 في ترجمته لكتاب قبريال كامبس في أصول بلاد البربر ماسينيسا وبداية التاريخ قبريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا وبداية التاريخ، تر: العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2009. للمزيد ينظر: (كامبس، 2009 ، ص164).

ومن أبرز الدراسات التي تتناول موضوع الهجرات البشرية قبل الألف الخامسة، حيث عرفت إيطاليا هجرات بشرية من إفريقيا عبر مسارين، مسار من السواحل المغاربية إلى صقلية فجنوب إيطاليا، ومسار عبر مضيق أعمدة هرقل وجنوب غالا ثم إيطاليا، وجلب هؤلاء المهاجرين معهم ثقافتهم الخاصة، حيث عثر على أدواتهم الحجرية الجديدة التي لم تكن متوفرة في إيطاليا قبل وصولهم، والتي تبرز جودة التشذيب والصقل، بالإضافة إلى تفوق القادمين في صناعة الأواني الفخارية، بالإضافة إلى طريقة الدفن بوضعية القرفصاء وإلى جانب الميت الأواني الفخارية وأسلحته والمغرة الحمراء التي تستخدم في تلوين جسد الميت، وهو ما انعكس على التمايز الحضاري بين جنوب إيطاليا المتفوق عن شمالها بسبب أولى الهجرات إلى المنطقة، كما يرجح الباحثين امتصاص هؤلاء المهاجرين لباقي شعوب إيطاليا وادماجهم أو طردهم (الصفدي، 1967، ص ص 37-38).

حتى العصر الحجري الحديث كانت الضفة الجنوبية للمتوسط تحمل مؤهلات حضارية أغنى من الضفة الشمالية، وعند تحول المناخ إلى الجفاف حمل سكان المنطقة مؤثراتهم الحضارية ورحلوا إلى نقاط أخرى يكون المناخ ملائم للحياة مثل ضاف الأنهار مكونين حضارانت مختلفة في الشرق القديم خاصة، على غرار الحضارة المصرية، وقد كان لإتصال سكان الضفة الشمالية في هذا الوقت المبكر من الألف الرابعة السابقة للميلاد فعملوا على تقليد الحضارات التي سبقتهم، على سبيل المثال اصحاب حضارة كريت الذين تواصلوا مع مختلف السواحل المجاورة لهم (السعدني، 2008، ص 68).

إن الأدلة المادية والأثرية كثيرة ومتنوعة منذ عصور ما قبل التاريخ إلى العصور التاريخية التي تشير إلى اتصال البلاد المغاربية بالمصريين وشعوب الصحراء، وهي العلاقات الأثرى حضاريا وأكثرها تنوعا بين السلم والحرب وفي شتى المجالات الحضارية، ولا يمكن تجاهل العلاقات مع العالم المتوسطي، لكنها تعتبر متأخرة زمنيا عن نظيرتها في الداخل القاري، التي تعود إلى منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد بين الساحل الأطلسي المغاربي وشبه جزيرة أيبيريا وهي علاقات محدودة لم تتجاوز الساحل المغاربي، أما العلاقات المتقدمة في الشرق التي افترضها المؤرخون المحدثون فتفتقر إلى الدليل المادي الجازم، وأقدم النصوص الكلاسيكية المؤرخة للعلاقات بين بلاد المغرب والعالم المتوسطي لا تتجاوز القرن التاسع قبل الميلاد فهي ليست كافية لتكون حجة دامغة على انتماء البلاد المغاربية لأوروبا.

خلاصة الفصل:

من خلال البحث حول تسمية إفريقيا ومدلولها التاريخي والجغرافي والإثني، يمكن الخروج بالنتائج الآتية:

– أطلق الرومان اسم أفريكام على بلاد المغرب القديم، على الرغم من المعرفة المسبقة بالتسمية الإغريقية والبونية للمنطقة، لكن آثروا اسم أفريكا والتي يظل أصله يكتنفه الغموض إلى حد ما، ربما تشريفا للمجتمع الصغير الأفري – مقارنة بشعوب المنطقة– القاطن بالمحيط القرطاجي الذي تحالف معهم فتم سحب اسمه على مجمل المنطقة.

– ظل رأي الكتاب الرومان مؤثرا في أصحاب الدراسات الأجنبية المعاصرة، حول هوية المنطقة وإنتمائها الحضاري، فظل الرأي السائد هو تبعية البلاد لأوروبا، سواء من حيث الجغرافية الطبيعية والمناخ، أو التأثيرات الحضارية التي يراها الباحثين الغربيين قادمة من الغرب نحو المنطقة المغاربية، في حين أن كل المعطيات المادية والمؤشرات المادية تدل على التوطين الحضاري منذ عصور ما قبل التاريخ في الصحراء الإفريقية، ومن خلال الظروف والعوامل الطبيعية والمناخية، تقدم الخصب الحضاري نحو الشمال.

قائمة المراجع:

I- المراجع العربية:

1- بازامة، محمد مصطفى. (د. ت). *ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية*. بنغازي: منشورات مكتبة قورينا.

2- بن السعدي، سليمان. (2009). *علاقات مصر بالمغرب القديم منذ فجر التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد* . أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم. قسنطينة: جامعة منتوري.

3- الحميرى، عبد الله بن عبد المنعم. (1974). الروض المعطار في خبر الأقطار. لبنان: مكتبة لبنان.

4- حارش محمد الهادي. (2009). *التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الإسلامي*. الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.

5- جراية، محمد رشدي.(2017).*حضارات بلاد المغرب خلال العصر الحجري القديم*. الجزائر: دار هومة للطبعاعة والنشر والتوزيع

6- ساليستيوس. (د.ت). *من مصادر التاريخ القديم -الحرب اليوغرطية، الحرب ضد يوغرطة-*، (تر: محمد البروك الذويب). بنغازي: منشورات جامعة بنغازي.

7- سحنوني، محمد. (1999). *ما قبل التاريخ*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

8- سلاطنية، عبد المالك. (2018). *التعمير البشري بمنطقة قالمة من خلال الشواهد الأثرية*. مجلة هيرودوت. المجلد2 .(ع3). 53-67.

9- السعدني، محمود ابراهيم. (2008). *تاريخ وحضارة اليونان -دراسة تاريخية أثرية-*. القاهرة: الدار الدولية للاستثمارات الثقافية.

10- شنيتي محمد البشير. (1985). *الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146-40م)*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

11- صالح، أحمد. (2000). *التحنيط (فلسفة الخلود في مصر القديمة)*. مصر، القاهرة: جماعة حورس الثقافية.

12- عبيد، حسني. (2016). *الخندق الملكي بحوض وادي سليانة*. ملتقى التخوم بالبلاد التونسية عبر العصور. تونس: ادارة التراث والإعلام والثقافة.

13- العقون، أم الخير. (2005). *إطلالة على الصلات بين مصر وشمال غرب افريقيا "في فجر التاريخ ومرحلة ما قبل الأسرات"*. دراسات في آثار الوطن العربي. المجلد8. (ع8). 48-64. 10.21608/CGUAA.2005.39287.

14- العهد القديم. موقع الأنبا تكلاهيمانوت القبطي الأرثوذكسي (تراث الكنيسة القبطية الأرثوذكسية المصرية).https://st takla.org/Bibles/BibleSearch/indexes/ot-chapters.html ، تم الإطلاع في 11-12-2020.

15- غانم، محمد الصغير. (2003). *مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم*. قسنطينة: دار الهدى.

16- فرحاتي، فتيحة. (2007). *نوميديا من حكم الملك غايا الى بداية الإحتلال الروماني – الحياة السياسية والحضارية 213 – 46 ق.م*-. الجزائر: منشورات أبيك.

17- كامبس، قابريال. (2009). *في أصول بلاد البربر ماسينيسا وبداية التاريخ. الجزائر*، (تر: محمد العربي عقون). الجزائر: المجلس الأعلى للغة العربية. (1975).

18- هوميروس. (2013). *الأوديسة، (تر: دريني خشبة)*. لبنان: التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.

II– المراجع الأجنبية:

1- Arrian. (1893). *Anabasis of Alexander and Indica*, (Trad: Edward James Chinnok). London: George Bell& Sons York.

2- Bates, O. (1914). *The Eastern Libyans An Essay*. London: St Mrtin's Street.

3- Ben Romdhane, H. (2016). *Afri et Bagani sur Deux Inscriptions de Thibicaae*. *Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik*, pp. 300-305.

4- Ben Romdhane, H. (2017). *Les Afri et Leurs Territoires à L'Epoque Romaine*. Acte du 3eme Cloque Internationale 5-6 mais 2016 Le peuplement du Maghreb Antique et Médiéval . Sousse: Laboratoire de Recherche Occupation du Sol, Peuplement et Mode de Vie dans Le Meghreb Antique et Médiéval Faculté des Lettres et Des Sciences Humains.pp. 103 -116.

5- Chron, M., Hugot, H., & Petit, N. (1974). *Les Restes Humains de Meniet (Ahaggar). Bulletins et Mémoire de La Société D'Antherpologie*, SerieXIII.Vol.2.Pp.293-311.Dio: https://doi.org/10.3406/bmsap.1974.2252.

6- Ciceronis, M, t. (1840) *epistolarum ad Atticum, libri XVI, Lib XI.* Cambridge: W. P. Grant.

7- Commentaria in C. Iulii Solini Polyhistora, et Lucii Flori de Romanorum rebus gestis.(1757). Basileae [Basel]:Per Henrichum Petri. Cum Caesareae maiestatis gratia & priuilegio.

8- Deyrolle. (1909). *Les Haouanets de Tinisie. Bulletins et Mémoires de La Société d'Antherpologie de Paris*, pp. 155-170.

9- Desideri, j. & Autres.(2012). *L'Andalousie Préhisroire, Voyage D'Etude 25-31 mars 2012*. Genéve: Faculté de Sciences.

10-Diodore de Sicile. (1851). *Bibliothèque historique*, (T III), Liv XV-XXVI), (Trad: M. Ferd Hoefer). Paris: Adolphe Delahays Libraire.

11-Fantar, M & Decret, F. (1981). *L'Afrique de Nord Dans L'Antiquité - Des Origines Au V Siécle-*. Paris: Payot.

12-Gsell, S. (S.d). *Histoire Ancienne de L'Afrique du Nord*, (TI). Paris: Librairie Hachette.

13-Gsell, S. (1918). *Histoire Ancienne de L'Afrique du Nord, (TII)*. Paris: Librairie Hachette.
14- Herodote. (1858). *Histoire, Liv IV*, (Trd: Laecher). Paris: Chapentier, Libraire- Editeur.
15- Homér. (1912). *The Odyssey*, (Rev: W. Lucas Collins). London: William Blackwood And Sons.
16- Horace. (S.D). *Odes, Liv IV*, Belgique: Itinera Electronica http://agoraclass.fltr.ucl.ac.be/concordances/horace_OdesIV/texte.htm.
17- Hugot, H. (1973). *Camps (Gabriel): Amékni, Néolithique Ancien du Hoggar*. *Revue de L'Histoire, Outre Mers*. (T 60), (N 220),455-456.
18- Italici,S. (1890*). Punica, Vol Prius*, Lib I- X. Lipsiae: in Aedibus B.G. Teubneri.
19- Kotula, T, & Peyares, J. (1985). *Afri*. *Encyclopédie berbère*, N 2.208-215.https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.886.
20- Le Bohec, Y. (1995). *Dimmidi (Demmed – Castellum)*. *Encyclopédie berbère*, (N 15). 2345-2349. DOI: https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2261.
21- Lemercier, O.(2006). Le Campaniforme et l'Europe à la fin du Néolithique. halshs-00087402f . Sur Hal Open Science https://shs.hal.science/halshs-00087402/, 10-10-2020.pp. 1-17.
22- Lucain, M. A. (1836). *Pharsal*, Lib VI, (Trad: M. J.J . Courtaud-Divernéresse) .Paris: C. L. F. Panckoucke.
23- Livi, T. (1860). *Ab Urbe Condita, Lib XXI-XXX*, Leipzig: Druck und Verlag Von B.G. Teubner.
24- Muller,k. (1883). *Fragmenta historicorum graecorum, Vol III*, Parisiis: Editoribus Firmin- Didot et Sociis.
25- Néraudau, J.-P. (1994). *La littérature latine (L'époque républicaine)*. Paris: Hachette Education.
26- Pausanias. (1731). *Voyage Historique de La Grece*, (T II), Liv X, (Trad: Abée Gedoyn). Paris: Didot.
27- Plinii, C, S. (1851). *Historae Naturalisa Lib I- VI*. Leipsig: Umptibus Et Typis B. G. Teubneri.
28- Polybe. (1847). *Histoire Générale*. *(T III), (Trad: Félix Bouchot*). Paris: Charpentier Liberaire-Editeur.
29- Pline L'Ancien. (S.d). *Histoire Naturelle*, (Trad: Ajason De Grandsagne). Paris: C. L. F. Panckoucke Editeur.
30- Rognon, P., Camps, G., & Chker, M. (1986*). Ahaggar*. *Encyclopédie Berbére*. 269-305.
31- Reguin, O. (2021). *Anciennes mesures de longueur et de superficie agraires Mutations et continuité de l'Antiquité romaine au XIXe siècle Essai de métrologie historique*. Rapport de recherche. Montréal : Faculté des sciences humaines,Université du Québec. https://archipel.uqam.ca/13807/.

32- Sallusti, C. (1971). *Bellum Jugurthinum*. Campridge: At The Univesity Press .
33- Schoell, M. (1825). *Histoire de La Littérateure Grecque*, (T 8), (Ed 2). Paris: Libraire de Gide.
34- César, J. (1905). Bellum Africanum. Berlin: Weidmannsche Buchhandlung.
35- Siraj, E. A. (2001). *Ifrîkiyya. Encyclopédie berbère*,24. pp. 3660-3666. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.1545.
36- Souville, G. (1992). Campaniforme (céramique), Encyclopédie berbère, n° 11. Pp. 1725-1728. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2086.
37- Toutin, M. J. (1896). *Les Romains et Le Sahara. Mélange de L'Ecole Française de Rome*, 16. Pp.63-77. DOI : https://doi.org/10.3406/mefr.1896.6157.
38- Zehnacker, H., & Fredouille, J.-C. (2013). *Littérature latine*. Paris: Presses Universitaires de France.

II- مقاطعات ومدن إفريقيا:

1- الموريطانيتان

2- نوميديا

3- المقاطعة الإفريقية (البروقنصلية)

4- شرق البوقنصلية و بلاد الجرامنت

يعتبر الكتاب الخامس من التاريخ الطبيعي لبليني الكبير من أشهر الأدبيات الرومانية التي تصف وتصنف مقاطعات ومدن المنطقة المغاربية في عصورها القديمة، وفق الترتيب الآتي:

1- الموريطانيتان:

يفتتح بليني تاريخ موريطانيا بعصر الهيمنة الرومانية الرسمية التي أعلنها كايوس جيرامنكوس كاليجولا منذ 40 م على الوجه الآتي: "principio terrarium Mauritaniæ appellantur, usque ad C. Cæsarem Germanici filium regna sæuitiaeius in duas diuisæ provincias, promontorium Oceani extimum Ampelusia nominatur à Græcis"(Plini, 1851, Lib. V, I, 2). "تلتقي أولا بموريطانيا التي كانت ممالك حتى حكم ك. قيصر بن جيرامنكوس، وبسبب شراسته حولهما الى مقاطعتين".

لا يعرف الكثير عن حياة بليني الكبير، إلا من خلال رسائل ابن شقيقته بليني الشاب خاصة حول أسلوبه في الكتابة والتدوين، حيث يقول هذا الأخير بأنه أن القراءة كانت وظيفته الأساسية في الحياة، وفي رحلاته كان له كتابا ملازمين له، أثناء القراءة يتم تدوين وتلخيص ما قرأه من طرفهم، على بطاقات تشبه بطاقات الفهرسة الحديثة (Pline le Jeune, 1809, letr V).

ويعتقد ليتري (Littrée) أحد مترجمي التاريخ الطبيعي، أن بليني لم يعتمد على وثائق عصره أو ذاكرته وهو الذي زار بلاد المغرب القديم وحصل على وظيفة بريتور (pretor) في مقاطعة البروقنصلية، فضل الاقتباس من مؤلفات سابقيه، مثل: بوليب الذي قام برحلة جغرافية بعد تدمير قرطاجة 146 ق.م بدأها من قرطاجة الى أعمدة هيرقل ثم غربا على ضفاف المحيط وصولا الى سفوح جبال الأطلس، كما استفاد من مؤلفات الملك النوميدي يوبا الثاني في هذا الجانب، ضف إلى ذلك اقتباساته من بومبينيوس ميلا (Pomponius Mela) صاحب وصف العالم، لكن اهتمام بليني أو الدافع الذي كان يحركه للتأليف هو إبراز مناطق التوسع الروماني للعامة وليس للمحترفين(Pline L'Ancien, 1848, Intro, p.12)، خاصة أن موريطانيا الطنجية هي آخر البوابات التي أغلقت على العالم الروماني.

ويؤيده جوهان ديزونج (J. Desange) في ما ذهب إليه، حيث احتفظت ذاكرة بليني الكبير بعبارة "الممالك" "regna" التي تدل على وضعية موريطانيا السياسية قبل التقسيم، كما يحتفظ بأسماء بوغود (Bogud) ووبكوس (Bocchus II) ملكين على موريطانيا وهي الفترة التي تسبق تولي يوبا الثاني على موريطانيا في 25 ق.م، وبعد وفاة بوكوس الثاني 33ق.م آلى عرش مملكته إلى روما (Désange, 1980, p. 80).

1- 1- مدن موريطانيا الطنجية:

أحصى بليني عددا من مدن موريطانيا الطنجية (وفق الجدول رقم 1)، بتصنيفها في عهد الاحتلال الروماني إما مستعمرة رومانية أو لاتينية أو مدنا أجنبية وهي كالآتي:

1-1-1- طنجي: هي مدينة محلية تعود جذورها إلى عصور ما قبل التاريخ، مر عليها الفينيقيون، ويظهر اسم طنجي على العملة التي صكت في عهد تيبريوس (Teberius) (14- 37م) باسم مستعمرة يوليا طنجي (Colonia Julia Tingi)، وقد عثر على نقش يتألف من جزئين (CL TING)، حيث يشير الى الإمبراطور كلوديوس[1] (Claudius) وقد اعتبرها الباحثون مدينة ذات أصل محلي (Montenegro & Castillo, 2010, p. 414) من خلال ما ترمز اليه أسطورة أنتي (Antée)[2] الذي هزمه هرقل الذي يرمز به للعنصر الفينيقي الذي استوطن المنطقة وقد منحت الحقوق الرومانية للمدينة منذ عهد أوغسطس الذي قرب أهلها إليه وألبهم على ملكهم بوغود بسبب تحالف مع خصمه ماركوس أنطونيوس (Marcus Antonius) وتم إعدامه ومنح مملكته الى بوكوس الثاني في حوالي 38 ق.م (شنيتي، 1985، ص 134).

ولم يرد اسم يوليا ترادوكتا إلا في مصنف بليني الكبير، يرجح أنه وقع الخلط بين المدينة الإسبانية ونظيرتها الموريطانية، وما بين (25 -23 ق.م) منحت المدينة امتيازات إرسال المحاربين القدامى الى إسبانيا لانشاء مستعمرة جديدة أطلق عليها مستعمرة طنجي يوليا، وبعد ضم المملكة الموريطانية الى الرومان ضُمَت المستعمرة الى بيتكا الإسبانية ومنحت اسم يوليا ترادوكتا

---

[1]- الإمبراطور كلوديوس: هو شقيق الإمبراطور تيبيريوس من والدته ليفيا، وعم الإمبراطور كاليجولا، الذي خلفه مباشرة بعد مقتله في 42 ق.م، للمزيد ينظر: (Séutone, 1777, Claude, I)

[2] – أنتي: حسب الروايات المختلفة هو عملاق ابن الإله بوسيدون والأرض، كان في صراع دائم مع الغرباء الذين يقتربون من موطن إقامته، في كل مرة يطأ فيها قدمه على الأرض كان يكتسب قوة جديدة تجعله لا يقهر، قُتل على يد هيرقل الذي نجح في خنقه من خلال حمله بين ذراعيه وجعله يبتعد عن الأرض مصدر قوته، وبعد وفاته ظلت زوجته طنجي تتاجر مع هيرقل، أما ابنه سيفاكس فقد أسس مدينة وأطلق عليها اسم والدته طنجي. أما هيرقل هو تسمية الإله ملقرت لدى الإغريق، وهكذا يتم فهم الأسطورة بأن العنصر المحلي المتمثل في العملاق أنتي هزم أو تراجع دوره في المدينة لصالح المهاجرين الفينيقيين يرمز إليهم بالإله هيرقل، للمزيد ينظر: (Mela, 1843, I, 5; Plutarque, 1854, SERTORIUS,9).

أو تنجيتيرا (Tingitira)، كما عثر على عملات تحمل اسم طنجي مايوس (Tingi Maius) أو طنجي الصغرى (Montenegro & Castillo, 2010, pp. 414-416) .

أما بومبينيوس ميلا أصيل إسبانيا فيذكر مدينتين إسبانيتين على المضيق بين موريطانيا وإسبانيا وهما تنجيتيرا موطن إقامته وكارتيا (Cartéia) (Mela, 1843, Lib II, VI)، وهذه الأخيرة أنشأت في 171 ق.م بعد وفاة بليني، وهذا ما يجعل يوليا ترادوكتا في إسبانيا وليست في موريطانيا رغم الاختلاف حول موقعها (Montenegro& Castillo, 2010, p. 416).

1-1-2- يوليا كونستانيا زليس (Julia Constantia Zilis): صنفها بليني كمستعمرة أوغسطية، وجاءت لدى سترابون باسم زيليس (Zílis)، أما المسالك الأنطونية فقد وضعتها باسم زيلي (Zili)، تدل عليها بقايا مادية عثر عليها في 1846م، موقع المدينة القديمة على بعد خمسة عشر كيلومترا شمال شرق دشرة الجديدي بطنجة، لكن موقع المدينة إنتقل في القرن الرابع للميلاد نحو الساحل الأطلسي المعروف اليوم بأرزيلة (Euzennat & B, 1989, p. 948).

1-1-3-ليكسوس: التي أشار إليها بليني بليكسو وليكسوس، ووصفها بـ: "colonia a Claudio Caesare facta Lixo" (Plini, 1851, Lib V, I,3) ،" مستعمرة كلودية قيصرية" ويسميها سترابون لينكس (Lynx) (Strabon, 1880, Liv XVII,3) وهي من أقدم المستوطنات الفينيقية في بلاد المغرب القديم، والتي كانت بالنسبة للقدماء موضوعًا زاخرا بالقصص والخرافات الإغريقية التي أشار اليها بليني[1].

1-1-4- **يوليا بابا كامباستريس** (Julia Baba Cambastris): "Augusta colonia est Babba lulia Campestris" (Plini, 1851, Lib V, I, 5) "المستعمرة الأوغسطية يوليا بابا كامباستريس" التي تم البحث عنها في العديد من المناطق التي يفترض الأثريون وجودها وفق إشارة بليني[2]، لكن لم يتم التوصل اليها، والنقيشة الوحيدة التي تؤرخ لهذه المستعمرة تم العثور

---

[1]- الخرافات حول ليكسوس: يقدم الكتاب الإغريق العديد من القصص والخرافات حول مدينة ليكسوس، تارة بتشبيه واديها وادي ليكسوس بالوحش نظرا لطوله والتواءاته، حيث تم تشبيهه بالتنين أو الثعبان الذي يقوم بحراستها، وتارة أخرى بجعلها موقع حدائق التفاح الذهبي هسبريديس وغيرها من القصص، للمزيد ينظر: (Plinii, 1851, Lib. V. I, 3)

[2]- الفرضيات حول موقع بوليا بابا كامبستريس كثيرة، فرضية وجودها على الطريق الرابط بين طنجة ووزان، وأيضا على جبل مولاي عبد السلام، ومن الفرضيات كذلك بالقرب من مدينة بني تاودة التي يطلق عليها في الوقت الحالي فاس البالي، للمزيد ينظر: (Rebuffat, 1967, pp. 33-34) .

جدول رقم1:
مدن موريطانيا الطنجية من خلال بليني الكبير وجغرافيي القرن الأول للميلاد

بليني	ميلا	سترابون	الطريق الأنطونية	الملاحظات	الأصل	اسم الموقع الحالي
طنجي ترادوكتا يوليا Tangi (traducta lulia) Lib V, I,3	طنجى Tange		طنجيس Tangis	أخطأ بليني في التسمية	محلية	طنجة
مستعمرة أغسطية بوليا كونستانتيا Colonia Augusti Julia Constantia Zilis Lib V, I,3			Zili زيلي		محلية	أرزيلة
مستعمرة كلودية ليكسوس/ ليكسو Colonia Cloudius Lixos/ Lixo Lib V, I, 3	ليكسوس Lixos	لينكس Lynx Λυγγός/			فينيفية	العرائش
مستعمرة أوغسطس بابا يوليا كامبستريس Augusti Colonia Baba Julia Campastris Lib V, I,5				أخطأ بليني في تحديد طبيعة المعلم والموقع	رومانية	–
مستعمرة فالانتيا باناسا Colonia Valentia Banasa/ Banasam Lib V, I,5			باناسا Banasa		محلية	باناسا
مدينة فولوبيل Volubile oppidum Lib V, I,5					محلية	وليلي
مدينة سالا	سالا		سالاكونيا Salaconia		محلية	سالا

					Sala	Sala/ Salam oppidum Lib V, I,5
تامودا	محلية					مدينة تامودا Tamouda oppidum Lib V, I,18
ميلية	فينيقية					مدينة روسادير Rhysaddir oppidnm Lib V, I,18

المرجع: (إنجاز الباحث)

عليها في منطقة سيدي علي بن أحمد على ضفاف نهر سبو على بعد عشرة كيلومترات من مدينة القنيطرة الحالية، والتي تبين فيما بعد أنها تعود إلى مدينة تاموسيدا (Thamusida)[1]، لذلك يُرَجَح أن يوليا بابا كامباستريس لم تكن إلا معسكرا غير ثابت (Rebuffat, 1967, pp. 38, 50).

1-1-5- مستعمرة باناسا فلانتيا: هي مدينة محلية منحها أوكتافيوس صفة المستعمرة ما بين سنتي(33-27 ق.م)، اكتشفت أطلالها سنة 1871م من طرف شارل تيسو (Charl Tisso)، بالقرب من سيدي علي بوجنون، أما إسم باناسا (Banassa) يرجح انه إسم بوني، فيما يرتبط اسم فلانتيا بالصفة العسكرية التي ألحقت بالمعسكر، وتعرف باناسا بمعسكرها الشهير من بين أثني عشر معسكرا أنشأ في موريطانيا الطنجية (Euzennat M. , 1991, p. 1323).

1-1-6- سالا (Salla): تمثل سالا الحدود الجنوبية الغربية لموريطانيا الطنجية، حيث تتموضع على الضفة الجنوبية لوادي يحمل اسمها هو اليوم وادي أبو رقراق، لم تكن سالا قبل الاحتلال الروماني مدينة مهمة، بسبب موقعها الجغرافي الذي يعتبر حدا للإمبراطورية الرومانية في الجنوب الغربي من العالم القديم، حيث إقامة القبائل المغاربية التي تحاول على الدوام على الاغارة على محطات الرومان، لذلك اهتم هؤلاء الأخيرين الى ترقية المدينة إلى مستوطنة ثم إلى بلدية رومانية، يصل حدود الليمس ما بين فوليبوليس وسالا والساحل المتوسطي على مسافة تقدر بعشرين كيلومترا، أما قبل الهيمنة الرومانية فلم يعثر تحت أنقاضها سوى على بعض المحاجر البونية (Rouland-Mareschal, 1933, p. 441) .

1-1-7- فوليبول (وليلي): تقع على الحدود الجنوبية لموريطانيا الطنجية، على سفوح جبال زرهون، تعود جذور نشأتها إلى عصور ما قبل التاريخ، تدل الشواهد المادية على إحاطتها بسور منذ القرن الثالث قبل الميلاد، عرفت مختلف المؤسسات السياسية وفق الأنموذج البوني في عهد بوكوس عرفت البلاد بعض الانفتاح، بتعزيز العلاقات مع روما خلال عهد الإمبراطور أغسطس بإنشاء المستعمرات(Desruelles & Autres, 2012, pp. 3-4) .

وحسب الآثار المادية فقد تحصلت العديد من عائلات وليلي على حقوق المواطنة الرومانية عندما قام الإمبراطور كاليجولا بإصلاحات إدارية، منها تقسيم موريطانيا إلى مقاطعتين الطنجية في الغرب، والأخرى القيصرية في الشرق، وفي هذه المرحلة حظيت فولوبوليس بصفة البلدية

[1] - تاموسيدا: مدينة أثرية في المغرب الأقصى حاليا، تقع على الضفة اليسرى لوادي سبو، في منطقة سيدي علي بن أحمد ولا تبعد على مدينة القنيطرة الحالية إلا ب10 كلم، للمزيد ينظر: (Callu, & Autrs, 1965, p.1)

الرومانية (Municipe) ومُنِح حق المواطنة للمواطنين الأحرار في فولوبوليس، حيث تمثل هذه المدينة الحدود الجنوبية الشرقية لمجال السيطرة الرومانية، مما ترتب عنه إنشاء ثلاث معسكرات في الفترة ما بين منتصف القرن الأول للميلاد وبداية القرن الثاني، وهي على التوالي: معسكر عين شاقور على بعد 3.5 كم شمال مدينة وليلي في منصف القرن الأول، ومعسكر سيدي بوجمعة على بعد 20 كلم جنوب غرب فولبوليس ومعسكر توكولوسيدا على بعد 4.5 كيلومترات جنوب مدينة وليلي الثاني(Brahmi, 2013, p. 79).

1-1-8- تامودا وروسادير: "Tamud oppidum,…, Rhysaddir oppidnm" "مدينة تامودا،..، مدينة روسادير" (Plini, 1851, Lib. V, I,18) ، تقع تامودا في أقصى الشمال الغربي لموريطانيا الطنجية على الساحل المتوسطي وقد كانت مدينة مندثرة في عهد بليني، وهو ما أثبتته البقايا المادية بأن المدينة تعرضت للتدمير في منتصف القرن الأول قبل الميلاد تقريبا، ربما أثناء الحرب الأهلية الرومانية التي تورط فيها ملوك موريطانيا الطنجية بوغود وبوكس الثاني، وقد أصبحت معسكرا رومانيا في حدود القرن الثاني للميلاد، لا يعرف أصل المدينة بوني أو ليبي (أغطيس، 1991، ص7)، أما روسادير مدينة مليلة الحالية، فمن خلال التسمية والعملات البونية التي تم العثور عليها، فهي محطة تجارية للفينيقيين، ثم أصبحت مدينة بونية لم تنل حظا من الترقيات الرومانية(Désange, 1980, pp.149-150).

اهتم بليني بعرض التحولات السياسية والإدارية في موريطانيا القيصرية في فترة الاحتلال الروماني، حيث أشار في عمله إلى المستعمرات التي أنشأت في الفترة ما بين حكم أوكتافيوس وكلوديوس، إلا أنه لم يذكر ارتقاء فوليبوليس إلى رتبة البلدية الرومانية في عهد كاليجولا، لابد أن هذه الجزئية لم ترد في المصدر الذي يعتمد عليه، قد يكون مستند وثق الأحداث التي تسبق قرار كلوديوس بشأن فولوبوليس ولم يتسن له ذكره (Rebuffat R. , 1967, p. 40)، أما في فترة حكم نيرون (Nérone) فقد ابتعد عن العمل السياسي، وتلى فترة حكم نيرون موجة من الثورات والصراعات حول الحكم، ثم عند صعود فسبسيان إلى عرش روما يعود بليني للعمل السياسي حيث ربطته علاقة صداقة قوية مع الإمبراطور (Pline Le Jeune, 1809, Ltr. V).

ومن خلال تتبع الدراسات التي تعنى بالبحث عن مدينة بابا يوليا كامبستريس، التي بذل الباحثون جهودا كبيرة لاكتشافها، ولم تتوصل بحوثهم إلى أي نتائج، ما جعل روبفات يضع مجموعة من الفرضيات يحاول فيها تعليل سبب عدم العثور على المدينة، قد يكون سببه فساد

النص كأن يقع الكاتب في السهو أو نقل كلاما خاطئا مما يشوه الحقيقة التاريخية، أو محدودية المصادر فمن خلال تتبع بليني ومروره المباشر من مدينة إلى أخرى دون شرح واف أو تعليق مسهب، مما يوحي أنه مقتبس من مصدر واحد، كأن يكون نص تقني أو خريطة قديمة لطرق موريطانيا الطنجية تعود إلى فترة حكم كاليجولا وكلوديوس(Rebuffat, 1967, pp.38-39).

كما يلاحظ عدم دقة المعلومات الجغرافية، التي تظهر في الفقرة التي تعنى بالحديث عن ليكسوس وسالا ورحلة حنون وجنوب موريطانيا الطنجية عموما، فالنص مقتبس من جغرافية بوليب في 146 ق.م (Plini, 1851, Lib. V, I, 8)، حيث لم يهتم بليني بالتحقق من المعلومات التي أخذها من كتاب بوليب، فلابد أن الرومان بعد إحكام السيطرة على موريطانيا الطنجية، وإخماد ثورة إيدمون[1] وإنشاء خط الليمس الذي يصل بين المدن الجنوبية لموريطانيا الطنجية فوليبوليس وسالا والمحيط الأطلسي، بإمكان أي كاتب وصفها بدقة أكثر مما سمح به عصر بوليب، سواء باستخدام الوثائق الأرشيفية أو امكانية الرحلة بين المدن.

لكنه لم يستغل وثائق تلك الزيارة إلا في ذكر مآثر الرومان في المنطقة واختراق جبل الأطلس من طرف سوتينيوس بولينيوس (Suetonius Paulinus) عند مطاردة إيدمون، وجمع الروايات التي تشبه الخرافات حول جبل الأطلس وسكانه[2]، ويرجح أن بليني قد أخذ شهادات السكان المحليين الذين وصفوا له سكان جبل الأطلس الذين أطلق عليهم اسم الأجيبنس (Aegipans) والساتير(Satires) [3]، على الرغم من محاولة بليني تقديم أفضل المعارف وتجنب الخرافات، لكن ظلت جغرافيته ملازمة لانتصار الإمبراطورية الرومانية، ولم تساير تطورات علم الجغرافيا، بل فضل مسايرة الدعاية للإمبراطورية الرومانية (مصدق، 2010، ص 43).

---

[1] ايدمون: هو أحد رعايا بطليموس بن يوبا الثاني، بعد مقتله على يد كاليجولا خاض مقاومة ضد الوجود الروماني في المملكة الموريطانية، للمزيد ينظر: (الباب الرابع، الفصل الثاني، ص ص 379-280)

[2] – خرافات جبل الأطلس: يعتبر الجبل من المناطق ذات القدسية، والمحضورة على البشر في تفكير الرومان القدامى، وقد انبهر الرومان بشجاعة من يعبر الجبل حد القداسة على سبيل المثال عندما عبر حنبعل برقة جبال الألب فقد نال هالة قدسية لدى الرومان على الرغم من العداء لقرطاجة، لذلك إنصب إهتمام بليني على عرض القصص المتعلقة بعبور الأطلس على حساب المعارف الأخرى للمزيد ينظر: (Italicii, 1880, Lib. I, 446 – 447. ; Plinii, 1851, Lib. V, I, 6).

[3] – الأجيبانس والساتير: وردت الإشارة إليهم في الأساطير الإغريقية، فالأجيبانس مخلوق مختلط بين الإنسان والحيوان يتميز بقصير القامة، يكسوه الشعر وله قرنان وأرجل ماعز ، والساتير لا يختلف عنه كثيرا، بالإضافة إلى كثافة الشعر له أذني وأرجل ماعز، للمزيد ينظر: (Commelin, 1991, pp. 188-189).

استنادا إلى الموروث الشعبي المتداول في البلاد المغاربية الحالية وكذلك غرب مصر فإن المناطق الصحراوية المقفرة والخالية من السكان، تقطنها كائنات ما ورائية شبيهة بالإنسان، لا يمكن التعرف على حقيقتها إلا من خلال أرجلها التي تشبه أطراف الماعز، فيتنبه الإنسان الذي تواجهه فيستعد للفرار منها حتى لا تقوم بإيذائه، لا يعرف مصدر الحكاية الشعبية، لكن يبدو أن له صلة بقصص الإغريق التي وردت لدى بليني، لم يمكن القول بأن منطقة جبل الأطلس لم تكن معروفة حتى للسكان المحليين المستقرين في المدن الموريطانية لذلك وردت شهاداتهم بهذا النمط الخرافي.

1- 2- موريطانيا القيصرية (Mauritaniæ Cæsariėsis):

يجعل بليني الكبير نهر ملوية الحد الفاصل بين الماسيسيل ومملكة بوكوس (Boucchi) فيقف أولا على أسماء ملوكها قبل الهيمنة الرومانية فيذكر أولا سيفاكس ملك الماسيسيل وعاصمته سيقا، ثم الملك بوغود والملك بوكوس: "Siga Oppidum… Sitæ Syphacis Regia… Bougudiana appellaretur extima: itémque Bocchi, quæ nunc Cæsariésis"، "مدينة سيقا،...، إقامة سيفاكس الملكية،...، أرض بوغود البعيدة، وكذلك أرض بوكوس التي تسمى الآن قيصرية"(Plini, Lib V, I,7-9) .

إن أول ملك تذكره المصادر الأدبية القديمة للمملكة الماسيسيلية أو نوميديا الغربية هو سيفاكس(Plini, 1851, Lib. V, I,19)، الذي تحالف مع الرومان في بداية الحرب البونية الثانية ثم نقض حلفه ووثقه مع القرطاجيين، وهُزِم في أواخر الحرب البونية الثانية على يد سكيبيو في 203 ق.م، أما تسمية جزء من هذه الأرض بالبوغوديانا نسبة الى بوغود الذي كافأه الرومان بها مقابل التخلي عن مؤازرة يوغرطة في حربه ضد روما ما بين (111–106 ق.م) وقد منح قسم كبير من نوميديا تجهل حدوده الجغرافية(Sallusti, 1971, CIX) ، كما كافأ يوليوس قيصر بوكوس عند تحالفه معه ضد يوبا الأول بجزء آخر يقتطعه مما تبقى من نوميديا حيث وصلت الحدود الموريطانية الى وادي فيليتون الصومام (حارش، 2014، ص 88).

أشار بليني إلى قائمة طويلة لمدن موريطانيا القيصرية منها المدن المتمتعة بالحق الروماني، والتي تتمتع بالحق اللاتيني ومنها ما يعتبر أجنبي لم تتمتع بأي امتيازات رومانية ومن خلال (الجدول رقم 2) الذي يحصي المستوطنات الرومانية في موريطانيا القيصرية يمكن تقسيم صفة المدن إلى الأقسام الآتية:

1-2-1- المدن والمستوطنات الرومانية الساحلية:

من خلال الجدول رقم 2 الذي يحصي المستوطنات الرومانية في موريطانيا القيصرية وهي:

1-2-1-1- مدينة بورتوس ماغنوس (Portus Magnus): وتعني الميناء الكبير حيث أخذت المدينة تسميتها من مينائها وهي مدينة بطيوة الحالية، ذكرت في عدة مصادر يذكرها سكيلاكس في أواخر القرن السادس أو بداية القرن الخامس قبل الميلاد في إشاته إلى خليج واسع به ميناء كبير وتقابله جزيرة أطلق عليها اسم برتاس (Scylax, 2010, La libye.7)(Bartas)، الأمر الذي جعل الباحثون يرجحون أن الجزيرة نفسها هي المدينة ذات الميناء الكبير نظرا للوصف الذي ينطبق على ميناء أرزيو الحالي وهو أهم ميناء في العصور القديمة قبل ميناء أيول (قيصرية) شرشال الحالية (Désange, 1980, p.153).

تم اكتشاف الاسم المختصر للميناء الكبير(Portus Magnus) سنة 1858م، حيث كان الميناء أحد المرافئ القرطاجية لضمان التواصل البحري مع الجزيرة الأيبيرية، كما في 1898م على عملات قرطاجية تعود الى القرن الثاني قبل الميلاد، أما في فترة الاحتلال الروماني فقد أنشأت المدينة على التلال على مساحة تقدر بثلاثون هكتارا (Lassus, 1956, p. 292)، حيث يرى بليني أنها أكبر المدن الموريطانية الى جانب منحها الحقوق الرومانية " Portus Magnus a spatioappellatus, ciuium Romanorum Oppidum"(Plini,1851, Lib. V, II, 8)

" سميت بورتوس ماغنوس لاتساع مينائها، تتمتع بالحقوق الرومانية"، مما جعلها بلدية منذ عهد كلوديوس وسجل سكانها في قبيلة كويرينا (Chalal, 2016, pp. 306-308).

1-2-1-2- كارتينا (Cartinna): تقع آثار المدينة القديمة على بعد كيلومترين غرب تنس المدينة الحالية بالغرب الجزائري، ذكرت في المصادر الرومانية بإقتضاب شديد، ذكرها بليني "Cartinna Collonia Augusti, legiosecunda. Item coloniaeiusdem, deducta cohert eprætoria"(Plini,1851, Lib. V, II,20) " مستوطنة أوغسطية كارتينا مستعمرة الفيلق الثاني وفرقة الحرس البريتوري"، في حين أن ميلا صنفها ضمن المدن الصغيرة التي لا تستحق الذكر(Melae, 1843, Lib. III, V).

عرفت في الفترة البونية بإسم كارتيناي(Cartinnæ)، ذكرها سيكلاكس في القرن الخامس قبل الميلاد بإسم كاريا(Charea) (Scylax, 2010, La Libye, Para.7) ، كما أشار سترابون

الى مناجم النحاس القريبة منها(Strabon, 1880, Liv XVII, III, 9) ، لكن يظل الغموض ويكتنف تاريخ المدينة لقلة المعلومات الواردة في كتابات القدامى وشح المادة الأثرية التي تساعد على إماطة اللثام على تاريخ المدينة في عصورها القديمة.

ويرجح محمد الصغير غانم (2003، ص ص 186–187) أن المدينة كانت مرفأ بوني بجانب نهر الملاح بل يذهب الى أن النهر السابق شكل خليجا ومرفأ بونيا، أما عن أصل التسمية فيرى أن كارتيناس وهو إسم فينيقي ليبي مركب من قسمين كرت (cart) مدينة وتنس (Tennas) ويكون كارتناس(Cartennas) الاسم الأصلي لمدينة تنس حيث حذفت المدينة (كرت) وأُبقي على تنس، أما عن تاريخ الهيمنة الرومانية فلا يعرف على وجه الدقة زمن وصول الفرقة الأوغسطية الثانية وقدماء المحاربين البريتوريين ويرجح أنه ما بين 30–25 ق.م عندما تم نقلها من إسبانيا الى كارتناس، كما يمكن أن تكون الفرقة أنشأها ماركوس أنطونيوس (Marcus Antoinius) في 31 ق.م (روبى، 2013، ص 219).

1–2–1–3– قونقو قوراية (Gunugi): ذكرت لدى بليني ضمن مستعمرات أوكتافيوس أغسطس (Plini, 1851, Lib.V, II,20)، تبعد بحوالي اثنين وعشرين ميلا وفق المسالك الأنطونية أي ثلاثين كيلومترا غرب أيول (Durban, 1845, p. 4)، صنفت في قبيلة كويرينا (Quirina) وتذكر النقوش العديد من مؤسساتها وأعيانها مثل: مستشار(Decurio)، الأيديل (Aidil) أو عضو المجلس البلدي، وفي العهد البوني تعتبر أحد المراكز الهامة فقد عثر فيها على ثلاث مقابر تعود إلى القرن الرابع والثالث قبل الميلاد (غانم، 2003، ص185).

1–2–1–4– مدينة أيول قيصرية: هي مدينة شرشال الحالية، أشار بليني إلى "promontrium Apollonis. Oppidum ibicelebrrimum Cæsarea antéa vocitatum Iol, Jubæ regia, à Claudio colonia iuredonata"(Plini,1851, Lib. V,II, 9)، "رأس ابوللو والمدينة الشهيرة قيصرية التي كانت تسمى سابقا أيول إقامة الملك يوبا، منحها كلوديوس حق المستعمرة"، أما بالنسبة لسولين فلا يضيف شيئا عما قاله بليني: "Cæsariens colonia Cæsariainest, adivo Claudio deducato, Bocchi prius regia postmodum Jubæ indulgentia"(Solini, 1757,XL). "المستعمرة القيصرية بها مدينة قيصرية التي تحمل إسم كلوديوس والتي كانت الاقامة الملكية لبوكوس ثم يوبا الذي حكم باسم الرومان"، وقد أشار اليها سكيلاكس بإسم أيوليو(Iouliou) (Scylax, 2010, de La Libye. 7) ويتحدث

جدول رقم2:

مدن موريطانيا القيصرية من خلال بليني وجغرافيي القرن الأول للميلاد

المدينة	ميلا	بليني	سيكلاس	سترابون	الطريق الانطونية	الأصل	موقعها الحالي
سيقا		Siga oppidum Lib. V, II, 19			بورتوس ماغنوس	فينيقي	بطيوة
الميناء الكبير بورتوس ماغنوس	Portus Magnus	بورتوس ماغنوس Lib. V, II, 19 مدينة رومانية Romanorum oppid					
كارتينا Cartinna		Collonia Augusti مستوطنة أوغسطية Lib. V, II, 20	Charea شاريا				تنس
Gunugi قونقو		Collonia Augusti مستعمرة أوغسطية Lib. V, II, 20			Gunug	فينيقي	قورايا
ايول قيصرية Caesare Iol	ايول قيصرية	Claudio colonia مستعمرة كلوديوس Lib. V, II, 20	ايوليو Iouliou	ايول قيصرية	ايول قيصرية	محلي	شرشال
روسكونيا Rusconiæ	Ruthisia	مستعمرة أوغسطسة Collonia Lib. V, II, 20					برج البحري
روسكوريوم Ruscurium	لا يهتم بالمدن الصغيرة	Claudio Collonia Lib. V, II, 20					دلس
روسزوس Rusazus	Ruthisia	colonia August المستعمرة الأوغسطية Lib. V, II, 19					أزفون
صلداي(Salde)		مستعمرة أوغسطية Collonia August Lib. V, II, 20	صيدا (Sida	صالداس	صلداي	بوني	
ايجيجلي(Ijigili		Collonia August مستوطنة أوغسطية Lib. V, II, 20				لم يحدد ليبي أو بوني	جيجل

نوكا Tucca		colonia August مستوطنة أوغسطية Lib. V, II, 21				فينيقي	
نوفا أوبيديوم المدينة الجديدة Oppidum Novum		Claudio Collonia Lib. V, II, 20			Oppido Novo Colo		عين الدفلى
أكاي Aquæ							حمام ريغة
سوكوبار Succubar		colonia August مستعمرات أوغسطية Lib. V, II, 21					Malliana
توبوسوبتوس Tubusuptus							تكلات
Arsennaria أرزينا ، أرسناريا	Arsinna	Arsenaria Latinonmi تتمتع بالحق اللاتيني Lib. V, II, 19	Thapsus				
تيبازا Tipasa		Latio dato Tipasa تيبازا اللاتينية Lib. V, II, 20				فينيقي	
أوكوسيوم Icosium		Icosium Latio Lib. V, II, 20				فينيقي	الجزائر العاصمة
تيميسي Timici		Civitates تجمع قبلي Lib. V, II, 21					اطلال عين تموشنت
تيجافا Tigaves		اوغسطية colonia August Lib. V, II, 21					الخربة شمال الشلف
كيزا إكسنتانا Quiza Xenitana	غيزا (Gisa)	Quiza Xenitana peregrinorum oppidum مدينة أجنبية Lib. V, II, 19			غيزا (Guiza)		بالقرب من وهران

المرجع: (إنجاز الباحث)

سترابون عن أيول كمدينة رائعة على الساحل أعاد بنائها يوبا الثاني كما غير اسمها من أيول الى قيصرية (Strabon,1880, Liv. XVII, III,12) ، أما المعلومات حول المدينة قبل الهيمنة الرومانية ضعيفة وغير دقيقة (Desange,1980, pp.162-163).

يعود أصل تسمية أيول إلى أصول بونية، ربما اسم لإله فينيقي، كما عثر على نقش ذو كتابة بونية للملك مكيبسا، ودمى وكسر فخارية بونية، أما حفرية ج. لوسوس (J. Lassus) في الجزيرة المقابلة لشرشال سنة 1960 م فقد أعطت تاريخ القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد لتأسيس المدينة، كما عثر على عملات تعود للملوك الموريطانيين، بالإضافة الى كسر فخارية متنوعة بونية، إيطالية وإسبانية (غانم، 2003 (1)، ص 184).

1-2-1-5- روسكونيا(Rusconiæ): المستعمرة الأوغسطية روسكونيا "Colonia August Rusconiæ"(Plini,1851, Lib.V, II,30,10)، ويعتقد ديزونج (Desange,1980, p.169) أن إشارة ميلا الى "Ruthisia Urbes"(Melæ,1843, Lib. III, VI) "مدن روثيزيا" تتوافق مع مدينة روسكونيا التي أشار إليها بليني مع رأس ماتيفو(Cap Matifou) ومدينة تامنفوست التي تحمل اسم برج البحري حاليا (Durban, 1845, p. 4).

كما يُعتقد أن المدينة الرومانية تأسست على أنقاض المدينة البونية خاصة وأن إسم المدينة حسب غانم بوني يحمل في مقدمته (Rus) هو (Cap) بمعنى رأس في اللغة السامية (غانم 2003 (1)، ص 205)، وتؤكد النقيشة الرومانية يوليا(Julia) التي عثر عليها في المنطقة على ما ورد في نص بليني، أن المدينة تحولت الى مستعمرة أوغسطية وإقامة لقدماء المحاربين من الفرقة الأوغسطية التاسعة التي يطلق عليها جميلاي (Gemellal)، كما حازت المدينة على لقب أنطونيانا(Antoniana)، وقد أهلها موقعها لتلعب دورا عسكريا واقتصاديا هاما، حيث ساهمت في تأمين حدود قيصرية شرقا وربطت علاقات اقتصادية مع أوزيا(Auzia) سور الغزلان حاليا (روبى، 2013، ص ص 223 – 224).

1-2-1-6- روسكوريوم (Ruscurium) دلس الحالية: ذكرت مدينة روسكوريوم لدى بليني "Ruscurium Civitas honoratum à Claudio"(Plini ,1851, Lib. V, 30,10) "مدينة روسكوريوم تشرفت بحقوق المدينة من طرف كلوديوس"، أما ميلا فلم ير داع لذكر المدن الصغيرة بين روثيزيا وروسيكادا (Mela, 1843, Lib. III, VI) ، كما أشارت اليها المسالك الأنطونية (Durban, 1845, p. 4)، وقد عثر على ما يدل على تأثير الحضارة البونية

مثل تمثال الإلهة تانيت، وكذلك القبور المنحوتة في الصخر فيُرجح أنها تعود الى الفترة البونية أو الفترة الباكرة للاحتلال الروماني (غانم،2003، ص 207).

1-2-1-7- مدينة روسزوس(Rusazus) أزفون حاليا: إكتفى بليني بالإشارة إلى أنها من ضمن المستعمرات الأوغسطية دون أي مزيد من التفاصيل "Rusazus colonia Augusti"(Plini, 1851, Lib. V, II, 30, 11)، " روسزوس مستعمرة أوغسطية"، وهو ما جعلها تمتع بإمتيازات ضريبية، أما عن الفترة السابقة للاحتلال الروماني ووفق البادئة اللفظية روس يضعها محمد الصغير غانم ضمن المدن ذات الأصل البوني (غانم، 2003، ص 207).

1-2-1-8- صلداي(Salde) بجاية: هي المستعمرة الأوغسطية صلداي "Salde Colonia eiusdem"(Plini,1851, Lib. V, II, 30, 11)، "صلداي مستعمرة لنفس الشخص" (وهو الإمبراطور أكتافيوس أغسطس)، وقد ذكرتها رحلة سيكلاكس الذي أطلق على مينائها إسم صيدا (Sida) الواقع بالقرب من مصب نهر الصومام (Scylax, 2010, de La Libye.7) كما أشار إليها سترابون عندما ذكر ميناء واسع بين قيصرية وميناء ترتيوم (Tretium) يسمى صالداس (Saldas) (Strabon, 1888, Liv XVII, 9) ، وتم ذكر صلداي في خريطة بوتنجير والطريق الأنطونية (Durban, 1845, p. 4).

أنشأ أوكتافيوس أغسطس ما بين 30 و25 ق.م ستة مستوطنات في مملكة بوكوس الثاني من بينها صلداي وفقا لنقيشة تعود الى منتصف القرن الأول للميلاد، تسمى مستعمرة إيوليا صلديتانا(Colonia Julia Salditana)، (روبى، 2013، ص 226)، أما في العهد البوني فقد قدمت صلداي مرفأ محميا من الرياح الشمالية الغربية، وقد عثر بها على عملات بونية ونوميدية تحمل إسم المدينة أصلدان (Asaldan)، كما عثر على تماثيل بونية ترمز لعبادة الشمس والقمر المعروفة لدى البونيين والليبيين، بالإضافة إلى نقوش بونية ولاتينية، لكن الطبيعة الرملية لتكوين الصخور جعل الكتابة تندثر(غانم، 2003 (1)، ص 208).

1-2-1-9- ايجيجلي (Ijigili): من خلال نص بليني الذي يضيف فيه مدينة إيجيجلي الى باقي المستوطنات الأغسطية التي ذكرها قبلها مثل روسزوس وصلداي "Item Ijigili"(Plini,1851 , Lib. V, II, 30,12) بمعنى "ايجيجلي كذلك"، وحجة ديزونج في ذلك

أن كل المدن المذكورة قبلها هي مدن تتمتع بالحقوق الرومانية (Desange, 1980, p.174) وقد لعبت دورا هاما في القضاء على ثورة فيرموس سنة 372م (Salama, 1995, Para 10).

أما قبل الفترة الرومانية فلم يحدد أصل التسمية ليبي محلي أو فينيقي سامي، وقد حضيت إيجيجلي بدراسات أثرية في أواخر القرن التاسع عشر من طرف إدارة الاحتلال الفرنسي، وقد عثر على قبور سردابية محفورة في الأرض، وأخرى منحوتة في الصخور، تعود إلى حوالي القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد (غانم، 2003، ص ص 208–209).

1–2–2– المستعمرات الرومانية الداخلية:

يذكر بليني مستعمرة أوبيديوم نوفيوم (Oppidum Novum) ضمن سلسلة المدن الساحلية ذات الحقوق الرومانية أو تلك التي تمتعت بالحقوق اللاتينية حيث يقول: "Caesarea antea vocitatum lol,...divo Claudio coloniae iure donata, eiusdem iussu deductis veteranis Oppidum Novom "(Plini, 1851, Lib. V, II, 20) "قيصرية التي تحدثت عنها، منحها المؤله قيصر كلوديوس حق المستعمرة، وبنفس الأمر منحت أوبيديوم نوفيوم"، وفي موضع أخر يذكر المستعمرات الداخلية التي أنشأها تيبريوس: "antus Colonia Augusti, Aquæ item Succubar, item Tubusuptus" "في الداخل مستعمرة أغسطس أكاي وأيضا سوكوبار وكذلك توبوسوبتوس"(Plini,1851, Lib. V, II, 30).

وقد أشار بطليموس الى أوبيديوم نوفيوم (عين الدفلى الحالية) على خط طول 16°ودائرتي عرض 32°و 40°، وذكرت في المسالك الأنطونية بإسم (Oppido Novo Colo(nia))، فيما عثر فيليب لوفو(Philippe Leveau) سنة 1970 على نقيشة تؤرخ الى الجناح العسكري التراقي (Yala II Theracum) الى جانب قبيلة المازيس (Mazices) ابتداء من النصف الثاني من القرن الأول للميلاد في هذه المدينة(Leveau, 1973, pp. 155-156) .

وعن المدن التي تحولت الى مستعمرات أوغسطية، مستعمرة أكاي حمام ريغة في الوقت الراهن، وقد حدد بطليموس إحداثياتها الفلكية بخط الطول 18°ودائرتي عرض 32°و10°،تقع شمال شرق أيول بمسافة خمسة وعشرون ميلا رومانيا ما يقارب(40.23 كلم) على هضبة ما بين وادي شلف ووادي جر (بطليموس، 2002، ص 29).

وسوكوبار التي وردت لدى بطليموس بإسم(Zuchabbari) على الموقع الفلكي ما بين خطي طول 16°و50° ودائرتي عرض 32° و40°، كما يشير أميان مارسلين أن الكونت

ثيودوز أثناء حملته للقضاء على ثورة فيرموس (Firmus)، تمت ترقيتها الى مصاف البلدية وأطلق عليها إسم مليانة (Malliana) في المسالك الأنطونية، ثم مستعمرة توبوسوبتوس وهي مدينة تكلات اليوم، الواقعة جنوب غرب صلداي بتسعة وعشرين كيلومترا، حسب جغرافيا بطليموس (بطليموس، 2002، ص 31) أنشأت في عهد تيبريوس، وهي آخر معقل لمقاومة تاكفريناس حيث كانت مستعمرة حديثة النشأة (مسرحي، 2015، ص 256).

وفي الإشارة إلى تميسي (Timici) وتيجافا (Tigaves) فقد أطلق عليهما عبارة "Civitas" " تجمع حضري" لا يرقى الى المدينة، لكنه تجمع مترون أصبغ عليه الرومان تنظيماتهم وأطرهم الإدارية، يضعهما بعض الباحثين في جبال الظهرة شرق سيقا، حيث تتوافق تيميسي مع مدينة سيدي بوشعيب بالشلف الحالية (Lequément, 1980, p. 186)، أما تيجافا الخربة الحالية فتقع بمنطقة أعالي مصب وادي تاريا بالشلف (روبى، 2013، ص 230).

1-2-3- المدن اللاتينية:

1-2-3-1-أرزينا، أرسناريا وأرزيو الحالية: أشار اليها بليني كالتالي: "Arsennaria Latinorum tribus Millibuspassum à mari"(Plini,1851, Lib. V, II,19)، "أرسناريا اللاتينية تبعد على البحر بثلاث آلاف خطوة"، بينما وردت لدى ميلا بتسمية "Arsinna""أرزينا" (Melæ,1842, Lib. III, VI)"، موقع هذه المدينة غير محدد بدقة، لكن ديزونج يضعها في أنقاض سيدي بوراس تدارت ليس ببعيد عن رأس مغراوة، وقد وضعت خريطة الطرق الأنطونية المسافة بين أرسناريا وكيزا (Quiza) ومنطقة سيدي بلعاتر بمستغانم الوقت الراهن، ويحدد المسافة بين أرسناريا وكارتينا (دلس) بأنها تتجاوز ثمان عشرة ميلا، بينما تصل الى ثلاثين ميلا، وقد عثر في المنطقة على عملات تعود الى عصر الملوك الموريطانيين، وأخرى مرتبطة بتأسيس المدينة الرومانية، حيث تمت الإشارة اليها لدى بليني في عهد أكتافيوس وفي عصر فسبسيان أصبحت تتمتع بالحقوق اللاتينية وأصبحت بلدية لديها قضاة ومجالس (Desange,1980, p.158).

1-2-3-2- تيبازا وأكسيوم(Icosion): وفق ما جاء في نص بليني الكبير فقد latio dato Tipasa, itemque a Vespasiano inperaiore eodem munere donatum Icosium (Plini, 1851, Lib. V, II, 19) " منح فسبسيان الحقوق اللاتينية الى تيبازا ووهب إيكسيوم (الجزائر العاصمة الحالية) نفس المنحة".

ما يفهم من الأسطورة التي صاغها سوليني مؤرخ القرن الثالث الميلادي[1]، أن أكوسيوم من تأسيس الفينيقيين، والأدلة المادية على مرور الفينيقيين بها كثيرة ومتنوعة تعود الى ما بين القرنين السادس والثاني قبل الميلاد(Solini, 1757, XL) ، منحها الإمبراطور فسبسيان الحقوق اللاتينية (Plini,1851, Lib. V, I,20)، وقد ظلت المعارف حول المدينة في فترة الملوك النوميديين مجهولة (غانم، 2003، ص182).

1-2-4- المدن الأجنبية:

من المدن الأجنبية التي ذكرها بليني "Quiza Xenitana peregrinorum oppidum" "المدينة الأجنبية كيزا اكسنستانا"(Plini, 1851, Lib. V,II, 19) هي مدينة سيدي بلعاتر الحالية في موريطانيا القيصرية ولم ترتق الى مصاف البلدية الرومانية إلا في القرن الثاني للميلاد 128 م، الأمر عينه بشأن سيقا التي يقول بليني "Siga oppidum et adverso Malacae in Hispania sitae Syphacis regia" (Plini, 1851, Lib. V, I,19) "تقع مدينة سيقا في مواجهة ملقا في إسبانيا، وهي عاصمة الملك سيفاكس".

وقد كانت لها مكانة كبيرة لدى بوكوس الثاني عندما منح له الرومان جزءا من نوميديا بعد حرب يوغرطة 111 -106 ق.م، لكن سترابون يقول أنها أصبحت خرابا في زمانه في القرن الأول للميلاد (Strabon,1880, Liv XVII, III,9) ووفق ما ذكرته رحلة سيكلاكس فإن المينة منذ أواخر القرن الخامس أو بداية القرن الرابع قبل الميلاد تجمع العديد من المحطات البحرية القرطاجية (Scylax, 2010, La Libye, Para7)، لكن لا يعرف على وجه الدقة أصل المدينة فنيقي أو محلي كما أن تاريخ تأسيسها مجهول كذلك (بوعزم، 2013، ص 24).

وقد ورد ذكر لمدينة تسمى توكا (Tucca) خطأ في موريطانيا القيصرية، لأن المعاصرين يفترضون البحث عنها في الضفة اليسرى للوادي الكبير أمبساقا، كما يضعونها في مدينة المرجة، لم ترد الإشارة إليها لدى ميلا (Février, 1986, p. 796) .

يتبين من خلال إحصاء وعرض الوضعية الإدارية والقانونية لبعض المدن التي ورد ذكرها في جغرافيا بليني بموريطانيا القيصرية سواء التي رقيت إلى مصاف المستوطنات الرومانية، أو

---

[1]- أسطورة تأسيس أكسيوم: وردت أسطورة تأسيس لدى سولين، حيث أنه عندما مرّ هيرقل بالمنطقة، إختار عشرون من مرافقيه لرفع جدران المدينة حتى لا يكون شرف تأسيس المدينة لواحد دون الآخرين، وقد ارتبط اسم هيرقل بالعنصر الفينيقي في المنطقة لذلك يرجح أن المدينة تعود إلى الفينيقيين، للمزيد ينظر: (Solini, 1757, XXVI).

المدن ذات الحقوق الرومانية أو مدن الحقوق اللاتينية أو حتى الأجنبية، فإن نسبة الخطأ في تحديد مواقعها كانت ضئيلة عند مقارنتها مع مدن موريطانيا الطنجية، وهذا مرده إلى مصدر معلوماته حيث اهتم يوبا الثاني بالجغرافيا والتاريخ الموريطاني، فقد عمل على تطوير خريطة أغريبا (Agrippa) وهي عبارة عن تعليقات وشروحات جغرافية وإثنوغرافية على قائمة المدن الموريطانية كتبها الملك باللغة اليونانية، كما أن لديه مصنف في التاريخ الليبي(Libyca) الذي اقتبس منه بليني معلوماته حول موريطانيا القيصرية (Coltelloni-Trannoy, 2003, para. 47-48; Plini, 1851, Lib. VI, XXII, 202; Muller, 1883, pp. 473-477).

2- نوميديا:

يذكر بليني مدن نوميديا كالآتي: "Oppida CuIIu, Rusicade et abeo ad XLVMMP in mediterraneo colonia Cirta Sitianorum cognomine"(Plini, 1851, Lib. V, III, 22) " مدينة كولو (القل الحالية)، روسيكادا، وعلى بعد 48 خطوة إلى الداخل تقع كيرتا التي تلقب بالمستعمرة السيتيونية"، وفي القرن الثالث يذكر سولينيوس مدينتي كولو وكيرتا على نحو مختلف "Cirta eminet, dein Chullî" (Solini, 1757, XL) " تبرز كيرتا ثم شولو"، أما المؤرخ الإسباني ميلا فيذكر كيرتا كإحدى المدن الشهيرة في نوميديا ويعتبرها مقاطعة سيتيونية[1] إلى يوم كتابة تاريخه (Mela, 1842, Lib. III, VI).

يعد ميلا أحد مصادر بليني، وقد شرع ميلا في تأليف كتابه ما بين سنتي 43 م 44 م تقريبا، وهي فترة حكم كاليجولا التي تلي وفاة بطليموس وإلحاق موريطانيا بالحظيرة الرومانية (Zehmacher & Fredouille, 2013, pp. 219-220)، حيث قدم ميلا التقسيم الجغرافي والإداري لمملكة نوميديا في عهد الممالك المحلية ويستشهد بمملكتي يوغرطة وبوكوس حيث نهر ملوشة الحد الجغرافي والإداري الفاصل بين المملكتين، لذلك يحصي جزءا من المدن الواقعة في حيز موريطانيا القيصرية في نوميديا بدءا من أيول قيصرية الى غاية أكوسيوم وهي مدن تابعة لموريطانيا القيصرية في الفترة التي يذكر فيها الكونفدرالية السيرتية لجنود سيتيوس ويؤكد أنها لا تزال الى اليوم مقاطعة للستيونيين(Mela, 1843, Lib. III, VI) حيث طرأت عدة تغيرات إدارية على الإقليم الكيرتي في سنة 46 ق.م عند هزيمة ملك

[1] – المقاطعة السيتيونية: كافأ يوليوس قيصر المرتزقة سيتيوس وجنوده نظير دعمه في الحرب بمنحهم الهيمنة على عدة مدن في نوميديا وهي كيرتا، كولو وميلاف، لكن بعد الإضطرابات التي حدثت بوفاة قيصر، إستعاد آرابيون أحد أحفاد ماسينيسا هذه المدن كتركة آبائه، للمزيد ينظر: (العقون، 2019، ص ص 14-15)

نوميديا يوبا الأول، تم تقديم كيرتا ومحيطها الحضري الى هؤلاء الجنود نظير تعاونهم مع يوليوس قيصر (Cesar, 1849, XXV).

لكن مقاطعة سيتيوس لم تدم طويلا، فبعد الاضطرابات التي عاشتها بلاد المغرب القديم متأثرة بما يجري من أحداث سياسية وعسكرية في روما، وبعد إغتيال يوليوس قيصر وعودة أربيون للمطالبة بعرش أبيه واغتيال سيتيوس في 44 ق.م، واستعادته للإقليم السرتي لكن الرومان تمكنوا من القضاء على مقاومة أرابيون واستعادة المنطقة في 41 ق.م لتتحول المقاطعة السيتيونية الى كونفدرالية كيرتا التي تتكون من كولو، ميلاف وكيرتا عاصمة الكونفدرالية (عقون، 2019، ص ص 65-66) .

كما أن بليني الذي اقتبس من عمل ميلا، والذي تفرغ لأعماله الأدبية ما بين سنتي (57 – 79م) بعد عزلته السياسية عند بداية حكم نيرون، ليعود الى الحياة العسكرية بتقلد فسبسيان رأس الإمبراطورية، وتم نشر عمله التاريخ الطبيعي في بداية حكمه وقبل وفاته بفترة وجيزة في 79م (Pline Le Jeune, 1809, Ltr V) لكنه لم يستفد بشكل كاف من وثائق وأرشيف سنوات حكم فسبسيان أو الفترات التي سبقته، وقد أشار إلى الموريطانيتين ونوميديا بعد إصلاحات كاليجولا طبقا للتقسيم الجغرافي والإداري المعمول به منذ 41 م بعد اغتيال بطليموس بن يوبا الثاني، حيث حدود نوميديا من نهر أمبساقا (Ampsaga) أو الوادي الكبير إلى نهر توسكا (Tusca)، أما حدود موريطانيا القيصرية فتبدأ من نهر أمبساقا الى نهر ملوشة حيث تبدأ موريطانيا الطنجية، وقد ظل هذا التقسيم ساريا إلى غاية حكم ديوقليديانوس (Diocletianus) (285 –305م) (حارش، 2008، ص 173).

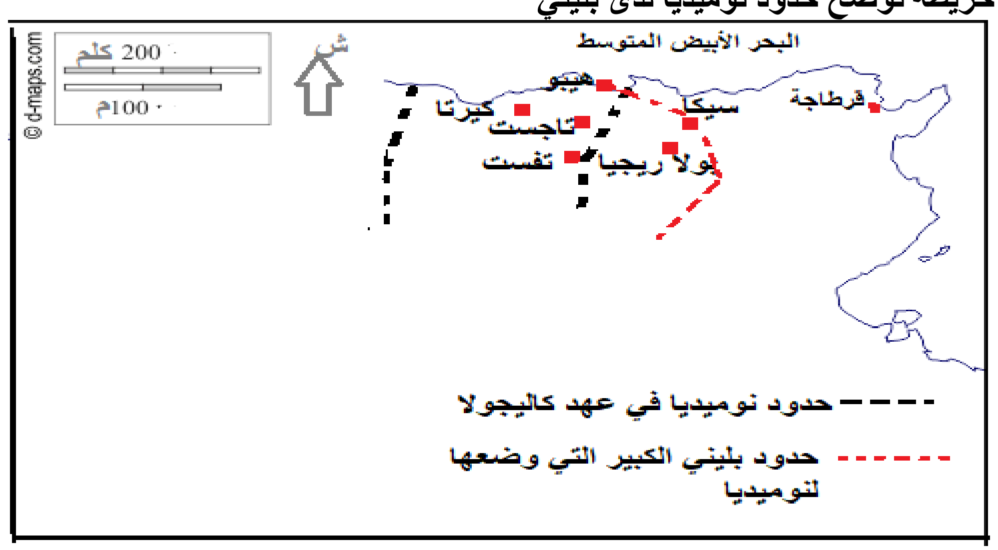
كما يذكر بليني مستعمرة سيتيوس ويشير الى مدنها كيرتا عاصمة المستعمرة كولو وروسيكادا وميلاف (Plini, 1851, Lib. V, II, 1) ، ويضيف بليني المدن الآتية إلى نوميديا: alia intus Sicca liberumque oppidum Bulla Regia. At in ora Tacatua, Hippo Begius,..., oppidum Tabraca civium Romanorum, Tusca fluvius Numidiae finis (Plini, 1851, Lib. V, III,22) "إلى الداخل مدينة سيكا (الكاف التونسية)، مدينة بولا ريجيا، مرتفع تاكتوا[1]، هيبو الملكية،...، مدينة طبرقة المستوطنة الرومانية، نهر توسكا أين تنتهي نوميديا"

[1] – مرتفعات تاكتوا : مرتفعات غير بعيدة عن الكتلة الصخرية (Edough) به ميناء تاكوش الصغير المعروف بهيربيون سابقا للمزيد ينظر: (E. B, 1996, p. 2586).

لكن بليني يقع في الإضطراب عندما يصف الجهة الشرقية أين تنتهي نوميديا وتبدأ البروقنصلية من غرب عنابة نزولا نحو سوق أهراس وقالمة جنوبا يضع سيكا مدينة الكاف كمستعمرة داخلية في نوميديا وكذلك بولا ريجيا[1] ثم يعود ليشير الى هيبوريجيوس عنابة الحالية وطبرقة ونهر توسكا الذي يمثل حدود قرطاجة ونوميديا في عهد جايا وبداية فترة حكم ماسينيسا، فيضع جزء كبير من البروقنصلية في أراضي نوميديا دون الإشارة إلى التغيرات التي حدثت في عهد كاليجولا (حارش، 2013، ص 173) (ينظر الشكل رقم 3).

شكل رقم 03:

خريطة توضح حدود نوميديا لدى بليني



المرجع: (إنجاز الباحث)

وسبب ذلك اقتباسات بليني من جغرافية ميلا، التي تكثر أخطاؤها بسبب نوعية مصادرها حيث يطلق الإغريق على هذا النوع من الكتابة "الكوريغرافيا" "Corigraphie" وهي شبيهة بالجغرافية الإقليمية التي تهتم بالوصف المادي للشعوب والمدن، وهو لون أدبي أقل دقة وموضوعية من الجغرافية التاريخية، حيث يوضح هذا النوع من الكتابة الأدبية ضعف علم الجغرافيا لدى الرومان، ويميل بعض النقاد الى الاعتقاد بأن العنوان الأصلي لكتاب ميلا هو الكوسموغرافيا (Cosmographia) أو (Situ Orbis) أي وصف البلاد المعمورة أو وصف المدن (Zehmacher & Fredouille, 2013, p. 219)

[1]– بولا ريجيا: تقع غرب جندوبة ويدل اسمها على انتمائها لملوك نوميديا، قد تكون المنطقة التي استولى عليها ماسينيسا في القرن الثاني قبل الميلاد، والتي قتل بومبي الملك هيرباص الثاني بها أثناء تواجد البومبيين أعداء قيصر في المنطقة في أحداث الحرب الأهلية الثانية بتونس الحالية، لا يعرف على وجه الدقة من منحها لقب المدينة الحرة قيصر أم أغسطس، إلا أنها تحولت الى بلدية في عهد فسيسيان ثم مستعمرة في عهد هادريان (Thébert, 1992, pp. 1647–1650)

على الرغم من أن العمل الإداري الروماني، فقد عرف تحسنا كبيرا في مهامه وحفظ وثائقه في الفترة الإمبراطورية، لكن الأمر لم يكن سهلا على بليني الذي أتيح له ما لم يتح لميلا بتقلده مناصب في الإدارة الرومانية، وزيارة افريقيا سنة 47 م فترة حكم كلوديوس وقربه وصداقته(Pline Le Jeune, 1809, Ltr, V) يفترض أنه على دراية بالأرشيف الروماني والوثائق الإدارية خاصة فيما يخص إعادة تقسيم الممالك وترقية المدن.

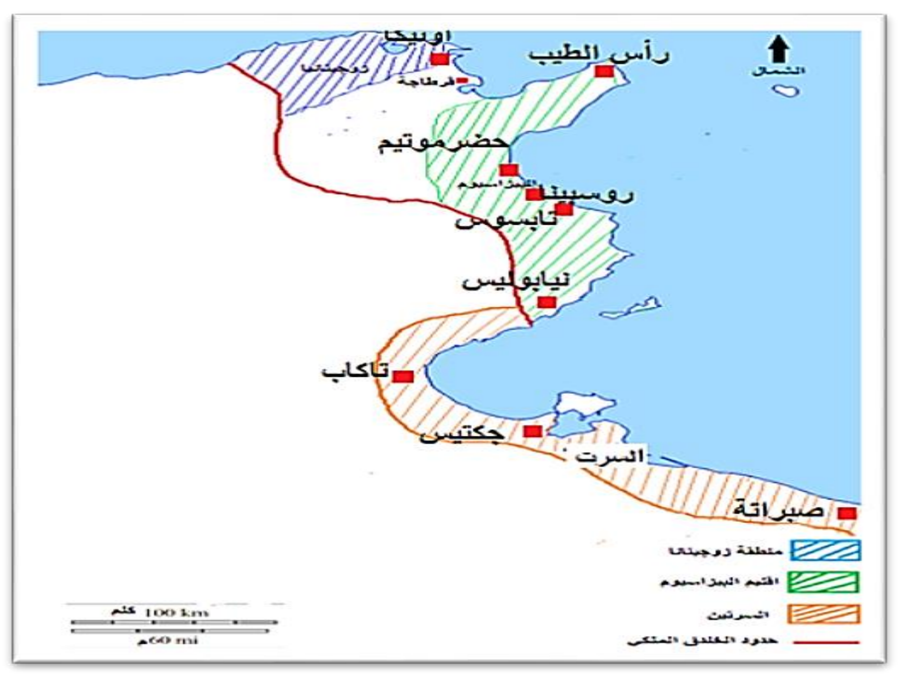
لكن ظل عدم اهتمام الرومان بعلم الخرائط واضحا مقارنة مع ما وصل اليه الإغريق من تحديد دوائر العرض وخطوط الطول وتحديد مساقط الخرائط، لم يكن اهتمامهم بالخرائط من أجل العلوم البحتة، بل ارتبط بالحياة الرومانية بتحديد شبكة طرقات المقاطعات وتحديد المسافات الفاصلة بين المدن، وظلت هذه النظرة للخرائط حتى القرن الثالث للميلاد والتي تمثلها لوحة بوتنجر (Table Peutinger) (الحكيم والليثي، 1996، ص 15).

3- المقاطعة الإفريقية (البروقنصلية):

حسب بليني تنقسم المقاطعة الإفريقية التي تمتد من نهر توسكا إلى مذابح الأخوين فليني الى أربعة أقسام الزوجيتانيا، البيزاسيوم، قرطاجة ومحيطها، والسرتين الكبير والصغير(ينظر إلى الخريطة رقم 01).

شكل رقم 04:

خريطة تبين أقسام المقاطعة الإفريقية وفق بليني



المرجع: (إنجاز الطالب)

3-1- إقليم زوجيتانا: ورد لدى بليني الآتي: "Zeugitana regio et quae proprie vocetur Africa est" (Plini, 1851, Lib. V, IV, 23) " زوجيتانا هي إقليم إفريقيا" وهي المنطقة الساحلية التي تمتد من حدود نوميديا الى غرب مدينة قرطاجة، أما جنوبا فهي غير واضحة المعالم، وقد حدد بليني وضعيتها الإدارية في الفترة الرومانية، ولم يذكر أي مستوطنة رومانية في هذا الإقليم (Plini, 1851, Lib. V, III, 1).

تؤكد البحوث الأثرية على أن المدن المذكورة لدى بليني هيبو "Hipponensem" وهيبو ديرتو "Hippone Diarrhyto"، وتوداليس "Theudalis immune oppidum" "توداليس مدينة حرة"، هي مستوطنات رومانية، من المدن التي ظلت على الحياد في حروب الرومان في بلاد المغرب سواء الحرب البونية الثالثة، أو حرب يوغرطة، أو حرب قيصر، فما كان من الرومان إلا أن يقدموا لها عربون الصداقة بإعلانها مدنا حرة وحليفة للرومان مقابل تعاونها معهم، تتمتع بحكم ذاتي واستقلالية عن الرومان لها قوانينها وأعرافها التي تحكمها كما تعفى من الضرائب، وأوتيكا التي قال بشأنها بليني أنها: "Utica civium Romanorum" "تتمتع أوتيكا بالحقوق الرومانية"،(Plini,1851, Lib. V, IV, 23) عندما دعمت أوتيكا الاحتلال الروماني وككل المدن الحرة منحت امتيازات سياسية تتمثل في الاستقلال وتسيير شؤونها ذاتيا، لها قوانينها وأعرافها الخاصة، أما بالنسبة للشؤون الاقتصادية فقد احتفظت بأراضيها الزراعية، كما أعفيت من الضرائب التي فرضت على المهزومين والمحايدين في الحروب الرومانية في المنطقة (شنيتي، 1985، صفحة 108).

3-2- قرطاجة ونواحيها: يذكر بليني "colonia Carthago magnae in vestigiis Carthagini" (Plini, 1851, Lib. V, III, 24) مستعمرة قرطاجة الكبرى التي أنشئت على أنقاض قرطاجة الأخرى"، كما يفيد أيضا بأن "colonia Maxul" "ماكسولا مستوطنة رومانية"، بالإضافة إلى مستوطنات رومانية أخرى "oppida Carpi, Misua" " مدينة كاربي، مسيوا"، بالإضافة إلى المدن الحرة "liberum Clypea,…, item libera Curubis, Neapolis المدينة الحرة قليبية،...، كوربيس ونيابوليس" (Plini, 1851, Lib. V, III,24).

وتفيد نتائج البحث الأثري أن مستوطنتي ماكسولا وكاربي بمنطقة المرايسة بالقرب من رأس الطيب، التي ذكرت لدى بليني أنهما مستوطنتين يوليانيتين كما يعتقد المؤرخون المعاصرون أن كاربي رقيت من طرف قيصر (Trousset, 1993, p. 1780) ، أما قليبية حسب

دراسة تروسي (Trousser) فهي مدينة حرة حليفة للشعب الروماني نظير تعاونها مع قيصر كما يضع بليني كوروبيس قوربة الحالية أيضا مدينة حرة بينما عثر تحت أنقاضها على ما يثبت أنها كانت مستوطنة يوليانية (Trousset, 1994,Curubis, p. 2157) كما هو الحال بالنسبة لنيابوليس نابل الحالية (Rebuffat R. , 1996, p. 2626) .

3-3- البيزاسيوم (Byzacum): هي المنطقة التي تمتد من رأس الطيب شرقا وتتسحب الى الساحل الجنوب الشرقي حتى السرت الصغير جيكتيس وقابس، وتشتهر منطقة البيزاسيوم بخصوبة أراضيها الزراعية وقد ذكرت المنطقة لدى بوليب (Polybe, 1847, Liv III, XXIII) عند تطرقه لمعاهدات الصداقة والتحالف بين قرطاجة والرومان، وتمتد منطقة البيزاسيوم من نيابوليس جنوبا (نابل الحالية) إلى تابسوس شمالا (Zelanti, 2019, pp. 236-237).

ذكر بليني المدن الحرة في إقليم البيزاسيوم: "oppida libera Leptis, Adremetum, Ruspina, Thapsus inde Thenae, Macomades, Tacape, Sabrata contingens Syrtium minorem" " المدن الحرة لبدة الصغرى، حضرموتيم، روسبينا، تابسوس، ثم ثينة، ماكومادس، تاكاب وصبراتة المتاخمة للسرت الصغير" (Plini, 1851, Lib. V, III, 25).

وقد أخلط ترتيب المواقع الجغرافية للمدن التي يصفها بالحرة التي بدأها من الغرب إلى الشرق والصواب هو أن يبدأ التعداد بحضرموتيم وروسبينا ثم تابسوس وأخيرا لبدة (لمطة) وفق الواقع الجغرافي للمدن(Désange, 1980, pp. 234-237) (ينظر الخريطة رقم 1).

يعترض ديزونج عن رأي ستيفان جزيل القائل بأن الوثيقة التي اعتمد عليها بليني في إحصاء المدن والمستوطنات في الولاية الإفريقية تعود إلى عهد قيصر 46 ق.م، وحجته في ذلك العدد القليل من المستوطنات في تلك الفترة، ويرى بأن معلومات بليني مستمدة من إحصائية لتعداد المدن القريبة من قرطاجة (Desange, 1980, p.230).

من خلال الوثيقة المادية التي تحصي المدن الحرة التي وقفت ضد قرطاجة في حروبها ضد الرومان والتي تذكر أوتيكا، حضرموتيم، تابسوس، لمطة (لبدة الصغرى) أخيلا، أشولا، توداليس، التي منحت حق المدينة الحرة التي تحتفظ بإدارتها المحلية ونظمها السياسية والاجتماعية السابقة، كما أعفيت من الضرائب والغرامات التي عوقب بها المهزومين والمحايدين (Desange, 1980, pp.228-231).

فقد أصبحت أوتيكا مدينة تتمتع بالحقوق الرومانية، وهي ترقية تراجعية بعد أن كانت مدينة حرة حليفة للرومان عرفت بدعم الرومان منذ نزولهم في 203 ق.م وظلت كذلك حتى سقوط قرطاجة (شنيتي، 1985، ص 108)، أما بالنسبة لمطة أو لبدة الصغرى فقد انضمت الى صف الرومان إبان الحرب البونية الثالثة، ومنحت حق المدينة الحرة حسب قانون الزراعة بعد حرب يوغرطة 111ق.م، ومنحها قيصر حق المدينة الحرة والمحصنة أثناء نزوله على ساحلها في 46 ق.م (César, 1905, VII).

أما روسبينا، تابسوس وحضرموتيم فقد كانت مدنا حرة، قام قيصر بمعاقبتها بسبب وقوفها إلى جانب أعدائه ففرض عليها غرامات ضخمة (César, 1905, VI, LXXIX, LXXXIX)، أما طبنة أو ثينة التي وقفت إلى جانب أعداء قيصر في صراعه ضد البومبيين، لذلك أخضعها قيصر وفرض عليها غرامات مالية مثل ما فعل مع لبدة الكبرى (César, 1905,XCVII)، وفي وقت لاحق يكون أوكتافيوس وتبيريوس قد عمل على ترقية هذه المدن، والإستفادة من تاريخها الحضاري في مشروع رومنة المنطقة (Desange, 1980, pp. 231-235) ، وهنا يجب أن تكون الوثيقة التي إعتمد عليها بليني أقدم من عهد قيصر قد تعود إلى التحولات السياسية التي شهدتها المنطقة منذ حرب يوغرطة 111 – 106 ق. م أو ربما مجموعة من الوثائق متفاوتة الفترة الزمنية لم يحسن بليني الإستفادة من ترتيب معلومتها.

بالإضافة إلى خطأ وضع مدينة أوس (Aues) في منطقة البزاسيوم، وهي في الأصل تجمع سكاني جنوب تاكاب في المنطقة الجبلية القريبة من شط الفجاج، أما ماكومادس (Macomades) فيصعب على الباحثين تحديد موقعها بدقة وذلك أن أصل الكلمة في اللغة البونية المدينة الجديدة، وهو وصف عام أكثر منه تسمية دقيقة (Desange, 1980, p.236).

وقد أدى تداخل الأحداث ما بين الحرب الإفريقية، وظروف مقتل قيصر وآثارها، تجعل من الصعوبة بمكان التفريق بين المستوطنات التي أنشأها قيصر والتي من تأسيس أوكتافيوس بسبب التقارب الزمني لفترة التأسيس حيث أن المستوطنات التي أعلنها قيصر جاء التأسيس الفعلي على يد أوكتافيوس مثل قرطاجة (Rebuffat,1967, p.39).

وفيما يتعلق بالمدن الداخلية ذكر بليني مستوطنتين رومانيتين جنوب غرب قرطاجة، وهما " "Uthinam, Thuburbi" "أوثينا، طوبوربو" (Plini, 1851, Lib. V, IV, 29) فالأولى يعتقد ديزونج أنها من تأسيس أوكتافيوس كمكافأة للفرق العسكرية المميزة حيث تبعد أوثينا أو أوذنة

في الوقت الراهن عن قرطاجة ب32 كلم، وتتميز بسهولها الخصبة ووفرة مياههما لقربها من وادي مليان، أنشأت للفرقة العسكرية الثالثة عشر، وفق النقيشة التي تعود إلى 133م التي تثبت تسمية المستعمرة Colonia Ju(lia…) Tertiadecim(anorum) Vthina، أما طوبوربو الكبرى أو هنشير القصبات بتونس الحالية، فقد منحه قيصر للفرقة القيصرية الثامنة نظير مجهوداتها(Desange,1980, pp. 281-282).

3-4- مدن إفريقيا الداخلية:

اتسمت تراتبية بليني فيما يتعلق بالمدن الداخلية في المقاطعة الإفريقية بعدم الدقة، فالكثير من المدن التي أشار إليها كمدن في البروقنصلية، هي في واقع الأمر في محيط نوميديا مثل "Simitthus" "شمتو"، "Thumusidiense" "ثوموسيدنياس""(Plini, 1851, Lib. V, IV, 29) التي تقع على بعد ثمانية كيلومترات شرق شمتو، بالإضافة إلى "Thubuenicense" "ثوبونيسونس" التي تتموضع في نوميديا كمقر للفرقة العسكرية الخامسة التي قاتلت مع قيصر، وكذلك "Thubidrumense" " ثوبيدرومانس" التي تقع في نوميديا شمال غرب باجا وقد تم العثور على نقيشة في منطقة منزل القرشي Colon(ia) Iul(ia) Thub(…) تفيد بترقية المدينة إلى مصاف المستعمرة الرومانية(Desange,1980. pp. 294-295).

كما قام بذكر قائمة بأسماء المدن الداخلية التي تتمتع بحقوق المدينة الحرة، إلا أنها تقع على الساحل وليست بالداخل مثل: أشولا (Achollitanum)، أغار (Aggaritanum)، ماطر(Materense)، ثونيسن (Thunisense)، تاجيسنوس (Tagesense)، يولوسوبوريتانيوم (Ulusubburitanum)، زاما (Zamma) (Plini,1851,Lib. V, IV,30).

ومدن أخرى ظلت مجهولة الموقع حسب ديزونج (Desange,1980 pp.309 -310) وهي أويتانس (Auittense)، تيودونس (Théodence)، كما أنه أخلط بين الإثنيات القبلية التي رقيت الى مصاف التجمعات الرومانية (Civitas) والمدن (Oppidium) مثل: كونوبيتانوم (Conopitanum)، سالافيتانوم (Salaphitanum) جنوب حضرموتيم، ميليزتونوم (Mélizitonum) بين طبرقة ووادي مجردة (Plini,1851,Lib. V, IV,30).

بالإضافة إلى عدة مدن غامضة يجهل موقعها الجغرافي ولا تعرف وضعيتها الإدارية، مثل "Tibigense"(Plini, 1851, Lib. V, IV, 29) " تبيجونس" الكبرى والصغري فلا يعرف موقعهما بدقة، يفترض أن الكبرى خارج البروقنصلية، حيث تقع على بعد 15 كلم غرب دوقة،

والصغرى قد تكون في جزيرة جربة الحالية، بما أن كل المدن المذكورة في المناطق الداخلية قريبة من وادي مجردة، أما مدينة باجا وبعد سقوطها في حرب يوغرطة ولم تترق إلى بلدية رومانية إلا في فترة حكم السفيريين(Desange,1980, pp.297-299).

3 –5– السرت:

في تحديد السرت الصغير يخطأ بليني مرة أخرى عندما جعله يمتد من أوثينا حتى لبدة الكبرى: "inde Thenae, Macomades, Tacape, Sabrata contingens Syrtim minorem...,civitas Oeensis, Cinyps fluviu…,oppida Neapolis,Taphara, Abrotonum, Leptis altera quae cognominatur magna Inde Syrtis majur " ثم ثيناي، ماكومادس، تاكاب، صبراتة حدا للسرت الصغير،...، سيفتاس (تجمع حضري) أويا، وادي كنيبس،...، مدينة نيابوليس، تافرا، الأبورتونيوم، لبدة الثانية المسماة لبدة الكبرى، ثم السرت الكبير"(Plini, 1851, Lib. V, IV, 25,27-28)، وقد وضع صبراتة إلى جوار تاكاب، كما أضاف مدينة أويا التي إختصرها في شكل تجمع حضري مستقر، وكذلك منطقة وادي كينبس، بينما لا يتجاوز امتداد السرت الصغير منطقة خليج قابس الحالي؛ حيث تضم تاكاب قابس وجكتيس (بوغرارة) وأوثينا (Kouka, 2015, para. 1) ، بينما ظلت أويا تتمتع بحقوق المدينة الحرة لها حريتها المالية والاقتصادية في عصر بليني (Mrabet, 2013, para.4).

لم يهتم بالمعلومات المتوفرة في نصوص الكتاب الإغريق حول المنطقة مثل وصف بوليب الذي تناول إقليمي البيزاسيوم والسرت الصغير (Polybe, 1847, Liv. III, XXIII)، وانصب اهتمامه على الطريق المختصرة التي سلكتها الجيوش الرومانية من أويا نحو بلاد الجرامنت والصحراء "conpendium viae quatridui deprehensum est hoc iter vacatur Praeter caput saxi" (Plini, 1851, Lib. V, V,38)، "تم إكتشاف مسارًا مختصرًا بأربعة أيام، هذا الطريق يسمى ما وراء رأس الصخرة".

أثناء الصراع بين مدينتي أويا ولبدة بسبب التنافس الاقتصادي بينهما، الذي تسبب في تخريب الأراضي الزراعية للمدينتين، فاستنجدت لبدة بالقوات الرومانية المرابطة في نوميديا، واحتمت أويا بالجرميين الذين حاصروا لبدة (Mrabet, 2013, para.4) وعند وصول فاليريوس فيستوس(Quirinalis Valerius Festus) قائد الفرقة الأوغسطية بنوميديا قام بملاحقة قوات جرمة وصولا إلى عاصمتهم(Taciti, 1858, Lib. IV, 49) عبر الطريق المختصرة التي تدعى

"ما وراء الصخرة" (Plini, 1851, Lib. V, V,38)، والتي يرجح أنها بمنطقة الشويرف بليبيا الحالية، ولا يرى المؤرخون الليبيون أن هذه الحملة التي ذكرها بليني قد أخضعت الجرامنت لأن بعد ذلك بعقدين من الزمن ما بين 97 –117 م انطلقت حملات يوليوس مارتينيوس (Iulius Maternius) والتي وصلت إلى أجيزمبا (Agisympa) والتي لم يتفق على موقعها بالضبط، في دارفور السودان الحالي أم بحيرة التشاد أو شمال النيجر، كما أبرمت معاهدات سلام مع الجرامنت، بالإضافة إلى أن الطرق من السواحل الليبية نحو الصحراء طرقا مسلوكة منذ القرن الخامس قبل الميلاد على الاقل(العقيلي، 2019، ص 119) وخير مثال على ذلك ما تدلل عليه المصادر الأثرية على أن قرطاجيا يدعى ماجون كان يعبر الصحراء دون التزود بالماء حيث الينابيع والآبار على امتداد الطريق (أيوب، 1969، ص ص136– 140)، لذلك لا يمكن للقوات الرومانية أن تعبر الصحراء الليبية دون أدلاء طريق من المنطقة سواء من المدن المذكورة آنفا أو من مواقع القبائل الصحراوية.

4– شرق البروقنصلية وبلاد الجرامنت:

4–1– قورينة: حسب سالوستي وبليني تمتد قورينة شحات اليوم من مذبح الأخوين فيلاني[1] الى غاية هضبة كاتابادموس (Sallusti,1971, XVIII; Plini, 1851, Lib. V, V,31)، في حين يضع الكتاب الإغريق حدود إقليم قورينة الغربية غرب مذابح الإخوين فليني حسب سترابون(Strabon, 1880, Liv. XVII, III,)، أما حدها الشرقي فيسميه سيكلاكس أخليديس (Achiledes) راس التين الحالية (Scylax,2010, La Libye.1).

أما الحدود الإدارية التي ذكرت في دستور بطليموس الأول في ما يخص جانب تنظيم شؤون قورينة الذي صدر سنة 322 ق.م فإن حدود إقليم قورينة يمتد من كاتابادموس شرقا حتى أتوملاكس (Automalax) العقيلة غربا (تشايلد، 1999، ص 272)، ويرى سعد صالح عوض الدلال (د. ت، ص 2) أن سبب الإختلاف في تعيين الحدود الجغرافية لقورينة يعود إلى اعتماد الجغرافيين على مضارب القبائل الليبية غير المستقرة في تعيين حدود الإقليم، لذلك يمكن إعتبار كل تلك النقاط الجغرافية المذكورة لدى القدامى هي حدود قورينة.

[1] – مذابح الأخوين فيلاني: هو نصب يفصل منطقتي النقود القرطاجي والإغريقي في منطقة السرت الكبير، في منطقة الرأس العالي بأجدابيا الوقت الراهن، للمزيد ينظر: (Camps, 1990, p.1170).

مرّ بليني مرورا سريعا على إقليم قورينة ولم يعط أي إشارة تاريخية لهذا الإقليم قبل الوجود الروماني أو حتى أثناء ضمه الى الإمبراطورية الرومانية، ما عدا الإشارة الى المدن الخمس (Pentapole): برنيقة (Bérénice)، أرسينوي(Arsinoé)، وتوخيرا، وطليمثة (Ptolémais)، أبوللونيا (Apollonle) لكن وقع إختياره على ما يثير دهشة القارئ الروماني مثل منبع الشمس غير بعيد عن واحة آمون، وكذا الأمر مع حدائق الهسبريديس أو التفاح الذهبي (Héspridis) (Plini, 1851, Lib. V, V,1).

على الرغم من أن أول إشارة إلى العلاقات بين قورينة والرومان في المنطقة تضمنها تاريخ بوليب، والذي يرجعها إلى سنة 163 ق.م، عندما دب الخلاف بين بطليموس فيلوماتور (Philomator) حاكم مصر وكانت قورينة تابعة لسلطته، حيث ثار شقيقه يورجيتيوس الثاني (Eurigetes II) حاكم مقاطعة قورينة ضده، ولجأ إلى الرومان مطالبا بالإستقلال عن سلطة أخيه فيلوماتور، وتدخل الرومان لصالح يورجيتيس وانفصلت قورينة عن مصر، وقد تم العثور على نقش لوصيته على نصب من المرمر في معبد أبوللو بمدينة قورينة أنه في حالة وفاته دون ترك ورثة ذكور بأن يؤول عرشه لروما (Polybe, 1856, Liv. XXVIII, 1) .

ولم تخضع المدن الإغريقية في البداية للإدارة الرومانية وظلت كمدن حليفة وصديقة، يدفع الملاك وأصحاب المزارع الضرائب للإدارة الرومانية دون مشاكل تذكر، فرأت روما لا مبرر لوجودها في المنطقة طالما تصلها موارد الاستغلال، يكفي أن بليني يقول بأن محصول نبات السيلفيوم الذي تستفاد منه روما من أراضي قورينة (Plini, 1851, Lib.V, 33).

جاء وصف بليني لإقليم قورينة في إطار تراتيبة جغرافية من الغرب إلى الشرق دون الإشارة إلى وضعها الإداري أو انتمائها السياسي، أسباب عدم الإهتمام على الرغم ارتباطها بالجمهورية ثم الإمبراطورية منذ 96 ق.م.

4-2- ليبيا ماريوت: يقول بليني عن ليبيا ماربوت التالي: "Quæ sequitur regio Mareotis Libya appellalur,Ægyplocontermina Tenent Marmaridæ, Adyrmachidæ: dein Mareotæ"(Plinii, 1851, Lib. V,VI,1) "منطقة ليبيا مريوت على الحدود المصرية يقطنها شعوب المارمريد، الأديرماخيداي، والماريوتيين"، حيث تقع هذه المنطقة شرق المدن الخمسة وغرب بحيرة ماريوط الحالية على الحدود المصرية ويسمى موقعها اليوم مريوط بالإسكندرية على الحدود المصرية الليبية (محجوب، 2013، ص 223) ولا يشير

بليني الى مدن صغيرة أو شهيرة في هذه المنطقة باستثناء القبائل الليبية التي تستوطن المكان، وتتمتع بثقافتها المصرية بحكم الجوار.

4-3- صحراء فزّان أو بلاد الجرامنت:

يحدد بليني موقع فزّان "Intervenit ad solitudines Africæ, supra minorem Syrtin dictas,versa Pbazauia, ubi gentem Phazaniorum, urbesque Alelen et Cillabam subegimus. Item Cidamum"(Plinii, 1851, Lib. V, V, 5) " على الطريق نحو إفريقيا، أسفل السرت، أخضعنا أمة الفزّان ومدينتي ألالي وسيلابا وكذلك سيداموس"

يحدد الباحثون موقع أمة الفزّان كجزء من فزّان الحالية وهو الجزء الشمالي الغربي في أقصى جنوب تونس، وعلى الجانب الآخر من الحدود التونسية الليبية الى الجنوب من جبل نفوسة الحالي وغرب الخط الرابط بين مزدة وقريات الليبيتين، كما يشير بطليموس إلى قبيلتي نبجيني ونفزاوة بالقرب من قبيلة الفزّاني (Trousset et Autres, 1997, pp.3-4).

من المدن التي أخضعها الرومان في فزّان ألالي وكيلابا "Alélé et Cillaba"ويرجح تروسي (P. Throusset) أنهما مدينتان تقعان شمال واحة غدامس، وهما راس العين ورمادة بأقصى جنوب مدينة تطاوين التونسية(Trousset,1986, p. 439) ، إلى جانب واحة غدامس (Cidamus) الواقعة الى الداخل في مواجهة صبراتة، تعرف عليها الرومان في حملة كورنيليوس بالبوس (Cornelius Balbus) سنة 19ق. م على الجرامنت التي يعتقد أنها كانت خاضعة للجرامنت مثلها كمثل كل الواحات الممتدة من الغرب الى الكفرة شرقا، وكانت الصحراء هي الحدود الجنوبية لمضاربهم(Trousset,1994, Cidamus,p. 1953) .

ولا يعرف عن نشأتها سوى من بعض الروايات، من خلال روايات سكانها الذين يرجعون تاريخ نشأة واحتهم إلى عهد نمرود بن سام بن نوح، عندما اكتشف أحد فرسانه عين ماء في المنطقة مما دفعهم للإستقرار بها، لكن رأي آخر يقول بأن مكتشف عين الماء هو التارقي أكدامس أحد أعيان أولاد بني مازق (الشركسي، 1999، ص ص 50-52).

ومن مدن فزّان "ثلغاي" "Thelgae" ودبريس "Debris" (Plinii, 1851, Lib. V, V,6) تقعان على ضفاف وادي الآجال غرب بلاد فزّان في محافظة سبها الحالية، ودبريس وهي ما

تعرف اليوم بأوباري (خشيم، 1975، ص 109)، أما مدينة جرمة فحسب محمد شفيق فقد اشتق إسمها من الإسم الليبي إغرام أو إجرام (Igrem) ويعني البيت أو القرية وجمعها تغرمان (Tghrman) (شفيق، د. ت، ص ص 19−20) واذا ما أزيلت اللواحق الإغريقية والرومانية من تسمية الجرامنت (Gramentes) سيبقى اسم اجرام ويعني في اللغة الليبية القديمة المنزل وتعني سكان البيوت أو سكان القرية (أعشي، 2009، ص 62)، ويذكرها بليني بأنها عاصمة الجرامنت المشهورة بإنتصار كورنيليوس بالبوس على الجرامنت، والذي حظي بموكب النصر في روما −على الرغم من أصوله غير الرومانية− نظير مجهوداته في إخضاع مدن وشعوب صحراء فزّان فإلى جانب إخضاعه للمدن المذكورة أعلاه، يضيف بليني مجموعة من المدن والشعوب في المنطقة غير معروفة (Plini, 1851, Lib. V, V,6).

على الرغم من أن بعض الباحثين يقللون من حجم هذا الانتصار الذي بالغت روما في الاحتفال به، حيث سار في موكب النصر ومنحت له حقوق المواطنة بعد هذا النصر، وسبب التقليل من حجمه لدى مؤرخي ليبيا عدم وجود أثر مادي يدعم أخبار خضوع المنطقة إلى الرومان، فأقدم أثر في غدامس يعود إلى فترة حكم السيفريين في القرن الثاني للميلاد يؤرخ الى حامية عسكرية من الفرقة الأوغسطية المرابطة في نوميديا (أيوب، 1969، ص 140).

نظرا لندرة البحوث التي تعنى بصحراء فزّان والجهة الشرقية من ليبيا الحالية في العصور القديمة خاصة فترة الاحتلال الروماني، لا يمكن الوصول إلى نتائج حول مدى دقة بليني في تحديد مدنها، على غرار مقاطعتي موريطانيا الطنجية والقيصرية، نوميديا والبروقنصلية.

خلاصة الفصل:

بعد دراسة هذا الفصل الذي يعنى بمقاطعات وأهم المدن في بلاد المغرب القديم التي تم الإشارة إليها في النصوص الرومانية القديمة، نخلص إلى النتائج الآتية:

– اهتمت المصادر الرومانية بتدوين الجغرافية التاريخية لمقاطعات إفريقيا الرومانية، دون الإهتمام بتاريخها وحدودها السياسية، لكنها في كثير من الأحيان سطحية ومضطربة، فالكتاب الخامس لبليني الكبير جاءت معلوماته حول بلاد المغرب في فترة الاحتلال الروماني والتحولات الإدارية والقانونية التي طرأت على الممالك في تلك الفترة، بينما يحافظ على الحدود الجغرافية السابقة للفترة الرومانية، وهذا مرده الى استخدام وثائق أقدم من المرحلة المشار لها وعدم الاجتهاد في ترتيب المعارف التاريخية والجغرافية حول المنطقة.

– من بين الأهداف التي جعلت الجغرافيين يعكفون على تدوين المعارف المختلفة، هو الدعاية للأباطرة الرومان، وتمجيد القادة الرومانيين والحرص على تقديم المعلومات في شكل لافت وممتع للعامة من الرومان، لذلك تجد بليني الكبير يحرص حرضا كبيرا على حشد البطولات الرومانية في صحراء بلاد المغرب والمبالغة في إنجازات القادة في ذلك الإقليم البعيد، وعلى الرغم من انتقاده للإغريق وصياغة الخرافات لكنه لم يتجاوز الأمر، ويعود لسببين الأول هو إمتاع العامة من القراء، وثانيا التطور البطيء لعلم الجغرافيا في العصر الروماني.

– بسبب المصادر ذات المعلومات القديمة، والاضطراب في سرد المعلومات والإيجاز المخل، والمبالغة والتهويل في ذكر سير القادة الرومان، ظلت الكثير من المعارف التاريخية حول بلاد المغرب غامضة، أو تم تفسيرها تفسيرا خاطئا، على سبيل المثال مواقع المدن وتأسيسها في بلاد المغرب الذي تراه المدرسة الفرنسية فعلا رومانيا خالصا، وعلى العكس من ذلك فقد كان استغلال الموروث المحلي الذي عاد عليهم بفوائد عظمى.

قائمة المراجع:

I- المراجع العربية:

1- أعشي، مصطفى. (2009). *أحاديث هيرودوت عن اللبيين الأمازيغ*. الرباط: المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.

2- أغطيس، مصطفى.(1991). *تمودة. تطوان*: جامعة عبد الملك السعدي.

3- أيوب، محمد سليمان. (1969). *جرمة من تاريخ الحضارة الليبية. طرابلس*: دار المصراتي للنشر.

4- بطليموس، كلاوديوس. (2002). *وصف ليبيا (قارة افريقيا) ومصر* (تر: محمد المبروك الذويب). بنغازي: دار الكتب الوطنية.

5- بوعزم، عبد القادر.(جويلية، 2013). *سيغا (Siga) تاكمبريت عاصمة الملك صيفاقس*. عصور، الصفحات 30-12.

5- تشايلد، جود. (1999). *دراسات ليبية*، (تر: عبد الحفيظ الميار، أحمد اليازوري). طرابلس: مركز جهاد الليبيين.

6- حارش، محمد الهادي.(2014). *التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي*. الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.

7- خشيم، علي فهمي. (1975). نصوص ليبية. طرابلس: مكتبة الفكر.

الدلال، سعد صالح عوض. (د. ت). المجتمع الروماني في قورينى 96ق.م- 284 م. بنها: كلية الآداب والآثار جامعة بنها.

8- روبى مصدق. (2013). مدن *موريطانيا القيصرية في أدبيات الإغريق والرومان*. منبر التراث الأدبي، مج 1، ع1. ص ص 217-236.

9- شفيق، محمد. (د. ت). *حفريات في اللغة قد تفيد المؤرخ*. د. م: منشورات توالات .

10- شنيتي، محمد البشير. (1985). *الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم - سياسة الرومنة- 46-164 ق.م*. الجزائر: ديوان المبوعات الجامعية.

11- الشركسي محمد مصطفى. (1999). *الغدامسيون هم فينيقيو الصحراء. مجلة البحوث التاريخية*، مج 17، ع 1. ص ص 49-72.

12- عبد الحكيم، محمد صبحي عبد الحكيم والليثي، ماهر عبد الحميد. (1996). *علم الخرائط. القاهرة: مكتبة الأنجلومصرية*.

13- عقون، العربي. (2019). من التاريخ البلدي للجزائر القديمة خلال العهد الامبراطوري الأول - الكنفدرالية السيرتية-. قسنطينة: منشورات نوميديا.

14- العقيلي، فاطمة سالم عمر .(4، 2019). *الصراع السياسي والعسكري بين الجرمنت سكان الصحراء الليبية والرومان من نهاية القرن الأول ق م وحتى نهاية القرن الثاني الميلادي من خلال المصادر الأدبية والمخلفات الأثرية. المجلة الأردنية الدولية*، ع1، ص ص 114-133.

15- غانم، محمد الصغير. (2003). *معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر*. قسنطينة: دار الهدى.

16- محجوب، عبد المنعم. (2013). *معجم تانيت*. بيروت: دار الكتب العلمية .

17- مسرحي، جمال. (2015). *المقاومة النوميدية للإحتلال الروماني من سيفاقس إلى تاكفريناس 203ق.م -24م*. الجزائر : موفم للنشر.

18- الميار. (د. ت). *التاريخ الليبي القديم*. توالات.

II- المراجع الأجنبية:

1- E.B.(1996). *Edough. Encyclopédie berbère*, n°17. 1996, pp.2586-2588. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2127.

2- Brahmi, N. (2013). *Volubilis, de la cité maurétanienne au municipe romain: ruptures et continuités religieuses*. Hommes, Cultures et Paysages de L'Antiquité à La Période Moderne. Rennes: Presses universitaires de Rennes.

3- Callu J- P, et Autres. (1965).*Thamusida I. Fouilles du service des antiquités du Maroc*. Texte et Planches. Rome : École Française de Rome.

4- Camps, G. (1990). Autel. *Encyclopédie berbère*, n°8 . pp. 1170-1175. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.151.

5- Chalal, B. (2016). Portus Magnus, ville de la Maurétanie césarienne. Libyca. pp.301-324.

6- César,J.(1905).*Bellum Africanum*. Berlin: Weidmannsche Buchhandlung.

7- Coltelloni-Trannoy, M. (2003). Juba. *Encyclopédie berbère*, n° 25. pp. 3914-3938.https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.1520.

8- Désange.J. (1980). *Pline L'Ancien- Histoire Naturelle Liv V, 1-46*. Paris: Les Belles Lettres.

9- Desruelles, S, Autre. (2012, Mars 23). *Approches géoarchéologiques des dynamiques hydrologiques et de leur gestion antique: les cas de Volubilis et de de Banasa (bassin du Sebou, Maroc)*. Les paysages de l'eau. Actes du 135e Congrès national des sociétés historiques et scientifiques, « Paysages », Neuchâtel, 2010

10- Diodore de Sicile.(1868). *Bibliothéque Historique, Tome I, Liv III*, (Trd: Ferd Hoefer). Paris:Libraire Hachette.

11-Durban, F. (1845). *Recueil Des Itinéraires Anciens (Comprenant L'Itinéraire D'Antonin, La table De Peutinger et Un Choix Des Périplrs Grecs*. Paris: Impremerie Royale.

12- Euzennat, N., & B, E. (1989). *Arzila. Encyclopédie Berbére*, n°6. pp. 943-948 https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2605.

13-Euzennat, M.(1991). *Banasa colonia Iulia Valentia Banasa, colonia Aurelia Banasa.Encyclopédie berbère*, n°9. pp. 1323-1328. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.1272.

14- Février, P-A. (1986). *Aux origines du christianisme en Maurétanie césarienne. Mélanges de l'École française de Rome. Antiquité*,98, n° 2. pp. 935-977.

15-Herodote.(1858). Histoire. Liv IV.(Trad: Larcher). Paris: Charpentier Libraire-Editeur.

16-Kouka, M. (2015). *Le rivage de la petite Syrte : apport de la sédimentologie à l'étude de la progradation du rivage dans les environs de Gigthi (Tunisie méridionale), résultats préliminaires. Varia Physio-Géo*,n° 9. pp. 1-16. https://doi.org/10.4000/physio-geo.4334.

17-Lassus, J. (1956). Le site de Saint-Leu, Portus Magnus (Oran). Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 100e année, pp. 285-293.

18-Lequément, R.(1980).Le vin africain à l'époque impériale. Antiquités africaines,n°16. pp. 185-193. https://doi.org/10.3406/antaf.1980.1063.

19-Leveau, P. (1973). *L'aile II des Thraces, la tribu des Mazices et les praefecti gentis en Afrique du Nord*. Antiquités africaines, n°7. pp. 153-191. https://doi.org/10.3406/antaf.1973.1450.

20-Mrabet, A. (2013). Oea (Tripoli). Encyclopédie berbère, n° 35, p. 5706. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2797.

21- Montenegro, J., & Castillo, A. (2010). *Tingi Beatica an Analysis of The Sources. Athenaeum, Studi Periodici,Di Letteratura a Storia Dell Antiehita*, pp.413-428.

22- Pline L'Ancien. (1848). *Histoire Naturelle, Tome I*, (Trad: E. Litrée). Paris: Firmin Didot Libraires.

23- Pline Le Jeune.(1809). *Les Lettres, Tome I*, (Trad: M. De Sacya). Paris: Chez L. Duprat – Duverger.

24- Plini,S,C. (1851). *Historiae Naturalis libri XXXVII, Lib. I- VI*. Hamburgi et Gothea: Sumptibus Friderici et Andrae Perthes.

25- Polybe. (1847). *Histoire Générale, Tome I, Liv III*, (Trd: Félix Bouchot) . Paris: Charpentier Libraire- Efiteur.

26- Polybe. (1856). *Histoire Générale, Tome IV, Liv XXVIII*, (Trd: Félix Bouchot) . Paris: Charpentier Libraire- Efiteur.

27- Rebuffat, R. (1967). *Les Erreurs de Pline et de La Position de Baba Julia Campastris. Antiquités Africaine*,n°1. pp.31-57. https://doi.org/10.3406/antaf.1967.881.

28- Rebuffat, R. (1996). *Emporia. Encyclopédie berbère*,n°17, pp.2621-2627. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2144.

29- Rouland-Mareschal, M. (1933). *Le limes de Tingitane au sud de Sala Colonia. Mémoires présentés par divers savants à l'Académie des inscriptions et belles-lettres*, Tome 13, Partie 3eme. Pp. 441-468.

30- Salama, P. (1995). *Djidjelli (Igilgili, Jijel). Encyclopédie berbère*,n °16 pp. 2469-2476. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2193.

31- Sallusti, C, C. (1971).Jugurthum. Campridge: At The Univesity Press .

32- Scylax. (201). Voyage De Scylax De Caryande, En Europe, En Asie Et En 0Lybie. Consulté le Novembre 5, 2020, sur Remacle L'antiquité grecque et latine: http://remacle.org/bloodwolf/erudits/skylax/table.htm.

33- Commentaria in C. Iulii Solini Polyhistora, et Lucii Flori de Romanorum rebus gestis.(1757). Basileae [Basel]:Per Henrichum Petri. Cum Caesareae maiestatis gratia & priuilegio.

34- Banasa (Bassin du Sebou, Maroc). Consulté le1er Septembre 2021, sur Archive ouverte:https://hal.archives-ouvertes.fr/hal-01292373/document.

35- Strabon. (1880). Géographie, T III. (Trd:Amédée Tardieu). Paris: Libraire Hachette.

36- Taciti,C. (1858). Historiarum Libri, Leipzig: Druck Und Velag Von B.G. Teubner.

37- Thébert, Y. (1992, septembre 1). Bulla Regia. Encyclopédie berbère,11.pp. 1647-1653. DOI: https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.1878.

38- Trousset, P. (1986). Alele. Encyclopédie berbère, 3.pp. 439-440. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2409.

39- Trousset, P. (1993). Carpis. Encyclopédie berbère, 12. pp1779-1780. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2067.

40- Trousset, P. (1994). Cidamus. Encyclopédie berbère ,13.pp. 1953-1954. DOI: https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2279.

41- Trousset, P. (1994). Curubis (Korba). Encyclopédie berbère, 14,pp. 2157. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2349.

42- Trousset, J. Despois, Y. Gauthier, Ch. Gauthier and E.B. (1997). Fezzan (Phazania- Targa). Encylopidie Berbere.18.pp. 2777-2817. DOI: https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2083.

43- Zehmacher, H., & Fredouille, J. C. (2013). Littérature Latine. Paris: Presses Universitaires de France.

44- Zelanti, A. (2019). Carthage et le contrôle des littoraux africains : les deux premiers traités. Revue historique, n° 690.pp. 227-249. https://doi.org/10.3917/rhis.192.0227.

III- شعوب وقبائل إفريقيا

1 – شعوب المنطقة الممتدة من أعمدة هرقل إلى نهر باغرادا (مجردة) لدى بليني الكبير

2 – قبائل المنطقة الممتدة ما بين وادي باغرادا إلى السرت الكبير

3- قبائل السرت الكبير

4- شعب جيتوليا

5- شعوب الصحراء

ليس من السهولة بمكان إحصاء القبائل المغاربية وتحديد مواقعها، بسبب عدم وضوح المعارف الجغرافية لدى الكتاب الرومان القدامى، وتفاوت فترات الكتابة من مؤرخ لآخر حول بلاد المغرب القديم، فلا يمكن الاعتماد عليها اعتمادا كليا في تسمية وتحديد مواقع الأودية والجبال وحتى المدن وما ورد من معلومات حولها، وكذا الحال بالنسبة لمواقع الشعوب والقبائل وتسمياتها التي تختلف من عصر لعصر ومن كاتب لآخر، وقع الاختيار على جغرافية بليني لتحديد مواقع الشعوب والقبائل المغاربية التي ورد ذكرها لدى كتاب القرن الأول للميلاد.

1- شعوب المنطقة الممتدة من أعمدة هرقل إلى نهر باغرادا لدى بليني الكبير(القرن الأول للميلاد):

عندما يشير بليني الكبير شعوب ومجتمعات المقاطعات الإفريقية فإنه يذكر القبائل الكبرى أو الاتحادات القبلية المشكلة لنواة الممالك التي تنضوي تحتها الشعوب الليبية القديمة قبل عصره، ثم القبائل التي تربطها علاقات سياسية وعسكرية بسلطة الاحتلال الروماني على النحو الآتي:

1-1- الاتحادات القبلية الكبرى: المقصود بها تلك القبائل التي شكلت نواة الممالك المحلية في المنطقة: المور والماسيسيل، والتي وردت لدى بليني الكبير بإشارات قصيرة على هذا النحو: "Maurorum, Tingitaniæ provinciæ,…, Gentes in ea, quondam præcipua unde nomen provinciæ, quos plerique Maurusios dixerint Attnuata. bellis ad paucas recidit familias. Proxima illi Massæsylorum fuerat, sed simili modo exstincta est" (Plini,1851, Lib V, II). "موريطانيا الطنجية،...، المور من الأمم الرئيسية الذين منحوا اسمهم للمقاطعة، والكثير يطلق عليهم اسم الموروزيين، قلصتهم الحروب إلى عدد صغير من العائلات، وفي السابق كان إلى جوارهم الماسيسيل".

1-1-1- المور: أطلق بليني الكبير تسمية المور على كل سكان شمال موريطانيا الطنجية من المحيط الأطلسي غربا إلى وادي ملوية، ومن الساحل المتوسطي شمالا إلى باناسا وجبل الأطلس جنوبا، من بين الفرضيات التي تحاول إيجاد مقاربة تاريخية ولغوية لمصطلح المور هي المعنى اللغوي الذي يأخذه كامبس من اللغة الفينيقية والتي تعني موراييم جهة الغرب بمعنى الغربيين أو سكان الغرب أو قاطني الجهة الغربية ويقابلها لوبيوم وتعني الشرق أو سكان الجهة الشرقية. فهو على الأرجح اسم لا يدلل على قبيلة معينة، بل على اتحاد قبلي أو شعب موحد تحت لواء مملكة (كامبس، 2010، ص ص 178-180).

1-1-2- الماسيسيل: أشار بليني إليهم بجوار المور لكنهم هاجروا نحو الشرق واستقر بهم الأمر في نوميديا الغربية ما بين نهر ملوشة ورأس بوقرعون (Plini, 1851, Lib V, I,17) لكن يعود ويضعهم في منطقة شطوط الجنوب الوهراني (Plini, 1882, Lib XXI, 12, 77) أما بطليموس فيضعهم جنوب موريطانيا القيصرية (بطليموس، 2002، ص 32)، ويرجح ديزونج أن إقامتهم ما بين قيصرية ومصب نهر الشلف (Desange, 2010, pp. 4630-4631) ، لكن يجهل سبب تنقلهم هل تم مطاردتهم من طرف المور بعد سلسلة من الحروب فانتقلوا إلى نوميديا قبيل نشأة الممالك، مثلما ورد لدى بليني (Plini, 1851, Lib V, I, 17)، أم هي هجرة اختيارية قام بها الماسيسيسل في رحلة البحث عن مكان أنسب يستقرون فيه يوفر لقطعانهم الماء والكلأ قبل مرحلة الاستقرار النهائي وتكوين مملكة، عاصمتها سيقا، يفترض ديزونج أن نزلهم من البدء كان غرب موريطانيا القيصرية لذلك كان من السهل تجمعهم في سيقا وإنشاء نواة أولى للاستقرار، ليتحول إلى مدينة ثم عاصمة ملكية (Desange, 2010, p.4631).

1-2- شعوب موريطانيا القيصرية:

إعتبر بليني قبيلتي الماكورابي والنبادوس من الشعوب الكبيرة المتحالفة مع الرومان في موريطانيا القيصرية: "Flumina Nabar, gens Macurebi, Flumen Usar, gens Nabades" (Plini,1561, Lib V, II, 50) "وادي النبار، قبيلة الماكورابي، وادي ايسار قبيلة النبادوس"، فقد أشار إلى قبيلة الماكورابي بين وادي اليسر والنبار (وادي حميز الحالي) وبالاستعانة بجغرافية بطليموس ستكون بجوار مدينة أكوسيوم، شرق جبل زالاكون (ζάλακον) زكار أحد جبال سلسلة الونشريس، وكذلك النبادوس يعتبرها بليني من بين الشعوب الكثيرة العدد في موريطانيا القيصرية، يشير إليهم بين وادي اليسر ووادي النبار، أما بطليموس فيضعهم في جبال فرطاس (Ferattus) بجرجرة الحالية (بطليموس، 2002، ص 33).

يتضح من الصفة الممنوحة لهذه القبائل أنها كانت خاضعة لسلطة الاحتلال الروماني وتتمتع ببعض الحقوق الرومانية، مما جعل الرومان يمنحون لقب "Gens" لهذه القبيلة التي قد يكون زعيمها قائدا عسكريا مترومنا أو شخصية محلية تعينه الإدارة الرومانية، وبالمقابل تتمتع القبيلة ببعض الحقوق الرومانية أو اللاتينية وتزود الرومان بالمقاتلين في الحروب وثورات المتمردين في المنطقة (Gaffiot, 1900, p.708).

2- قبائل المنطقة الممتدة ما بين وادي باغرادا (مجردة) إلى السرت الكبير (شعوب البروقنصلية):

يذكر بليني قبائل وشعوب كثيرة في إفريقية البروقنصلية التي تنحصر ما بين نهر باغرادا والسرت الكبير:

2-1- الليبوفينيقييون: الذي يشير إليهم بليني بسكان البيزاسيوم "Lypyphoenices, vocantur, qui Bizcium incolunt"(Plini, 1851, Lib V, III,2) الليبو فينيقييون في منطقة البيزاسيوم"، ولا يفسر بليني وكذلك المصادر الأدبية الإغريقية الأخرى مثل بوليب (Polybe,1847, Liv III, 33) وديدور الصقلي (Diodore de sicile,1954, Liv XX, 55,4) نوعية تجمع شعوب منطقة البيزاسيوم كقبيلة أو تجمع قبلي (Civitas) أو مدن تحمل هذه التسمية، بل يشير إلى امتزاج شعبين ليبي وفينيقي، لذلك يمكن القول أن المقصود بالليبو فينيقين هم قاطني منطقة البزاسيوم مدنا وشعوبا.

2-2- القبائل والشعوب غير الخاضعة للرومان: أطلق بليني عبارة "Nationes" "أمم" على مجموعة من الشعوب التي لا تستجيب للرومان ويعتبرها شعوبا أجنبية عنه، وهي: Natabudes, Gapsitani, Misulani, Sabarbares, Massili, Nisive, Vamacures, Ethini, Mussini, Marchubii (Plini, 1851, Lib V, IV,40). النتابدوس، الكابستاني، الميسولاني، سبربر، ماسيلي، نسيف، فامكور، أوثيني، الموسيني، المركوبي

2-2-1- النتابودس: عثر على إسم النتبادوس في أغلب نسخ بليني باستثناء واحدة التي عاينها (دالشومب Dalchamp) كتبت النتابوتس "Nattabutes"، وهي نفس التسمية التي كتبت في النقيشة التي عثر عليها في أم كريكش على الضفة اليمنى لنهر الشارف بقالمة "NATTABVTVM" (Renier, 1866, p. 102)، . لا تعطي هذه الإشارة أي إضافة حول شعب النتابودس، سوى أنهم أحد الشعوب الإفريقية، وفي القرن الثاني للميلاد فتضعهم جغرافية بطليموس جنوب وجنوب شرق كيرتا (بطليموس، 2004، ص46)، ويعتبرها روني إشارة خاطئة، يجب أن يكون النتابودس في عصر بطليموس في منطقة إلى الشمال أكثر حيث لا تزال قبيلة مرتحلة (Renier, 1866, p. 102).

لم ينل شعب النتابودس أي ترقيات سياسية من طرف ادارة الاحتلال الروماني إلا ما بين 201-208م حسب نقيشة أم كريكش، حيث تظهر عبارة "C.Natabutum"، وفسرت هذه العبارة

تفسيرات مثل: "Civitas Natabutum" تجمع حضري النتابوتيم، أو "Coloni Natabutum" مستوطنة النتابوس، وما يلاحظ في المنطقة التي عثر فيها على الإهداء الجنائزي أنقاض لمدينة ثرية، وهو ما يجعلها تصنف كمدينة مترومنة، وظلت مضارب النتابودس يكتنفه الغموض في سفوح الأوراس الجنوبية، ربما الفيض (Thabudeos) ببسكرة الحالية، أو بين مدينة تابوت "Thabute" التي أشارت إليها خريطة بوتنجي، ما بين مدينتي سيقوس وسطيف الحاليتين، إلا أن الموقعان بعيدان عن مكان نقيشة أم كريكش (Berrugger, 1866, pp. 60-69) .

لكن بعد إكتشاف نقش يعود إلى القرن الرابع يذكر إسم النتابودس مقرونا ب "Gens" بدلا من سيفيتاس و"Ordo Municipi" " تنظيم بلدي" (Desange, 1980, pp.328-329)، أصبح واضحا أن الترقيات التي تحصل عليها هذا الشعب قد حدثت بعد وفاة بليني الكبير أما في عصره فلا يزال هذا الشعب أجنبيا عن سلطة الاحتلال الروماني.

على أي حال فمجال البحث حول هذه القبيلة لم يكن في البروقنصلية بل في نوميديا، لذلك يمكن القول أن بليني لم يوفق في تحديد موقع شعب النتابودس، ولا يمكن معرفة الأسباب هل تنقل القبيلة هو السبب، أم عدم الدقة الجغرافية لبليني وخلطه ما بين التنظيم السياسي قبل الإحتلال الروماني وبعده، أم التأثير البوني في محيط قالمة هو ما أعطى الصبغة البونية.

2-2-2- الكابستاني: هم سكان كبسة قفصة في الجنوب التونسي الحالي في منطقة السهوب شمال الصحراء الإفريقية، نسب بليني تسميتهم إلى المدينة التي يقيمون فيها وهي كبسة، وقد ذكرت هذه المدينة منذ حرب يوغرطة لدى سالوستي، في منطقة جنوب نوميديا يقطنها شعوب الجيتول الذين تحالفوا مع يوغرطة وقدموا له الجيوش التي حاربت معه ضد الرومان (Sallusti, 1894, 75, 89)، وقد ظلت كبسة دهرا من الزمن وهي ركاما من الرماد بعدما دمرها الرومان انتقاما من سكانها لدعم يوغرطة في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، ولم تعمر من جديد إلا في فترة حكم هادريان، وقد ظل الشعب الكابستاني شعبا أجنبيا الإمبراطورية الرومانية (Trousset, 1993, p. 1758).

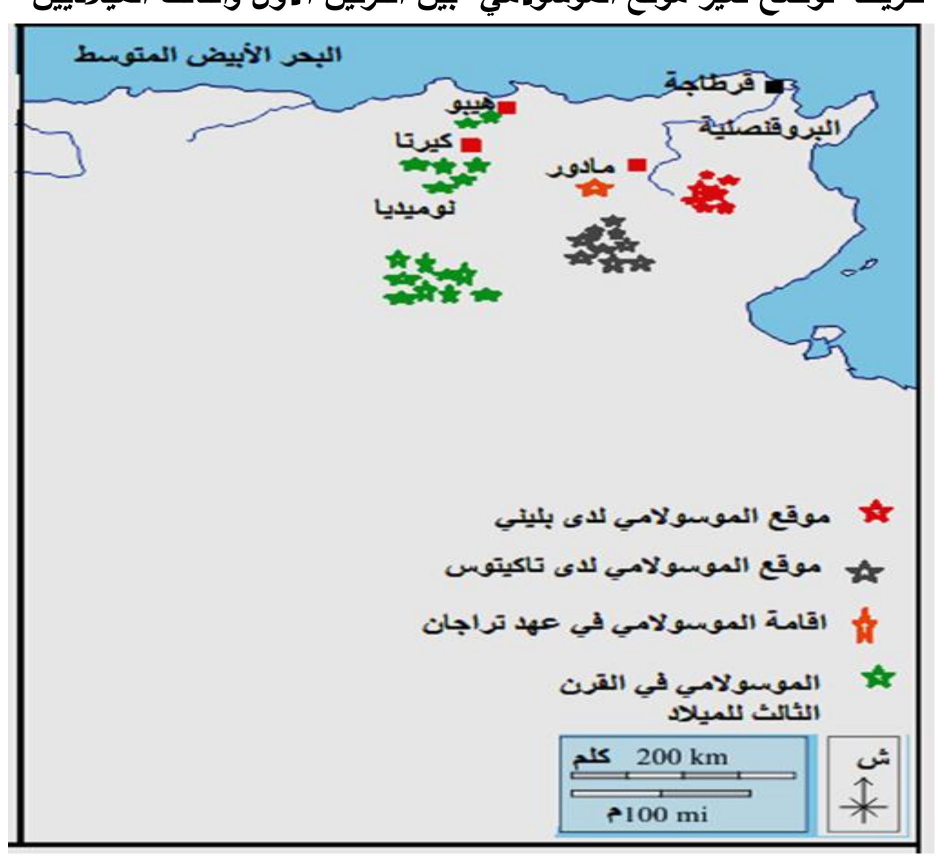
2-2-3- الميسولاني: الموسولامي والميسولامي كلها تسميات لمجموعة قبلية تحتل رقعة جغرافية كبيرة تمتد بين الغرب التونسي والشرق الجزائري الحاليين، كما تنقسم قبيلة الموسولامي إلى عشائر كثيرة، حيث تدل نقيشة تيفاست على قبيلة قوبول (Gubul) في سفوج جبال قورين(عيساوي، 2010، ص 432).

وضعها بليني الكبير في البروقنصلية، وأشار إليها تاكيتوس في السنة الخامسة والسادسة من القرن الميلادي الأول كشعوب محاربو برفقة الجيتول والجرامنت ضد الاحتلال الروماني وسلطة الملك يوبا الثاني، ثم برفقة تاكفريناس بسبب شق الطريق الرابطة بين امايديرا وتاكاب في 17–24م، وحتى 45م (Tacite, 1858, Lib. II,52, IV, 24).

وفي القرن الثاني أشار إليهم بطليموس في هيبون وجنوبي شرق وغرب كيرتا وجنوب نوميديا (بطليموس، 2002، ص46)، وفي القرن الثالث تحدد لوحة بوتنجي موقع هذا الشعب شمال شرق الطريق الرابطة بين سطيفيس (Sitifis)– تادولتي (Tadulti) عين السخنة الحالية (ينظر الملحق رقم 1) (Laporte & M'Charek, 2010, pp. 5144-5145) .

شكل رقم01:

خريطة توضح تغير موقع الموسولامي بين القرنين الأول والثالث الميلاديين



المرجع: (إنجاز الباحث)

من بين العقوبات التي دأب الإحتلال الروماني الرد بها على القبائل المعارضة لوجوده أو المتمردة على سلطته، تحديد قطر إقامتها وتضييق مضارب انتجاعها، وعدم السماح لها بممارسة ترحالها الموسمي بين المراعي الشتوية والصيفية، وهو ما عانت منه قبائل (الموسولامي) حيث كانت تنتجع حتى القرن الأول للميلاد على ضفاف وادي المثول(وادي ملاق الحالي) الذي ذكره

سالوستي في حرب يوغرطة ، يقضون الشتاء في نواحي نقرين بتيفاست، لكن تم التضييق عليهم في عهد تراجان في شمال مادورو، وقد تم العثور عل علامة حدودية بعين كملال تشير للموسولامي في المنطقة ما بين تبسة وخنشلة في قصر البوم جنوب غرب تبسة بـ20كلم، وبخنقة ناصر التي تبعد بـ14كلم على أماديرا. ويظهر الموسولامي في القرن الثاني 138م في تالا (Thala) وسوفتولا (Suftula) سبيطلة الحالية (Desange,1980, p.331).

وتدل النقوش على إقامتهم في محجوبة وقلعة سنان في سيكا الكاف بالغرب التونسي الحالي، حيث تؤرخ ثلاث نقوش تعود إلى أوائل القرن الثاني للميلاد، كما تم إكتشاف علامة حدودية وإهدائين جنائزين على الضفة اليسرى لواد السراط أحد روافد نهر المثول، تعود العلامة الحدودية إلى القرن الثاني للميلاد، أما الإهدائين فيعودان إلى أواخر القرن الثاني وبداية الثالث الميلادي (Naddari, 2008, pp. 159-161) .

2-2-4- سبربر: وردت التسمية في النقوش بعبارة "Suburbures"، تدل حجارة إشارة الطرقات في عهد فسبسيان على السبربر ريجياني "Suburbures Regiani" أو سبربر الملكي والمقصود بهذه العبارة تحالف الرومان مع زعيم أو ملك القبيلة، عثر على واحدة في تيجيس (Tigis) أم البواقي والأخرى في برج فرج، وفي كلتا الوثيقتين يتجمع السبربر بمعية النسيف في نفس الفضاء الجغرافي جنوب وجنوب شرق كيرتا (Desange, 1962, p.135) .

وتشير مجموعة من النقوش تعود إلى عهد تراجان إلى السبربر الملكية كقبيلة تقع إلى الغرب قليلا من الموقع الأول ويقترح ديزونج شمال وشمال شرق شط البيضاء عزيز بن تليس بميلة الحالية حسب حجارة حدود الطرق التي تعود إلى الفترة (116-117م) كما تؤرخ باقي النقوش إلى الفترة السفيرية ما بين (198 -199 م) حيث كتب عليها: La Res Pupl(ica) Gent(is) Subu(rburum) Col(onorum) "ملك شعب مستوطنة السبربر" (ينظر الشكل رقم2) (Dupuis, 1997, pp. 131-132).

2-2-5- الماسيلي: وضع بليني شعب الماسيلي في موضع مختلف عما عرف في النصوص التاريخية والجغرافية إلى جانب الماسيسيلي، فلا يذكره بليني بجوار هذا الشعب، بل يشير إليه في قائمة الأمم غير الخاضعة على الشريط الحدودي بين البروقنصلية الإفريقية ونوميديا، وعموما نوميديا ليست مهمة ولا ذات قيمة تاريخية ولا اقتصادية لبليني، يمر عليها بإشارات عابرة، كما أنه يرى أن لاشي فيها يستحق الذكر (Plini,1561, Lib V, III; IV,40)،

(ينظر الشكل رقم2) لا يمكن التعرف على أسباب تجاهل بليني لنوميديا وشعب الماسيل هل لعدم توفر مصادره؟، أم لأسباب ذاتية باعتبارها آخر معاقل المقاومة ضد الرومان، ومن أسباب كتابة التاريخ الطبيعي إمتاع العامة ووصف الشعوب الخاضعة للإمبراطورية الرومانية، لذلك يتجاهل بليني نوميديا بنفس الطريقة التي تجاهل بها ماضي قرطاجة.

2-2-6-النسيف: أشار إليهم بليني في المنطقة ما بين نهر باغرادا والسرت الكبير، إلا أن موقع هذه الشعوب في المنطقة الجنوبية في نوميديا (Desange, 2012, par.1)، ويضعه بطليموس شرق النتابوتس في الأوراس، أما النقوش التي توثق لهذا الشعب في عهد فسبيسيان فتم العثور على نقيشتان على بعد ثلاث كيلومترات شمال غرب تيجيس بمنطقة عين البرج على بعد 40 كلم شمال غرب أم البواقي، حيث تخبر النقيشة بأن النسيف تلقوا حق الإقامة في هذه المنطقة برفقة قبيلة السبربر في الأراضي الكرتية (Desange, 1980, p.233) فلم يوفق بليني في تحديد موقع القبيلة (ينظر الشكل رقم2).

2-2-7- الأوثيني: من الشعوب المحلية التي وردت لدى بليني بعبارة (Ethinii)، ولدى تاكيتوس "Cinithi" تحالف هذا الشعب مع تاكفريناس في 17-24 م ووصفهم ب: " haud sprnendam nationum" "الكنيثي أمة معتبرة" (Taciti,1839, Lib II, 52) ويضعهم بطليموس في آخر السرت الصغير حتى طبنة (بطليموس، 2004، ص46) والتي يرى الباحثون أن المقصود بها قبيلة الأسبيست(، أحد قبائل برقة التي يذكرها سترابون في القرن الأول للميلاد بين النسامونيين والجيتول (ينظر الشكل رقم2) (Strabon,1880, Liv XVII, III,19).

يشهد إهداء جنائزي على حضور الكينيثي في مدينة جكتيس (Gightis) بمنطقة بوغرارة التونسية الحالية، الذي يعود إلى الفترة التي تلي وفاة هادريان، حيث يشيد الإهداء بذكرى أحد أفراد القبيلة الذي تتضح مكانته المرموقة في قومه من خلال الإهداء، ويرجح أن أصيل مدينة جكتيس التي أقامت على أراضيها قبيلة الأوثيني أو الكنيثي، لكن قسما من القبيلة أفلت من الترومن (Constans, 1914, pp. 279-280)، لقد وفق بليني قي تحديد موقع قبيلة الكنيثي.

2-2-8- الموسوني: تعود أقدم النصوص الأثرية التي تقسيم شعوب الموسوني إلى عدة قبائل وعشائر، في منتصف القرن الثاني والقرن الثالث للميلاد، في القرن الثاني للميلاد يظهر الموسوني في الغرب التونسي الحالي بالقرب من سبيطلة الحالية، كان على تعليمات الحدود التي تميز بين أراضي "Sufetula Musuniorum" "سوفتولا الموسوني" وأراضي

الممتلكات الخاصة، ومع ذلك فإن الاسم "سوفتولا الموسوني" لا يظهر في أي نص آخر في مجموعة النصوص الكتابية الخاصة بسوفتولا، أكثر مما يظهر في مسارات الرحلات القديمة والنصوص المُجَمعة وعلامات الحدود التي تستخدم في ترسيم الحدود بين الممتلكات الخاصة وأجزاء من الأرض الخاصة ببلدية شعب سوفتولا "ager publicus municipii Sufetulensis"، وتم تخصيصها بشكل جماعي إلى الموسوني، وهكذا فإن كل الأدلة توحي بأن الترسيم تم في نواحي سوفتولا، كما يوضح إهداء لسبتيموس سيفروس وابنه كاركلا، ونقيشة أخرى تعود إلى عهد قورديان الثالث (Gordien III) أن الموسوني الملكية (Musunii Regiani) تتموقع في (Cillium) القصرين الحالية، وثلبت فريانة، أما الموسوني ينتشرون جنوب شرق تبسة (ينظر الشكل رقم 2)، وتضعهم خريطة بوتنجي ما بين سطيف وجبال الحضنة (Naddari, 2014, pp. 25-29)، فقد تمت الترقيات بعد وفاة بليني.

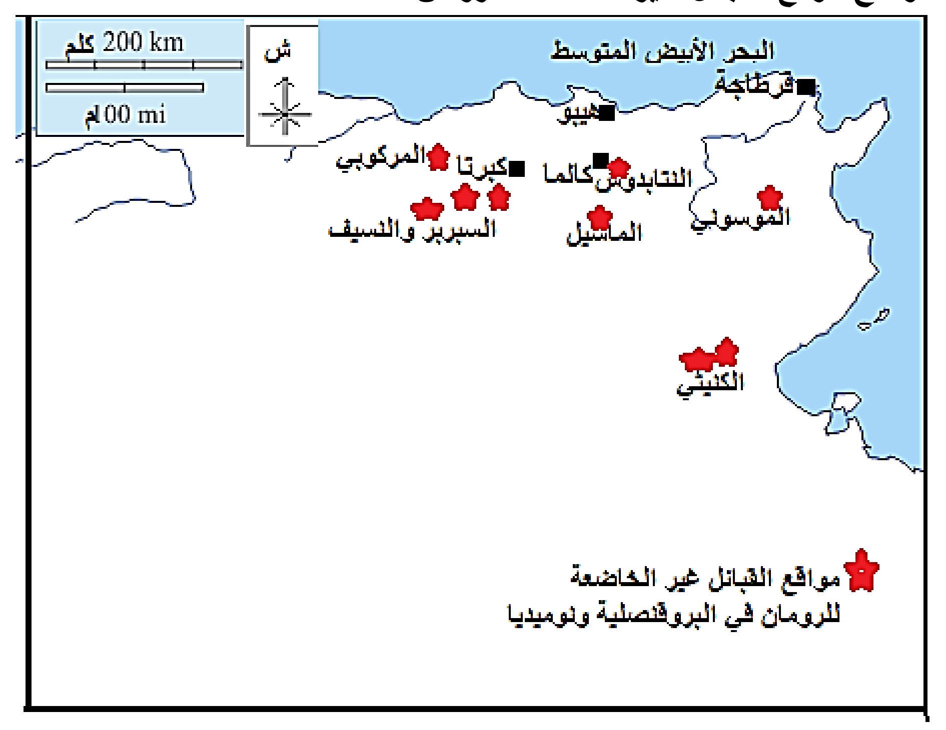
2-2-9- الفاماكور والمركوبي: في الوقت الذي يحاول ج. ديزانج أن يجد مقاربة تاريخية أو صوتية لاسم المركوبي الذي أشار اليه بليني، والذي يقابله للملكوبي (Malkhoubii) التي ذكرها بطليموس ويرى أنهم سكان جبال موريطانيا القيصرية بين قبيلة سيلاسي ونهر أمبساقا (الوادي الكبير) الحدود الشرقي لموريطانيا القيصرية (بطليموس، 2004، ص 33)، حيث كانت تتردد قبيلة سيلاسي على مرتفعات جبال قسنطينة وعلى ضفاف أمبساقا حسب ما عثر عليه من نقوش تذكر زعيم هذه القبيلة، لذلك يفترض ديزانج أن الأمر نفسه بالنسبة للمركوبي أو الملكوبي يجب أن تكون القبيلة مرتحلة بين جبال قسنطينة والوادي الكبير، على الرغم من أن النصوص الأدبية المتعلقة بالمركوبي بعد بليني لا تهتم بموقعها (Desange, 1960, pp. 60-61) (ينظر الشكل رقم2) لذلك رأى محمد العربي عقون أن هذه القبيلة من القبائل المجهولة التي لا يمكن التعرف عليها من خلال الاشارات الأدبية في ظل عدم توفر النصوص المادية، الى جانب قبيلتي الفاماكو (Vamacures) والإثيني (Ethini) التي يعتبرهما محمد العربي عقون قبائل مجهولة ولا يوجد ما يثبت وجودها في الوقت الحالي سوى الإشارة الاسمية العابرة في كتاب الجغرافية لبليني الكبير (كامبس، 2010، هامش ص 219).

ما يمكن ملاحظته بعد مقارنة ما ورد لدى بليني الكبير والآثار المادية التي تؤرخ للقبائل غير الخاضعة للرومان في عصره، أنه لم يخطأ في تحديد وضعها بالنسبة لسلطة الاحتلال الروماني في عصره، أما في ما يخص تحديد مواقعها فقد وقع في الاضطراب، حيث ينسبها إلى

أراضي البروقنصلية، لكن معظم القبائل التي أشار إليها مثل النتابودس، السبربر والنسيف شعوب تنتمي في إلى نوميديا ثم موريطانيا القيصرية، وهذا مرده إلى الأسباب التي تم ذكرها سابقا حول مصادر بليني الجغرافية ومدى تطور علم الخرائط في لدى الرومان.

شكل رقم2:

خريطة توضح مواقع القبائل غير الخاضعة للرومان



المرجع: (إنجاز الباحث)

3-قبائل السرت الكبير:

ذكر الكتاب الخامس من الجغرافية التاريخية مجموعة من القبائل في السرت الكبير وهي: "Accolunt Marmaridæ a Parætonii ,ferme regione ad Syrtin vsque maiorem Hasbitæ & porreti. Post eos Ararauceles, & iam in ora Syrtis Nasamones,.. ..Macæ viuunt" (Plini,1561, Lib V, V,10-20) "يسكن مارمريد من البارتوني الى غاية إقليم السرت الكبير، الأراروكيل، النسامونيين في فم السرت،...، الأسبيست والماكاي".

3-1- سكان مارمريد: وفقا لبليني فإن موقع مارميد يأخذ بعض الاضطراب في تحديده فمرة يشير إليها بين قبيلة الأديرماخيداي[1] وهضبة كاتاباثموس على الحدود الليبية المصرية القديمة، وفي موضع آخر يضعهم إلى الشرق من قورينة بين السرت الكبير والبارتينيوم

[1] – الأديرماخيداي: ورد ذكر هذه القبيلة لدى هيرودوت، حيث تمتد مضاربهم من خليج السلوم بالحدود المصرية الحلية وحتى غرب الإسكندرية، للمزيد ينظر: (Hérodote, 1858, Liv IV, CLXVIII).

(Paraetonium) مرسى مطروح في مصر الوقت الحالي (Plini, 1851, Lib V, V,33, 39) حيث تتسع الرقعة الجغرافية بين الوصف الأول والثاني نحو الغرب.

لا يختلف وضع سكان مارمريد عن باقي شعوب البلاد المغاربية وسياسة سلطة الاحتلال الروماني تجاهها، حيث يروي المؤرخ اللاتيني فلورس في مختصر تاريخ الرومان بأن سكان مارمريد قد أخضعوا في فترة حكم أغسطس في القرن الميلادي الأول على يد سلبيكيوس كيرينيوس (Sulpicius Quirinius) (Florus, 1757, II, 31)، وهذا ما يجعل بليني تارة يذكر مارمريد المنطقة الجغرافية الواسعة التي أشار إليها المؤرخون الإغريق، وتارة يتحدث عن منطقة مارمريد التي قلص مساحتها الرومان بعد ثورات هؤلاء، كما يتهم سترابون سكان مارمريد في انقراض نبات السيلفيوم (Strabon,1880, Liv XVII, III, 22) ، وهذا ما يجعل الخشيم يوافق إلى حد ما على ما مقولة سترابون، إذا اعتبر إتلاف محصول السيلفيوم كأحد أوجه المقاومة للوجود الروماني، وبسبب احتكار تجارته، لأن مداخيله تدر على الخزينة الرومانية أموالا كثيرة، فكان رد فعل القبائل المحلية عنيف تجاه الرومان (خشيم، 1975، ص 87).

3-2- الأراروكيل: على الرغم من أن التحديد الذي قدمه بليني لهذه القبيلة غامض قليلا لكن حسب التعداد الذي اتخذه، بوضع الأراروكيل بعد مارمريد، فالمرجح أن تكون هذه القبيلة في محيط درنة، على الحدود الشرقية بين مارمريد ودرنة (Desange, 1989, p.850).

3-3 النسامونيون: يعتبر بليني النسامونيين هم سكان السرت الكبير، ويحدد مجال إقامتهم بين الأكروكيل شرقا والأسبيست والماكاي غربا، وقد أشار إليهم هيرودوت غرب الأوسخيساي واعتبر الماكاي جيرانهم الغربيين على حافة السرت الكبير إلى الداخل قليلا، كما احتلوا أراضي البسيل، وكانوا أقواما مرتحلة يمارسون الهجرة الموسمية، في الصيف يتركون قطعانهم ترعى على الساحل، ويرحلون نحو واحة أوجيلا في الجنوب بجوار الجرامنت لجني محصول التمر (Herodote,1850, Liv IV,172)، ويشير إليهم سكيلاكس في المنطقة الداخلية بين هسبريديس (Hesperidis) وعمق السرت الكبير (Scylax,2010, de La Libye.1)، أما سترابون نقلا عن مصدره بوسودونيوس يضع النسامونيين مع مجموعة من القبائل على الساحل شمال قورينة والسرت الكبير تقع مجموعة من القبائل بين برنيقة- بنغازي- ومذابح الأخوين فيلاني (Strabon,1880, Liv XVII, 3, 20) .

من خلال نصوص وآراء الكتاب القدامى التي وضعت النسامونيين في المنطقة الساحلية على السرت الكبير إلى الداخل قليلا، وجعلوا مواقعهم تتوسع وتضيق حسب الظروف المناخية التي تساهم في وفرة المراعي وتتحكم في نشاطهم المتمثل في تربية المواشي، أما في فترة الاحتلال الروماني وبسبب السياسية الرومانية تجاه القبائل المحلية الثائرة، وحسب فلافيوس جوزيف أنه تم في عهد فسبسيان تشتيت النسامونيين الذين تحالفوا مع النوميديين والمور وسكان مارمريد بسبب فرض الضرائب على قبائل الصحراء (Joséphe,1836, Liv II, XVI) وتعود ثورتهم إلى الواجهة في فترة حكم دومتيان (Domitien) 86 م ضد الإدارة الرومانية التي تقوم بتحصيل الضرائب حتى أن الإمبراطور أصدر قرارا بإبادتهم (Florus, 1757, I, 4).

3-4- الأسبيست: يشير بليني الى الأسبيست ما بين النسامونيين والمكاي من الجهة الغربية للسرت الكبير وربما الى الجنوب قليلا ويمتدون إلى المناطق الداخلية، مثلما رأى بطليموس جنوب هسبريديس وشرق رأس كاركور، لكن يظل الموقع الدقيق غير معروف بصورة نهائية، لأن المصادر الأدبية الأخرى كالملاحم الشعرية التي تغير مواقع القبائل الليبية حسب الحاجة الشعرية، فقد وضع إيطاليكوس الأسبيست بجوار الجرامنت (Italcus,1781, II, 58)، لكن جغرافية رافينات (Ravinnat) كذلك تنأى بالأسبيست إلى جوار الجرامنت والأثيوبيين والمحيط الجنوبي "Item iuxta limbum Oceani ponitur patria quae dicitur Aethiopia Garamantium, quae et Asbyste dicitur" (Ravennatis Anonymi,1860, III, 3) أيضا على حافة المحيط في القسم الأثيوبي حيث الجرامنت والأسبيست.

3-5- الماكاي: وفقا لبليني يقع موطن قبيلة المكاي في السرت الكبير على بعد اثني عشر يوما مسيرا حوالي الألف كيلومترا إلى مضارب الأمانينت غربا في الحمادة الحمراء في نفس موقع هيرودوت في القرن الخامس في السرت الداخلي بجوار وادي كينيبس أين تعاونوا مع القرطاجيين لطرد دوريوس الإغريقي الذي أراد إنشاء مستوطنة على نهر كينيبس سنة 517 ق.م تقريبا (Hérodote,1858, Liv. IV,XLII) ، كما يشير اليهم سكيلاكس على طول امتداد ساحل السرت الكبير (Scylax,2010 , Liv III, Para 4)، أما بالنسبة لبطليموس في القرن الثاني للميلاد فيجعل محيط شعب الماكاي يمتد من جبل نفوسة إلى الحمادة الحمراء وجبل السودا (بطليموس،2002، ص48).

3-6- اللوتوفاجي: حسب بليني فإن موقع اللوتوفاجي في السرت الكبير إلى الداخل: "In intimo finu fuit ora Lotophagon, quos quidam Alachroas dixere, ade Philaenorum aras" (Plini,1561, Lib, V, IV, 30) "في الداخل يوجد اللوتفاجي الذين يسميهم البعض الألخراس إلى غاية مذابح الأخوين فيلايني".

لا شك أنه اقتبس من ميلا لأنه كذلك يضع اللوتوفاجي في المناطق الداخلية من السرت الكبير "tum Leptis altera,…, Ejus promontorium est Borion,…, quam Lotophagi tenuisse dicuntur usque ad Phycunta" (Melae,1843,I. VII) "ثم السرت الآخر من رأس بوريون،... بدءا من الفم الذي يقال أن اللوتفاجي يقطنون فيه حتى رأس فيكونتا"، كما يخبر بليني في موضع آخر أن "Meninx,..., Eratosthene Lotophagitis appellata" (Plini,1561, Lib V, VII, 20) جزيرة مينكس (جربة) بلاد اللوتفاجيين كما يسميها اراتوسثين، وقد ارتبطت جزيرة جربة بأكلة اللوتس في رحلة سكيلاكس وهو موقع ليس بعيد عن موقع هيرودوت الذي يضع فيه اللوتوفاجي غرب قورينة بين الجيندان (Gindanes) غربا والمخالوس (Makhlues) شرقا كما يضع هيردوت المخالوس من اللوتوفاجيين، تقريبا بين السرت الصغير وحتى رأس الطيب (Herodote,1858, Liv IV,178,180).

إذا أخذ في الاعتبار أن تسمية اللوتوفاجي صفة مقتبسة من غذاء هذه المجموعات البشرية وهو نبات اللوتس، يصبح الإلمام بها وبمحيطها الجغرافي أمر يصعب تحديده على الكتاب اللاتين بسبب عدم المعرفة الكافية بعادات وتقاليد المجتمعات المغاربية، حيث تتوسع منطقة حضور اللوتوفاجي وتتقلص باستمرار، بانقطاع عادات الغذاء لدى القبائل المغاربية، لذلك فتحديد مضارب هذه القبائل سيتميز بعدم الدقة.

4- شعوب جيتوليا:

4-1- الجيتول في المصادر اللاتينية وإشكالية تحديد موطنهم:

يقدم الباحثون المعاصرون الجيتول (Gétule) كشعوب من البدو الرحل تقطن بلاد المغرب القديم، عُرفوا بقوة فرسانهم في جيوش الملوك والزعماء المحليين ثم الفرق المساعدة الرومانية، أما مناطق انتجاعهم فهي الحدود الجنوبية لقرطاجة، نوميديا وموريطانيا (Gsell, 1927, p. 137) وقد ظهر اسم جيتولوا (Gaetouloi) وجيتولي (Gaetuli) منذ أواخر القرن الثاني قبل الميلاد وأول إشارة لهم في المصادر اللاتينية وردت لدى سالوستي الذي يعتبرهم أحد الشعوب الأصلية في بلاد المغرب القديم حيث يقول: "Africam initio habuere Gaetuli et Libyes, asperi incultique, quis cibus erat caro ferina atque humi papulum uti pecoribus ei neque moribus neque lege aut emprio euiusquam regebantur vagi palantes,…, gaetuli sub sole magis, haud procul " (Sallusti, 1971, XVIII) "سكن إفريقيا في البداية الجيتول والليبيون، قبائل فظة وغير متحضرة يعيشون على لحوم الحيوانات البرية وعلى ما تنتجه الأرض كالبهائم، لا أخلاق، لا قانون ولا قائد يحكمهم، دائمو الترحال متنقلون،...، استوطن الجيتول الأراضي الحارة"، لكنه لا يحدد موقعهم بدقة.

ثم يشير إليهم تيتي ليفي (Titi Livi 59 -17 ق.م) في كتابه التاريخي بعنوان منذ نشأة المدينة (Ab Urbe Condita): Hannibal, cum jam inde haut procul esset, Gaetulos cum praefocto nomine Isalca praemittit ac primo (Livi, 1883, Lib XXIII, 1)، "كان حنبعل على مسافة قصيرة من المكان، ليجعل الجيتول يأخذون المقدمة بقيادة زعيم يسمى إيسالكا"، كما كان للجيتول مدنا ذكرها صاحب الحرب الإفريقية عند حديثه عن استيلاء سيتيوس على مدينة كيرتا أثناء الحرب الإفريقية (49 – 46ق.م): "interim et rex Bocchus, coniunctis suis copiis cognito regis Jubæ egressu, propius eius regnum copias suas admovere, Cirtamque, oppidum, …eius regni Bocchus, paucis diebus pugnando cepit et praeterea duo oppida Gætuloru " (César, 1905, XXV,1-2). "عندما علم ب. ستيوس والملك بوكوس بمغادرة الملك يوبا، جمع قواتهما واقتحم بلاده وحاصرا مدينة كيرتا واستولوا عليها في غضون أيام قليلة، كما استوليا على مدينتين جوتوليتين" ، وبهذه العبارة يرى المؤرخون المعاصرون أن موقع المدينتين المذكورتين في الحرب الإفريقية (Bellum Africum) جنوب كيرتا غير بعيدة عنها (Desange, Gétules, 1998, p. 3063).

لكن قبل هؤلاء جميعا يكون بوليب أثناء جولته حول بلاد المغرب في 146 ق.م بعد تدمير قرطاجة، قد تعرف على جيتول الغرب في موريطانيا، وقد اقتبس من مؤلفه بليني ووفقا لديزونج لا يمكن التعرف على حجم الإقتباس، باستثناء الإشارة إليهم بدءا من ميناء روسادير (مليلية) بالمغرب الحالي (Desange, 1990, p. 3063) حيث يقول: "portum Risardir Gaetulos Autololes,…, ultra quod Aethiopas Perososes, quorum à tergo Pharusos lis ungi Mediterraneos Gaetules Daras" (Plini, 1851, Lib V, I, 20). "ميناء روسادير جيتول الأتولول،...، ما وراء الأثيوبيين البيروسيين، وخلف الفاروسيين جيتول درعا".

في حين كان اهتمام الشعراء الرومان بالفروسية وروح القتال الجيتولية، فهذا سيليوس ايطاليكوس يرفق نصه ببعض صفات الفارس الجيتولي: "parebant nullaque leuis Geatulus habena" (Italicus, 1836, Lib II, 64). "الجيتول السريعون الذين لا يعرف حصانهم اللجام"، وفي مقطع آخر: "Autololes levibus gens igna plantis cui sonipes cursu, cui cefferit incitus amnis,…, misceri gregibus Gaetulia sueta serarum indomitisque loqui, et sedare leonibus iras: nulla domus; plaustris habitant: migrare per arva mos atque arrantes circumve etra penatre"(Italicus, 1836, Lib III,307 et 288-290). "يبدو شعب الأوتلول كأنه يطير بدلا من الركض،...، اعتاد الجيتول العيش بين الوحوش البرية وتمكنوا من ترويض الأسود، يعيشون بدون مسكن ثابت مسكنهم العربات"، كما يصف لوكان الفرسان الجيتول بسريعي الانطلاق على الخيول الجامحة (lucain, 1816, Liv IV, 679).

من خلال هذه النصوص تدل صفات الجيتول ومواقعهم، تارة على صورة الخارجين عن مجال الحضارة يرتحلون بلا هدف ملتصقون بالقطعان، فحسب سالوستي الجيتول هم من بقايا جيش هرقل المتفكك في الجوار، هذه الحلقة الغامضة في التاريخ الأقدم للمنطقة والذي يمثل ضربا من الأسطورة، ولم يتطور الجيتول منذ ذاك الحين وظلوا على نمط التجوال والعيش بين الحيوانات البرية (Callegarin & Moreau, 2009, p. 207) ، وتارة أخرى تمثل صورة الشعوب المتحضرة التي تقطن المدن مثلما ورد لدى قيصر، وكذلك مكان إقامتهم في موريطانيا الذي لم يتغير من عصر بوليب زمن الحرب البونية الأخيرة 146ق.م وهو ما يدل على الإستقرار.

يحصي ستيفان جزال عددا من المدن في الشرق النوميدي التي يقطنها الجيتول مثل تالا (Thala) –غير معروفة –، كبسة قفصة الحالية، وتيفاست (Gsell, 1927, p. 259)، ويصف سالوستي تالا وكبسة بالثراء حيث قال في تالا: "oppidum atque opulentum, ubi plrique

"المدينة الثرية أين توجد كنوز الملك يوغرطة" "thesauri flirumque" ويشير إلى كبسة: "مدينة كبيرة وقوية" "oppidum magnum atque valen" (Sallusti, 1894, 75, 89)، أما صاحب الحرب الإفريقية فيخبر عن مدن جيتولية قريبة من كيرتا بما يعني تمدن هذه الأمة واستقرارها في مراكز حضرية عكس الوصف الذي جاء لدى بقية الكتاب الرومان مثل سالوستي وإيطالكوس.

يسير ستيفان جزال على خطى سالوستي الذي يؤيد طبع الغلظة والتوحش لديهم والذي منعهم من تأسيس مملكة، وظلوا على حياة البداوة يشغلون المنطقة التي تحدها الممالك الأهلية وقرطاجة شمالا وبلاد الأثيوبيين جنوبا، وسميت منطقة نجوعهم باسمهم وهي منطقة السهوب وجنوب سفوح الأطلس الصحراوي (Gsell, 1927, pp. 109-112)، وبما أن الحدود السياسية لم تكن ثابتة، فقد كانت الحدود الشمالية لجيتوليا مرتبطة بمدى استقرار علاقاتها بممالك الجوار وهو الأمر الذي يسبب إشكالية تاريخية في ضبط حدود جيتوليا، لكن قابريال كامبس يرى أن موطنهم لا يقتصر على شريط السهوب وسفوح جنوب الأطلس الصحراوي بل يمتد إلى شمال الواحات أو يتجاوزه للحدود الشمالية للصحراء الكبرى (كامبس، 2009، ص 188).

لم يوضح المؤرخون القدامى سبب التسمية أو معناها، ما إن كانت تسمية من أصل محلي أو أجنبي، سوى ما أورده المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسفيوس عن أصل الجيتول الذي ينسبه لأحد أبناء كوش بن حام المسمى جيتول (Josèphe, 1651, Liv I, 6,1).

من بين المشكلات التي يعاني منها تاريخ القبائل المغاربية عموما والشعوب الجيتولية خصوصا هو سطحية المعرفة في الكتابات اللاتينية، وكذلك الجهل والخلط في الأسماء الجغرافية للمناطق الداخلية من بلاد المغرب، خاصة تلك التي خلف الليمس ولم يتمكن الرومان من الزحف عليها، لذلك صورة الجيتول في الكتابات اللاتينية باهتة يكتنفها الغموض، تارة قبائل مرتحلة متوحشة وغير متحضرة وتارة أخرى شعوب مستقرة تقطن المدن، وهذا ما يجعل مسألة تحديد إقليم جيتوليا وتمركز قبائلها ليست بالأمر اليسير، وعلى الرغم من ذلك يمكن تقريب المشهد التاريخي من خلال مقاربة تاريخية للمصادر التاريخية.

4-2- جيتول موريطانيا الطنجية: تطرق بليني إلى موقع الجيتول في موريطانيا الطنجية، إلى الغرب من طنجي قائلا: "Gaetulae nunc lenent gentes, Baniurae, multoque validissimi Autololes: et horum pars quondam Vesuni, qui avulsi his

propriam fecero gentem, versi ad Aethiopas"(Plini, 1851, Lib V, I, 17) ، "البلد الآن مأهولة بالأمة الجيتولية، البانيور والأتولول، والأكثر قوة الفيزيين، الذين كانوا في الماضي ينتمون إلى هؤلاء الأخيرين والذين انفصلوا عنهم وشكلوا أمة متميزة وهم إلى جوار الإثيوبيين".

ينقسم الجيتول الغربيون إلى قبائل وأمم متنوعة (ينظر شكل رقم3)، يفترض أنهم قدموا من الجنوب وتمركزوا حول الحدود الجنوبية لموريطانيا الطنجية، والراجح أن الفترة الزمنية السابقة لتواجدهم في المنطقة تعود إلى فترة تسبق القرن الأول زمن ذكرهم لدى بليني، من بينهم قبيلة البانيور (Rebuffat, 2001, p. 28)، التي تتخذ موقعها بجوار المجرى الأوسط لوادي سبو غير بعيد عن المستوطنة الرومانية باناسا، حيث تدل وثائق هذه المدينة على وجود علاقة بين المستعمرة وقبيلة البانيوبي (Baniubai) والتي يؤكد الباحثون على أنها هي نفسها قبيلة البانيور والاختلاف في لواحق الكلمات أمر مألوف في اللغة اللاتينية (Hamdoune, 1993, p. 256).

كما يشير بطليموس في القرن الثاني الميلادي إلى وجود عشيرة صغيرة في الجنوب الموريطاني من الجيتول وهي البانيوبي، يجعل مكان إقامتهم على الساحل الأطلسي بين ميناء روسادير (ميناء على المحيط الأطلسي وليس مدينة مليلية) ونهر جوزنيوم(flumen Gosenum) (بطليموس، 2002، ص26) ولا يستطيع ديزونج تحديد نهر جوزنيوم بدقة ما بين نهر السوس جنوب غرب المغرب الأقصى أو نهر التانسيفت غرب مراكش (Desange, 1990, p. 1175).

أما الأتولول وهي أكبر القبائل وأشدها بأسا من بين كل جيتول الغرب، تنتجع بنواحي مدينة سالا، والذين يشكلون خطرا عليها عند عبورهم لجبل الأطلس حسب ما قدمه لدى بليني:
"oppidum Sala, eiusdem nominis fluvio impositum, iam solitudinibus vicinum, elephant orumque gregibus tninfestum, multo tamen magis Àutololum gente, per quam iter est ad montem Africae vel fabulo sissimum Atlantem"(Plini, 1851, Lib V, I, 5). "تقع مدينة سالا على نهر يحمل نفس اسمها، وتجاور الصحاري ويغير عليها قطعان الفيلة، والأكثر من ذلك أمة الأتولول التي تعبرها للذهاب للأطلس".ويضيف موقعا آخرا لجيتول موريطانيا هو الجزر التي اكتشفها الملك يوبا الثاني:
"Hesperu ceras unius, Nec Mauritaniae insularum certior fama est Paucas modo constat esse ex adverso Autololum, a Iuba repertas, in quibus "Gaetulicam purpuram tingere instituerat" (Plini, 1851, Lib VI, I, 36,4). المعلومات حول جزر موريطانيا ليست مؤكدة كثيرا، نعرف فقط أن العديد منها مواجهة للأتولول إكتشفها يوبا الذي أسس بها مصانع لاستخراج أصباغ أرجوان الجيتول".

تبعد جزر الجيتول بـ 625 ميل على جزيرة فورتونتاس (Fortunatas) (جزر الكناري)، ما يوافق الألف كيلومترا، وبالتالي ستكون جزيرة جيتول الأرجوان (Gaetulicum Purpurum) جزيرة موقادور التي عثر بها على مجموعات هائلة من قواقع الأرجوان، وهي نفسها موقع الصويرة بطنجة، ربما كانت جزيرة في العصور القديمة، لكن م. أوزينات يؤكد على أن الجزيرة مأهولة ومعروفة منذ الفترة القرطاجية ما بين القرن الثالث والثاني قبل الميلاد، ثم أعيد إحياؤها في عهد يوبا الثاني(Euzennat, 1993, p. 1853) ، وعمل على استغلالها كمستثمرة لصناعة الأصباغ لكن بليني عرف بإشادته لكل أعمال يوبا الثاني، الإفريقي المترومن وراعي مصالح روما في المنطقة المغاربية.

إلى جانب قبيلة الأتولول يضم جنوب موريطانيا أقواما أخرى تنتمي إلى الجيتول حسب ما يفهم من نص بليني: "Masatos, felumen Masatat, felumen Darat,…,Pastea felumen Palsum,…, Pharusii, Gaetulos Daras" (Plini, 1851, Lib V, I,10). "المساتي، نهر ماسا،نهر درعا،...، ثم نهر بلسوس،...، الفاروسيين، جيتول درعا"، حيث يتموقع جيتول المساتي على ضفاف وادي ماسا، والدرعاويين بالقرب من وادي درعا في حين ينتجع الفاروسيين السفوح الغربية للأطلس الأعلى، ولا تخبر المصادر بغير ذلك حول هؤلاء الجيتول، غير أن الفاروسيين الذين بنى سالوستي فرضيه وجود العرق الفارسي في بلاد المغرب لتشابه الاسمين، أما سترابون فيروي بعض من القصص الخرافية مثل حادثة تدمير الفاروسيين للمحطات التجارية الفينيقية على السواحل الأطلسية (Strabon, 1880, Liv XVII, III,3) ، وبناء على ذلك فإن إقليم القبائل الجيتولية يمتد ما بين ميناء روسادير إلى وادي درعا والسواحل الأطلسية وجزر الأرجوان (العقون، 2008، ص 165).

شكل رقم 03:

خريطة مواقع شعوب الجيتول في شرق وغرب بلاد المغرب القديم



المرجع (إعداد الباحث)

يتضح مما سبق أن جيتول موريطانيا ينقسمون إلى عدة قبائل، تعيش خارج أطر الكيانات السياسية التي عرفتها المنطقة، وظلت عبر العصور القديمة شعوبا مستقلة عن المملكة الموريطانية أولا، ثم حقبة الهيمنة الرومانية ثانيا، بل ضايقت بوجودها وهددت استقرار مستوطناتها، مما جعل مؤرخيها ينعتونهم بالوحشية وعدم التحضر، لأنهم كانوا عدوا تصعب مقاومته والتغلب عليه، وحسب ما جاءت به النصوص التي أحصت هذه الأمة وحددت مواقعها والتي يبدو أنها قبائل مستقرة أو على الأقل نصف مرتحلة إذ لم يرد في المدونات اللاتينية خاصة بليني ما يشير إلى نمط معيشتهم الذي أشار إليه سالوستي.

4-3- جيتول الشرق: يمتد الإقليم الشرقي للجيتول على امتداد جنوبي نوميديا وقرطاجة حتى السرت الكبير، وهو الأكثر شهرة والأقدم ذكرا في المصادر الرومانية منذ الحرب البونية الثانية في جيش حنبعل، ثم حرب يوغرطة (111- 105 ق.م) فالحرب الإفريقية (49- 46 ق.م)، وهو على امتداد شاسع يشمل منطقة التل ومنطقة السهوب وشمال الصحراء الجزائرية والتونسية الحالية والساحل الطرابلسي.

يعتبر الكتاب الخامس من التاريخ الطبيعي لبليني الكبير هو أكثر المدونات التي أحصت القبائل المغاربية في المنطقة الشرقية بعد هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد، رغم أن هذا الأخير لم يأت على تسمية الجيتول لفظا، لكنه وصف المنطقة التي تنتمي للشريط الذي ينتسب إليه الجيتول حسب الكتابات اللاتينية وهو إقليم ليبيا الداخلية أو قسم ليبيا الحيوانات المتوحشة.

وكذلك بليني الكبير لم يحدد القبائل الجيتولية في الشرق مثلما فعل في موريطانيا الطنجية لكن يمكن حصر شعب الجيتول من خلال الإشارات والدلائل الجغرافية المتفرقة التي وردت في كتابه.

يذكر بليني: "tota Gaetulia ad flumen Nigrin, qui Africam ab Aethiopia dirimt" (Plini, 1851, Lib V, IV, 5)، "كل جيتوليا إلى نهر نقرين الذي يفصل إفريقيا عن إثيوبيا"، وبما أن المعلومات مقتضبة لدى بليني، فيلجأ الجغرافي الفرنسي فيفيان دو سان مارتن (Vivien de Saint Martin) لتحديد وادي نقرين (Negrin felumen) مستعينا بجغرافية بطليموس، وقد جعل وادي نقريس يتوافق مع وادي جدي الذي ينبع من جبال العمور ويسير مجراه غرب شرق عابرا ديميدي بالجلفة ثم أولاد جلال وبسكرة ليصل إلى منطقة الشطوط، ونظرا للتشابه اللفظي بين وادي نقرين لدى بليني ووادي نقريس في جغرافية بطليموس، ولقلة الأودية الصحراوية جعل وادي جدي يتوافق مع وادي نقرين (De Saint Martin, 1848, p.437)، وقد وافق على رأيه عدة مؤرخين كستيفان جزال في الأطلس الأثري للجزائر (Gsell, 1911, F n° 48)، وقبريال كامبس، لكن شارل بيكار (Ch. Picard) يعترض على ذلك، ويضع وادي نقريس في النيجر ليفصل بين البيض والسود (Camps, 1995, pp. 2422-2424).

ويقوم ج. ديزونج بتفسير عبارة بليني التي تفيد بوجود وادي نقريس كحد فاصل بين الأثيوبيين وشعوب إفريقيا، لا يقصد بها الإثنيات العرقية ليبي وإثيوبي (أبيض وزنجي)، لكنه يجمع كل الملونين أو ذوي البشرة القاتمة في إطار الإثيوبيين بما في ذلك سكان شمال الصحراء ويضيف أنه منذ حكم أغسطس (27ق.م–14 م) أصبح مخطط الرومان وادي نقرين أو نقريس النقطة الأبعد التي وضعها الاحتلال الروماني للتوسع على حساب الأراضي النوميدية وبين الصحاري وبلاد الإثيوبيين، هذا المشروع الذي لم يكتمل إلا في عهد هادريان عام 126م (Gsell, 1927, p.169 ; Desange, 1980, pp. 346-349)، ليؤسس كامبس فرضيته على جزئية أخذها من رأي ديزونج، ويضيف أن الليمس الروماني توغل أبعد من وادي جدي نحو الجنوب بالقرب من ساقية بنت الخرص جنوب بسكرة (Camps, 1995, pp. 2422-2424).

لكن هذا الرأي مناسب جدا لوضعية الحدود الرومانية في القرن الميلادي الثاني، وقد تم العثور على بقايا الليمس القرن الثاني والثالث للميلاد الذي يعود لفترة حكم السيفريين، أما بالنسبة للفترة التي يشير إليها بليني من عهد حكم فسبسيان في القرن الأول، فإن وادي جدي غير معروف بالنسبة لبليني كمعلم جغرافي يمكن الاعتماد عليه في تحديد الليمس الروماني، لكن

منطقة تيفاست كانت معروفة بالمقاومة العنيفة ضد الرومان، نتج عن هذه الثورات تحالف بين شعوب الجيتول والجرامنت (لخضر، 2018، ص ص 201-202).

بالإضافة إلى فرضية توافق وادي نقرين مع وادي جدي في منطقة شمال الصحراء فرضية غير موضوعية، فجدي ليس الوادي الوحيد الذي يشق شمال الصحراء الشرقية في العصور القديمة، حيث اعتمد سان مارتن في مقاربة النصوص الأدبية على خريطة عصره في القرن التاسع عشر (Saint Martin, 1863, p.437) ، حيث لا يزال البحث الأثري والتاريخي إبان الحقبة الاستعمارية الفرنسية في بدايته (الأحرش، 1999، ص ص 76–77).

أما رأي جزال فهو محسوم بالنسبة لموضوع مناخ بلاد المغرب الذي يصر على عدم تغيره منذ فترة الاحتلال الروماني إلى غاية الاحتلال الفرنسي، متجاهلا وجود مشاكل طبيعية كارتفاع نسبة التبخر، جفاف الوديان والتصحر، ويرى أن مناخها وإمكانياتها الطبيعية هي ذاتها في الفترة الرومانية، لكن الفرق الوحيد في يد الرومان الذين أخضعوا الطبيعة وتمكنوا من مجاراتها، وقد عمم رأيه على كل المناطق المغاربية، لذلك لم يساوره شك في وجود وديان صحراوية في الفترة الرومانية وجفت بعامل الظروف الطبيعية المذكورة أعلاه، حتى أنه عندما يتطرق إلى حضارات العصر النيوليتي يرى أن التصحر غزى المنطقة منذ وقت طويل مستشهدا بما كتبه هيرودوت حول المنطقة الرملية من ليبيا القديمة (Gsell, Le Climat De L'Afrique, 1911, p.30)، ثم يتسرع كامبس (Camps, 1995, pp. 2422-2424) في الاقتباس من تحليل ديزونج بفقرة ليست مكتملة حول وادي نقرين ومقاربته لوداي جدي حيث يرى هذا الأخير أن مشروع التوسع الروماني الذي بدأ في عصر أوكتافيوس أوغسطس ولم يصبح حقيقة إلا في عهد الإمبراطور هادريان في (125م) (Desange, 1962, p. 349).

كما أن وادي جدي لم يكن في منطقة ذات أهمية عسكرية أو اقتصادية في عصر بليني عندما أشار إلى شعوب فسيكرا التي يقاربها بعض الباحثين ببسكرة الحالية، لكن فسيكرا التي أشار إليها بليني اقتبسها من قائمة الشعوب التي أخضعها كورنيليوس بالبوس في حملته على الجرامنت (Plini, 1851, Lib V, V, 30) وليست فسيكرا شمال وادي نقريس بل جنوبه بمئات الكيلومترات، فالمنطقة التي يمر بها نهر جدي لم تشهد التوسع الروماني إلا بعد وفاة بليني والحصن الوحيد في رفارف الصحراء حصن تهودا (Thabudeos) أنشأ على منفذ وادي الأبيض في القرن الأول للميلاد (مسرحي، 2015، ص 282).

اعتمادا على المعطيات الأدبية والأثرية المتوفرة، تتوافق التهجئة الحرفية لنهر نقرين كما وردت في كتابات بليني مع تسمية منطقة نقرينيس ماجورس "Nigrinses Maiores" وهي متطابقة مع جذر الاسم (Nigrin) أما اختلاف لواحق الأسماء (ses) فهو أمر شائع في اللغة والكتابة اللاتينية، وأد مايور أو أد ماجور (Ad Majores) هو التسمية القديمة لجبل مجور بنقرين، وقد جمع الاسم القديم نقرين ماجوروس بسرياني ونقرين الحالية (Laporte J. P., 2012, p. 5403) كما يشير بليني إلى المنطقة وواديها كالتالي:

Regio supra Sirbitum, ubi desinunt montes, traditur a quibusdam habere maritimos Æthiopas,…, Ab ea vero parte Nili, quæ supra Syrtes majores, oceanumque meridianum protenditur, Dalion vocatos esse dicit, pluvia tantum aqua utentes Cisoros, Longoporos. Ab eacalicibus dierum quinque itinere Usi balcos (Plini,1851, Lib VI, 15,16).

المنطقة الواقعة أسفل السرت، حيث تتوقف الجبال، تحتوي وفقًا لبعض المؤلفين، على الإثيوبيين البحريين...، على جانب النيل، الذي يمتد أسفل السرت الكبير والمحيط الجنوبي، يقول داليون إنهم أناس يستخدمون مياه الأمطار فقط يسمون سيزوروس ولونجوبوروس الذين يقطنون على بعد خمسة أيام من اقامة الأيكليكاس.

وفي موضع آخر يشير إلى منبع نهر نقرين الذي تشبه طبيعته نهر النيل، بين الأثيوبيين والأيكليكاس (Plini,1851, Lib V, 44) "Oritur inler Tareleos Æthiopas, et Oecalicas" "ينبع بين الإثيوبيين والايكليكاس"، فيجعل ديزونج موقع الأيكليكاس في المنطقة القريبة من منبع وادي نقرين غير بعيدة عن جبل مجور (Desange, 1962, p.229).

على الأرجح أن وادي سوف هو الوادي الذي ينبع من جبال مجور بنقرين –حيث آثار أخاديد الوادي في المنطقة لا تزال بارزة أكثر منها في منطقة سوف بسبب طبيعتها الرملية– ليصل إلى شمال شرق وادي سوف الحالية، حيث أولى التجمعات السكانية في المنطقة، التي تعود إلى الفترة النوميدية والقرطاجية (العوامر، 2007، ص ص 132-133)، وهو الأمر الذي أثار الكثير من وجهات النظر بين المؤيدة والمعارضة للوجود الروماني في المنطقة، من خلال التعرف على العملات التي تعود لتلك الحقبة خاصة الرومانية التي عثر عليها في مناطق متفرقة من الصحراء الشرقية مثل الجنوب التونسي، وادي سوف وورقلة (Maunoior, 1887, p. 83).

كانت المنطقة من شط ملغيغ حتى شط غرسة بحيرة ممتدة تسمى البحر الداخلي من طرف سكيلاكس (Scylax, 2010, Lybie, III, Para.5)، أما هيرودوت فيطلق عليها إسم بحيرة

تريتون(Herodote, 1850, Liv IV,180) ، ونهر النيل لدى بليني اقتباسا من داليون (Dalyon) الذي عاش في القرن الثاني قبل الميلاد تغذيها شبكة وديان منها ما كان ينبع من جبال الأهقار مثل وادي إيغرغارن، ووادي مية ويمر بمنطقة وادي ريغ، ليصبا في منطقة الشطوط الحالية، وكذلك الأمر بالنسبة لوادي سوف الذي يعتبره بعض المؤرخين هو نفسه نهر تريتون الذي يذكره هيرودوت، وقد أثبت الضابط الفرنسي رودير (Roudaire) صحة فرضية وجود مجرى مائي في منطقة شط ملغيغ التي تعتبر حوضا واسعا لتجمع الوديان الصحراوية وادي جدي شمالا، وادي مية جنوب غرب، وإيغرغارن جنوبا، حيث يجتمع الواديان الأخيران ليكونا وادي ريغ جنوب غرب ووادي سوف جنوب شرق (Largeau, 1881, pp. 48-50) .

حسب اقتباس بليني من رواية الجغرافي الإغريقي داليون والذي يخبر بأن الشبكة المائية للمنطقة كانت على اختلاف كبير مما هي عليه في الوقت الحالي، وما يذكره حول شعبي كيزوروس ولونجبوري اللذان يبعدان بخمسة أيام عن الأيكليكاس سكان نقرين، فإن ديزونج يعتقد أن تسمية لونجبوري في الإغريقية تعني رماة الرماح وهي صفة جنود الجيتول الذين اشتهروا برمي الرماح، ويضعهم في منطقة تجمع واديي إيغرغارن وجدي (Desange, 1962, p.229) متجاهلا وادي سوف الذي فقد معالمه بسبب الطبيعة الرملية للمنطقة، لكن بعملية حسابية بسيطة تعادل مسيرة خمسة أيام، ما يقارب 150 كلم من نقرين جنوب البحيرة، فيتوافق موقع القبيلتين مع منطقة سوف على الأكثر ترجيحا.

كما كانت منطقة جنوب غرب تيفاست ذات حضور روماني مبكر، لا يعرف على وجه الدقة تاريخ إنزال الفيلق الأوغسطي الثالث إلى تيفاست، لكن يرجح أنه أنزل إلى أمايديرا (حيدرة) ما بين 6-14م في عهد أغسطس أوكتافيوس أو تيبريوس أواخر القرن الأول قبل الميلاد أو أوائل القرن الأول الميلادي، حيث كانت منطقة غرب البروقنصلية وشرق نوميديا تعرف ثورات الجيتول والجرامنت المتحالفة مع النوميديين، وفي فترة حكم الأباطرة الفلافيين حاول فسبسيان إيجاد مشروع أقل حدة للتوسع جنوب شرق نوميديا، حيث عمل منذ اعتلائه عرش الإمبراطورية على إخضاع قبائل الجيتول والجرامنت، وحتى الفترة ما بين عامي (74 – 75م) لا يزال الفيلق الأغسطي الثالث مرابطا في أمايديرا (حيدرة) ويحتمل أنه بعد تمرد قائده كلوديوس ماكر (Claudius Macer) في 78 م، تم نقله إلى غرب تبسة بؤرة الحضور والثورة الجيتولية وهمزة وصل بين الجرامنت وباقي القبائل النوميدية الثائرة (لخضر، 2018، ص 101-102)، حيث

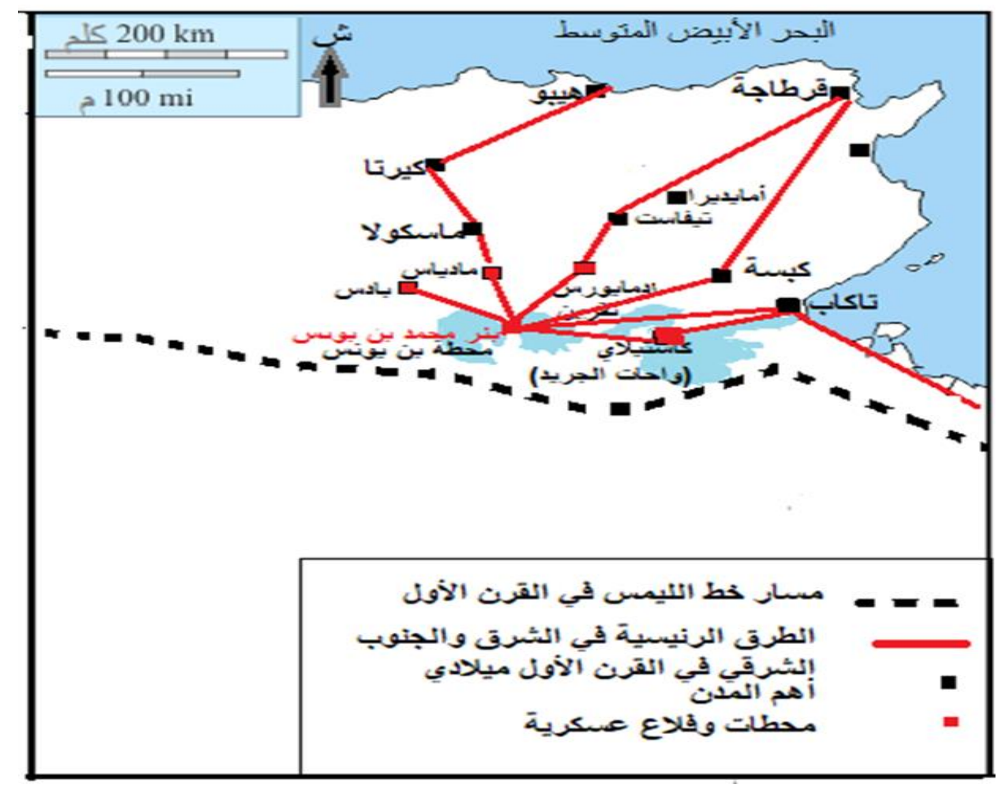
عمل فسبسيان على سد كل الثغور في المنطقة الحدودية بين البروقنصلية وجنوب نوميديا والتقدم من الجنوب نحو الشمال لمنع تنقل قبائل الجيتول والجرامنت نحو مناطق التوسع الروماني، والذين تم تأديبهم ما بين 69 و70، واذا وضع في الحسبان مدى صداقة بليني والإمبراطور فسبسيان حيث كان مرافقا شخصيا له (Pline L'Ancien, 1848, Note, p. 7) وكان حدث نقل الفيلق الثالث وإخضاع القبائل الجيتولية والجرمية من الأحداث البارزة في عهد هذا الإمبراطور (لخضر، 2018، ص 103)، فيبدو أن بليني استفاد من الوثائق العسكرية والشهادات الشفوية لشخصيات عسكرية من الفيلق المشارك في إخماد ثورات الجيتول.

ما تظهره الدراسة الاستكشافية التي قام بها الضابط الفرنسي باريسوت (Parisot) سنة (1873م)، الذي تمكن من العثور على البئر المسماة بئر محمد بن يونس والمعروفة في الوقت الراهن بـ(بير يونس) في منطقة الشكشاك ببن قشة بوادي سوف الحالية، تبعد عن نقرين بـ35كلم والتي يعتبرها الضابط الفرنسي تابعة لواحة نقرين (M. Parisot, 1876, p. 128)، بينما في الوقت الحالي تصنف ضمن الآثار المادية الواقعة شمال شرق ولاية الوادي ويطلق عليها سكان المنطقة إسم "لَبْلِيدَة" تصغيرا للبلدة، والتي يعتقد أنها كانت بقايا لمدينة قديمة في المنطقة، تتكون الأساسات الباقية من بناء مستطيل الشكل، يبلغ طوله 55 مترًا من الشرق إلى الغرب و35 مترا من الشمال إلى الجنوب، يحيط بالمبنى الرئيسي عدد قليل من المباني الأصغر حجما منه، لا يبرز أي جزء من الجدران في الوقت الحالي، بالكاد تظهر الأساسات التي لا تتجاوز مستوى سطح الأرض، يتراوح سمكها من سبعين إلى ثمانين سنتيمترا، تتكون من صفين من الحجارة الصلبة المقطوعة بشكل مربع(Parisot, 1876, p. 129).

مخطط هذه الأنقاض وانتظام الأساسات، وحجم الحجارة وشكلها وترابطها، يثبت بشكل واضح أن موقع بن يونس مركز روماني مهمته مراقبة الطرق الواقعة بين شط عسلوج، شط سالم حتى نهاية شط ملغيغ(Parisot, 1876, p.129).

الشكل رقم 4:

خريطة تظهر ارتباط محطة بن بونس بأهم الطرق الرئيسية في نوميديا والبروقنصلية



المرجع: (إعداد الباحث)

عند الوقوف على آليات ومرتكزات الليمس الروماني الذي يقوم على خطوط دفاعية تتمثل في الخنادق، القلاع وأبراج المراقبة عند مصبات الوديان وبجوار التجمعات السكانية، وأخيرا شبكة الطرقات لربط الاقتصاد الروماني في المقاطعات بالموانئ لتصديره إلى روما، وإذا وضع في الاعتبار وجود بحيرة النيل، أو نهر التريتون في المنطقة، فإن الرومان أنشأوا محطة بن يونس بجوار قبائل لوجنبورو والكيزورس، للتحكم في الطريق الرابط بين شمال سوف وتيفاست.

وهنا تظل إشكالية الحدود الجنوبية لبلاد الجيتول غامضة في المصادر الأدبية، وتوقف الأبحاث الأثرية عند وادي جدي وليمس القرنين والثالث للميلاد يزيد من غموضها، فإذا أخذنا بالقول الذي يجمع كل القبائل خارج حيز الممالك المحلية وغير الخاضعة للرومان جنوبا في بلاد جيتوليا فإن البلاد الصحراوية فزان وبلاد الجرامنت تكون حدودها الجنوبية التي تفصلها عن بلاد الأثيوبيين، وهكذا فإن مضارب القبائل الصحراوية هي حدود جيتوليا الجنوبية، لنعود إلى تقسيم هيرودوت في القرن الخامس لليبيا: الشريط الساحلي، ليبيا الداخلية، وليبيا الصحراوية، وتصبح ليبيا الداخلية هو القسم الذي تتموقع فيه بلاد الجيتول.

ومن خلال نصوص الحرب الإفريقية فإن موقع الجيتول غير بعيد عن كيرتا، وحسب خريطة بوتنجيي جنوب كيرتا نواحي قاديوفالا (Gadiaufala) قصر صبيحي شمال أم البواقي حاليا، ومادور مداوروش حاليا حسب أبوليوس (Apulée) الذي يفتخر بأصله المزدوج نوميدي وجيتولي "Semi Numidi, Semi Geatuli"، ويتجه الشريط الحدودي الجيتولي حسب خريطة بوتنجيي نحو الشرق مارا بيوكوس (Ad Aqaus) ثم قليلا إلى غرب تبسة، فشرق ثلبت فريانة المدينة القديمة ليشمل كبسة (قبائل الكابستاني) التي ورد ذكرها لدى بليني وكذلك أيضا لدى سالوستي (Plini, 1851, Lib V, I, 20; Sallusti, 1971, XVIII)، وعموم واحات الجريد التي يطلق عليها كاستيلاي (Castellae) وتشمل كل من نفطة (Nepte)، توزر(Thusuros) وأكاي (Aguae) الحامة حاليا، بالإضافة إلى تجيس (Thiges) ديغاش حاليا، والتي عثر فيها على العديد من الآثار الرومانية، ويرجح أن وصول الرومان اليها كان منذ عهد حكم أوكتافيوس أغسطس، أثناء الحملات الصحراوية ضد الجيتول الثائرين (Trousset, 1995, p. 2462).

بالإضافة إلى الشعوب المتواجدة جنوب منبع الوادي الذي يصب في البحر في مواجهة جزيرة جربة ويطلق عليهم باجي جتول (Bagigétuli) بمعنى الجيتول الرحل (Desange, Gétules, 1998)، كما يضع ديزونج قبيلة الكنيثي في جيكتيس في بوغرارة الحالية بالقرب من السرت الصغير(Desange, 1962, p. 86) ، ويمتد الشريط الجيتولي على طول الساحل الطرابلسي حسب إشارة فرجيل (Vergilii) في الإنيادة (Eniéde):

"Delegi comites vires Nunc animos, quibus in Gaetulis Syrtibus usi maleærque Ionique Mari sequacibus undis" (Vergilli, 1886, Lib V,190-193)، "اخترتم الشجاعة التي مكنتكم من عبور سرت الجيتول ومن غضب البحر الأيوني".

ويعتقد ديزانج أن شعب جيتول السرت هو من قدم المساعدة لقيصر أثناء الحرب الإفريقية ضد يوبا الأول حوالي 46 ق.م (ينظر الشكل رقم 3) (Desange, Gétules, 1998, p. 3063).

وبصفة عامة يتباين نمط معيشة جيتول الشرق ما بين بدو مرتحلين وساكنة المدن، فسكان كبسة والساحل الطرابلسي على سبيل المثال برزوا من خلال المصادر سكانا متمدنين في عهد يوغرطة، في حين الباجي جيتول بدوا رحلا، كما أن المصادر لا تذكر إلا القبائل المجاورة للمستوطنات الرومانية والمدن المترومنة ولا يعثر على أدنى إشارة بسيطة لباقي الإقليم الجيتولي.

5- القبائل الصحراوية:

5-1- الصحراء الشرقية: ذكر بليني عددا من شعوب الصحراء وهم:

5-1-1-الجرامنت: كما سبق وأشير إليهم في فصل سابق، هم سكان جرمة، قبائل فزان "ubi gentem Phazaniorum"، و"Cydamum " "غدامس"، وكل المنطقة الصحراوية هي منطقة انتشار الجرميون، ولأن بليني لا يعطي تسميات للشعوب مرتبطة بإثنية معينة بل في مجملها نابعة من صفات أو نسبة لمناطق لإقامتهم (Plini,1851, Lib V, V, 30).

5-1-2-قبيلة الأمانينتس: يذكر بليني قبائل الأمانينت غرب السرت الكبير قائلا:

"Hammanientes vndecim dierum itinere a Syrtibus maioribus ad Occidentem، et ipsi quaqua versus harenis circundati, puteos tamen haud difficiles binum ferme cubitorum inueniunt altitudine" (Plini, 1851, Lib V, 5)

" الأمانيتس على مسيرة اثنا عشر يوما من السرت الكبير نحو الغرب، محاطون بالرمال، يجدون بسهولة ينابيع على عمق حوالي ذراعين" وهو الأمر عينه سوليني الذي أكتفى بذكر الإشارة المختصرة لهؤلاء السكان (Solini, 1757, XL)، يعتقد سان مارتن أن الأمانينتس هم سكان الحمادة الحمراء بين جبل غريان ورأس مصراتة (Saint Martin, 1863, p.115)

5-1-3- التروجليدتاس: يحدد بليني موقعه "Ab his ad Troglodytas hyberni Dierum IIII iter, cum quibus commercium gemmae tantum, occafus plaga quam carbunculum vo camus,ex Aethiopia"(Plini, 1851, Lib V, VIII, 40) "على بعد مسيرة أربعة أيام إلى الغرب يأتي التروجيلدتاس لا يمتلكون تجارة أخرى غير تجارة الحجارة الكريمة التي يسميها الرومان "carbunculum" وتجلب من إثيوبيا، عمل التروجيلديتاس كوسطاء تجاريين.

5-1-4-سكان أوجيلا (الأوجيليون Augylasque): نسبة لواحة أوجيلا، يشير إليها بليني شرق جرمة باثني عشر يوما(Plini,1851, Lib V, VIII, 40)، تطرق هيرودوت إلى الرحلة الموسمية لقبيلة النسامونيين، إلى هذه الواحة التي تشتهر بإنتاج التمور.

5-1-5 الشعوب المذكورة في قائمة نصر كورنيليوس بالبوس (Cornelius Balbus): لقد أثارت مسألة الشعوب والمدن التي ذكرها بليني في مسيرة حملة كورنيليوس بالبوس (Plini, 1851, Lib V, V, 33) جدلا واسعا بين الباحثين، منذ القرن التاسع عشر حيث يضع أجاسون دو غرانزنيي (Ajasson de Grandsagne) أحد مترجمي كتاب بليني"Niteris natio" أمة النتريس، واحدة من شعوب وادي نطورن غرب النيل في مصر

الحالية، كما يضع "Bubeium natio" "أمة البيبيوم" في واحة الكفرة جنوب شرق ليبيا الحالي و"Enipi natio" شعب الأونيبي في غريان بليبيا الحالية (Plinr L'Ancien,1829,Not, p.178)، أما ديزونج فيضع الأونيبي ما بين جبال باتنة وشط الحضنة، ويبرر رأيه وفقا للترتيب المنطقي لتسلسل المدن والشعوب المذكورة في هذه الفقرة natio Enipi, Tbuben oppidum, "mons nomine Niger" "أمة الأونيبي، مدينة طبنة، والجبل المسمى نيجر" (Plini, 1851, Lib V, V)، لكن رأي ديزونج لا يستند إلى دعم مادي حيث أن أخطاء بليني متتالية فيما يخص توقيع المدن والشعوب، حيث وقع في الخطأ فيما يخص المدن الساحلية الشهيرة نسبيا لدى الرومان، فلا غرابة أن يختلط عليه الأمر في المناطق الداخلية والصحراوية.

يضع الباحثون (Plini, 1851, Lib V, V, 31)"Discera natio" أمة ديسكرا" مع منطقة بسكرة الحالية، وهو أمر غير مثبت تاريخيا وجغرافيا، حيث لم يحدد المعاصرون موقع فيسكرا تحديدا جغرافيا دقيقا، وكل ما ورد بشأن إشارة بليني الكبير للمنطقة وشعوبها، إختلفت الآراء حوله، بين من يرى أن الموقع حقيقة هو في بلاد الجرميون، لأن إنطلاقة القائد الروماني كورنيليوس بالبوس يرجح أنها كانت من الساحل الطرابلسي نحو بلاد الجرميين، بينما يرى آخرون استنادا لترتيب المدن والشعوب لدى بطليموس، حيث وضع فسيكرا كواحدة من المدن بمحاذاة نهر نقريس، ويذهب الباحثون إلى أن القائد الروماني لم يستخدم الطريق المباشرة المذكورة، بل انطلق من الساحل الطرابلسي نحو تيفاست وفيسكرا واتجه جنوبا نحو الجرميين لكن رواية بليني واضحة جدا حيث جعل انطلاقة القائد الروماني كورنيليوس بالبوس من أويا نحو بلاد الجرامنت عبر طريق مختصرة بأربعة أيام، ولا يعقل أن تكون الطريق من أويا نحو نحو تيفاست ثم المرور على موقع بسكرة الحالية ثم الإتجاه جنوبا نحو بلاد الجرامنت طريقا مختصرة (أيوب، 1969، ص ص 140-142)، وقد سجل الكتاب المرافقون له كل أسماء المدن والشعوب التي مروا عليها، ويذكر أنه حمل في موكب النصر الذي حظي به في روما صور وأسماء الأجناس والمدن التي أخضعها في تلك الحملة (خشيم، 1976، ص 83).

أما بالنسبة لأمة الناناجي "Nannagi natio" التي يذكر دو غراندزاني أنها وردت بتهجئة مختلفة في عدة نسخ أصلية من مدونات الجغرافية التاريخية على هذا الشكل "Damagi" ويعتقد أنهم سكان واحة تراغن جنوب غرب ليبيا (Pline L'Ancien, 1829,Not, p.179).

5-1-6-الجمفزانتاس (Gamphasantas) (Plini, 1851, Lib V, VIII, 40): ذكرهم قبل بليني هيرودوت (Herodote, 1858, Lib IV,174) وذكر بأنهم شعب جبان، يرجح أن تسميته وردت خطأ، حيث ذكرت في مخطوط واحد من تاريخ هيرودوت، ثم توالت الإقتباسات منه، ذكروا لدى ميلا (Mela, 1842, Lib I, 37) ، ومن الآراء ما يذهب إلى أن الجمفازنتاس هم جرميين رحل يرتبط اسمهم بصحراء فزّان، يقيمون على الطريق الرابط بين غدامس ومطماطة (Desange, 1998, Gamphasantes, pp. 2961-2962).

5-1-7-الليبومصريون (Libyagyptii)(Plini, 1851, Lib V, VIII,30) : من خلال التسمية المركبة من الليبيين والمصريين، فهم عرق مشترك بين الليبيين والمصريين على غرار شعب الليبوفينيين في منطقة البيزاسيوم، يفترض موطن إقامتهم على الحدود المصرية الليبية شرقا، لكن بطليموس يشير اليهم بالقرب من الواحة الكبيرة والصغيرة على طريق دارفور عاصمة السودان الحالية (Pline L'Ancien, 1829,Not, p.185)، يجدر الذكر بأن الرومان قد لامسوا صور الامتزاج الاجتماعي بين المجموعات العرقية في بلاد المغرب وشعوب الجوار، كما يمكن التعرف من خلال هذه الصورة إلى الامتداد الجغرافي للانتشار شعوب بلاد المغرب القديم.

5-1-8-الجيمنيت Gymnetes(Plini, 1851, Lib V, VIII, 30) : وتعني الأقوام العراة الذين يسيرون دون ملابس، وعلى قلة المعارف حول هؤلاء إلا أن الباحثون يفترضون أنهم سكان الأهقار بالجنوب الجزائري(Pline L'Ancien, 1829, Not, p 193) .

5-2- سكان صحراء موريطانيا: أشار بليني إلى مجموعة من الشعوب تقطن الصحراء الموريطانية (Plini, 1851, Lib V, VIII, 40) ، مثل سكان الأطلنتس"Atlantas" بمحاذاة المحيط، والذين يشير إليهم بنفس اسم الجبل، وبالنسبة لهيرودوت فيشير إليهم بإسم الأترونت بجوار الجرامنت والنسامونيين(Hérodote,1858, Liv IV, 183-185)، غير أن ديزونج يعتبر هذه الأمة مجهولة الإقامة في بلاد المغرب القديم بسبب تباين تحديد مواقعها الجغرافية، في حين يضعها ديودور الصقلي على المحيط الأطلسي(Diodore de Sicile,1851, Liv III, 54,56)، بالنسبة للتروجليد في هذه الفقرة يرى دو غرنزاني أنهم ليسوا التروجليد المذكورين بجوار بلاد الفزّان الذين امتهنوا تجارة القوافل وبرعوا في تجارة الحجارة الكريمة (Pline L'Ancien, 1829, Not, p189)، لكن هؤلاء هم الذين ذكرهم هيرودوت وأشار أنهم يحفرون بيوتهم تحت الأرض جنوب ليبيا الحالية (Hérodote,1858, Liv IV, 184)، أما شعبي الفاروسيين "Pharusi"

والبيرورسي "Perorsi" الذين يعتبرهم أسلاف الفرس المجندين في جيش هرقل، وعندما توفي هذا الأخير تفرق جنده ومن بينهم الفرس الذين استوطنوا صحراء بلاد المغرب، وجدت أسطورة هذا الأصل لدى سالوستي الذي اقتبسها بدوره من كتاب ملك موريطانيا يوبا الثاني(Sallustii,1971,XVII,XVIII).

يشغل الفاروسيون والبيرورسي المنطقة ما بين رأس غير (Cap Ger) رأس النون و(Sobi) جنوب المغرب الأقصى الحالي، أما الأثيوبيون الدرعاويون "Éthiopiens Daratites" نسبة إلى نهر درعة بإقليم السوس الحالي بالمغرب الأقصى، فهم أصحاب البشرة القاتمة الذين سقيمون على حواف وادي سوس (Desange, 1960, pp.230, 233,213)، ويقطن اللوكواثيوبي "Leucoe Aethiopes" على حافة المحيط الأطلسي جنوب موريطانيا، وهم حسب بطليموس تقع مضاربهم ما بين رأس روسادير ونهر ماسا، وهم نتيجة إمتزاج بين الليبين القدامى والإثيوبيين (Pline L'Ancien, 1829,Not, p. 185)، غير أن جزيل يرفض هذه الفرضية ويرى بأن اللوكواثيوبي هم أحد أقوام الجيتول الممتدة من المحيط الأطلسي وحتى بلاد الجرامنت شرقا(Gsell, 1918, p.299)، ومثلما أخلط بليني في توقيع حدود المقاطعات المغاربية، لم يفرق بين الشعوب التي تنتمي إلى البروقصنلية ونوميديا، فقد أخطأ كذلك في تحديد الشعوب التي تنتمي إلى صحراء المغرب القديم وإثيوبيا مثل "النقريتيس" "Nigrites" والهيمونتوبوداس "Himantopodas" (Plini 1851, Lib V, VIII,43-44).

ضف إلى ذلك حشد مجموعة من الشعوب الأسطورية مثل: الأجيبانس "Aegipans" ، الساتير"Satyres" ، البيلوميس "Blemmyes" برؤوس مقطوعة وعيون في الصدر، الكناري "Canariens" (Plini, 1851, Lib V, VIII,44) التي اقتبسها من مدونات الإغريق دون تمحيص، فالأجيبانس هم مخلوقات خرافية، تتكون من جسد إنسان قصير مكسو شعر، له قرنان وأرجل ماعز، والساتير يشبه الأجيبانس وإلى جانب كثافة شعر جسده له أذنين وأرجل معزاة وذيل ويظهر كذلك على شكل إنسان يقيمون في الصحاري (Commelin, 1991, pp. 188-189) أما الكناري فيشبههم بالكلاب في هيئتهم وعاداتهم الغذائية (Desange, 1960, p. 212).

خلاصة الفصل:

من خلال دراسة هذا الفصل المتمثل في شعوب وقبائل افريقيا في عصر بليني فإنه يمكن الخروج بالنتائج التالية:

– على الرغم من بعض الأخطاء التي وقع فيها بليني في تحديد مواقع ومضارب القبائل الإفريقية في شمال المقاطعات مثل البروقنصلية ونوميديا، إلا أنه تمكن من نقل وضعها الإداري وعلاقتها بسلطة الاحتلال الروماني في عصره، مثال على ذلك النتابودس، السبربر، النسيف، الموسولامي وغيرها. وهذا ما يؤكد استفادته من الوثائق الإدارية والعسكرية للإدارة الرومانية في بلاد المغرب القديم.

– تظهر بعض الاقتباسات التي لجأ اليها بليني لسد الثغرة المعرفية في تعيين شعوب المنطقة الشرقية من بلاد المغرب مثل مارمريد، قورينة والقبائل الداخلية من السرت الكبير، حيث يظهر الارتباك وعدم الدقة في تحديد المواقع الجغرافية للقبائل، ولعل مرد ذلك إلى حالة الهدوء السياسي للمنطقة مما يجعلها فقيرة إلى المعلومات الإدارية إلا في فترات معينة.

– على الرغم من سيطرة الرومان على حيز جغرافي كبير من بلاد المغرب لكن السيطرة الحقيقة على أطراف الليمس الروماني ورفارف الصحراء كانت صورية فقط، وهذا ما توضحه صورة شعوب المنطقة الصحراوية في كتابات القدامى، صورة باهتة يكتنفها الغموض والأسطورة أكثر من سرد وضع جغرافي أو اجتماعي معين.

– عندما يتوقف الباحث عند قائمة كورنيليوس بالبوس للشعوب التي أخضعها واستعرضها في موكب النصر عند دخوله مدينة روما، والتي استعان بها بليني تحديد مواقع الشعوب الصحراوية التي أخضعها، سيجد قائمة اسمية مجهولة تتسع لجميع الفرضيات، وهذا ما يحمل عدة تفسيرات أن عملية الإخضاع لم تكن حقيقية بل هي صورة من صور الغارات على تلك الشعوب في الصحراء القاصية، وكنوع من التمجيد لهذه الحملات تم تدوين أسماء لشعوب وقبائل مختلفة دون تمحيص، لأن تواجد الرومان في الصحراء لم يطل، أو هي توع من الدعاية السياسية التي دأب الأباطرة الرومان على استخدامها من أجل تعزيز أمن الإمبراطورية.

– على الرغم من المكانة العلمية التي يتحلى بها بليني بين كتاب عصره، لكنه لم يتغلب على رغبته في نقل الغريب والعجيب عن شعوب العالم القديم، لإمتاع القراء الرومان، فلجأ إلى توظيف الأسطورة الرومانية في وصف وتشبيه بعض القبائل في بلاد المغرب خاصة في الأقاليم الصحراوية.

قائمة المراجع:

I – المراجع العربية:

1 – الأحرش، عبد العزيز. (1999). بداية البحث الأثري في الجزائر – الفترة الإستعمارية. *مجلة آثار*.

2– أيوب، محمد سليمان.(1969). جرمة من تاريخ الحضارة الليبية. ليبيا : دار المصراتي للطباعة والنشر.

3– بطليموس، كلاوديوس. (2002). وصف ليبيا ومصر، (تر: محمد المبروك الذويب). بنغازي: دار الكتب الوطنية.

4– بن محمد الساسي العوامر، ابراهيم. (2007). *الصروف في تاريخ الصّحراء وسوف، تع: الجيلاني بن ابراهيم العوامر*. الجزائر: ثالة للطباعة.

5– فاضل، لخضر. (2018). تبسة في العصور القديمة، أطروحة دكتوراة في التاريخ القديم. وهران : جامعة وهران 1 أحمد بن بلة.

6– العقون، محمد العربي. (2008). الإقتصاد والمجتمع. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

7– كامبس، قابريال. (2009). في أصول بلاد البربر ماسينيسا وبداية التاريخ. الجزائر، (تر: محمد العربي عقون): المجلس الأعلى للغة العربية.

8– لزوانيلز، تشارلز. (1991). الجرمنتيون سكان جنوب ليبيا القادامى. طرابلس: دار الفرجاني.

9– مسرحي، جمال. (2015). المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني من سيفاكس الى تاكفريناس 203 ق.م– 24م. موفم للنشر: الجزائر.

II– المراجع الأجنبية:

1- Berrugger, A. (1866, Janvier). *Civitas Natabutum, Inscription Relevée a Omm Gurigche. Revue Africaine* , pp.60-71.

2- Callegarin, L, & Moreau, J. (2009). *Le Getule: Cet Autre insaisissable. Figures de L'Etranger Autour de La Méditerranée Antique* , pp.203-222. Patis: Université de Paris I.

3- Camps, G. (1995). *Djdai. Encyclopédie berbère*, n °16. Pp.2422-2424.

4- César, J. (1905). *Bellum Africanum*. Berlin: Weidmannsche Buchhandlung.

5- Commelin, P. (1991). Mythomogie Grecque et Romaine. Paris: Clasique Garnier.

6- Commentaria in C. Iulii Solini Polyhistora, et Lucii Flori de Romanorum rebus gestis.(1757). Basileae [Basel]:Per Henrichum Petri. Cum Caesareae maiestatis gratia & priuilegio.

7- Constans, A. (1914). *Inscriptions de Gigthis (Tunisie*) . Mélanges de l'école française de Rome ,n °34. pp.267-286.

8- Desange, J. (1962). *Catalogue des Tribus Africaines De L'Antiquité Classique A L'Ouest Du Nil*. Dakar: Publications De La Section D'Histoire.

9- Desange,J.(1980). Pline l'Ancien, Histoire naturelle, Livre V, 1-46. Commentaire. paris: les belles lettres.

10- Desanges, J. (1989).Araraukeles ou Acrauceles. Encyclopédie berbère, n°6, 850. Doi: https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2575
11- Desange,J.(1990). *Autolatae/ Autololes/ Autoteles. Encyclopédie Berbère*, n°8, pp. 1175-1176. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.154 .
12- Desanges,J. (1998). *Gamphasantes, Encyclopédie berbère*, n°19 , pp.2961-2962. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.1987.
13- Desange, J. (1998). *Gétules. Encyclopédie berbère*, n°20 ,pp.3063-3065. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.1910.
14- Desange, J. (2010). *Masaesyli / Masaesyles. Encyclopédie berbère*, n°30,pp. 4630-4631. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.478.
15- De Saint Martin, V.(1863). *Le nord de l'Afrique dans l'antiquité grecque et romaine: étude historique*. Paris: Imprimerie Impériale.
16- Diodore de Dicile. (1851). *Bibliothèque historique*, Tome III, Liv XV-XXVI, (Trad: M. Ferd Hoefer). Paris: Adolphe Delahays Libraire.
17- Dupuis, X. (les 2 et 3 mai 1997). *Cuicul, La Confédération Cirtéenne et Les Suburbures* . actes de la table ronde Frontières et limites géographiques de l'Afrique du Nord antique (pp. 129- 138). Paris: Publications de la Sorbonne.
18- Euzennat, M. (1993). *Cerné Kepnh.. Encyclopédie berbère*, n°12, 1853-1854. Doi: https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2093.
19- Flavius, J. (1836). *Œuvres complètes Histoire Ancienne Des Juifs*, (Trad: J. A.C. Buchon, Paris: A. Desrez Libraire- Editeur.
20- Gsell, S. (1911). *Atlas Archéologie de L'Algerie.* L'Algerie: Adolph Jourdrdan Imprimeur Libraire- Editeur.
21- Gsell, S. (1911). *Le Climat De L'Afrique Du Nord Dans L'Antiquité.* Alger: Typographie Adolphe Jourdan Imprimeur-Libraire- Editeur.
22- Gsell, S. (1927). Histoire Ancienne de L'Afrique du Nord, Tome V. Paris: Librairie Hachette.
23- Gaffiot,F. (1934).*Dictionnaire Latin Français*. Paris: Edition Hachette
24- Herodote.(1850). *Histoire*, Tome I, Liv IV. (Trd: Larcher). Paris:Charpentier Libraire-Editeur.
25- Italici,S. (1890).*Punica*, Vol Prius, Lib I- X. Lipsiae: in Aedibus B.G. Teubneri.
26- Hamdoune, C. (1993). *Ptolémée et La Localisation des Tribus de Tingitane. Melange de L'Ecole France de Rome* , Vol 105-1. pp. 241-289.
27- Laporte, J-P. (2012). *N'gaous (wilaya de Batna), antique Nicivibus (Numidie) : Histoire antique, médiévale et moderne. Encyclopédie berbère* ,n °34, pp.5538-5549. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2736.
28- Laporte, J-P & M'Charek, A. (2010). *Musulames. Encyclopédie berbère*,n° 32. Pp.5144-5155. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.670.
29- Largeau, V. (1881). *Le Sahara Algerien Les Déserts de L'Erg*. Paris: Libraire Hachette.

30- Livii, T. (1883). *Ab Urba Condita, Lib XXIII*. Berolini: Apud Weidmannos.
31- Lucain, M. A. (1836). *Pharsal*, Lib V, (Trad: M. J.J . Courtaud-Divernéresse). Paris: C. L. F. Panckoucke.
32- Naddari, L. (2008). *Entre coloni et Musulamii: une opération de délimitation des terres sous Trajan dans la vallée de l'Ouèd Sarrat*. Actes du 5e colloque international sur l'Histoire des Steppes tunisiennes (pp. 157-183). Tunis: N. E.
33- Naddari, L. (2014). *Sufetua et Les Musunii. Voyages, déplacements et migrations* (pp. 21- 32). Paris: l'Académie des Inscriptions et des Belles Lettres.
34- Maunoior, C. (1887). *Lecture d'Un Rapport de M.Hamy Sur Le Bulletin, nº22 de l'Académie d'Hippone. Bulletin de Géographie Historique et Descriptive.*
35- Mela, P. (1843). *Géographie*, (Trad: Louis Boudet). Paris: C.L.F Panckoucke Editeur.
36- Parisot. (1876). *Ruines Romaines de Bir Mohamed Ben Iounes, Situées au Sud- Ouest de Negrine*. *Recueil des notices et mémoires de la Société Archéologique du Département de Costantine*.
37- Plini, S. (1851). *Naturalis Historiae, Lib I- V*. Lugduni: Cesar et Maiest Christiani Regis Galliarum.
38- Plini, S. (1882). *Naturalis Historiae (XVI- XXII)* , Lib XXI. Lepsiae: In Aedibus B. G. Teubneri.
39- Pline L'Ancien. (1848). *Histoire Naturelle, Tome 1, (Trd: E. Litré)*. Paris: J.J. Dubochet, Le Chevalier et Comp, Editeurs.
40- Pline L'Ancien. (1829). *Histoire Naturelle, Tome 1,(Trd: Ajasson de Grandesagne)*. Paris: C.L.F. Panckoucke.
41- Polybe. (1847). *Histoire Générale*. *Tome III, (Trad: Félix Bouchot*). Paris: Charpentier Liberaire-Editeur.
42- Rebuffat, R. (2001). Les Tribus en Maurétanie Tingitane. Antiquités Africaines, n ° 37, pp.23-44. https://doi.org/10.3406/antaf.2001.1330.
43- Renier, L. (1866). *Inscription Inédite Récemment Découverte en Algérie. Revue Archéologique* , Vol 13.pp. 100-102.
44- Sallusti, C, C. (1971). *de Bello Jugurthino liber* . Campridge: At The Univesity Press.
45- Scylax. (2010). *Voyage de Scylas de Caryande*. Paris: Cougny et Henri Lebègue, Sur: Philippe Remacle, sur: http://remacle.org/bloodwolf/erudits/skylax/table.htm.
46- Strabon,(1868). Géograhie, Tome III, Lib XVII, (Trd: Amédée Tardieu). Paris: Librairie Hachette.
47- Taciti,C. (1858). Historiarum Libri, Leipzig: Druck Und Velag Von B.G. Teubner.
48- Taciti,C. (1839). *Annalium*. Neapoli: ex Typographia Simoniana.

49- Trousset, P. (1993). *Capsa*. *Encyclopédie berbère* ,n°12, pp.1757-1760. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2056

50- Trousset, P. (1995). *Djerid (Jérid, Castiliya)*. *Encyclopédie berbère* ,n° 16, pp. 2461-2465. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2189.

51- Vergili, M. (1886). Ænied. Lipsiae: B. Tavehnitz.

الباب الثاني: قرطاجة في الكتابات الرومانية

I – قرطاجة: المؤسس وتاريخ التأسيس

II – نساء قرطاجيات في المصادر الرومانية

III – قرطاجة والعالم المتوسطي



I – قرطاجة: المؤسس وتاريخ التأسيس

1 – الشخصية المؤسسة لقرطاجة

2 – الظروف العامة في حوضي المتوسط التي أسهمت في تأسيس قرطاجة

3– رواية عليسا وجلد الثور لدى الكتاب الرومان

4– تاريخ تأسيس قرطاجة بين المصادر الأدبية والأبحاث الأثرية

1- الشخصية المؤسسة لقرطاجة:

نظرا للمكانة السياسية والاقتصادية التي تميزت بها قرطاجة في الحوض الغربي للمتوسط والعلاقات التي ربطتها بمختلف الشعوب القديمة، جعلتها محل جدل تاريخي في العصور القديمة وكذلك في الفترة المعاصرة، خاصة فيما يتعلق بمؤسسها وتاريخ تأسيسها، من بين النصوص القديمة التي صمدت حتى هذا العصر والتي تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد تقريبا حيثيات تأسيس المدينة، فيذكر تيمايوس **(Timæi)**[1] في إشارته إلى الملكة الفينيقيّة مؤسسة مدينة قرطاجة:

Thiosso. hanc dicit Timaeus Phoenicum lingua Helissam appellatum sororem ess Pygmalionis, regis Tyriorum, quae Carthaginem in Libya condidisset. Etenim quun maritus ejus a Pygmalione interrefectus esset, opibus in navibus imposilis, Cum civium nonnullis fugit, et multas perpessa calamitates Libyam appulit,…, indigenis appullata est Dido (Muller, 1885, Timaei Frgmnt, p.197).

يقول تيمايوس عن تيوسو والتي تسمى باللغة الفينيقية عليسام شقيقة بيجماليون ملك صور، التي أسست قرطاجة بليبيا، بعدما قتل بجماليون زوجها، جمعت ثروته في السفن وفرّت مع عدد من المواطنين، وعانت الكثير من المصائب، حتى نزلت بليبيا،...، أطلق عليها السكان المحليين اِسم ديدو.

بعد فنائها بزمنٍ في أواخر القرن الاول قبل الميلاد ألهمت قرطاجة قريحة الشاعر الروماني فرجيلوس، فكانت عليسا الشخصية الرئيسية برفقة الجد الأسطوري للرومان إنياس (Æneas) الذي فرّ من طروادة ورمته العاصفة على سواحل قرطاجة في إنيادة (Vergili) وعند سؤال إنياس الإلهة فينوس **(Vénus)** عن المكان تجيبه قائلة:

Tyria regit urbe profecta,
Germanum fugiens. Longa est injuria, longæ
Huic conjux Sichæus erat, ditissimus agri
Phænicum ,...
Cui pater intactam dederat, primisque jugarat
Ominibus. Sed regna Tyri germanus habebat

[1] – بالنسبة للفترة التي عاشها تيمايوس فهي محل خلاف بين المؤرخين فيما يضعها الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر في منصف القرن الرابع وبداية القرن الثالث، فإن محمد حسين فنطر يضع أواخر القرن الثالث حيث يرى أن تيمايوس معاصر للحرب البونية الأولى 264-241 ق.م أو معاصرا لمن عاشها، ولكل فترة حيثيات وظروف تبرر الرواية في ظل الصراع الإغريقي الروماني ضد قرطاجة، للمزيد ينظر: (بورونية والطاهر، ص ص 90 – 91 ;Fantar, 1992, p. 1670)

Pygmalion, scelere ante alios immanior omnes
Quos inter medius venit Furor...(Vergili, 1886, Lib, I, 340-348)

ديدو التي فرت من بلاط مدينة صور بعدما ضبطت

خطة للفرار من وحشية شقيقها...

تزوجت من سيشوس أغنى رجل في فينيقيا...،

سلمها له والدها ضمن تقاليد الزواج المقدس

لكن الحكم إستلمه شقيقها بجماليون أكثر الناس شرا

واندلع الخلاف بين الأخوين

كما وردت إشارة للأصل الصوري لقرطاجة لدى ليفي عندما ذكر رحلة حنّبعل إلى صور حيث قال: "exceptusque a conditoribus Carthaginis ut ab altera patria" " أُستقبل لدى مؤسسي قرطاجة في الوطن الآخر"(Livi, 1873, XXXIII, 49)، وفي القرن الثاني للميلاد يشير جوستيني في مختصر التاريخ الفليبي (Historæ Philipicæ) لصاحبه الأصلي تروغوس بومبيوس (Trogus Pompeus) من القرن الأول قبل الميلاد بالآتي:

> assumptis quibusdam principibus in societatem, quibus par odium in regeni esse,…, Primus illis appulsus terrae Cyprus,…, Itaque Elissa delata in Africœ sinum, incolas loci ejus adveutu peregrinorum,…, deinde empto loco, qui corio bovis tegi posset, in quo fessos longa navigatione socios, quoad proficiscerctur, reficere posse corium in tenuissimas partes secari jubet,..., occupât : unde postea ei loco Byrsae nomen fuit (Justinii, 1830, Lib XVIII, IV,5).

فرت عليسا برفقة الأعيان الذين يكنون الكراهية للملك،...، أولا حطت رحالها في جزيرة قبرص،...، ثم إلى سواحل إفريقيا أين فرح السكان بالأجانب،...، اشترت بحجم ما يغطيه جلد ثور من الأرض ليستريح عليه مرافقيها المنهكين من الرحلة الطويلة، ويتم تقطيعه إلى شرائط رقيقة،...، لتشغل فيما بعد حيز المدينة التي ستسمى بيرسا.

وتكتمل الرواية بأحداث مشابهة لرواية جوستيني حيث بعد مقتل بجماليون لصهره بدافع الاستيلاء على ثروته، تفطنت عليسا لمؤامرة شقيقها وقررت الفرار رفقة مواليها في القصر ووصلت إلى ليبيا، لتؤسس مدينة قرطاجة (Vergili, 1886, Lib. I, 367).

كذلك الأمر بالنسبة لسيليوس إيطاليكوس، على الرغم من كونه شاعرا متأخرا عن فرجيليوس، يعود إلى القرن الثاني للميلاد، لكن يبدو تأثره بمن سبقه واضحا، فلم يحد عن النصوص السابقة عندما يُذَكّر بالأصول الصورية لقرطاجة فيقول:

hue adigunt Furiae? non haec Sidonia tecta
feminea fabricata manu pretiove parata,
exulibusve datum dimensis litus harenis..(Italicus,1836, Lib I, 444-446)

هذه ليست مدينة صورية

بنيت بأيدي امرأة أو تم شراؤها مقابل المال،

هذا ليس شاطئًا بمساحة محسوبة من الرمال، منح للمنفيين.

وفي مقطع آخر يشير مرة أخرى إلى الضريبة السنوية التي تدفعها قرطاجة للليبيين

pretio mercata locos noua moenia ponit,
tauro Cingere qua secto permissum litora (Italici,1836, Lib I, 24-25)

اشترت قطعة أرض

بمقدار جلد ثور على الشاطئ لتنشأ عليها أسوار مدينتها.

وقد ظل صدى تأسيس قرطاجة حاضرا في الكتابات الرومانية حتى القرن الثالث للميلاد في رواية سوليني التي تفيد بأن "Adrynieto alque Carthagmi auctor est a Tyro populu"(Solini, 1757, XLI) "الشعب الصوري هو من أنشأ قرطاجة".

أما رواية فيلستوس السيراكوزي (Philistus de Syracus) التي تعود إلى أواخر القرن الخامس أو بداية الرابع قبل الميلاد فهي مختلفة لكنها لم تنتشر كما انتشرت رواية تيمايوس على الرغم من تقارب المدة الزمنية للكاتبين، حيث يقول بأن من أسس قرطاجة هما رجلان من صور، أحدهما يدعى أزروس(Azoroz) والآخر كارخيدون (Karchedon) في 1213 ق.م، كما جاء ذكرها في القرن الثاني للميلاد لدى أبيان الإسكندري حيث يقول "استقر الفينيقيون في قرطاجة في ليبيا قبل خمسين عاما من دمار طروادة" (Appien, 2020, 1)، أما بالنسبة لسترابون فيوافق على رأي تيمايوس ومينااندار الأفسسي، الذي يرى أن المدينة من تأسيس امرأة صورية تدعى ديدون(Strabon, 1880, Liv XVII, III, 15) .

وفي غياب المصادر القرطاجيّة التي تروي أحداث النّشأة الأولى للمدينة، ظلّت النصوص الإغريقيّة واللاتينيّة القديمة لفترة من الزمن يُحْكَم على ما ورد فيها بالبعد عن الواقع التاريخي وعدم الدقّة والاسترسال القصصي، لكن مع تطور الدراسات الحديثة التي أجريت حول اِسم

الأميرة عليسا الذي ورد لدى الكتّاب الإغريق، وما يوافقه في اللغة الفينيقيّة عليشا أو عليشات (Elishat)، وهي تسمية شائعة في المجتمع الفينيقي(Camps, 1995, pp. 2310-2311) ، كما يتضح من قراءةٍ لنقشٍ حجريّ عُثر عليه في مدينة نورا (Nora) بجزيرة سردينيا الذي يعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد (ينظر الشكل رقم 1)، والذي ظلّت بقايا منه سليمة، تشير إلى المستوطنتين الفينيقيتين في ترشيش الإسبانية وجزيرة سردينيا، كما يشير إلى شخصيتين ملكيتين أطلق على الشخصية الأولى اِسم "الملكة المؤسسة" والمرجح أنها عليسا التي لم يهتم التاريخ بملكة فينيقيّة مثل ما اهتم بها، والشخصية الثانية هي الملك بوماي الذي يرجح الباحثون أنه هو نفسه بجماليون، حيث يكتب لدى الإغريق بومايتون كما كتب في مكتبة ديودور الصقلي التاريخية (Diodorus of Sicily, 1947 , XIX, 79) ، وعلى العملات الفينيقيّة التي عثر عليها في قبرص التي تعود الى القرن الرابع قبل الميلاد[1]، وقد كتب عليها اِسم الملك بوماي ياتون (Pomay-yaton)، و نقش على قلادة من النحاس تعود إلى القرن السابع يطلق عليها الأثريون إسم قلادة قرطاجة (ينظر الشكل رقم 2) وهذا ما جعل الباحثون يقرّون بشيوع وانتشار هذا الإسم كذلك في المجتمع الفينيقيّ.

الشكل رقم 1:

رسم توضيحي لنصب نورا

	Transcription	Translation	الترجمة إلى العربية
1.	btršš	in Tarshish,	1- في ترشيش
2.	wgrš h’	and he was driven	2- وهو يقود
3.	bšrdn š	in Sardenia.	3- في سردينيا
4.	lm h’ šl	He is safe. Safe	4- هو آمن. آمن
5.	m ṣb’ m	is the crew [army] of	5- هو طاقم (عسكري)
6.	lkt nbn	the Queen. Structure	6 - الملكة. المؤسسة
7.	š bn ngr	which the herald has built	7- الذي بناه المبجل
8.	lpmy	for Pumay	8- بوماي(بجماليون)

المرجع: (Gertoux, 2015, p. 83)

[1] – وجد اسم بومايتون كإسم لملك في القرن الرابع قبل الميلاد وقد قتله بطليموس ملك قورينة، وهو ما نشره كليمون جانو (Clermont Ganneau) في ملاحظات معجمية آشورية، كما نشر في المجلة النقدية للتاريخ والأدب (Revue Critique d'Histoire et Littérature) وهو الرأي الذي يدعمه جيرارد جيرتو، للمزيد ينظر: (Gertoux, 20015, p.83).

شكل رقم2:

صورة تحمل نص الكتابة على قلادة من النحاس



المرجع: (Gertoux, 2015, p.84)

إذ لم يبق مجال للشك في وجود شخصيتين من البيت الحاكم الصوري من القرن التاسع قبل الميلاد الملكة المؤسسة واللتان تتوافقان مع عليسا وشقيقها بجماليون، وهو ما جاء في النصوص القديمة على سبيل الرواية والسرد القصصي التي وضعها الإغريق لتأسيس قرطاجة واقتبسها الكتاب الرومان، لكن المعارف التاريخية التي تُنْبِأ بالوضع الداخلي في مدينة صور تؤيد الصراع على الحكم في البيت الملكي، الذي تبعه إغتيال شخصيات من الطبقة المتنفذة (الكاهن زوج عليسا)، وبالمقابل فإن مشاريع بناء المستوطنات في الحوض الغربيّ للمتوسط لم تتوقف (برونية والطاهر، 1999، ص ص 17-21)، فبالإستعانة بالنصوص القديمة، كيف يمكن التعرف على الملامح العامة للأوضاع في صور وفي المحيط الليبي القديم؟

2- الظروف العامة في حوضي المتوسط التي أسهمت في تأسيس قرطاجة:

تباينت الفرضيات التي تتناول عوامل وظروف تأسيس الصوريين لمدينة قرطاجة، يرى فريق من الباحثين أن الظروف الداخلية هي التي وجهت الصوريين نحو الساحل المغاربي، والمتمثلة في الصراع بين السلطة الزمنيّة والدينيّة بين الملك بجماليون وكاهن معبد الإله ملقرت زوج عليسا، خاصة عندما يتم التعرف على مدى مكانة الإله ملقرت حامي مدينة صور، الذي

عبر عنه سترابون "بالتعصب والمبالغة" (Strabon, 1880, Liv. XVI, II, 23)، وما يمكن استقراؤه من عبارة جوستيني: "Pygmalion, cognita sororis fuga, quum impio bello fugientem persequi pararet,…,impune laturum si incrementa urbis toto orbe auspicatissimae interpellasset" (Justini, 1830, Lib. XVIII,V,6) "تَتَبَع بجماليون شقيقته بجيش عاق،...، ووقوفه أمام تأسيس مدينة تبجّلها الآلهة عن بقية العالم"، حيث يعتبر ملقرت إله التجّار وأصحاب الأموال والثراء الذي تنعم به مدينة صور، الذين يتمتعون بنفوذ وسلطة تضاهي إن لم تتفوق على سلطة الملك، حسب التقاليد الدينية الصورية وبالتالي سيقع التصادم لا محالة بين التيّارين (برونية والطاهر، 1999، ص 100).

يعزز أصحاب هذا الرأي فرضيتهم بواقع الصلات الدينية التي ظلت راسخة ولم تتغير بين قرطاجة والوطن الأم حتى بعد الانفصال السياسي أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، والتي وردت الإشارة إليها في نصوص المؤرخ الروماني كوينتوس كورسيوس **(**Qointe Curse**)** الذي عاش في القرن الميلادي الأول والذي وضع مؤلفا حول تاريخ الإسكندر المقدوني (Alexandri Magni)، وأثناء حصاره لمدينة صور أواخر القرن الرابع قبل ميلاد المسيح يقول: "Carthaginensium legati ad celebrandum anniversarium sacrum more patrio tunc venerant: quippe Charthaginem Tyrii condiderunt, simper parentum loco culti Hortari. argo Pœni cœperunt, ut obsidionem sorti ànimo paterentur" "جاء سفراء قرطاجة إلى صور للمشاركة في الإحتفالات التي يطلق عليها الشعبان العيد السنوي المقدس، لأن صور هي من أسس قرطاجة، ويعتبر مواطني هذه الأخيرة مدينة صور مثل الوطن الأم**"**(Quintus, 1696, Lib IV, II)**.**

كما يمكن التوقف عند العمر الصغير لبيجماليون عندما تقلد شؤون حكم مدينة صور وهو ابن التاسعة **(**Josèphe, 1833, Lib I, V, XVII,125-126**)** ما سيجعله يتعرض للاستغلال وسيكون حكمه شكليا تحت الوصاية من طرف والدته أو شقيقته، فلا يستبعد ترتيب مؤامرة عزله عن أقاربه من طرف فئة من الشخصيات النافذة من أجل الانفراد بالحكم، فلا يستبعد تدبيرهم لحادثة مقتل زوج الأميرة، عندما وقعت جريمة مقتل الكاهن كان بجماليون في عمر السادسة عشر حتى تتسع فجوة الخلاف بين الشقيقين أكثر، فاضطرت شقيقته لمغادرة المدينة برفقة معارضين السياسية الجديدة في صور.

فيما يتجه رأي آخر إلى فرضية العوامل الخارجية التي وجهت تفكير الصوريين نحو إنشاء قاعدة اقتصادية تكون عاصمة ثانية تنوب عن الأولى في الحوض الغربي للمتوسط، خاصة وأن الساحل السوري مرَّ بأزمات متعددة أثرت على أوضاعه السياسية ومثال على ذلك الحملات الآشورية على فينيقيا خاصة في المرحلة ما بين 858–824 ق.م، وقد تحالفت المدن الفينيقية والممالك الآرمية[1] واليهودية ضد الأشوريين من جهة، ومن جهة أخرى عرفت المنطقة أيضا صراع مملكتي دمشق وإسرائيل، الأمر الذي انعكس على تجارة المدن الفينيقيّة خاصة صور (عصفور،1981، ص129).

في حين يذهب فريق آخر لافتراض أن سبب مقتل كاهن معبد ملقرت هو تغريم حزقيال ملك يهودا لمدينة صور بمبالغ مُرْهِقَة، مما جعل مَلِكَها يلجأ الى خزائن معبد ملقرت، وهو ما رفضه كبير الكهنة ودفع حياته مقابل الكنوز، ويستشهدون بواقعة مشابهة كان ضحيتها ملك صور الذي قُتِلَ من طرف ايثوبال كاهن معبد عشتارت بسبب الصراع على الحكم وهو وضع مشابه لقصة عليسا، ويبررون رأيهم بوضع مشابه تعرض له الصوريون من قبل، حيث كانوا يفتدون حريتهم واستقلالهم بالمال والمقابل المادي، ولم يفقد الصوريون استقلاليتهم إلا في سنة 573 ق.م على يد نبوخذ نصر (Gertoux, 2015, p. 90).

كما لا يمكن تجاهل ظهور منافس وخصم قوي للصوريين وهم الإغريق الذين بدأ نجم حضارتهم يلمع في سماء الحوض الشرقيّ للمتوسط، حيث عكفوا على إنشاء المستوطنات والمحطات التجاريّة في مختلف بقاع العالم القديم خاصة بلاد المغرب القديم التي عرفت سواحلها بسلم السكّان وحاجتهم الى الخدمات التجاريّة التي تعرضها المحطات الفينيقيّة، كما أن غنى المنطقة بمختلف المواد الخام التي تحتاجها الصناعة والحرف المنتجة من طرف هؤلاء التجار (غانم، 2003، ص 66–70 ;Fantar, 2010, p. 9).

لكن من خلال نصب نورا الذي يذكر اِسم الشقيقين معا مقترنين بصفة البناء والتأسيس في كل من إسبانيا وسردينيا، يبدو أن علاقة العداء غير واضحة المعالم مثلما تصفها الأدبيات وهنا يمكن المقارنة بين حادثة عليسا وشقيقها وما حدث عقب نهاية الحرب البونية الأولى

[1] – المملكة الآرمية: الآراميون هم شعوب وقبائل ينحدر نسبها حسب التوراة إلى آرام بن سام بن نوح، عرفت هذه الشعوب في جنوب العراق منذ الالف الثالثة قبل الميلاد، أما ظهورهم ككيان سياسي مستقر لم يظهر إلا مابين القرنين 12–11 ق.م، للمزيد ينظر: (شمعون، د. ت، ص 6)

عندما اعترض هميلكار على سياسة الحزب الحاكم في قرطاجة، بسبب عدم تقديم الدعم والمساعدات له مما تسبب في هزيمته في جزر الإيجاتس، فحمل جيوشه والفريق الموالي له وانتقل إلى إسبانيا بحثا عن موارد اقتصادية جديدة، لكن لم تحدث القطيعة بينه وبين العاصمة قرطاجة، بل يشير بوليب إلى إعادة تأسيس الإمبراطورية القرطاجية في إسبانيا، وبعد وفاته سلم القرطاجيون شؤون إسبانيا إلى صهره وابنه حنبعل (Polybe, 1847, Liv II, I,1)، فيمكن إسقاط هذه الحادثة المتأخرة على علاقة عليسا بشقيقها، حيث لا يمكن وصف العلاقة بالعداء بقدر وصفها بتعارض القيم والمبادئ في تسيير شؤون الحكم بين فريقين من الشخصيات المتنفذة في البلاط الصوري، ما أدّى بفريق منهما إلى الانسحاب والتفكير في الابتعاد عن مدينة صور وكان التفكير في الاتجاه نحو الغرب الوجهة المعتادة للفينيقيين منذ عدة قرون عندما فكروا في مشروع التوسع منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد، ووقع الاختيار لبناء المستوطنة الجديدة على الساحل المغاربي القديم، في منطقة يسودها الاستقرار والثراء الطبيعيّ ولا عجب أن يكون من نال شرف التأسيس شخصيّة من البيت الحاكم أو ذات صلة بالمعبد.

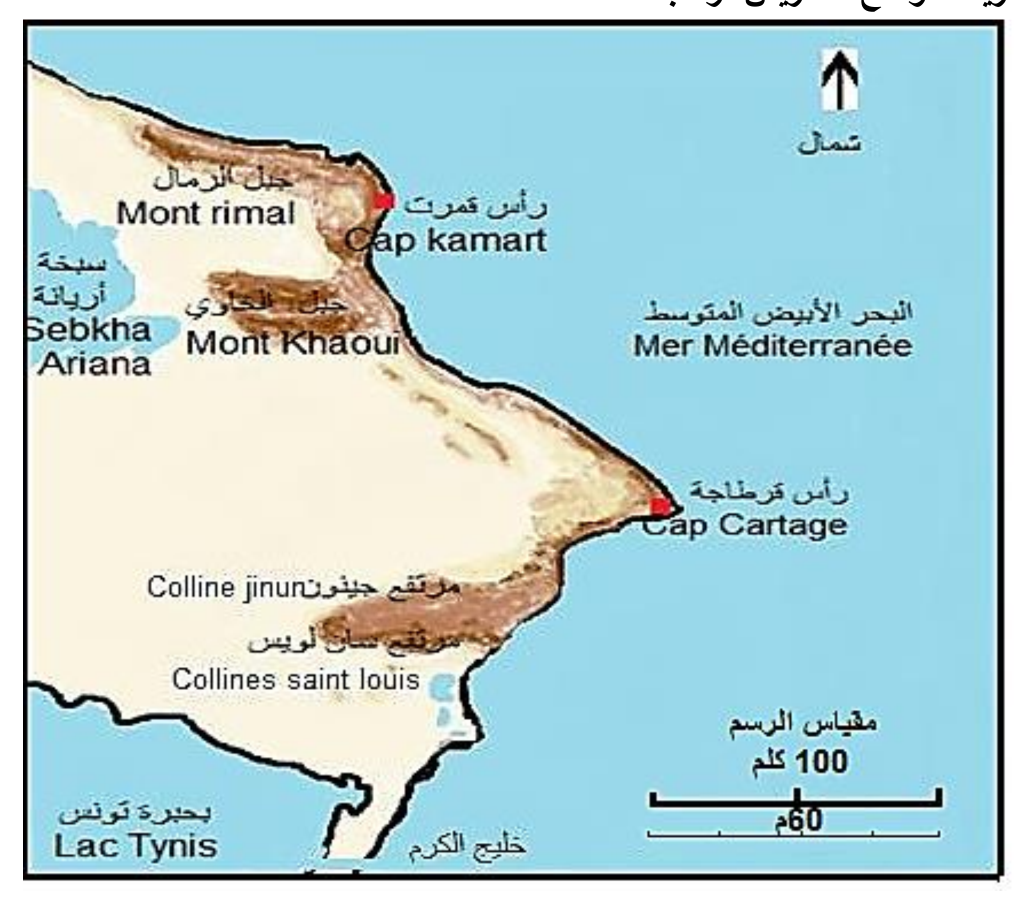
لا يمكن عزل رواية تأسيس مدينة قرطاجة عن الواقع التاريخي والاقتصادي الذي يربط الفينيقيون بمنطقة المغرب القديم بالإضافة إلى المعرفة الجغرافية بالساحل الذي تأسست عليه قرطاجة، فحسب ما ورد لدى سترابون فقد ارتادوا المكان بعد حرب طروادة بوقت قصير أي منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد تقريبا(Strabon, 1805, Liv III, 2,24)، وأسسوا في البداية محطة أوتيكا باعتبار موقعها في منتصف الطريق بين صور وقادش الإسبانية، وقد استخدمت المحطة للتبادل التجاري بين المغاربة القدامى والفينيقيين في البداية، ثم تحولت المحطة إلى مدينة غير بعيدة عن المكان الذي جذبهم لتأسيس مدينة قرطاجة، وكان الدافع من تأسيس أوتيكا اقتصاديا، بسبب موقعها الاستراتيجي إلى جانب سهولها الخصبة، التي توفر محاصيل القمح للمهاجرين الذين استقروا في المكان (غانم، 2003، ص ص 90-91).

وهي الأسباب التي جعلت الصوريون يختارون خليج قرطاجة لبناء المستوطنة الجديدة فهي ليست بعيدة عن مدينة أوتيكا، بالإضافة إلى موقعها في خليج في منطقة حصينة ضد الرياح والتيارات البحرية في الشق الجنوبي الشرقي التي قد تهدد الأسطول الفينيقي، حيث تبرز المدينة في شبه جزيرة متقدمة في البحر وتحيطها مياهه من كل جانب، وبحيرة تونس من الجهة الجنوبية حيث تتصل باليابسة عن طريق مضيق يبلغ عرضه حوالي خمسة وعشرون

ستادا[1] (Polybe, 1847, Liv III, 73)، كما يشكل موقعها شبه جزيرة ذات شكل المثلث رأسه ما يسمى برأس سيدي بوسعيد الحالي يمتد بطول 130م في البحر، وينطلق من الرأس ضلعان أحدهما يتجه غربا نحو جبال الرمال وجبال الخاوي وبحيرة تونس، والآخر يمتد إلى غاية مرتفعات جينون وسان لويس (Saint Louis) الحالية حيث قاعدة المثلث، وإلى جانب جبال الخاوي وجبال الرمال في الشمال الغربي، مرتفعات جينون وهضبة سان لويس في الشمال الشرقي، فإن هذا الحصن الصخري يتجه نحو الساحل ويضيق باتجاه الساحل ليكون حصنا طبيعيا أما البحر فيحيط بها شمالا وشرقا ويمتد إلى الجنوب الشرقي، إلى جانب السبخات والبحيرات مثل بحيرة تونس، وسبخة أريانة (Gsell, 1918, TII, pp. 2-4) (ينظر الملحق رقم1).

شكل رقم03:

خريطة توضح تضاريس قرطاجة



المرجع: (إنجاز الباحث)

[1] – الستاديوم: وحدة لقياس المسافات تقدر بـ 185,25 م ما يعادلها 625 خطوة، للمزيد ينظر (Clavé, 2017, p.408)

كما لا يمكن إهمال الموقع الاستراتيجي الذي يتوسط الساحل المغاربي، فتمتد قرطاجة في الخليج الذي يحد طرفاه رأس الطيب ورأس سيدي علي المكي الحالي، حيث تعتبر هذه المنطقة بمثابة بوابة بين حوضي البحر الأبيض المتوسط الشرقي والغربي، كما تسمح الرؤوس البحرية التي تجاور الموقع بالتواصل مع صقلية حيث يشير بليني لهذه الألسن البحرية قائلا:

"Africa est Tria promontoria, Candidum, mox Apolo Uinis adversum Sardiniae, Mercuri adversum Siciliae, in altum procurrentia duo efficiunt "sinus"(plini, 1851, Lib V, III, 23). في افريقيا ثلاثة ألسن، الرأس الأبيض أو نتوء أبولو أمام سردينيا، ورأس ماركوي (رأس الطيب) أمام صقلية"[1] (ينظر شكل رقم2).

خريطة رقم4:

خريطة توضح المسافات بين خليج قرطاجة وأهم جزر البحر الأبيض المتوسط



المرجع:(إنجاز الباحث)

[1] – حسب قياس المسافات عن طريق خرائط قوقل (Google Maps)، فإن المسافة بين رأس الطيب من مدينة الهوارية إلى ليليبيوم بصقلية تقدر بحوالي 140 كلم، أما المسافة من الرأس الأبيض إلى جنوب سردينيا فتقدر بـ 200 كلم تقريبا.

كما يسمح رأس أبولو أو رأس الأبيض بالتواصل مع جنوب جزيرة سردينيا (ينظر شكل رقم02) حيث لا يتجاوز الامتداد بين هذا الرأس وجنوب الجزيرة سوى 200 كلم تقريبا.

ساهمت المعرفة المسبقة بالساحل المغاربي، بل بالحوض الغربي للمتوسط في اختيار جغرافية المنطقة التي يراد لها أن تكون مستوطنة جديدة للصوريون، كما لا يستبعد أن تكون محطة تجارية تعودوا النزول فيها والإتصال بسكانها، وليس على سبيل الصدفة المحظة.

3- رواية عليسا وجلد الثور لدى الكتاب الرومان:

سيتم تفكيك الرموز الأدبية التي تم تضمينها في النصوص الأدبية لاستعادة مشهد تأسيس قرطاجة، لن يتم التركيز على فرار الأميرة الصورية ورحلتها نحو ليبيا القديمة، لأن وجهة الفينيقيين نحو ليبيا واقع تاريخي لا يحتاج إلى تأويل، وإذا وضع في الحسبان نص النصب التذكاري الذي عثر عليه في سردينيا ستكون الملكة التي أنشأت بعض المستوطنات على شرفها أو بتوجيه منها هي عليسا، وسيتم التركيز على الملكة وجلد الثور والملك هيرباس ، بالاستعانة بقراءات المعاصرين للرموز الأدبية التي وردت في الكتابات القديمة.

أولا عليسا التي تأخذ دور شخصيّة المؤسس واِسمها شائع في بلاد فينيقيا، وكذلك الأمر بالنسبة لكنيتها ديدو، حيث يقارب قابريال كامبس بين ما تذكره آثار مصر القديمة حول اِسم الملك الليبي ديد الذي تحالف مع شعوب البحر ضد المصريين أواخر القرن الثالث عشر السابق للميلاد، وهيرباس أو أيباس (Iapas) في بعض المصادر، وهو كذلك اِسم ليبي قديم، تذكره المصادر في القرن الأول قبل الميلاد ملكا نوميديا شارك في الصراع بين قيصر والبومبيين[1] (Camps, 1995, pp. 2310-2311).

أما قطعة الأرض التي اشترتها الملكة والتي سميت في المصادر الأدبية القديمة ببيرسا (Byrsæ)، فمن المعلوم أن أول النصوص الأدبية الرومانية التي تروج لقصة عليسا وجلد الثور وأكثرها شهرة هي إنيادة فرجيلوس حيث يقول:

Devenerc locos, ubi nunc ingeutia cernis
Moenia surgentemque novae Carthaginis arcem;
Mercatique solum, facti de nomine Byrsam
aurino quantum possent circumdare tergo(Vergili,1886, Lib. I, 365-368)

[1] حرب قيصر والبومبيين: هي الحرب التي حدثت منتصف القرن الأول قبل الميلاد في روما بين تيارين سياسيين، الأول يتزعمه يوليوس قيصر وهو حزب الشعبيين أو العامة التي تطالب بحقوقها السياسية والإجتماعية، وبومبي زعيم الحزب الأرستقراطي الذي يرغب في إبقاء الأوضاع على حالها في روما، للمزيد ينظر: (نصحي، 2001، ص ص 500-506)

سوف آتي إلى المكان الذي سوف ترى فيه
أسوار قرطاجة الجديدة وقلعتها المرتفعة؛
اشترت فقط ما يسمى بيرسا
لقد أحاطت بجلد الثور ما استطاعت

حسب سيرفيوس (Sevrius) الذي جمع وحقق الإنيادة في القرن الخامس الميلادي، عندما تم طردها من طرف الملك هيرباس طلبت شراء قطعة أرض بحجم جلد الثور، وقامت بتقطيع الجلد إلى شرائط تكفي لتسييج منطقة أوسع من المساحة التي طلبتها، ويعتقد تشايد (Scheid) وسفنبرو (Svenpro) أن تيمايوس كان على دراية بحادثة جلد الثور، بإعتبار لفظ بيرسا إغريقي محض، وقد اقتبس نصوصه حول عليسا ديدون من مؤلف إغريقي مجهول بعنوان "معاهدة النساء" إنصب إهتمام الكاتب المجهول على الطباع الشخصية للملكة الفينيقية أكثر من أي شيء آخر، بينما آثر تيمايوس الإهتمام بظروف التأسيس المرتبطة بالواقع السياسي في صور أكثر من ظروف التأسيس في ليبيا القديمة، لذلك لا يتطرق لرواية جلد الثور(Scheid & Svenpro,1985, p. 329).

كما يحمل التاريخ الفيليبي والذي يجزم الباحثون بأن الجزء الأكبر من مصادره مقتبس من نصوص تيمايوس، وكذلك أيضا تاريخ تيتي ليفي حيث ورد صدى هذه الرواية، وهما كاتبان معاصران لفرجيليوس، أشار جوستيني إلى إيهام الملكة لهيرباس بطلبها الصغير المتمثل في قطعة أرض بحجم جلد الثور لتستريح هي وصحبها عليه، وكان في نيتها تقطيع الجلد الى شرائط رقيقة تكفي لتسييج منطقة واسعة وهكذا "Carthago conditur, statuto aonuo vectigali pro solo urbis"(Justin,1830, Lib XVIII, V) " تأسست قرطاجة، مقابل ضريبة سنوية ثمن أرض المدينة"، على مساحة تقدر باثنين وعشرين ستادا، أو ما يقارب أربع كيلومترات (برونية والطاهر، 1999، ص ص 107-108)، وظلت قرطاجة تدفع الضرائب لليبيين حتى نهاية القرن الخامس مقابل الأرض التي تستغلها(دوكريه، 1996، ص 58).

أما ليفي فأثناء روايته للحروب البونية والصراع القائم بين نوميديا والقرطاجيين يُذَكِر على لسان النوميديين بالمساحة التي منحت لهم في بداية مجيئهم إلى بلاد المغرب القديم: uem proprium agrum Carthaginiensium in Africa esse? aduenis, quantum secto bouis tergo amplecti loci potuerint, tantum ad urbem communiendam precario datum: quidquid Bursam, sedem suam, excesserint, ui atque iniuria

"ماهي الأراضي التي يمكن للقرطاجيين partum habere" (Livi, 1877, Lib LXIV, 62) المطالبة بها في إفريقيا؟ عندما كانوا أجانب نالوا الفضل لبناء مدينة، مساحة يمكن أن يحيطوا بها جلد ثور مقطوع إلى أشرطة، كل ما كان خارج مجال بيرسا إقامتهم الأولى، حصلوا عليه من خلال العنف والظلم".

يفترض فرانسوا دوكريه أن الإغريق اختلقوا هذه الرواية من خلال تعرفهم على العملة القرطاجية في صقلية وحرّفوا ما كتب عليها للغتهم وهذا أمر معتاد لدى الإغريق كتسمية آلهة ومدن ومناطق الشعوب القديمة بإِسمائهم (دوكريه، 1996، ص ص 58–59)، فيما يحاول محمد حسين فنطر الوصول إلى معنى بيرسا الفينيقيّ بإيجاد علاقة بين عبارة بيرسا المنقوشة على العملات المعدنية القرطاجية دون سواها من عملات المستوطنات الفينيقيّة في الحوض الغربيّ للمتوسط، فالنقش بيرست **(**B'RST**)** له علاقة بصيغة التأنيث كالدّولة والمقاطعة وربما الوطن الأم، كما يفترض وجود معنى لبيرسا في اللغة الليبية القديمة التي تعكس الإمتزاج الحضاري الفينيقي والليبي (Fantar, 1992, para. 4-5)**.**

كما يمكن استحضار مشهد من عادات سكان شمال الساحل السوري لدى لوسيان السمساطي **(**Lucien De Samosate)[1] الذي يقول بأنه عندما يتعرض رجل منهم للظلم ويطمع أن يثأر قومه له من خصومه، ينحر ثورا ويقوم بطهيه وتوزيعه على عشيرته، ويفترش جلد ذلك الثور حتى تثأر له عشيرته من أعدائه (Lucien de Samosate, 1912,47, 48) ربما هذا ما رآه الإغريق في قدوم عليسا الى الساحل المغاربي واقتناء الأرض وتقطيع جلد الثور لشرائط وتسييج مساحة واسعة، ما هو إلا كناية أدبية على المساعدة والحماية التي وجدتها من الأهالي وبنو عمومتها في المستوطنات الفينيقية في الحوض الغربي للمتوسط وهو ما مكن لها من إنشاء المدينة (Scheid & Svenpro, 1985, p. 332)**.**

ضف إلى ذلك من الدلائل التي تجعل أصل هذه الرواية يمتد إلى الأدب والأسطورة الإغريقيين حيث يكثر استخدام الحيوانات خاصة الثور، ومثال على ذلك اختطاف أوروبا شقيقة

---

[1] – لوسيان من سمساط: ولد في منطقة سمساط على الفرات شمال سوريا التابعة لتركيا الحالية في 125م، من أسرة متواضعة، لكنها وفرت له تعليما راقيا، حيث درس البلاغة والفلسفة، واستقر في 165م في آثينا، له عدة مؤلفات في الأخلاق والفلسفة، للمزيد ينظر: (Flandin, S.d, pp. 5-6)

قادموس[1] من طرف إله البحر الذي تحول إلى ثور مجنح فتبعته، وكذلك أسطورة تأسيس مدينة طيبة الإغريقية من طرف قادموس (أوفيد، 1992، ص 76،69).

ويذهب تشايد وسفنبرو إلى أن الكتاب الرومان فرجيلوس، تيتي ليفي وتروغوس بومبيوس لم تكن لديهم نية الإساءة لشخصية عليسا ديدو عند الإشارة إلى الطريقة الماكرة والمخادعة التي استحوذت بها على أرض قرطاجة، لكن من جاء بعدهم من المؤلفين هم من أخذوا المعنى اللغوي للخديعة والمكر، والمقصود بهم الكتاب الإغريق مثل أبيان الإسكندري (Appien D' Alxendrie) الذي عاش في القرن الثاني للميلاد(Scheid & Svenpro, 1985, p. 330).

أما سيرجيو لونسال (Serge Lancel) فيرى إمكانية البحث عن رموز وأبعاد أخرى في الرواية بعيدة عن المكر والخديعة التي دأب الباحثون إلصاقها بالفينيقيين ثم خلفائهم البونيين، بل تسلط الضوء على البراعة التجارية التي عرف بها الفينيقيين وتظهر مدى إصرار الوافدين الجدد على عملية الشراء وأنهم لا يقبلون أرضا لا يدفعون ثمنها مهما كان هذا السعر مرتفعا أو منخفضا، هذه البراعة التي سهلت عليهم عناء اقتناء الأرض مشروع مدينتهم (Lancel, 1993, p.1780).

يعتبر فرجيلوس وتيتي ليفي من مؤرخي البلاط الروماني في عهد أوكتافيوس أغسطس وقد حظيا بصداقته وتقريبه لهما، خاصة فرجيلوس الذي توفي قبل أن يكمل إنيادته، مما وضع الإمبراطور في دائرة الإتهام بمقتله (Maleuvre, 1991, p. 171)، ووفق المؤرخ الفرنسي شاربونتر (Charpenteir) الذي أثار هذه الأطروحة وسعى لتأكيدها بجمع الحجج والأدلة التي ذَكَرَت ظروف وفاة فرجيلوس، حيث أن كتابة الإنيادة استغرق منه أحد عشرة سنة، وفي الفترة التي كان يتهيأ لتنقيحها غادر روما في رحلة بحرية نحو بلاد الإغريق ، ليستفيد من الجغرافية والآثار الإغريقية، خاصة الأجزاء التي تدور أحداثها هناك وكان لديه شعور بأن هذه الرحلة قد تكون بلا عودة، لذلك عند مغادرته أوصى بحرق الإنيادة إذا حدث له خطب ما، ثم بعد ذلك تُجْهَل الأسباب التي جعلت أوكتافيوس يلتحق بدوره ببلاد الإغريق والطريقة التي التقى وأقنع فرجيلوس بالعودة معه، وكل ما هو معروف أنه استدعى فرجيلوس للقائه، وبعدها قرر هذا الأخير العودة مع الإمبراطور الى روما، متخليا عن مشروع تنقيح الإنيادة وتوظيف جغرافية

[1] – أسطورة أوروبا: أوروبا هي ابنه أجينور ملك صور، أعجب بها الإله زيوس عندها كانت تلهو مع رفيقاتها وتحول إلى ثور مجنح، فامتطته أوروبا، وتم اختطافها، ومن ثم يذهب شقيقها قادموس للبحث عنها، وخلال رحلته يتمكن من تأسيس مدينة طيبة الإغريقية، وأول إشارة لملاءمة الموقع ظهور رأس ثور عندما حفر الأرض لوضع أسس المدينة الجديدة للمزيد ينظر: (أوفيد، 1992، ص 69، 76)

وآثار بلاد الإغريق، وفجأة أعلن خبر موته بسبب ضربة شمس ,Œvr Complt de virgile) 1859, Intro, pp.28-29).

وبعد ذلك لم يحترم أوكتافيوس وصية الشاعر في عدم نشر إنيادته، ويعلل بليني ذلك بقوله: " divus Augustus carmina Vergili cremari contra testamenti verecundiam vetuit" (Plinii,1830, Lib VII, XXXI,6) "بغض النظر عن إرادة الموصي، لم يحرق المؤله أغسطس، أشعار فيرجيلي، وهذه شهادة تساوي أكثر مما لو كان الشاعر قد وافق على عمله".

فيما يرى غيره أنه حتى لو لم يقتل الإمبراطور فرجيلوس، لكنه بعدم احترام رغبته فقد إرتكب جريمة بحقه، وبدل حرق الإنيادة فضل الإمبراطور نشرها، كما حرص على إعطائها كل الدعاية اللازمة، بسبب الكتاب الثامن الذي يصف فيه فرجيلوس الإمبريالية الأوغسطية بالحق الإلهي الذي خول أوكتافيوس ليصبح مؤلها وأبا للوطن، وامبراطورا على كل الرومان وغيرهم من الشعوب الأجنبية، لم يكتف أوكتافيوس بالمجد السياسي والعسكري، بل أراد الإعتراف بسلطته من طرف الأدباء، حيث البلاغة وسلطة الكلمة التي لا تختلف عن القوة السياسية والعسكرية في التأثير وربما تتفوق عليها (Beuve, 1857, pp. 23, 67-68)، فقد كان مراقبا حريصا على كل ما يكتبه الشعراء والأدباء، فلا يوافق على نشرها إلا بعد الإطلاع عليها وتصحيح أفكارها وفق ما يريد إذاعته بين العامة، خاصة تلك النصوص التي تتضمن اِسمه وقد خدمه في ذلك حسه الأدبي والنقدي فقد تمكن من كتابة بعض الأشعار والخطب لكنها اندثرت مثل الكثير من النصوص الأدبية الرومانية الأخرى (Suétone, 1777, Octavius, XI).

أما بالنسبة لليفي فإن ضياع ثلاثة أرباع كتاباته الأخيرة والتي لم يتبق منها سوى ربعا واحدا، وخسارة النصوص المخصصة للفترات التي تعتبر مهمة من التاريخ الروماني، التي تشكل مصدرا هاما لأحداث أواخر العصر الجمهوري وبداية العصر الإمبراطوري، فترة الحروب الأهلية الرومانية ماريوس وسيلا، قيصر وبومبي وأوكتافيوس وماركوس أنطونيوس، دون تجاهل أن أحد أطراف الحرب الأخيرة هو صاحب السلطة المطلقة في روما الجديدة في عصر ليفي لذلك فخطته لكتابة التاريخ الروماني لهذه المرحلة لن تكون بالحرية الكافية التي يجب أن تتوفر للمؤرخ ولا يمكن فهمها أو تخمينها (Paul, 1990, pp. 23-33, 36)، ويستشهد بحادثة مشابهة لأسينيوس بوليون (Asinius Pollion) وهو كاتب روماني مغمور ضاع عمله الذي يتكون من

اثني عشر كتابًا عن الحروب الأهلية لا يعرف عنه شيئا سوى من نصوص الشاعر هوراس الذي يصف جرأته في اختيار موضوع الحرب الأهلية بين أوكتافيوس وأنطونيوس وانحيازه لأنطونيوس كمن يسير على النيران المغطاة بالرماد (Orace,2017, Bk II,2,1).

لم تكن مهمة ليفي أسهل من مسؤولية فرجيلوس، أوكلت للإثنين مهمة الكتابة حول حقائق تاريخية لا يزال صانعوا أحداثها على قيد الحياة يعتلون مناصب مهمة في الدولة، أملت عليهم اتجاها معينا يتناسب مع رؤية الإمبراطور للكتابة التاريخية في مواضيع ذات الصلة بتاريخ روما القومي فما بلك بتاريخ الأمم الأخرى.

وقد تعرضت عبارة" بيرسا" "Byrsae" إلى العديد من التفسيرات الأدبية واللغوية، حيث يفسرها سفريوس محقق إنيادة فرجيلوس في القرن الخامس للميلاد باقترانها بفعل الإحتيال الذي ورد في إنيادة فرجيلوس وسببه طرد الملك الليبي لعليسا مما دفعها لشراء قطعة أرض بحجم جلد الثور وبطبيعة الحال سيكون بثمن زهيد، ويحدد معنى بيرسا ال\اي وضعه الإغريق بمعنى الجلد، ورفض ستيفان جزيل هذا التفسير، بل يرى أنه لا وجود لترادف بين المعنيين الإغريقيّ والفينيقيّ، فالمصطلح الإغريقيّ بيرسا الذي يراد به الجلد مشابهٍ لمنطوق فينيقيّ يعني منطقة محصنة (Gsell, 1918 (T II), p. 8).

أما دراسة ليبينسكي (E. Lipinski) فتستبعد كناية المكر والحيلة التي ألصقت بالملكة وينظر لموضوع الإحاطة بشرائط جلد الثور كتورية أدبية يقصد بها ملكية الأرض، أما المعنى اللغوي لبيرسا فيرده إلى معنى فينيقي قد يكون "بيرشاة" أي "بئر الشاة"، ومبرره في ذلك كثرة الآبار التي تنتشر على الساحل القرطاجيّ (برونية و الطاهر، 1999، ص 106)، حيث تكثر الأسماء الفينيقيّة التي تم تعديلها وفق المنطوق الإغريقيّ كأسماء المدن في بلاد المغرب القديم التي تبدأ براس (Ras) وفي اللغات السامية (Roush) مثل روسيكادا (Rusicada) سكيكدة على الساحل الجزائري الحالي والتي تعني الرأس الوقاد(غانم، 2003، ص 254).

فيما يتجه تشايد وسفنبرو نحو مفهوم التحايل والخداع في تأويل الكلام لدى عليسا، التي ابتاعت ما قيمته جلد الثور من الأرض، لكن القصد من وراء عباراتها يحمل مساحة أكبر من مساحة جلد الثور، وهي إحدى طرق الفينيقيين ثم القرطاجيين في البيع والشراء، حيث ينكثون المعاهدات بإزدواجيةٍ بين المنطوق والمفهوم (Scheid & Svenpro, 1985, pp. 334 -335) وعلى العكس من ذلك، يتحدث هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد عن التجارة الصامتة

أو المقايضة الخرساء بين الفينيقيين وشعوب غرب ليبيا، أين ترسو سفن الفينيقيين ويقترب منها الليبيون وتتم عملية تبادل البضائع على الساحل، ولا تغادر السفن الفينيقية المرفأ حتى تسترضي الليبيين في العمليات التجارية، ولم يذكر المؤرّخ ما يشير إلى الخديعة بين الطرفين بل يشيد ببراعة التجار الفينيقيين وبالانسجام في عملية المقايضة، رغم جهل كل طرف بلغة الآخر (Hérodote, 1858, Liv IV, CXCVI).

تعكس صورة الخديعة والمكر التي ساقها مؤرخي روما موقف العداء والصراع بين الرومان والقرطاجيّين وهو بمثابة الدعاية لحكم أوكتافيوس على حساب خصومه، كما أن تيمايوس يتمتع بشهرة سيئة السمعة في أوساط الكتاب القدامى، حيث يصفه بوليب بميله إلى سرد الخرافات على تتبع الحقيقة التاريخية رغم كثرة إطلاعه (Polybe, 1847, Liv XXII, I).

وهنا يجب عدم إهمال أهمية الموقع المتميز الذي جذب الفينيقيين الذين ارتادوا الساحل المغاربي منذ أواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد دورا في إرساء سفنهم في هذا الخليج بالذات وبناء مدينة يكون لها شأن سياسي واقتصادي في العالم القديم، كما ساهمت العلاقات السلمية والنفعية التي نشأت بين التجار الفينيقيين وقدماء المغاربة في تحديد منطقة بناء مدينة قرطاجة ولم يكن الأمر على سبيل الصدفة.

تصور المصادر اللاتينية أحداث تأسيس قرطاجة واللقاء بين الصوريين والليبيين بعدة مظاهر، مظهر الرحلة الاضطرارية للفينيقيين إلى سواحل مجهولة، حيث لا يعرف الطرف الليبي مبادئ البيع والشراء لدى الطرف، فتتباين النصوص في وصف وصول الصوريين إلى الساحل الذي ستنشأ عليه قرطاجة، فيما يتحدث فرجيلوس وايطاليكوس عن البيع وخديعة النوميديين السذج(Italici,1836, Lib I, 24-25) يتحدث نص آخر على إستقبال الليبيين بالوافدين الجدد بفرح ودعوتهم إلى الإقامة الدائمة " Uticensiam quoque ligati dona ut" Uticensiam quoque ligati dona ut consanguieis attulerunt hortatique sunt, urbem rebi cottderent ubi sedes sortiti essent, Sed et Afros detinendi advenas amor cepit" (Justin, 1830, Lib. XVIII, V, 12-13). "جاء نواب أوتيكا الذين وجدوا فيهم أخوة ليقدموا لهم الهدايا وينصحونهم بتأسيس مدينة في المكان الذي منحهم القدر للتو اللجوء إليه وأحب الأفرو بقاء الوافدين الجدد".

ثم التحول المفاجئ في سلوك ملك الماكسيتاني هيرباس بعد مدة قصيرة من إقامة الصوريين ونشأة قرطاجة، من الترحيب والصداقة إلى توعد القرطاجيون بالحرب في حالة لم

تقبل عليسا الزواج منه، وفي نظر الكتاب الرومان أن الهدف من وراء هذه الزيجة هو الاستيلاء على المدينة الناشئة والذي يتبين من خلال رفض عليسا مخافة أن يؤول حكم المدينة لغير القرطاجيين حسب رأي جوستيني **:** "Com soccesso rerom llorentes Cartfaaginis opes essent; rex Maxitanorom larbas decem Poenorom principibos ad se arcessitis, Elissa noptias sob belli denontiatione petit Qood legati regin referre metaentes" (Justini, 1830, Lib. XVIII, VI, 1). **"**كانت قرطاج بالفعل غنية وقوية، عندما طلب هيرباس ملك ماكستين، بعد أن دعا عشرة نواب قرطاجة الرئيسيين، وطلب يد عليسا، تحت تهديد الحرب".

4- تاريخ تأسيس قرطاجة في المصادر الأدبية والأبحاث الأثرية:

من مناهج الكتاب القدامى خاصة الإغريق في تأريخ حدث معين ربطه بأحداث العالم الإغريقيّ خاصة الألعاب الأولمبيّة وأول دورة التي توافق سنة 776ق.م وتكون الأحداث التاريخيّة إما سابقة لهذا المعلم التاريخيّ أو متأخرة عنه، ثم قلّدهم الرومان بإتباع نفس المنهج لكن بتغيير المعلم التاريخي ويعوض بتأسيس روما، فوفقا لنص تيمايوس المأخوذ من دونيس الهاليكرناسي **(**Donys de Halicarnasse**,**1723, Liv. I, LXXIV) تأسست قرطاجة قبل ثمان وثلاثين سنة قبل أول دورة للأولمبياد (Olympiade) أي في 774 ق.م، وبذلك يوافق سنة 813 ق.م، إلا أن الشهادات التاريخية المقترنة بالألعاب الأولمبية لا تعتمد على حوليات أو جداول تزمين بل على ذاكرة رواة الأحداث تحتمل الخطأ والصواب حسب الحالة النفسيّة والمزاجية وظروف المتلقي للأخبار (Gertoux, 2015, p.84).

أما الرومان فقد أشار شيشرون إلى سنة تأسيسها في جمهوريته "quinque et sexaginta annis antiquior, quod erat XXXVII ante primam Olympiadem condita" "أنها قبل أول دورة أولمبياد بـ 76 سنة وأكبر من روما بـ 37 سنة" (Cicéron, 1864, Repub, Lib II, XXIII)، وحسب الإنيادة فإن تأسيس قرطاجة معاصر لحرب طروادة في 1184ق.م (Vergile, 1808, Lib I,)، أما ليفي فيجعل سكبيو" يستولى عليها في السنة السبعمائة لتأسيسها" (Livi ,1877, Epit, Lib LI,53)**.** أما التاريخ الذي وضعه فاليوس باتريكيلوس **(**19 ق.م- 30م**)** فهو: "Hoc tractu temporum, ante annos V et LX , quam urbs Romana conderetur, ab Elisa Tyria quam quidam Dido autumant, Carthago conditur"(Paterculi, 1829, Lib I, VI)**.** " قبل خمس وستين سنة قبل تأسيس

روما، أسست عليسا الصورية التي تسمى كذلك ديدو مدينة قرطاجة" وبذلك تصبح الفترة التي عاشتها قرطاجة هي 666 سنة، ما يتوافق مع عام 667 ق.م كتاريخ لتأسيس المدينة، فيما يضع جوستيني ("Condita est urbs haec septuagimta annis ante quam Roma" (Justin,1830, Liv XVIII, IV)،"تأسيسها قبل إثنين وسبعين سنة من تأسيس روما" وهو ما يوافق سنة 825 ق.م، وبالنسبة لسوليني فإن 737 سنة هي المدة التي أضاءت منارة الحضارة القرطاجية العالم القديم قبل انطفائها، وستكون سنة التأسيس هي 818 ق.م "que post annos septingentos triginta septem exciditur" (Solini, 1557, XLI) "دمرت بعد سبعمائة وسبع وثلاثين سنة من تأسيسها".

لم يكن تحديد التواريخ بدقة من أولويات الكتابات الرومانية، فبتتبع سياقات المواضيع التي كُتِبت فيها النصوص الأدبية والتاريخية ومناسبات الكتابة بالإضافة إلى توجه الكتاب الأدبي سيجد الباحث تميز شيشرون في فنون الخطابة، وأدب الرسائل، إلى جانب الأعمال الفلسفية والأكثر من ذلك منصبه السياسي، توجب عليه استخدام هذه الأنماط الأدبية في تقديم آرائه السياسية وتبرير أفعال رجالات حزبه، لذلك لم يكن التدقيق في تحديد التاريخ من الأعمال التي يعتمد عليها في إقناع العامة ودحض خصومه[1] لإنجاح مرافعاته، وقد جاء كتاب الجمهورية كشهادة على نهاية العصر الجمهوري، يعود شيشرون فيه إلى تاريخ الرومان الملكي لتغذية تأمله حول الجمهورية المثالية كما يلجأ تحليل أسباب عظمة ونجاح دولة أصبحت موازينها الآن في خطر (Gilard, 2017, pp.59,66).

في حين أن فاليوس باتريكيلوس لا يتمتع بمكانة مرموقة في الأدب التاريخي الروماني، ويعتبره جوزيف هيلوجوارش (Joseph Hellegouarc'h) شخصية فقيرة وغير ثرية أدبيا وتاريخيا مقارنة مع كتاب العصر الجمهوري أمثال سالوستي أو كتاب العصر الإمبراطوري الآخرين مثل ليفي وتاكيتوس، لذلك لم يجذب عمله الكثير من الباحثين والنقاد، بسبب محدودية المعرفة التاريخية، حتى أن معظم الكتابات والدراسات المخصصة له جاء تركيزها على تعداده من المصادر التاريخية التقليدية، أكثر من دراسة العمل الذي لا يُعطى له أهمية كبيرة على

[1] – ينتمي شيشرون إلى طبقة الفرسان، كان من حزب العامة الذي يتزعمه يوليوس قيصر، وبعد مقتل هذا الأخير دعم أوكتافيوس ضد ماركوس أنطونيوس، للمزيد ينظر: (Gilard, 2017, p. 59).

المستويين الأدبي والتاريخي، كما يُعتبر واحدًا من المؤرخين الخطابيين الذين أنتجهم العصر الإمبراطوري إلى جانب فاليريوس ماكسيوس وكوين كورس(Hellegouarc'h, 1964, p.669) .

أما الهدف من كتابة تاريخ الرومان الذي يتألف من كتابين الأول بقي منه ثمانية عشر فصلا وضاعت الفصول الأخرى، أما الكتاب الثاني فيتألف من 131 فصلا، يروي في الكتاب الأول تاريخ روما منذ حرب طروادة إلى وفاة تيبيريوس، ما يلاحظ على كتابته الأول الذي يتناول تاريخ روما منذ جرب طروادة حتى سقوط قرطاجة 146 ق.م هذا التاريخ الذي يعتبره الرومان بداية الانهيار الأخلاقي للشعب الرومان على الرغم من أنه تاريخ بداية الهيمنة الاستعمارية الرومانية على العالم القديم، وما يعاب على تاريخ بارتيكلوس المعالجة السطحية التحليل والنقد لأحداث الكتاب الأول، ثم يرى الباحثون تحولا في نمط الكتابة في الكتاب الثاني فيصبح السرد الذي كان جافًا وسطحيا، أكثر إسهابا في الحروب الأهلية، وعلى وجه الخصوص في عصر الإمبراطورية، فكلما كانت الأحداث حديثة كلما كان الإسهاب وافيا في معالجة تفصيليها (Zehnacker & Fredouille, 2013, pp.227-228).

في ظل غموض الإشارات في النصوص الإغريقية والرومانية حول تاريخ تأسيس قرطاجة، فقد جذبت رواية المؤرخ اليهودي فلافيوس جوزيفيوس الذي عاصر الأباطرة الفلافيون والذي اقتبس من نصوص الإغريقي ميناندار الأفسسي **(**Ménandar d'Ephése**)** من القرن الثاني قبل الميلاد، هذا الأخير الذي ترجم حوليات صور إلى اللغة الإغريقية، حيث يسرد تاريخ ملوك صور من ميتان إلى بجماليون وأفاد بالآتي:

βιώσας ἔτη λβ ἐβασίλευσεν ἔτη κθ. Τούτου διάδοχος γέγονεν Πυγμαλίων, ὃς βιώσας ἔτη νη ἐβασίλευσεν ἔτη μζ. Ἐν δὲ τῷ ἐπ' αὐτοῦ ἑβδόμῳ ἔτει ἡ ἀδελφὴ αὐτοῦ φυγοῦσα ἐν τῇ Λιβύῃ πόλιν ᾠκοδόμησεν Καρχηδόνα, Συνάγεται πᾶς ὁ χρόνος ἀπὸ τῆς Εἰρώμου βασιλείας μέχρι Καρχηδόνος κτίσεως ἔτη ρνε μῆνες η.Ἐπεὶ δὲ δωδεκάτῳ ἔτει τῆς αὐτοῦ βασιλείας ὁ ἐν Ἱεροσολύμοις ᾠκοδομήθη ναός, γέγονεν ἀπὸ τῆς οἰκοδομήσεως τοῦ ναοῦ μέχρι Καρχηδόνος(Josèphe, 1833, Lib I, V, XVII,125-126) .

من ميتان الى بجماليون الذي عاش ستة وخمسين عامًا وحكم سبعة وأربعين عامًا وفي السنة السابعة من حكمه فرّت شقيقته إلى ليبيا وأسست مدينة قرطاجة، وهكذا فإن التاريخ الذي يفصل بين حكم حيرام وتأسيس قرطاجة يقدر بمائة وخمسة وخمسين عامًا وثمانية أشهر.

شكل رقم05 :

جدول ملوك صور ومن يعاصرهم ملوك اسرائيل وأشور حسب رواية جوزيفيوس

ملوك صور	سنوات الحكم	تاريخ الحكم	ملوك اليهود	تاريخ الحكم	ملوك أشور	تاريخ الحكم
أبي بعل	-	969-؟989 ق.م	داود	970-1010 ق.م		
حيرامI	34 سنة	935-969 ق.م	سليمان	930 -970 ق.م		
بعل آزر	17 سنة	918-935 ق.م				
أبدراستراتوس	9 سنوات	909-918 ق.م				
ميتوسستراتوس	12 سنة	897 -909 ق.م				
استاريموس	9 سنوات	888-897 ق.م				
فيلاس	8 أشهر	888 ق.م				
اثوبعل الأول	32 سنة	856-888 ق.م	أهاب	853 -874 ق.م		
بعل آزر II	6 سنوات	850-856 ق.م			شلمنصر III	824-859 ق.م
ماتان I	29 سنة	821-850 ق.م				
بعل منزر	مجهول					
مولد عليسا		835 ق.م				
بيجماليون	47 سنة	821- 744 ق.م				
	فرار عليسا	815/ 814 ق.م				

المرجع: **(Gertoux, 2015, p. 87)**

سمح اقتباس جوزيفوس لجيرتو بوضع تسلسل زمني لملوك صور، يعطي مدة حكم جميع ملوك صور من أحيرام إلى بجماليون، حيث وقع تأسيس قرطاجة في السنة السابعة من حكم بيجماليون، ما بين (815-814 ق.م)، وتختلف بعض أسماء الشخصيات اعتمادًا على النسخ الأصلية لكتابات جوزيفيوس، إلا أن التسلسل الزمني الذي وضعه يبدو أصيلا ومن غير

المحتمل أن يكون قد اخترع إسماء كل هؤلاء الملوك ومدة حكمهم (Gertoux, 2015, p.87)، وهو ما يؤكده زواج أخاب بن عمري من إيزابل ابنة إيثوبال الذي كان بالفعل معاصرا لهذا الملك (العهد القديم، سفر الملوك 16، 29–30).

وحسب جيرتو فإن التزمينات الأخرى ينقصها الدقة، ففترة أحيرام الأول المعاصر لحكم داود وسليمان، لا يوافق تاريخ بناء الهيكل (العهد القديم، سفر الملوك 5، 1–18)، حيث وقع بناء الهيكل في السنة الرابعة من حكم سليمان (العهد القديم، سفر الملوك5، 1،6)، في 966 ق.م وليس 957 ق.م، حيث أن داود حكم ما بين(1057–1017 ق.م) وسليمان (1017 – 977 ق.م) **(**Gertoux, 2015, p.88**)**.

ويضع فترة حكم بجماليون ما بين (877 –830 ق.م) وبالتالي تكون مغادرة شقيقته نحو ليبيا في حدود 870 ق.م وهي السنة السابعة من حكمه، أما التحقيب من خلال الآثار الآشورية التي تحصي ضرائب الشعوب الخاضعة لأشور في الفترة ما بين (858 و833 ق.م)، يظهر إسم بعل منزر(Baal Manzer) كأحد ملوك صور دفع الجزية للآشوريين في الفترة ما بين (858 –841 ق.م) حيث تتوافق مع فترة حكم بجماليون حسب التقويمين الصوري واليهودي، كما أن ظهور إسمه لمرة واحدة في الحوليات الآشورية ولم يتكرر يرجّح أن التسمية هي مجرد كنية للملك بجماليون، وفي هذه الفترة تكون عليسا قد غادرت صور وأسست مدينة قرطاجة، كما يضيف جيرتو وسيلة أخرى للتعرف على تاريخ تأسيس قرطاجة، من خلال دراسة تطورات الحروف الفينيقيّة من خلال نصب نورا نقوش السالف الذكر الذي يعود إلى الفترة ما بين (890 و840 ق.م) (Gertoux, 2015, 87-92,98).

أما بالنسبة للأعمال الأثرية في قرطاجة البونية، فقد أدت تطورات حملة التنقيب الدولية التي رعتها اليونسكو، للتعرف على أقدم الخزفيات من طراز توفاة (Tophet) خاصة الخزف الإغريقي القديم الذي جعل من الممكن الرجوع إلى الفترة ما بين حوالي 730–725 ق.م لتأسيس قرطاجة، مما يترك فجوة زمنية تقارب القرن من تاريخ (814–813 ق.م) المعتمد لتاريخ تأسيس قرطاجة ما بين (Lancel,1993, p.1783)، وقد واجه هذا التاريخ رفضا في وقته (Rebufatt, 1971, p. 160) ، وبالمقابل كانت قوة البراهين والآثار المادية التي عثر عليها في قرطاجة أكبر دليل على أن نواة المدينة تعود إلى أواخر القرن الثامن وبداية السابع على الأقل بناء على حفريات معبد صلامبو(Salambo) سنة 1949م أقدم أحياء قرطاجة

(غانم، 2003، ص 104)، وكذلك ما تم العثور عليه في الطبقتين الأولى والثانية في معبد تانيت (Tanite)، حيث تم العثور في الطبقة الأولى على جرار تعود إلى نهاية الألف الثانية وبداية الأولى، وفي تانيت الثانية عثر على مزهريات ذات نمط كنعاني، أما الخزف الأحمر الذي يعود إلى القرن السابع يرجح أنه مرتبط وجوده بتأسيس مستوطنة إبيزا (Ipiza)، كما تم العثور على معدات صناعية وفنية تعود إلى أواخر القرن التاسع وبداية القرن الثامن شبيهة بصناعات الشرق الأوسط، بالإضافة إلى مجموعة الألواح الستة عشر التي تؤرخ لأسلاف البونيين المعاصرين لعليسا تعود إلى حوالي 800 ق.م (Rebufatt, 1971, p. 165).

آخر الأعمال الأثرية في موقع قرطاجة البونية قامت به الحملة العالمية لإنقاذ قرطاجة والتي عثرت على مجموعة خزفية تعود الى الفترة الزمنية المؤرخة ما بين القرن العاشر ومنتصف القرن الثامن قبل الميلاد، بالإضافة إلى بقايا مسكن قديم يعود إلى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد (برونية والطاهر، 1999، ص 119)، وهذا ما يدفع روبفات إلى اقتراح تأسيس قرطاجة ما بين (820 – 813 ق.م) (Rebufatt, 1971, p. 172)، أما جيرارد جيرتو ووفقا لنتائج الأبحاث الأثرية في قرطاجة وخارجها ونتائج التزمين التي اشتغل عليها، فيسعى الى تقديم تاريخ تأسيس قرطاجة إلى ما بين (890 –840 ق.م) وعدم التقيد بما اقتبس من نصوص تيمايوس (Gertoux, 2015, p.87).

خلاصة الفصل:

من خلال التعرض إلى النصوص الأدبية الرومانية التي تشير إلى موضوع تأسيس قرطاجة ومؤسسها، يمكن التوصل إلى جملة من النتائج أبرزها:

- إصطبغ تاريخ تأسيس قرطاجة بلمسة السرد القصصي المشابه لأساطير الإغريق، لذلك يجب الوقوف على العوامل والظروف التي جعلت الرومان يخوضون في كتابة تاريخ قرطاجة بهذا الأسلوب، وهو الدعاية زمن الحرب البونية الأولى حيث شهد الأدب الروماني بروز شعراء الساتير(شعر السخرية) الشفوي الذي لم يبق منه سوى شذرات اقتبسها الشعراء المتأخرين مثل فرجيلوس، ثانيا مقتضيات العصر الإمبراطوري وما تفرضه هذه المرحلة السياسية من تجديد، فقضى الانتقال من الحكم الجمهوري الى الطور الإمبراطوري استعادة واستذكار أمجاد الرومان الغابرة. واعتبار العهد الجديد محاكاة لتاريخ السلف.

- ارتبط اهتمام الكتاب الرومان بتاريخ تأسيس قرطاجة، بما هو نابع من الغموض الذي يكتنف تاريخ تأسيس المدينة ومؤسسها، وما يحرك فضول الكتاب للحديث عن ذكرى هذه المدينة، التي أبيدت وظل صيتها ذائعا، بل ظلت ترهب أعدائها حتى بعد دمارها، ومنها ما هو متعلق بالجانب السياسي والدعائي في روما حسب مقتضيات الحاجة والظروف السياسية التي مرت بها روما حتى أن بعض المعارف حول التأسيس والمؤسس تكاد لا تستند لأي معطيات موضوعية.

قائمة المراجـــــــــع:

I-المراجع العربية:

1- أبو المحاسن عصفور، محمد. (1981). *المدن الفينيقية*. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

2- أوفيد. (1992). *مسخ الكائنات.تر: ثروت عكاشة:* القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

برونية، الشاذلي و الطاهر ،محمد. (1999). *قرطاج البونية تاريخ وحضارة*. تونس: مركز النشر الجامعي.

3- دوكريه، فرونسوا. (1996). *قرطاجة أو امبراطورية البحر*. سوريا: الأهالي للطباعة والنشر.

4-العهد القديم.(د.ت). موقع الأنبا تكلاهيمانوت القبطي الأرثوذكسي: https://sttakla.org/Bibles/BibleSearch/showChapter.php?book=11.&chapter=1 تاريخ الاسترداد: 3، 2022

5-غانم، محمد الصغير غانم. (2003). *التوسع الفينيقي في غربي المتوسط*. قسنطينة: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

6- غانم، محمد الصغير غانم. (2003). *معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر*. قسنطينة: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

7- شمعون، غريغريوس صليبة. (د. ت). *الممالك الآرمية*. حلب : مطرانية السريان الأرثوذكس.

8- نصحي ابراهيم. (1973). تاريخ الرومان (133-44 ق.م) ج2. ليبيا: منشورات الجامعة الليبية.

II- المراجع الأجنبية:

1- Appien.(2022). The Punic War, on the site: Perseus Digital Library, http://www.perseus.tufts.edu/hopper/text?doc.retrieve on: 22-6-2022.

2- Camps, G. (1995). Didon Elishat. *Encyclopédie Berbére*, n° 15.pp. 2310-2311. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2256.

3- Cicéro, M, T. (1823). De Républica, Lib II. Bostoniae: Everett.

4- Clavé, Y. (2017). Unités de mesure et valeur des monnaies. Le monde romain: VIIIe siècle av. J.-C. - VIe s. apr. J.-C. (pp. 408-409). Paris: Armand Colin.

5- Commentaeia. (1557). in Solini, C,J. Poyhistoria et Florim L. Romanurum Rebus ge .Basileae [Basel]: Per Henrichum Petri. Cum Caesareae

6- Donys de Halicarnasse.(1723). L'Antiquités Romaines, Tom I.Paris: Phelippe-Nicollas Librairie.

7- Diodorus of Sicily. (1947). *The Library of History*, , XIX. London: William Heinmann Ltd.

8- Fantar, M. (1992). Byrsa. *Encyclopédie Berbère*,n°11. pp. 1670-1673. Dio: https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.1887

9- Fantar, M. H. (2010). Elyssa de Carthage Apports d'un mythe fondateur. *Mare internum: archeologia e culture del Mediterraneo*, 2. pp. 1-30.
10- Flandin, J. M. (S.d). *Le Songe Ou Le Coq*. Paris: Fernand Sorlot Edition.
11- Gertoux, G. (2015). *Jonah vs King of Nineveh: Chronological, Historical and Archaeological Evidence.* S.L: Lulu.com.
12- Gsell, S. (1918). *Histoire Ancienne de L'Afrique de Nord, Tome I.* Paris: Librairie Hachette.
13- Gsell, S. (1918). *Histoire Ancieen De L"Afrique du Nord Antique Tome II.* Paris: Hachette Liberaire.
14- Hellegouarc'h, J. (1964). Les buts de l'oeuvre historique de Velleius Paterculus. *Latomus*, *23*(4), 669–684.
15- Hérodote. (1858). *Histoire.* Liv IV, Trad: Larcher Paris: Charpentier Libraire-Editeur.
16- Italici,S. (1890). Punica, Vol Prius, Lib I- X. Lipsiae: in Aedibus B.G. Teubneri.
17- Josèphe, F. (1833). *Oeuvres complètes, Contre Apion,* Trad: Théodore Reinach et Autres. Paris: Publications de la Société des études juives.
18- Justini. (1830). *Historiae philippicae.* Lipsiae: Apud C. H. P. Hartmannum .
19- Livi, T. (1873). *Ab urbe condita, Lib XXXI- XXXVIII* . Lipsiae: Umptibus Et Typis B. G. Teubneri.
20- Livi, T. (1877). *Ab urbe condita, Lib XXXIX- XLXV Et Epitom Lib XLVI-CXI* . Lipsiae: Umptibus Et Typis B. G. Teubneri.
21- Lucien de Samosate. (1912). *Toxaris ou L'Amitie.* Trad:Augéne Talbot Paris: Edition Hachette.
22- Maleuvre, J.-Y. (1991). Virgile est-il mort d'insolation. *L'antiquité classique*, n° 60. pp. 171-181. https://doi.org/10.3406/antiq.1991.2311.
23- Muller, C. (1885). *Fragmenta Historicorum Graecorum.* Parissis: Ed Amprosio Firmin Didot.
24- Oeuvre Complete de virgile, Trad: J-P- Charpentier. (1859). Paris: Garnier Freres Librairie Editeur.
25-Orace.(2017). *Odes, (Trs: N. Translator), BK II*, Cambridge: Cambridge University Press
26- Paterculi, C. V. (1829. Historiae Romanae libri duo, notis adiectis. Lipsiae: Sumptibus Et Typis Car. Tauchnitil.
27- Plinii, C, S. (1837). Historae Naturalisa (Lib VII- XXVIII). Leipsig: Umptibus Et Typis B. G. Teubneri.
28- Plinii, C, S. (1851). Historae Naturalisa (Lib I- VI). Leipsig: Umptibus Et Typis B. G. Teubneri.
29- Polybe. (1847). *Histoire Générale, (T I),liv I, III, Trad: Félix Bouchot.* Paris: Charpentier Liberaire-Editeur.

30- Polybe. (1847). *Histoire Générale, (T III), Trad: Félix Bouchot*. Paris: Charpentier Liberaire-Editeur.

31- Quintus, C, R. (1696). Alexandri Magni. Lugduni Batavorvm : Excudit Petrus vander Aa, bibliop.

32- Rebufatt, R. (1971). Note Sur Les Premiers Temps de Carthage. *Revue des Etudes Ancienne*, n°73, 159-175.
https://doi.org/10.3406/rea.1971.3893.

33- Ripoll, F. (2003). Un héros barbare dans l'épopée latine : Masinîssa dans les Púnica de Silius Italicus. *L'antiquité classique*,72. pp. 95-111. https://doi.org/10.3406/antiq.2003.2509.

34-Paul, J. (1990).Tite-Live et le métier d'historien dans la Rome d'Auguste. Bulletin de l'Association Guillaume Budé, n°1. pp. 32-47.

35- Scheid, J., & Svenpro, J. (1985). Byrsa La Ruse d'Elisa et La Fondation de Carthage. *Annales (Economies, Sociétés, Civilisations)*, 40, n°2. pp. 328-342. https://doi.org/10.3406/ahess.1985.283165.

36- Saint Beuve, C -A . (1857). *Etude sur Virgile* . Paris : Garnier Frères Libraires -Editeur.

37- 35- Strabon. (1880). *Géographie, (Tom. III) Liv XVII, Trad: Amédé Tardieu.* Paris: Libraire Hachette.

38-Strabon. (1805). *Géographie, (Tom. I) Liv III.* Paris: l'Imperimerie Impériale.

39- Vergili, M. (1886). *Ænied*. Lipsiae, B. Tavehnitz.

II – نساء قرطاجيات في المصادر الرومانية

1 – الملكة المؤسسة: عليسا، عليشا، ديدو

2 – الأميرة صافونبعل

3– أنموذج نسائي آخر: زوجة أصدربعل

4 – جانب من تأثير سير النساء القرطاجيات في التاريخ والأدب العالمي

منذ النشأة الأولى لقرطاجة ارتبط اِسمها في المصادر الأدبية الإغريقية ثم الرومانية بالمرأة، أولا المرأة المؤسسة ملكة صور عليسا ديدو، والتي بدورها خطفت البنات القبرصيات للزواج بالشباب المرافق لها وحملتهن من قبرص إلى الساحل الليبي ليكن بدورهن النواة الأولى للمجتمع القرطاجي (Bonnet, 2011, p. 25)، واستوقفت الكتاب الرومان محطات نسائية خاصة ونادرة جدا، من خلالها يمكن التعرف على وجهة النظر الرومانية في المرأة القرطاجية، حيث تشير النصوص الرومانية إلى عليسا ديدون المرأة المخادعة، والمرأة صاحبة الغواية بفضل جمالها تمكنت صافونبعل من غواية ملوك نوميديا لحماية موطنها، ثم زوجة أصدربعل المرأة التي خُذلت من طرف زوجها فألقت بنفسها في النيران التي تلتهم مدينتها.

1-الملكة المؤسسة: عليسا، عليشا وديدو

تعتبر عليسا شخصية معنوية أو رمزية للعديد من المؤرخين، لكن المصادر تصورها على أنها إمرأة سليلة بيت حاكم، أجبرتها ظروف معينة على الهجرة من موطنها نحو الساحل المغاربي ثم تؤسس مدينة قرطاجة، لذلك صورتها المصادر بعدة أوجه وحملت الكثير من الصفات الإنسانية وساهمت في العديد من الأحداث السياسية والتاريخية في عصرها.

1-1-الإِسم ومعناه: تحمل مؤسسة قرطاجة اِسمين أحدهما عليسا أو عليشا وهو اِسم شائع في فينيقيا –ولا يزال إسم إليسا وإليسار شائعا في لبنان الحالي– كما شاع في قرطاجة، وفُسِرَ معناه لدى بعض علماء اللغة بالفرح والسعادة، وفريق آخر جعل المعنى قريب إلى الشخص الذي يلف ويدور، ربما ارتبط هذا الوصف برواية المكر ورمزية جلد الثور، أو الشخص كثير التجوال، لكنها فرضية ضعيفة لم تلق سندا تاريخيا، وفي اللغة الفينيقية يطابق الجذر علش (LS) الجذر العربي علث (LTH)، ومن المعاني الدلالية لهذا الجذر القتال بضراوة والإصرار على النصر(Fantar, 2010, p.5).

والاِسم الثاني هو اِسم ديدو ويعني في اللغة الفينيقية محبوب الإله بعل، وفي اللغة الإغريقية يعني محب العطاء، لكن ستيفان جزال يلجأ الى اللغة البونية ويجعله صفة للمرأة الشجاعة أو المسترجلة أو حامية المكان (Gsell, T I, 1918 , pp. 392-393)، ويربطه كامبس بالأصل الليبي ويستدل باِسم الملك الليبي ديد الذي قاتل المصريين الى جانب شعوب البحر في 1224 ق.م (Camps,1995, para.7)، في حين يفضل محمد فنطر الرجوع الى الاِسماء البونية ذات الأصل المحلي ويستند إلى الجذر العبري من مجموعة اللغات السامية

ويعني المحبة والمودة والاحترام كما يستند للتراث التونسي الذي لا يزال يطلق على الشخص المسن الذي يحظى بالاحترام والمحبة خاصة الجدات اِسم دادة (Fantar, 2010, p.5).

عرف اِسم ديدو لدى تيمايوس الذي يشير إلى عليسا بتسميتها الفينيقية، وتيوسو التسمية الإغريقية، إلى جانب ديدو الاِسم الذي أطلقه عليها سكان ليبيا، كما ذكر اِسم ديدو مجموعة من الأدباء والمؤرخين الرومان مثل نيفيوس (275 ق.م)، وإنيوس[1] (239- 169ق.م) اللذين لم يبق من مدوناتهما سوى شذرات، وأصبح أكثر شيوعا في أواخر القرن الأول قبل الميلاد في فجر الإمبراطورية الرومانية بسبب شهرة إنيادة فرجيليوس إلى جانب عديد الكتاب والشعراء الذين أطلقوا اِسم ديدو على ملكة قرطاجة (Gsell, 1918, TI, p. 392) ، لكن ما يلاحظ في قصائد أوفيد (Ovide) (43 ق.م – 18م) ذكره للإسمين منفصلين، فتارة يستخدم إسم ديدو في قصيدة البطلات (Fasti) حيث ورد لديه "Arserat Æneæ Dido miserabilis igne" " لقد أحرق إنياس ديدو بنار يرثى لها" (Ovide, 1884, Lib III) ، وتارة أخرى يذكرها باِسم عليسا مثل ما ورد في قصيدة الأبطال (Héroïdes) ""Ipse sono tenui dixit: "Elissa, veni" " قال بنبرة هادئة: إليسا تعال" (Ovide, 1875, Eptr III,).

أما فاليوس باتركيلوس فقد أشار إلى الإسمين مجتمعين "Ab Elissa Tyria, quam quidam Dido autumant"(Patrculus, 1829, Lib I, VI) "عليسا الصورية، والتي يريد البعض تعريفها بديدو، وفي القرن الثاني للميلاد يتداول اِسم عليسا بمفرده مثلما ما ورد لدى سيليوس ايطاليكوس "urbe fui sacrum genitricis Elissa manibus et patria tyr" "كنت المدينة المقدسة بين يدي الوالدة عليسا والبلد صور" (Italicus, 1836, Lib, I, 81, 98) ومختصر جويستيني كذلك (Justini,1830, Lib XVIII,6).

يرى ستيفان جزيل بأن الرومان قد فضلوا اِسم ديدو الذي وظفه فرجيل في إنيادته، ربما للدلالة على الرحلة التي خاضتها عليسا من فينقيا إلى السواحل المغاربية والتي هي أحد معاني الاِسم الذي اختار أن يناديها به سكان ليبيا القدامى، وهو الجانب الذي يعنى به الرومان وهو

[1] – الشاعران إنيوس ونيفيوس: شاعران رومانيان من القرن الثالث قبل الميلاد، عاصرا الحرب البونية الأولى وكانت موضوع أشعارهما، فقد ألف نيفيوس ملحمة الحرب البونية من 5000 بيت، تعرض فيها إلى رواية وصول إنياس من طروادة إلى قرطاجة، وقصة الحب بينه وبين ملكتها، ثم رحيله إلى إيطاليا، للمزيد ينظر: (Dupont, 2022, pp. 153, 158, 163) .

شخصية الملكة في بلاد المغرب القديم (Gsell, 1818, T1, p.392)، لكن هذا الرأي لا يستند إلى الواقع، فمن خلال الكتاب الذين ذكروا لم يلتزموا بإسم ديدوا بل إستخدموا كلا الإسمين.

تنقسم صفات عليسا التي أشار إليها الكتاب القدامى إلى صفتين، صفة القوة والشجاعة التي يتميز بها الرجل في العالم القديم، فالرجل هو من يوجه شعبه ويؤسس المدن ويأخذ الحكم والسيادة، و ويضحي بنفسه بالإنتحار بالحديد والنار ويموت بشجاعة من أجل خلاص شعبه، وصفة المرأة الضعيفة، التي أظهرها المؤلفون القدامى في شخصية عليسا ديدو، من خلال حزنها على وفاة زوجها الكاهن، والمرأة التي أحبت رجلا هجرها وتحولت مشاعرها إلى حقد وكراهية، وطلب يدها للزاواج من طرف ملك الماسيل هيرباس حيث وجدت نفسها في موقف محرج لم تجد له حلا سوى إنهاء حياتها من أجل حرية شعبها (Sanchez, 2017, para2, 3).

3-2- شخصية المرأة القوية والماكرة:

إن الرواية الأكثر إسهابا وشرحا في تقديم الأميرة الفينيقية جاءت في مختصر تاريخ تروغوس بومبيوس لصاحبه جوستيني:

> quum interim rex Tyro decedit, filio Pygmalione, et Elissa filia,…, sed populus Pygmalioni admodum puero regnum tradidit. Elisa quoque Acerbæ avunculo suo, sacerdoti Herculis, qui bonos secundus a rege erat, nubit. Huic magnæ,…,Pygmalione,…,ocidit. Elissa…, dissimulato odio quibusdam principbus in societatem, quibus par odium in regem esse, eamdemque fugiendi cupiditatem arbitrabatur. (Justini,1830, Liv XVIII, IV, 10-12).

> بعد وفاة ماتون خلفاه بيجماليون وعليسا،... لكن الشعب نادى ببجماليون ملكا عليهم، وتزوجت عليسا من خالها عاشرباص كاهن معبد هرقل الذي كان يحتل المرتبة الثانية في الدولة، كان يمتلك كنوزا هائلة،... قام بجماليون بذبحه،...، عرفت عليسا،...، كيف تستعد سرا للفرار من قصر أخيها، مع بعض العظماء الذين يكنون الكراهية للملك.

حسب المصادر الرومانية فعليسا أميرة صورية، أجبرتها الظروف السياسية التي مرّ بها البيت الملكي على التفكير في الانسحاب من مدينتها، وإنشاء مستوطنة غرب المتوسط تجمع فيها كل معارضي السلطة في صور، ولم تكن هذه المرأة مجرد أميرة وجدت نفسها في قصر الحكم، لكن ذكائها الحاد وفطنتها إلى جانب طموحها السياسي ورغبتها في السلطة، أهلتها

لخوض دورا تاريخيا وهو تأسيس وحكم نواة المدينة التي سيكون لها دورا كبير في تاريخ البحر المتوسط والعالم القديم (منصوري، 2008، ص 272).

لا يمكن معرفة موقفها أمام رفض الشعب الصوري لزعامتها عليهم وتفضيل شقيقها بجماليون، حيث إهتم فرجيلوس بزواجها الذي تمّ تحت إشراف والدها ومباركته وهو على قيد الحياة(Vergile, 1808, Lib I, 342-344)، أما جوستيني فيرى زواجها من عاشرباص كإختيار لسلطة بديلة وموازية لسلطة القصر (Justin,1830, Liv XVIII, IV, 10-12)، من خلال الوقوف في صف الفريق المنافس لسلطة شقيقها، وبعد مقتل زوجها وأمام تصميمها على الانفراد بالحكم وممارسة السلطة السياسية التي سيحرمها شقيقها منها إذا رضخت له (Vanotti, 2002, p. 63)، فضلت أسر مشاعر الحقد، أمام تحديد أولوياتها، حبكت خطة الفرار بكنوز زوجها- إذا افترضنا أن هناك جريمة قتل قد حدثت فعلا-، وتعتبر هذه الخطوة بمثالة اللبنة الأولى لبناء المدينة وهي تهيئة الجانب المادي (عيساوي، 2010، ص 205).

وقبل التوجه للساحل المغاربي يضيف جوستيني:

primus illis appulsus terræ Cyprus insula fuit: ubi sacerdos Jovis, cum conjuge et liberis, deorum monitu comitem se Elissa sociumque fortunæ ofrert,…,harum igitur ex numero LXXX admodum virgines raptas navibus imponi Elissa jubet: ul et juventus matrimonia, et urbes sobolem, habere posset duni hæc aguntur(Justin,1830, Lib. XVIII, V,1-5)

وصلوا أولا إلى قبرص، حيث عرض كاهن الإله جوبيتر مرافقة عليسا ومشاركتها لثرواته...، وأحضرت عليسا ثمانون فتاة قبرصية لتكون زوجات للشباب المرافقين لها وليعمروا مدينتها

استقلت عليسا السفينة بمعية حلفائها المعارضين للسلطة في المدينة وانطلقت نحو قبرص حيث اتفقت مع الكاهن أن يكون الكهنوت في المدينة الجديدة من نصيبه، وتم جلب ثمانين فتاة قبرصية لتزويجهم من الشباب الصوري، النواة الاجتماعية للمدينة، ثم كان الانطلاق نحو الساحل الإفريقي، بعد تحديد الإطار الديني الذي يبدو أنه من أولويات الملكة، كما يظهر تمسكها بالقيم الدينية الفينيقية من خلال جلب الكاهن لإنشاء وتقوية الجانب البشري الذي سيساهم في دعم المدينة الناشئة (Fantar, 2010, p. 10).

من خلال نص جوستيني تبدو الملكة ذات وعي بشؤون السياسة والحكم وكذلك الاقتصاد، ولم تكن مشاعرها هي الموجه الرئيسي لمصيرها ووجهتها على غير هدى نحو ليبيا القديمة،

لكن الحكمة وبعد النظر، أو ما يسمى بلغة العصر الدراسة الاستشرافية للمستقبل هي التي جعلتها تختار هذا المصير، محاولة في ذلك توفير الشروط اللازمة لنشأة مدينة، أولا بتوفير العنصر المادي المتمثل في المال، وكذا التركيز على الجانب الديني وتغذية العنصر الروحي بضرورة وجود كاهن في موكب هجرتها إلى الوطن الجديد، وتقوية العنصر البشري بدماء جديدة من قبرص، ويبقى الجانب الطبيعي الذي تم اختياره في خليج الساحل الليبي الذي سيحمل اِسم قرطاجة له خصوصيات طبيعية واستراتيجية مميزة تجعل موقعه فريدا من نوعه ما بين حوضي المتوسط.

إن أشعار فرجيلوس تحمل الكثير من الإيماءات والإيحاءات والرمزيات الشعرية المؤسسة على الخيال الأدبي الصرف، يصفها بداية الأمر عند وصول إنياس البطل الطروادي الجد الأسطوري للرومان إلى قرطاجة بالملكة القوية التي تجلس على عرش مملكتها كالآتي:

forma pulcherrima, Dido incessit, magna juvenum stipante caterva, per medios, instans opera regnisque futuris. Tum foribus divæ media testudine templi, septa armis, soloique alte subnixa resedit. Jura dabat, legesque viris, operumque laborem partibus æque abatjustis, aut sorte trahebat (Vergili,1808, Lib. I, 500-505).

يصل موكب كبير بصوت الدرون، ويسبقه الضجيج وتحية المدفع، وتحاط الملكة بكبار ضباطها، وتتقدم ببطء برفقة حراسها، والنساء في انتظارها، تشير أناقتهن عن حفل في الساحة، تحت القبة المهيبة على المحيط الواسع على عرش من اللازورد تستريح ديدو، تهتم باحتياجات الإمبراطورية الناشئة، هناك تعلن قراراتها والوظائف المشتركة، الأوسمة السياسية، التصاريح الممنوحة، والمكافاءات والمنح، والضرائب واللوائح والقوانين.

لم يُغْنِ المشهد السياسي والإدارة القوية للملكة عن نظرة المكر والغدر التي ألصقت بالعنصر البوني بسبب التنافس المحموم، حيث ينُظر إليه بنظرة المجتمع الغادر غير الجدير بالثقة وأطلق على عدم الثقة (fides punic الغدر البوني)، وتمثل عليسا رأس هذا المجتمع والأنموذج الأول في المكر والحيلة، وهي التي تمكنت من مراوغة شقيقها حتى تتمكن من الفرار بأموال زوجها، ثم خداع الملك الليبي عند شرائها لقطعة أرض بحجم جلد الثور وفي مخططها بناء مدينة، ثم خداع الملك الليبي عندما طلب الزواج منها (Noel, 2014, para. 6) .

″ad postremum, respondit. In hoc trium mensium sumpto spatio, pyra in ultima parte urbis exstructa, velut placatura viri menesmultas hostias cædit,

et, sumpto gladio, pyram conscenditm"(Justini, 1830, Lib. XVIII, VI, 6-7)

"فطلبت وقتا ثلاثة أشهر للتفكير،... وقد شيدت محرقة في أحد أطراف المدينة، بحجة تقديم القرابين لروح زوجها السابق، وحملت السيف وصعدت الى المحرقة".

2-3- ديدو المرأة الضعيفة:

بعدما وصف فرجيليوس قوة الملكة القرطاجية التي تتضح من خلال عمران مدينتها القوية، ومجلس أعيانها والمنظومة القانونية والسياسية التي تسيرها، يجعل منها إمرأة ضعيفة بعد لقائها بالجد الأسطوري لشعب روما من خلال حوارها مع شقيقتها أنّا (Anna):

Conjugis, et sparsos fraterna cæde penate,
Solus hic inflexit senssus, animumque labantem
Impulit: agnosco veteris vestigia flammæ,…,
Abstulit: ille habeat secum, servetque sepulcro (virgile ,1808, lib. IV, 23-24, 27,29)

منذ اليوم الذي لطخت يد الأخ بدم زوجي،

إنياس الوحيد الذي جعل روحي حساسة، وفضيلتي تتهاوى،

أعرف النار التي ستحرقني، لكن الأرض المفتوحة تبتلعني في هاوية ...،

فليحتفظ بحبي وسأحتفظ به في قبري.

لا يستند لقاء إنياس الذي فرّ من حرب طروادة حوالي 1215 ق.م وعليسا - من القرن التاسع قبل الميلاد- إلى قرينة تاريخية، ولا يعرف على وجه الدقة هل خيال فرجيلوس جمعهما من أجل تحقيق أهداف وأغراض معينة؟ أم أن فرجيلوس كان مجرد جامع للروايات المتداولة في روما، حيث يذهب فريق من المؤرخين إلى أن قصة لقاء عليسا وإيناس كانت شائعة لدى الرومان منذ أحداث الحرب البونية الأولى، اخترعها الشاعر نفيوس الذي عاصر الحرب البونية الأولى وسرد بعض تفاصيلها، كما أشار إلى فرار إنياس من طروادة ومقابلته مع مضيف لم يفصح عنه، قد يكون ديدو أو غيرها، لكن الباحثين أفترضوا أنها عليسا ديدو خاصة عندما وُظفها فرجيلوس، مثلما افترضوا أن نفيوس أحد مصادر فرجيلوس(Viredaz, 2020, p. 50) .

وما يدعم شائعة لقاء عليسا ديدو وإنياس قبل الإنيادة وجود لوحات فنية عثر عليها في قصور وبيوت مدينة بومبي (Pompéi) التي دمرها بركان فيزوف سنة 79 م، حيث تم التعرف على لوحة ديدو اليائسة في تريزينيو (Terzigno) شمال مدينة بومبي، تعود نشأة القصر الى

القرن الثاني قبل الميلاد(Strocka, 2006, p.79)، وهو الأمر الذي يفرض السؤال عن الأسباب التي جعلت فرجيلوس يوظف هذه السردية في الإنيادة؟

إن سبب إضفاء المشهد العاطفي في سيرة عليسا ومآثر إنياس الجد الأسطوري للرومان، افتتاح العصر الإمبراطوري على يد جالب السلام أوكتافيوس أغسطس بنهاية الصراع بينه وبين ماركوس أنطونيوس، يضع إنياس كأنموذج للتضحية متمثلا في شخص أغسطس أوكتافيوس أمام ماركوس أنطونيوس، الذي يكن عواطفا لملكة شرقية وهي كليوبترا، وقد جرفه تيار المشاعر بعيدا عن الحكمة التي تقتضيها الظروف السياسية في روما، ومن خلال الدعاية السياسية التي توضح تأثير الزواج والعلاقات العاطفية التي تتعارض مع الواجبات الدينية والسياسية، التي تفرض على الحكام والقادة التضحية من أجل الحفاظ على الممالك والأوطان (Vanotti, 2002, p. 50)، حيث ألهمت الآلهة إنياس بالرحيل الى مصيره الذي فرّ من أجله من طروادة، وقد لب نداءها متخليا عن عليسا ديدو، كما يظهر أوكتافيوس المخلص للشعب الروماني من كل الاضطرابات السياسية والاجتماعية، الذي يحتاج إلى قبول بالإجماع ليتم تنفيذه مشروعه على أرض الواقع فوظف فرجيلوس لقاء إنياس بملكة قرطاجة، رمزية العداء القديم للشرق والإنتصار عليه (عتمان، 1989، ص 202).

كما شكل أصل أوكتافيوس الذي ينحدر من أصول العامة من جهة والده الذي كان يمتهن صناعة الحبال من مدينة فيليترس(Vélitres) في لاتيوم، أما والدته فتنتمي الى أحد فروع يوليا (Julia) أقارب يوليوس قيصر، فهو بالتالي أقل صيتا من ماركوس أنطونيوس الذي يعود الى أبناء هيركل من جهة والده وأحد فروع أسرة (يوليا) كذلك من والدته، حيث شكل باب سخرية لأوكتافيوس أمام خصومه، مما جعل فرجيلوس يشبه إنياس الجد الأسطوري للرومان بأوكتافيوس، الأول واضع لبنة روما الأولى، والثاني واضع السلام لروما الجديدة (Dion, 2015, p. 288). ويعتقد سوتنيوس أنه كان يجب أن يطلق عليه اِسم رومولوس، لأنه بطريقة ما أعاد تأسيس روما (Suétone, 1777, Octavius,VI) .

أما السبب الآخر فهو محاكاة فرجيلوس لأعمال هوميروس، حيث يقتبس الكتاب الرابع من الأوديسة، عندما ينزل أوديسيوس في إقامة الحورية كاليبستو في جزيرة أوجيجيا [1] بعد أن رمته العاصفة التي أطلقها بوسيدون إله البحر عليه وهو ما ورد في قصة إنياس الذي سحبته العاصفة على سواحل ليبيا(Sanchez, 2017, para.3) .

وأخيرا فإن جهل فرجيليوس بدور المرأة بصفة عامة والملكات بصفة خاصة في حضارات الشرق، اللواتي نلن مكانة هامة في مجتمعاتهن، وتمتعن بحق المشاركة في الحياة السياسية مثل حتشبسوت ملكة مصر، سيراميس ملكة بلاد الرافدين وغيرهما، هذه الأدوار والحقوق التي لم تعرفها نساء روما اللواتي ظللن تحت وصاية الأب، الأخ والزوج، إلى نهاية فترة الجمهورية وبداية العصر الإمبراطوري ما بين 36–14ق.م (Pomeroy, 1994, pp. 109-110)، لم يتم الإشارة في مجمل التاريخ الروماني لإمرأة رومانية تحظى بمنصب سياسي، إلا تلك الأدوار خلف أبواب قاعات الحكم(Haouachi, 2017, pp. 59-61) ، لذلك جاء توظيف فرجيلوس لدور الملكة القرطاجية على شاكلة ما تعيشه المرأة في المجتمع الروماني الذي تخطو فيه المرأة خطواتها الأولى نحو المساهمة في الحياة السياسية وفرض نفسها في مجالات السلطة فجاءت صورة عليسا في الإنيادة مزيج بين المرأة القوية والملكة الحازمة، والأنثى الضعيفة التي لا يمكن أن تتصرف دون وجود وصي عليها (Noel, 2014, Para. 6).

ومن خلال العملة الرومانية التي تُظهر بها نساء رومانيات، إلا إن أول صورة نقدية للمرأة في 43 ق.م هي فولفيا (Voulvia) زوجة ماركوس أنطونيوس (Marcus Antonius) ولم تكن صاحبة سلطة، على غرار الرجال الذين تم تصويرهم كانوا جميعهم ذوي مهام سياسية وعسكرية، كما ظهرت اثنتان منهن خلال الحرب الأهلية فولفيا مرة أخرى وأوكتافيا (Octavia) زوجتا ماركوس أنطونيوس على التوالي، واثنتان في عهد أوكتافيوس، ليفيا (Livia) زوجته وجوليا (Julia) والدته، وفي فترة حكم تيبيريوس، حظيت ليفيا بامتياز تصويرها على العملة كوالدة الإمبراطور (Delrieux & Ferriès, 2016, pp. 82-83)

[1] – الحورية كاليستو: عندما قرر أوديسيوس ملك إيثاكا العودة إلى مملكته بعد حرب طروادة، تاه في البحر واستقبلته حورية الماء كاليستو في جزيرتها ثمان سنوات، حتى أمرتها مينرفا ربة الحكمة بإطلاق صراحه ومساعدته في بناء سفينة ليعود بها إلى بلده، للمزيد ينظر: (هوميروس، 1945، ص ص 5–6)

تم تصوير شخصية عليسا لدى فرجيلوس وفقا لخطة أوكتافيوس أغسطس، الذي أقدم على تغيرات جذرية في روما على المستوى السياسي، والديني، والاجتماعي تتماشى مع متطلبات المرحلة الإمبراطورية الجديدة، حيث أسطورة تأسيس ورامُوس وروميلوس لم تعد كافية لهذا العصر مما جعل فرجيلوس يضيف فصلا آخرا في تاريخ روما وخلق جدا أسطوريا للشعب الروماني سليل طروادة، من خلاله رمز الى احراق قرطاجة من طرف الرومان هذه الرواية التي كانت معروفة في وقت ما لدى الرومان، فأراد تذكيرهم بها وهو تذكير بأولى البطولات التي حققتها روما خارج إيطاليا.

2-3 –نهاية عليسا:

تمكنت عليسا من قيادة شعبها في المدينة الجديدة، وعند إزدهارها كانت نهاية الملكة، بالتضحية بنفسها في سبيل خلاص شعبها، لكن مبرر وأسباب التضحية تختلف من مؤلف إلى آخر، حيث يضع فرجيلوس سبب انتحارها فشلها في استرجاع إنياس، فلجأت الى الطقوس السحرية التي من شأنها أن تساعدها ويتضح ذلك من خلال هذه الأبيات:

Inveni, germana, viam, gratare sorori،

Quæ mihi reddat eum, vel eo me solvat amantem,…,
Hinc mihi Massylæ gentis monstrata sacerdos،
Hesperidum templi custos, epulasque draconi,…,
Sistere aquam fluviis, et vertere sidera retrò (Vergile,1808, Lib. V, 478- 489)

هنئيني يا أختاه

لقد وجدت الطريق لإستعادته أو تحريري من حبه...

لقد قيل لي عن كاهنة... إمرأة ماسيلية...

تدّعي أنها قادرة على ...

توقيف مياه الأنهار وتعيد مسار الأبراج إلى الوراء

من شدة يأسها شرعت عليسا بالطقوس السحرية رفقة كاهنة الماسيل، لعل إنياس يتراجع عن قراره بالرحيل، وعندما لم يحدث ذلك، فانتقلت إلى الطقس الموالي وهو إطلاق اللعنات، ثم المرحلة الأخيرة عندما لم تتحصل على النتائج المرغوب فيها انتقلت إلى طقس الموت بالحديد والنار، حيث يبدو واضحا تأثر فرجيلوس بالأساطير الإغريقية(Sanchez, 2017, para 7-8).

بينما لا يعرف شيئا عن الطقوس الدينية البونية والليبية، فكيف تحضر كاهنة ماسيلية مع ملكة فينيقية لتأدية طقوس إغريقية في قرطاجة، وهي التي أصرت على جلب مشرف كهنوتها

من المستوطنات الفينيقية في قبرص قبل أي عمل آخر هو التأكيد على الجانب الديني، والأجدر أن تكون هذه الطقوس امتزاج بين الفينيقي والليبي.

لكن من جهة أخرى لم تكن التضحية البشرية في العالم الإغريقي منذ عصر هوميروس وحتى القرن الخامس قبل الميلاد عملا أخلاقيا، بل عمل بربري ضد إرادة الآلهة، لا يتوافق مع طبيعة الإغريق، ورغم ذلك تزخر الأساطير الإغريقية بالتضحيات البشرية التي تشترط في القرابين الجمال الظاهري والروحي الى جانب الأصل الرفيع، ضف إلى ذلك أن تكون الضحية البشرية من الإناث (Bonnechere, 2013, p. 21).

من خلال اشارة فرجيلوس الآتية:

"Dardanus, et nostræ secum ferat omina mortis.
Dixerat : atque illam media inter talia ferro
Collapsam aspiciunt comites, ensemque cruore
Spumantem, sparsasque manus" (Vergile,1808, Lib. IV, 662-665)

"من الرائع أن يكون لي رماد بين الأموات

أتمنى أن يأخذ الطروادي القاسي معه لعنة موتي،

بهذه الكلمات وجهت لنفسها ضربة قاتلة، لتجدها خادماتها تحتضر

والحديد المغروز لا يزال يتدفق في يديها الملطختين بالدم"

ترتبط حادثة انتحار عليسا لدى فرجيلوس بالعلاقات القرطاجية الرومانية، التي مرت بمراحل مختلفة من الصداقة الى التحالف ثم انفجرت الحرب بينهما، وهو ما ينظر اليه من خلال علاقة إنياس وعليسا التي عرفت مسارا مشابها لمصير العلاقات القرطاجية الرومانية، من السلام الى العداء الذي أسفر عنه القضاء على قرطاجة.

في حين يضع جوستيني سبب انتحارها هو طلب الملك النوميدي يدها للزواج مهددا شعبها بالحرب في حالة الرفض، حيث قال:

rex Maxitanorum Hiarbas, decem pænorum prin cipibus ad se arcessitis, Elissæ nuptias sub belli denuntia,…,ad postremum, respondit. In hoc trium mensium sumpto spatio, pyra in ultima parte urbis exstructa, velut placatura viri menesmultas hostias cædit, et, sumpto gladio, pyram conscenditm,…,dixit,Vitamque gladio finvit.Qumdiu Carthago invicta fuit pro dea culta est (Justin,1830, Lib. XVIII, VI, 1-8).

طلب ملك الماكستاني هيرباس عليسا للزواج وهدد بالحرب في حال الرفض،...،

فطلبت مهلة ثلاثة أشهر للتفكير،...، وقد شيدت محرقة في أحد أطراف المدينة،

بحجة تقديم القرابين لروح زوجها السابق، وحملت السيف وصعدت المحرقة،...،
وقالت إنْهِ حياتي أيها السيف. لطالما كانت قرطاجة لا تقهر مثل الآلهة.

ينظر الباحثون المعاصرون إلى نهاية عليسا المرتبطة بملك النوميديين، بمنظور الإستعلاء الفينيقي على العنصر المحلي، ورفض الإندماج مع الشعب الليبي الأقل تحضرا من البونيين، بالإضافة إلى الخوف من خروج الحكم من يد الفينيقيين الى العنصر الليبي وضياع المملكة منهم، والذي عبر عنه جوستيني:

> Com soccesso rerom llorentes Carthaginis opes essent; rex Maxitanorom larbas decem Poenorom principibos ad se arcessitis, Elissa noptias sob belli denontiatione petit, Qood legati regin referre metaentes, Ponico 153ome a ingenio egeront, nontiantes, regem aliqoem poscere qoi coltiores victos eom Afrosqoe perdoceat (Justini, 1830, Lib. XVIII, 6, 1-3).

كانت قرطاجة بالفعل غنية وقوية، عندما طلب هيرباس ملك ماكستاني من عشرة من شيوخ قرطاجة يد الأميرة عليسا تحت تهديد الحرب، لجأوا الى الحيلة القرطاجية، قالوا إن الملك يود أن يأتي أحدهم ليحضّر الأفارقة وملكهم.

يرى فنطر أن الزواج حتى لو لم يتم جسديا فالإمتزاج الحضاري بين الشعبين قد تم في عدة مظاهر وجوانب، ولا يوجد ما يضير إذا ما احتفظ كلا الشعبين ببعض الخصوصية، فإذا ظل القرطاجي مخلصا لأصوله الفينيقية، أو تمسك الليبي بعراقة أصله المحلي، وهذا ما ينفي الآراء التي ترى أن قرطاجة عاشت في عزلة عن محيطها الليبي(Fantar, 2010,p.23).

كما يمكن أن يكون سبب إنتحار عليسا هو دوافع أخرى تتعلق بسياسة الحكم وشؤون المملكة، فمن خلال مواقف بعض القادة العسكريين عند تأزم الأوضاع السياسية والعسكرية يقدمون على الإنتحار، مثل حادثة انتحار همليكار، عندما رأى الأمور ستؤول إلى الهزيمة في في معركة هميرا 480 ق.م أقدم على قتل نفسه (Justini, 1830, Lib. XIX, I, II).

2 – الأميرة صافونبعل (Saphanbaal):

اهتمت المصادر الإغريقية والرومانية القديمة بالأميرة القرطاجية صافونبعل، لأن حسب ما جاء في مدوناتهم ساهمت في تغيير سيناريو الحرب البونية الثانية (218–203ق.م) عندما أصبحت الحرب قاب قوسين أو أدنى من إفريقيا (حارش، 2020، ف1).

2–1– التسمية:

ورد اِسم هذه الأميرة القرطاجية صافونبعل بعدة تحويرات، حسب الألسن واللغات التي تنطقه، بل يقع الإختلاف بين المؤرخين من نفس العرق، حيث النقوش البونية يرد اِسم صافونبعل (צפנבעל) ويعني رعية الإله بعل، وصافومباليس(Saphambalis) على نقيشة لاتينية (Gsell, 1918 TII, Mrg n°1 p.187)، ويسميها تيتي ليفي (Livi, 1878, Lib XXX, XII,11) صوفونيبا (Sophoniba) ، أما لدى الإغريق فينطقها ديودور الصقلي صوفونفا(Σοφόνβα) (Diodore de sicile,1851, Liv XXVII, VII) ، وديون كاسيوس صافونديس (Σοφωνίδος) (Cassius,1845, Frgmnt I–XXVII, CCXI)، وتكتب لدى جوستيني بهذا الشكل صافو(Sapho) دون بعل (Justini, 1830, Lib XIX, 2, 2)، أما الاِسم الشائع لدى المؤرخين والباحثين في التاريخ المغاربي القديم هو صوفونيسبا(Sophonisbe) وهو من وحي مؤرخي المدرسة الفرنسية الذين حرفوا التسمية إلى لغتهم ويعترفون بذلك دون حرج، والصواب أن يُرَدَّ الاِسم لأصله البوني وهو صافونبعل رعية الإله بعل أو رعية بعل.

2–2– المولد والبيئة التي نشأت فيها:

هي ابنة أصدربعل بن جيسكون من أرستقراطيي قرطاجة ودبلوماسيها وأعيان مجلس شيوخها، تختلف الآراء في تحديد تاريخ مولدها ما بين 235 و219 و 218 ق.م. لكن تاريخ وفاتها مشهود في 203 ق.م، وتشهد المصادر الرومانية لهذه الأميرة بالتدين حيث قدست الآلهة القرطاجية في كيرتا عاصمة زوجها الملك سيفاكس (Livi, 1878, Lib XXX, XII)، بالإضافة إلى امتلاكها حسا موسيقيا عاليا، فهي تجيد العزف على عدة أنواع من الآلات الموسيقية البونية، يصفها ديون كاسيوس صافونبعل التي تمتلك جمالا باهرا، وذكاءا مميزا وجسما متناسقا،...، لها معرفة عميقة بالآداب والموسيقى، وروحا مفعمة بالرقي والفضائل باختصار كان لديها من السحر أن تظهر أو تنطق بكلمة واحدة حتى تروض القلوب الأكثر تمردا(Cassius, 1848, Liv. I-XXVII, CCXI).

إن إتقان النساء العزف على الآلات الموسيقية أمرا شائعا في قرطاجة، تشهد عليه تماثيل النساء الموتى وآلهة الأنوثة البونية، تمثل موسيقيات يعزفن على الناي المزدوج، القيثارة والطبلة، كما عثر على الصنج في قبور النساء في قرطاجة، أوتيكا وكركوان كما اكتشف صنجا في مقبرة بجانب كاهنة قرطاجية، وتحفظ تماثيل العاج بحركات الراقصات البونيات، كما تشير المصادر المادية إلى نوعين من الموسيقى في قرطاجة؛ الموسيقى الدينية الخاصة بالاحتفالات الكهنوتية والدينية، حيث أشار بلوتارك لاحتفال ديني يضم عازفات الفلوت وتم وضع الدف أمام تمثال الإله ملقرت، إلى جانب نوع آخر من الموسيقى خاص بالحفلات الإجتماعية، كما احترفت نساء الطبقة الراقية العزف على الآلات الموسيقية(Fariselli, 2017, para.13,15) مثلما هو الحال بالنسبة لصافونبعل التي تعلمت الموسيقى ومختلف آداب العالم القديم كنوع من التربية التي يعكف الآباء على تزويدها لبناتهم لتهذيب الروح وبلورة الشخصية.

2-3- دورها في الحرب البونية الثانية:

لم تتقلد الأميرة القرطاجية بعد زواجها من ملك نوميديا أي منصب سياسي رسمي في المملكة النوميدية، رغم اتهام المصادر الأدبية الرومانية بأنها سبب كل المصائب التي حلت بسيفاكس، حيث استخدمها والدها لإغواء الملك حتى يتراجع عن حلف الرومان وصداقتهم ويعقده والقرطاجيين حيث أشار تيتي ليفي:

> ad eam rem consummandsim tempusque nuptiis statuendum iam,…,data ultro citroque fide eos dem amicos inimicosque habituros,…, ceterum Hasdrubal, memor et cum Scipione initae regi societatis et quam vana et mutabilia barbarorum in genia,…, ut legatos in Siciliam ad Scipionem mittat, per quos moneat eum, ne prioribus suis promissis fretus in Africam (Livi, 1878, Lib. XXIX, XXIII, 4-6).

> كان على الملك أن يتزوج ابنة القائد القرطاجي أصدربعل، رغبة في التعجيل بإنهاء هذه أحضر ابنته من قرطاجة وأقام الزواج العلاقة وتحديد موعد الزواج،...، أعقبه الإتحاد الخاص بالعائلتين وتحالف بين الشعبين ووعد كل منهما الآخر أن يكون له نفس الأصدقاء ونفس الأعداء، لكن صدربعل لم ينس أن هناك معاهدة بين سكبيو والملك،...، لذلك استغل حالة سكر سيفاكس وغواية ابنته وأقنعه من جديد بإرسال نواب إلى صقلية إلى سكبيو لمنعه من الذهاب إلى إفريقيا.

وفي موضع آخر يُحَمل يتهمها بغوايتها لملك الماسيسيل والمتسبب الأول في نبذ تحالفه مع الرومان حيث يقول: "Inter haec ne Syphacis quidem reconciliandi curam ex animo miserat, si forte iam satis amoris in uxore" (Livi, 1878, Lib XXX, III) "من جهته (سكبيو) لم يفقد الأمل في التصالح مع سيفاكس، لكن عاطفته تجاه زوجته أفسدته" ولا يختلف سلسيوس ايطاليكوس مع تيتي ليفي في إقحام صافونبعل في تغيير وجهة سيفاكس السياسية والعسكرية من التحالف مع الرومان إلى صداقة المعسكر القرطاجي. حيث قال:

inmemor is dextræque datæ junctique per aras
Fœderis , ..., pravo mutatus amore
Ruperat, atque thoros regni mercede parârat**.**
Virgo erat eximiâ specie , claroque parente،
Asdrubalis proles ،**...**
Foedere amicitiæ dotalia tranftulit arma (Italicus, 1881, Lib XVII, 67-74*)*

تناسى تحالفه وقَسَمُ الصداقة على المذابح

وطقوس الاحتفال وحقوق الضيافة المقدسة التي كرسها أمام المذابح...،

لقد دمر الحب المذنب كل هذا العهد،

وتغير قلبه وضحى بمملكته من أجل إمرأة،

إنها ابنة أصدربعل،...،

حمل جيشه والتفت نحو القرطاجيين ونبذ تحالف روما

عرفت العصور القديمة الزيجات السياسية بين الممالك المتحالفة أو التي تجنح إلى التحالف، حيث كانت تتماشى سياسة الزواج مع السياسة الخارجية للمملكة، مثل ما تخبر المصادر عن زواج فراعنة مصر بملكات سوريات وحيثيات من أجل إرساء قواعد الأمن والتحالف السياسي بعلائق اجتماعية، لما للزوجات من تأثير على الملوك، وزواج تحتمس الثالث بثلاث أميرات سوريات، كما تزوج تحتمس الرابع من أميرة ميتانية –يرجح أنها أم خلفه أمنحتب الثالث– وجعلها من الزوجات الرئيسية كنوع من دعم الحلف والصداقة بين الطرفين (سعد الله، 1988، ص ص171–172)، كما يُعْثَر على هذا التقليد في القصة الأسطورية لتأسيس روما حيث استخدم الأخوان راموس وروميلوس المؤسسان الأسطوريان

لمدينة روما نفس الفكرة عندما تم اختطاف بنات السابين وتزويجهم للرومان فعملت المصاهرة على إيقاف الصراع والحرب بين العرقين(Livi, 1893, Lib I, IX) .

في المقابل إن ظاهرة الزواج السياسي في العصور القديمة والتي ظلت إلى فترات متأخرة موجودة، التي تستخدم الروابط الاجتماعية لتأسيس علاقات سياسية، كما توطد العلاقات السابقة حتى على مستوى الطبقات الاجتماعية من نفس المملكة، ويمكن إدراج أمثلة من أواخر العهد الجمهوري في روما نفسها كزواج شقيقة أوكتافيوس من ماركوس أنطونيوس خصم أوكتافيوس، وعندما اشتد العداء بينهما أراد تطليقها منه إلا أن هذه الأخيرة رفضت ذلك، كما فسخ أوكتافيوس نفسه خطبته من سرفيليا(Servilia) وواعد كلوديا(Clodia) إبنة ماركوس أنطونيوس ثم فسخت هذه الأخيرة الخطوبة لأنها كانت على علاقة بخصمه الآخر سيكستيوس بومبي (Sextus Pompey)، وقد حاول أوكتافيوس توظيف العلاقات النسائية في الظروف والأوضاع المضطربة في روما، سعيا منه لإيجاد قاعدة سلام تجمع الفرقاء أو على الأقل تخفف التصادم (Pomeroy, 1994, p. 113).

لكن المؤرخون الرومان جعلوا من زواج الأميرة صافونبعل من ملك النوميديين كأنها سابقة لم يعرف العالم القديم مثلها، ووظفت الذهنية الرومانية أرائها تجاه القرطاجيين والنوميديين حيث المكر والخديعة القرطاجية التي تصورها الغواية الأنثوية لصافونبعل، والبربرية النوميدية التي لا تستطيع مقاومة رغباتها وشهواتها تجاه تأثير النساء، لكن ورغم هذه الصورة القاتمة التي قدمها قدماء الرومان للقرطاجيين والنوميديين، يمكن استخراج عدة صور تتباين مع النظرة الرومانية للأميرة القرطاجية فإلى جانب جمالها الجسدي تمثل صافونبعل أنموذج المرأة القرطاجية المثقفة في أصناف شتى كالفنون والآداب، التي تضفي على شخصية الأفراد نوعا من الرقي والتحضر وتهذيب الذات وصقل الشخصية (المؤدب، 2007، ص 190)، وهذا ما يلفت النظر إلى أن هذه الشخصية المثقفة والواعية لم تكن بمنأى عن أحداث عصرها والواقع السياسي والعسكري الذي تعيشه قرطاجة ونوميديا، لذلك لا عجب أن يكون لها رأيا مؤثرا على مجريات الأحداث.

وعند وقوعها في الأسر عندما إستولى الرومان على عاصمة زوجها، وضع تيتي ليفي خطابا طويلا من التوسلات والتضرع لماسينيسا لتكتمل صورة المرأة المغرية، في آخر مشاهد الغواية التي تستخدمها تجاه ملوك نوميديا:

omnia quidem ut posses in nobis,…, sed si captivae apud dominum vitae necisque suae vocem supplicem mitlere licet,…, hanc veniam

supplici des, ut ipse qupdcumque fert animus de captiva statuas, neque me in cuiusquam Romani superum et crudele arbitrium venire sinas, si nihii aliud quani Syphacis uxor fuisse , tamen Numidae atque in eadem mecum Africa geniti quam alienigenae et externi,…, si nulla re alia potes,…, morte me (Livi, 1878, Lib. XXX, XII,12-13)

نحن جميعا في خدمتك،...، لكن إذا جاز للأسير أن يرفع صوت التوسل أمام من يهبه الحياة أو الموت،...، أن تقرر بنفسك مصير أسيرك وأن تعفيني من إزدراء وقسوة سيد روماني، لو لم أكن زوجة سيفاكس، لرغبت أن أكون في خدمة أمير نوميدي، أمير إفريقي مثلي على أن أكون مع شخص أجنبي ومجهول،...، إن لم يكن لديك وسيلة أخرى في قوتك إلا الموت لتحررني،...، أقتلني.

كما يجسدها في ثوب الشيطان الذي ورط سيفاكس في الحرب القرطاجية من خلال إعتراف هذا الأخير:

tum ille peccasse quidem sese atque insanisse fatebatur, sed non tum demum cum arma adversus populum Romanum cepisset; exitum sui furoris fuisse, non principium: tumse insanisse, tum hospitia privata et pulica foedera omnia ex animo eiecisse, cum Carthaginiensem matronam domum acceperit, nec conquiesse, donec ipsa manibus suis nefaria sibi arma adversus hospitem (Livi, 1878, Lib. XXX, XIII, 3-4).

إعترف بارتكابه خطأ وفعلا جنونيا ونسيانه كل قوانين الضيافة ومعاهدات التحالف الذي بدأ في اليوم الذي قدمت فيه زوجة من قرطاجة إلى قصره، تلك الشيطان القاتل، لم ترتح هذه المرأة حتى جعلته يهاجم ضيف وصديق في محنته.

بل يضيف مؤرخ روما رواية زواجها من ماسينيسا لحمايتها من بطش الرومان حيث يقول:

propiusque blanditias oratio esset quam preces, non in misericordiam modo prolapsus est animus victoris, sed, ut est genus Numida, rum in Venerem praeceps, amore captivae victor captus. data dextra in id quod petebatur,…, mutuatur consilium nuptias in eum ipsum diem parari repente iubet, ne quid relinqueret integri aut Laeiio aut ipsi Scipioni consulendi velut in captivam (Livi, 1878, Lib XXX, XII,18).

كانت لغتها تشبه المداعبات أكثر من التوسلات، لذلك إنغمست روح الأمير في مشاعر أخرى غير الرحمة، مع هذا الإندفاع العاطفي الفطري لدى عرق النوميديين وقع

المنتصر في حب أسيرته وأعطاها عهدا،...، وأمر بالتحضير لزواجه في نفس اليوم حتى لا يترك الحق لإيليوس وسكبيو في معاملة الأميرة كأسيرة .

رغم أن زواج الأميرة القرطاجية من ماسينيسا وردت فيه عدة آراء بين المؤرخين القدامى فبالنسبة لمؤرخي الإغريق يضعها ديودور الصقلي زوجة لماسينيسا قبل زواجها من سيفاكس ويجعلها أبيان خطيبة لماسينيسا ثم فسخ مجلس شيوخ قرطاجة خطبتها على ماسينيسا وزوجت إلى سيفاكس دون رضا والدها أصدربعل (Appien, 1559, Librique,37)، وهذا ما يعطي لرواية العداء الشخصي بين الملكين النوميدين إنتشارا واسعا، أما الرومان ومن خلال تاريخ تيتي ليفي الذي يفهم منه أن صافونبعل لم تكن تعرف ماسينيسا في النص التالي: "intranti vestibulum in ipso limine Sophoniba, uxor Syphacis, fllia Hasdrubalis Poeni, occurrit; et cum in medio agmine armatorum Masintssam insignem cum armis tum cetero habitu conspexisset" (Livi, 1878, Lib XXX, XII,11) "عند دخوله الرواق وقفت صوفونيبا زوجة سيفاكس وابنة أصدربعل البوني على عتبة القاعة، رأت ماسينيسا وسط مرافقيه وتعرفت عليه من خلال درعه ومظهره الخارجي".

لكنه يضع زواج ماسينيسا من صافونبعل عند اقتحام ماسينيسا كيرتا، كأداة غواية جديدة دبرتها الأميرة القرطاجية لحليف الرومان المنتصرين على حزب والدها وزوجها، والذي ستجره لنكث عهده مع الرومان مثلما فعل سيفاكس، هذا الزواج الذي تتدخل الحكمة الرومانية التي يمثلها شخص سكبيو لأيقافه وينقذ مصير النوميدي المتهور ماسينيسا ومصير العلاقات الرومانية النوميدية من دهاء صافونبعل.

إن التوجه الأيديولوجي لليفي جعله يحرص على إبراز الدور الفعال لصافونبعل وإعطائها موقع الصدارة في سرده لمجريات سقوط مملكة سيفاكس حليف القرطاجيين، من خلال عملية الإغراء المستمر الذي تستخدمه تجاهه، وهي وسيلة لتشويه فضائل المرأة القرطاجية وملوك نوميديا، وقد استخدم ليفي عدة أغراض أدبية كالخطابة، والمأساة لإيصال هذه الفكرة المرتبطة بالذهنية الرومانية التي لا تخفي مدى إحتقارها للبرابرة (Haouachi, 2017, p. 208).

لكن النظرة الإغريقية لهذه الأميرة مختلفة، في إبداء الفضيلة التي عرفت بها الأميرات والملكات وقوة العقل والكرامة وحب الوطن الذي تشعر به تجاه وطنها، حيث يصفها ديودور الصقلي " متفردة في حب وطنها" (Diodore de Sicile,1851, Liv XXVII, VII)، ومن خلال حوارها مع ماسنيسا يظهر مدى وعيها باللحمة وعمق الروابط الاجتماعية والعلاقات

السياسية بين سكان بلاد المغرب القديم من قرطاجيين ونوميديين الذي عبرت عنه بالمجال الإفريقي الذي ينتميان إليه، والذي يعرب عن مدى عمق تفكير صافونبعل ووعيها بالحرب الرومانية ونتائجها الوخيمة على المنطقة.

في محطة زواج صافونبعل من ماسينيسا تواجه الباحث عدة تساؤلات حول هذه الزيجة، هل هي وصلة أدبية استخدمها ليفي ليبرز مدى طيش وعدم موثوقية الحكام النوميديين مثلما استخدم فرجيلوس قصة إنياس وديدو للدلالة الرمزية صفات القائد الروماني الفذ المضحي بعواطفه تجاه الواجبات السياسية، فيلجأ ليفي لإبراز ما يتمتع به القائد الروماني سكبيو من رصانة سياسية وحنكة عسكرية في تسيير الأمور على عكس ما يبدو عليه النوميديين من مستوى فكري وأخلاقي يجعلهم لا يقيمون وزنا للعهود والمواثيق، خاصة أنه سبق وأن أشار إلى أن النوميديون لا يسيطرون على شهواتهم وينعت ماسينيسا بالطائش "neque prudentiorem neque constantiorem Masinissam quam Syphacem esse, etiam iuventa incautiorem: certe stultius illum atque intemperantius eam quam se duxisse"(Livi, 1878, Lib XXX, XIII, 14). "لم يكن ماسينيسا أكثر حكمة وإخلاصا مما كان عليه سيفاكس، جعله شبابه أكثر طيشا وأقل حذرًا أيضًا: كان في زواجه الكثير من عدم التفكير والجنون"

لكن كيف تتزوج صافونبعل من ماسينيسا وهي لا تزال زوجة لسيفاكس وطبقا للعرف النوميدي والقرطاجي الذي لا تتزوج النساء فيه بأكثر من رجلٍ واحدٍ، إلا إذا كانت هذه الزيجة مجرد حيلة اتخذها ماسينيسا لإنقاذ الأميرة القرطاجية من الوقوع في الأسر، واعتبرها ليفي وسيلة جديدة استخدمتها صافونبعل القرطاجية لغواية ملك نوميدي آخر.

3-2- وفاة صافونبعل:

تجمع المصادر الرومانية على تجرع صافونبعل السم كبديل للاستسلام، يقول ليفي بأن ماسينسا هو من أرسل لها السم مع خادمه عندما أدرك عدم مقدرته على حمايتها "servis vocat, sub cuius custodia regio more ad incerta fortunae venenum erat, et mixtum in poculo ferre ad Sophonibam (Livi, 1878, Lib XXX, XV,4)، "نادى خادمه، المكلف بحراسة السم الذي اعتاد الملوك حجزه لأنفسهم في حالة سوء الحظ وأمره باعداده في فنجان واحضاره إلى صوفونيبا"

ولم يعبأ سيليوس إيطاليكوس بتفاصيل وقوع صافونبعل أسيرة في يد ماسينيسا ومقتلها بل إقتصر ذكرها في البونيكا على تأثيرها على سيفاكس من أجل التحالف مع والدها، وعن سبب عدم إهتمامه ذاك يرده المؤرخون إلى جملة من الأسباب منها ما يتعلق بالضرورة الأدبية والشعرية التي يقتضيها الغرض الملحمي، الذي يفرض على الشاعر إهمال الكثير من الأحداث والشخصيات، بالإضافة إلى الإبتعاد عن الغموض وعدم الإسترسال في ذكر الشخصيات الثانوية والخوض في سرد ما يتعلق بها، أما التفسير الثاني الذي وضعه الباحثون هو الحالة النفسية التي يعاني منها الشاعر حيث سعى إلى تلخيص عمله بسبب مرضه الذي أودى بحياته منتحرا، مما جعله ينجز عمله بأسرع وقت ممكن وفي سبع عشر مقطعا، بدل ثمان عشر التي خطط لها في البداية (Ripoll, 2003, p. 96) .

يمتدح أبيان شجاعتها عند تجرعها السم فبمجرد ما منحته لها خادمتها حتى أخذته دون تردد، وقالت بأنها لن تندم على موتها بهذه الطريقة أو الوسيلة، مادامت ستنجو من خلال الموت من الأسر والإهانة (Appien, 1559, Libyque, IV)

أيا كان من ناول الأميرة القرطاجية السم لتقدم على قتل نفسها وتضع حدا لحياتها، فإن مصيرها مشابه لمصير عليسا التي آثرت إنهاء حياتها على الخضوع لأي سلطة تكبل حريتها، وكان الأمر كذلك بالنسبة لحفيدتها صافونبعل التي وضعت حدا لحياتها لتتجنب الأسر بعد أن ساهمت في توحيد القرطاجيين والنوميديين للحفاظ على سيادة المنطقة.

3- زوجة أصدربعل: أنموذج نسائي آخر

جذبت جرأة وشجاعة زوجة أصدربعل بوليب شاهد عيان تدمير قرطاجة عند اقتحام الرومان للمدينة وإضرام النار فيها، ورغم أن كتابه التاسع والثلاثين أصابه بعض التلف لكن يمكن التعرف على بعض الصفات والخصال التي تميزت بها زوجة أصدربعل، التي إمتلكت من القوة ورباطة الجأش ما جعلها ترى زوجها جاثيا على ركبتيه تحت أقدام عدو قرطاجة يطلب الرحمة والصفح، ومن أعلى قمة المعبد حيث بعض الجنود الذين انهالوا عليه بالشتائم والسباب، بعدما أقسم أمام الآلهة وأمام مرأى ومسمع زوجته ووعدهم بعدم التخلي عن قرطاجة، برزت هذه المرأة من بين الحاضرين حيث كانت ترتدي أجمل الثياب وتمسك بيدي أبنائها وأمام زوجها الذي لم يكن يقوى على رفع عينيه من الأرض، وبعدما صلت للآلهة وشكرت القائد الروماني سكبيو على إنقاذ حياتها وحياة ولديها، وتوجهت بالسؤال الى زوجها الذي كان جالسا إلى جانب

سكبيو وسألته: " كيف له أن يتخلى عن مواطنيه الذين وثقوا به وتركهم لمصيرهم ويعبر للعدو خفية ويكون في طليعة المستسلمين ويجلس إلى جانب عدوه... واندفعت إلى ألسنة اللهب وألقت بنفسها برفقة أطفالها" (Polybe, 1947, Liv XXXIX, III, 38, 20)

ولم يختلف أبيان عن رواية بوليب إلا في اختصار المشهد بالتركيز على خطاب المرأة القرطاجية لزوجها أصدربعل الذي استسلم للأعداء حيث نعتته بأبشع الصفات كالخنوع والخداع وخيانة القرطاجيين والآلهة، ومن ثمة قتلت ابنيها بيديها وألقتهما في النار ولحقت بهما على مرتفع يقدر بستون درجا(Appien,1559, libyque, XIV).

لكن الرواية في المصنفات الرومانية مختلفة لدرجة النقيض عما هي لدى الإغريق، على الرغم من أن بوليب شاهد العيان على حادثة مقتل زوجة أصدربعل هو مصدر كل الإقتباسات اللاتينية، بالنسبة لمؤرخ روما ليفي في الشذرات المتبقية من الكتاب الخمسين لا تزود بالكثير عن هذه الشخصية القرطاجية، يقول ليفي بشأنها "cum se Asderubal Scipioni dedidisset, uxor ejus, quæ pauci antè diebus de marito impetrare non potuerat, ut ad victorem transfugerent, in medium se flagrantis urbis incendium" (Livi,1877, Lib LI, frgmnt, I)، "جاء أصدربعل لتسليم نفسه لسكبيو، لكن زوجته التي لم تتمكن قبل أيام قليلة من جعله يقف إلى جانب الفاتح، اندفعت من أعلى القلعة مع طفليها في وسط ألسنة النار التي التهمت المدينة".

في حين أن مؤرخا آخرا من مؤرخي روما وهو فاليريوس ماكسيموس يصف المشهد التاريخي وصفا مغايرا لما جاء لدى بوليب حيث أن زوجة صدربعل استاءت منه بعد تدمير المدينة حيث هرول إلى سكبيو طالبا العفو لنفسه بمفرده دون أسرته حيث أورد بخصوص الحادثة التالي: "exprobrata ei impietate,…, soli sibi impetrare vitain contentus fuisset, dextera lævaque communes filios mointem non recusantes trahens, incendio se flagrantis patriæ injecit" (Maximi,1888, Liv III, II, 8) ، "ووبخته بعنف بسبب إهماله،...، لأنه طلب العفو لنفسه فقط، ثم تمسك أيدي أطفالها وتجرهم دون مقاومة وتلقي بنفسها معهم في ألسنة اللهب التي تلتهم وطنها".

أما فلوروس فلا يخوض في تفاصيل كثيرة عن هذه المرأة وكل ما شد انتباهه: "quanto fortius femina, et uxor ducis! quæ, comprehensis duobus liberis, a culimine se demus in medium misit incendium, imitata reginam, quæ Carthaginem condidit" (Florus, 1757, Lib II, XV) ، "كم كانت شجاعة زوجة الجنرال أصدربعل

عظيمة، حملت طفليها بين ذراعيها وألقت بنفسها من أعلى منزلها وسط النار، مقلدة الملكة التي بنت قرطاجة".

في هذا المقطع لم يقتبس الكتاب الرومان خاصة ليفي وفاليريو ماكيسموس إلا ما يتناسب مع إدولوجيتهما وتعصبهما للدولة الرومانية أيام قوتها، أما فلورس فقد عاش في القرن الرابع للميلاد حيث إنطفأ ذلك الحماس والتعصب أمام الأزمات التي حلت بالإمبراطورية الرومانية.

لا يعرف الكثير عن شخصية أصدربعل وعن الظروف التي دفعته للاستستلام

قدم المؤرخون الرومان رمزية حريق قرطاجة مصاحبا لقصة الانتحار آخر النساء القرطاجيات زوجة أصدربعل، في محاولة للتذكير بالسيرة الأولى لمؤسسة المدينة عليسا ديدون حيث بدأ تاريخ قرطاجة بإرادة امرأة وانتهى بإيماءة بطولية امرأة اخرى، فاكتملت الدائرة بالنسبة للأيديولوجيا الرومانية، بالنسبة إلى أنثوية قرطاجة كانت تعارض صورة روما الذكورية المسيطرة وفي نهاية الأمر المتفوقة (Melliti, 2016,p.458).

4- تأثير الشخصيات النسائية القرطاجية في الثقافة الأوروبية في عصر النهضة:

على الرغم من النعوت والصفات التي ألصقت بأميرات قرطاجة في النصوص الرومانية خاصة، لكنها ألهمت هذه الشخصيات النسائية أوروبا في مسيرتها الحضارية في عصر النهضة، ووجد الأدب الأوروبي في الشخصيات النسائية البونية مصدرا للتربية والتعليم لنساء أوروبا.

كُتبت أولى المسرحيات الشعرية حوالي سنة 1556م في فرنسا، ثم أعاد صياغتها مؤلفون إنسانيون كثر ولاقت الرواج في المسرحيات النثرية في العشرينيات والثلاثينيات من القرن السادس عشر إعادة إقتباس تاريخ الأجيال السابقة، فيختار الكتاب المسرحيون أحداث تاريخية تبرز فيها امرأة لامعة(Kirk, 2018, p.32) ، حيث عمد الكتاب إلى الإقتباس من النصوص اللاتينية القديمة في هذا الجانب خاصة تاريخ تيتي ليفي، فألف جان ميريت (Jean Mairet) مسرحية صوفينسبا ما بين 1620 و1634م (Louvat-Molozay, 2008, pp. 131-132)، كما كتب بيار كورنيلي (Pierre Corneille) مسرحية مأساوية (تراجيديا) بعنوان صوفينسبا سنة 1663م (Thouret, 2009, pp. 39-94).

كشفت عن تحول واضح في تكوين حديث للحبكة الفنية للمسرحيات، وكذلك في محتوى المشاهد التي يجب القيام بها، نحو تعزيز الرؤية الأنثوية للعالم، والتي يراها النقاد المسرحيين

أنها من أوائل المسرحيات الموجهة للنساء في أوروبا بوجه خاص في العصر الجديد، فقد تميزت نهاية خمسينيات القرن السادس عشر وبداية ستينياته بمناقشات مكثفة حول العلاقة بين الجنسين: نزاع أم خضوع الإناث، والتطلع إلى المساواة بين الجنسين، عمل كورنيلي على البحث عن حلقات من التاريخ القديم الذي لا يزال مجهولا في أوروبا في القرن السادس عشر، ووظف أنموذج نسائي مغاربي وهي شخصية صافونبعل، كما رواها ليفي في كتابيه التاسع والعشرين والثلاثين(XXIX-XXX) طبيعة بطلتها ملكة قرطاجية وعدو شرس للرومان، بعد الهزيمة العسكرية سممت نفسها حتى لا تعاني من عار الهزيمة أمام الرومان، حريصة على عرضها في انتصار بمعنى آخر، تماشياً مع التقاليد التي ميزت المشهد الأوروبي منذ نهاية عصر النهضة (Bourqui, 2022, para4-6).

وعُدت إنيادة فرجيلوس مصدرا للغة اللاتينية نظرا لرصانتها اللغوية ومرجعا مهما لدى النحويين ومن المقررات الفصلية في المدارس الأوروبية، وهو ما جعل عليسا ديدون مصدر إلهام لكثير من الشعراء، وأنموذجا نسائيا يحتذى به في أوروبا، على سبيل المثال أدموند سبنسر (Edmund Spenser) في قصيدته ملكة الجن (The fearie Queene) التي نشرت في 1590م، يهدف فيها إلى مدح الملكة اليزابيت(Elizabeth) في قالب مليء بالرمزية، تمثل فيه إليزابيت الأولى حاكمة لأنجلترا كأنثى في مجتمع يتسيد الذكور فيه الحكم، وقد جاءت الشخصيات النسائية في قصيدته بصبغة القوة التي تميزت بها نساء قرطاجة، نظرا لمعرفته الكبيرة بالأدب اللاتيني القديم وتأثيره عليه خاصة الإنيادة (Choi, 2009, pp. 196-197).

في المتخيل الغربي لشخصية عليسا ديدو التي صُورت كشخصية ملكة عاطفية تتأثر عظمة وحكمة قوتها بالعاطفة التي تكنها إلى إنياس الطروادي والتي تدفعها إلى إشعال النار في نفسها عندما يغادر أينياس الذي دعاه واجبه إلى إيطاليا، فتتفوق العاطفة على الوظيفة المقدسة للملكة (Amri, 2012, para 4,6)، لكن تختلف الرواية التونسية من خلال استحضار الحكمة السياسية لعليسا من طرف الروائي فوزي الملاح الذي اختار تجديد شخصية عليسا ديدو من خلال إعادتها لوضعها الطبيعي في بقية المصادر الأدبية؛ الملكة الصورية التي غادرت موطنها لتؤسس مملكتها الخاصة على السواحل المغاربية، والانتقال من الأنموذج العاطفي إلى الأنموذج السياسي وأعاد البطلة إلى العرش مصدر القوة الرئيسي، يعبر فوزي الملاح عن فكرة المرأة والسيادة، وعن الموروث الثقافي والاجتماعي الفينيقي، حيث صوّر الملكة باللباس

الأرجواني الفاخر رمز الأرستقراطية الفينيقية، والمجوهرات التي تميز رتبتها، أما في أوقات الحداد يتغير اللون الأرجواني إلى الأبيض لون الحداد، كانت "ترتدي الأبيض كما يليق بالملكة الثكلى" حتى في يوم التضحية أو الانتحار(Mellah, pp.19- 23, 27)

واستطاعت عليسا أن تقتحم أعمال الفنانين التشكيليين، على غرار أعمال الفنان الإيطالي أندريا صاكي (Andrea Sacchi) (ينظر الشكل رقم 1) فمن خلال إنيادة فرجيلوس يجسد رواية عليسا، وحسب النقاد الذين يرون أن العمل على الرغم من بساطته إلا أنه يحتوي على جميع العناصر اللازمة لتحديد الموضوع الذي يصور عليسا ديدون، من خلال العديد من العلامات التي وظفها صاكي مثل اللباس الفخم المصنوع من الأقمشة الناعمة والحريرية المطرزة بالذهب وصندلها الفاخر بالاضافة إلى الحلي؛ لؤلؤة قرطها والأحجار الموضوعة على حافة الياقة والتاج التي تدل على رفعة المكانة، إلى جانب مؤشرات الثراء الأخرى كالوسادة المخملية الناعمة، والأفاريز الخلفية التي توحي بالهندسة المعمارية الضخمة، وقد وضع الملكة باكية وهي تحمل منديلاً في يدها اليمنى وتحول عينيها المحمرتين إلى السماء وكأنها تطلب القوة الإلهية وهي ممسكة بسيفها على وشك الانتحار، كما يفهم من وجود جذوع الأشجار تحت الوسادة باقتراب المحرقة، بالإضافة إلى التفاصيل الأخرى التي اهتم الفنان بها المتمثلة في أغراض لشخص غائب كالسيف والدروع والعباءة الحمراء، ومن خلال إظهار هذه الأغراض يحاول الرسام استحضار رجلاً غائبًا يجهل سبب غيابه بالموت أو الرحيل إلى بلاد أخرى؟ وإجابة هذا السؤال في المشهد البحري والقوارب في الخلفية يشير إلى رحيل هذا الغائب عبر البحر وهو سبب حزنها وانتحارها بسلاحها (Marcheteau de Quincay, 2007, pp.3-4) .

شكل رقم1:

صورة تمثل لوحة ديدون على المحرقة، للرسام أندريا صاكي (1599−1661م)



المرجع: (Musée des Beaux-Arts de Caen, sur https://mba.caen.fr)

خلاصة الفصل:

بعد الدراسة المتعلقة بتأسيس قرطاجة والإشارة إلى مؤسسها ومحاولة إيجاد مقاربة تاريخية لتاريخ نشأتها، وكذا الأمر فيما يخص نسائها اللائي اشارت المصادر الرومانية إليهن، نخلص إلى النقاط الآتية:

– اتسمت الإشارات البسيطة لشعوب بلاد المغرب القديم بالتحقير، واطلاق النعوت والصفات التي تحط من القيمة الشخصية والإنسانية لهؤلاء، ليس فقط الشعوب بل الحكام كذلك، ولم تكن النساء إستثناءا من هذه الحالة، على قلة ذكرهن في المصادر الأدبية القديمة، لكن الباحث يجد فروقات جوهرية بين الكتابات الإغريقية والرومانية في تفسير سلوك ودوافع هذه الشخصيات، صوفينبعل التي وصفت بالمرأة الشيطان لمجرد أنها تبنت قضية الدفاع عن أرضها، كما تم الحط من تضحية عليسا وزوجة أصدربعل اللتان آثرتا الموت بديلا عن الخضوع للعدو، وجعلها كتاب روما من أجل مآرب شخصية أقدمن على الإنتحار.

– أثرت الشخصيات النسائية التي ذكرتها المصادر الرومانية في الثقافة الأوروبية في عصر النهضة، عندما انصب اهتمام الأدباء الإنسانيين على ترجمة الكتابات اللاتينية، وجدوا في هذه النساء مادة تربوية وتعليمية لسيدات أوروبا، وهو ما تجلى في أعمال المسرحيات التي جعلت من صافونبعل أنموذج للتضحية، وكذلك في الشعر كانت عليسا ديدون ملهمة للكثير من الأدباء والشخصيات السياسية الأوروبية، وقد تجاوزت عليسا الأدب والمسرح إلى الفنون التشكيلية.

قائمة المراجع:

I – المراجع العربية:

1 – أوفيد. (1992). *مسخ الكائنات، تر: ثروت عكاشة*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

2 – برونية الشاذلي، والطاهرمحمد. (1999). قرطاج البونية تاريخ وحضارة. تونس: مركز النشر الجامعي.

3- حارش، محمد الهادي. (2020). *صافونبعل*. تاريخ الاسترداد 2020، من https://www.facebook.com/mohamedelhadi.hareche.31

4- سعد الله محمد على. (1988). *الدور السياسي للملكات في مصر القديمة*. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع.

5- عتمان أحمد. (1989). *الأدب اللاتيني ودوره الحضاري*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

6- عيساوي، مها. (2010). *المجتمع اللوبي في بلاد المغرب (من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الاسلامي*. قسنطينة: جامعة منتوري.

7- المؤدب، أنيس. (2008). *الثقافة الموسيقية في تونس خلال الفترة البونية والرومانية*. مذكرة دكتورا في علوم التراث. تونس: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

8- منصوري، خديجة. (15 4، 2008). *أصناف النساء في بلاد المغرب من خلال الآثار المادية والمصادر الأدبية. مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية*، مج 23، ع 1. ص ص 269-290.

9- هوميروس. (1945). الأوديسة، تر: داريني خشبة. بيروت: دار النهضة العربية للنشر والتوزيع.

II- المراجع الأجنبية:

1-Amri,A.(2012).*De Didon à Elissa: la réappropriation d’un mythe. Recherches & Travaux*, n°81, pp. 65-74.

2-Appien D'Alexandrin. (1559).*Guerres des Romains*, (Trad: Claude de Seyssel). Paris: Esloy Gybier à Orleans.

3-Bonnechere, P. (2013). *Victime Humaine et Absolue Perfection Dans La Mentalité Grecque*. Dans R. G. Pierre Bonnechere, *Sacrifices Humains*. pp. 21-60. Liège: Presses universitaires de Liège.

4-Bonnet, C. (2011). *Le destin féminin de Carthage*. *Pallas Revue D'Etudes Antiques*, 85.pp. 19-29. https://doi.org/10.4000/pallas.3197.

5- Bourqui,C. (2022). *Corneille, 1663: une Sophonisbe pour les dames*, Études Épistémè, n° 42. mis en ligne le 15 décembre 2022, consulté le 20 Janvier 2023. doi: https://doi.org/10.4000/episteme.15888.

6- Camps, G. (1995). *Didon Elishat. Encyclopédie Berbére*, 15. pp. 2310-2313. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2256.

7- Choi, E. (2009). The Court, The Rule, And The Queen: The Faerie Queene As a Representation Of Elizabeth I . *영학논집*, pp. 196-210.

8- Commentaria in C. Iulii Solini Polyhistora, et Lucii Flori de Romanorum rebus gestis.(1757). Basileae [Basel]:Per Henrichum Petri. Cum Caesareae maiestatis gratia & priuilegio.

9- Delrieux, F., & Ferriès, M.-C. (2016). *Portraits de femmes, profils de reines! Les femmes sur les monnaies provinciales romaines à la fin de la République et au début de l'Empire (43 av. J.-C. - 68 apr. J.-C.* Grenoble : UGA Éditions.

10- Diodore de Sicile. (1851). *Bibliothèque historiqu*e, Tome IV, (Trad: Ferd Hoefer). Paris: Adolphe Delahays Libraire.

11- Dion, J. (2015, Mars). *Auguste et Virgile*: L'enigme du Culex. Acta Antiqua Academiae Scientiarum Hungaricae.pp.283-296.

12- Dupont, F. (2022). *Histoire littéraire de Rome De Romulus à Ovide. Une culture de la traduction.* Paris: Armand Colin.

13- Fantar, M. (1992). *Byrsa. Encyclopédie Berbère*, 11.pp. 1670- 1673. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.1887.

14- Fantar, M. H. (2010). *Elyssa de Carthage Apports d'un mythe fondateur*. *Mare internum: archeologia e culture del Mediterraneo*,2. pp. 1-30.

15- Fariselli,A. C. (2017). *Le savoir musical phénicien et punique dans la Méditerranée préromaine à travers les sources écrite*s. In Corbier, M., &Sauron,G. (Eds.), *Langages et communication : écrits, images, sons*. Éditions du Comité des travaux historiques et scientifiques. 10.4000/books.cths.972

16- Gsell, S. (1918). *Histoire Ancienne de L'Afrique de Nord Tome I.* Paris: Librairie Hachette.

17- Gsell, S. (1918). *Histoire Ancieen De L''Afrique du Nord Antique Tome II.* Paris: Hachette Liberaire.

18- Haouachi, D. (2016). *Les personnages féminins chez Tite-Live : idéologie et art de la mise en scène.Thése se Doctorat en Langues et Littératures Ancienne.* Strasbourg: université de Strasbourg.

19-Hérodote.(1858).*Histoire.Liv IV*,(Trad:Larcher).Paris: Charpentier Libraire-Editeur.

20-Italici,S. (1890). *Punica, Vol Prius, Lib I- X*. Lipsiae: in Aedibus B.G.

21- Italicus, S. (1881). Les Puniques. Tome III, Lib XVII, (Trad: Lefebvre De Villebrune). Paris: Approbation et Privilége.

22- Justini. (1830). *Historiae philippicae*. Lipsiae: Apud C. H. P. Hartmannum.

23- Kirk,H, N. (2018).*L'auteur dramatique et la conscience professionnelle* (1610-1640). A thesis Of Doctor OF Philosophy. Western University.

24- Mellah, F.(1987). Elissa La Reine Vagabonde.Paris: Edirion de Seuil.

25- Livi, T. (1873). *Ab urbe condita, Lib XXXI- XXXVIII.* Lipsiae: Umptibus Et Typis B. G. Teubneri.

26- Livi, T. (1877). *Ab urbe condita liber (Lib XXXIX- XLXV Et Epitom Lib XLVI-CXI) . Lipsiae: Umptibus Et Typis B. G. Teubneri.*

27- Livi, T. (1893). *Ab urbe condita*. Boston: Allyn and Bacon.

28- Louvat-Molozay, B. (2008). *Frontières de la tragédie: La Silvanire, La Sophonisbe, La Sidoni*e. *Littératures classiques* , 1, n° 65.pp. 129-144. https://doi.org/10.3917/licla.065.0129.

29- Maximi, V.(1888). *Factorum et dictorum memorabilium libri novem*. Lipsiae: In Aedbus. B.G. Teubneri.

30- Marcheteau de Quincay, C. (2007). *Document réalisé à partir du catalogue Didon abandonnée d'Andrea Sacchi* - L'œuvre en question n°4. Caen: Musée des Beaux-Arts.

31- Melliti, K. (2016). Carthage: Histoire d'une métropole méditerranéenne. Paris: Perrin

32-Noel, M.-P. (2014). *Elissa, La Didon Grecque Dans La Mythologie et Dans L'Histoire. Les figures de Didon : de l'épopée antique au théâtre de la Renaissance*, pp. 1-11 . Montpellier: lab. IRCL, Université Paul-Valéry Montpellier 3.

33-Ovide. (1875). *Les héroides: Le remède d'amour. Les pontiques. Petits poemes, Trd: V.H. Chappuyzi et Autres* . Paris: Garnier Freres Libraire - Editeur.

34-Ovide. (1884). *Des Fastes, Tome II,* Lib III. Paris: Boucher Le Jeune Libraire.

35-Paterculi, C. V. (1829). Historiae Romanae libri duo, notis adiectis. Lipsiae: Sumptibus Et Typis Car. Tauchnitil.

36- Polybe. (1847). *Histoire Générale, Tome IV, Trd: (Félix Bouchot)* . Paris: Charpentier Liberaire-Editeur.

37- Pomeroy, S. B. (1994). *Goddesses, Whores, Wives And Slaves Women in Classical Antiquity*. London: Pimlico An imprint of Random House.

38- Ripoll, F. (2003). Un héros barbare dans l'épopée latine : Masinîssa dans les Púnica de Silius Italicus. *L'antiquité classique*,n° 72.pp. 95-111. DOI : https://doi.org/10.3406/antiq.2003.2509.

39- Sanchez, M. d. (2017, 4). *Didon, le mythe, la femme et la magie*. Consulté le 12 20, 2020, sur Culture Université de Liége:

http://culture.uliege.be/jcms/c_3081971/fr/didon-le-mythe-la-femme-et-la-magie

40- Scheid, J., & Svenpro, J. (1985). *Byrsa La Ruse d'Elisa et La Fondation de Carthage*. *Annales (Economies, Sociétés, Civilisations)*,40, n°2. pp. 328-342. DOI : https://doi.org/10.3406/ahess.1985.283165.

41- Strocka, V. M. (2005-2006). T*roja- Karthago- Rom* Ein vorvergilisches Bildprogramm in Terzigno bei Pompeii. *Römische Abteilung* , pp. 79-120.

42-Thouret, C. (2009). es épreuves de la fidélité. La trahison dans les Sophonisbe sur les scènes italienne, française et anglaise aux XVIe et XVIIe siècles. *Seizième Siècle*, n°. pp. 93-114.

43-Vanotti, G. (2002). Storia, Mito E Rito Fondazione Di Carthagine. *Mito y Ritual En El Antiguo Occidente Mediterraneo* pp. 55- 71. Malaga: Servicio de Publicaciones Universidad de Malaga.

44-Vergili, M. (1886). *Ænied*. Lipsiae, B. Tavehnitz.

45-Viredaz, A. (2020). *Fragmenta Saturnia Heroica*. Berlin: Schwabe Verlag, Schwabe Verlagsgruppe AG, Basel, Schweiz.

46-Quintus, C, R. (1696). *Alexandri Magni*. Lugduni Batavorvm : Excudit Petrus vander Aa, bibliop.

III– قرطاجة والعالم المتوسطي

1- قرطاجة والوطن الأم
2- قرطاجة والوطن المستضيف
3- موقف الكتاب الرومان من الصراع الإغريقي القرطاجي
4- علاقة قرطاجة بروما قبل الحرب البونية الأولى 509-264 ق.م

تتسم المعطيات الأدبية الرومانية التي تشير إلى الروابط المختلفة بين قرطاجة ومحيطها المتوسطي قبل الحروب البونية بالندرة والغموض، حيث لم يخض الكتاب الرومان في هذا الموضوع، وكل ما ورد من إشارات تتميز بالسطحية وعدم الدقة، جاءت في سياق مواضيع الحرب ضد البونيين، سيتم التطرق إلى أهم الإشارات ومناسبة ذكرها لدى الكتاب الرومان.

1- قرطاجة والوطـــن الأم:

1-1- العلاقات الدينية:

1-1-1-تقديم عشر الأسلاب إلى إله صور: عكف القرطاجيون على إرسال عشر الغنائم والهدايا، وكذا أيضا القرابين البشرية إلى معبد الإله ملقرت بمدينة صور، وقد أشار جوستيني إلى سفارة كارتلون إلى صور قال: "Cartalo Malchi exsuls ducis filius, quum castra patris a tyr quo decimas Herculi ferre ex praeda Siciliensi,…, ornatusque purpura et infulis sacerdotii"(Justinii, 1830,Lib. XVIII, VII,7) "عند عودة كرتلون بن الجنرال المنفي من صور، أرسله القرطاجيون لتقديم عشر الغنيمة التي جنوها من صقلية إلى هرقل ،...، يرتدي ثوبا أرجوانيا بشرائط الكهنوت".

يعتبر مختصر الحرب الفليبية، هو المؤلف التاريخي الروماني الأكثر إسهابا في تاريخ قرطاجة قبل الحروب البونية، لكن لا يزود بالكثير فيما يخص الشخصية القرطاجية التي أبحرت بضريبة العشر وهدايا الحرب إلى صور سوى أنه كارتلون ابن القائد العسكري مالكو الذي هزم في سردينيا وصقلية في القرن السادس قبل الميلاد.

كما لا يعرف على وجه الدقة مصادر تروغوس بومبيوس صاحب الحرب الفيلبية في القرن الأول قبل الميلاد، والذي اختصره جوستيني على ما يرجح يعود الى القرن الثاني الميلادي، سوى أنه اقتبس موضوع عشر الغنائم المرسلة إلى صور من مصدر يتناول القرابين البشرية لدى القرطاجيين (الفرجاوي، 1993، ص ص 45-46)، ولا تذكر المصادر الأدبية الأخرى شخصية كارتلون سوى المؤرخ المتأخر الذي يعود إلى القرن الخامس بول أوروس (Paulii Orosii) الذي يستشهد بتاريخ طروق بومبي ومختصره لجوستيني ويضع كارتلون "sacerdotem Herculis" "كاهنا لهرقل"(Orosii, 1738, Lib. IV, VI, 13) .

يعرف الإله ملقرت بإله صور الذي يسميه الإغريق والرومان هرقل، والذي انتشرت عبادته منذ القرن التاسع قبل الميلاد تقريبا، ظهر مع آلهة القسم في معاهدة الملك الأشوري أسرحدون وبعل ملك صور، كما أقسم به حنبعل في معاهدته مع فيليب الخامس ملك مقدونيا،

وانتشرت عبادته في المستوطنات الفينيقية في جزيرة قبرص، ثيوس (Thios)، صقلية، سردينيا قرطاجة وقادس (Gadés)، ويعتبر ملقرت إله البحار والتجار (ف.رولينغ، د.ت، ص298) تمثله الصور على العملات يمتطي فرس البحر المجنح ممسكا لجامه بيده اليمنى، وفي يده اليسرى قوسا(Dussaud, 1946, p. 206) .

من خلال إشارة جوستيني إلى مظهر كارتلون بن مالكو قائد الجيوش القرطاجية، بزي الكهنة المتمثل في اللباس الأرجواني، ذو الأشرطة الطويلة التي تنساب من أعلى الكتف، والذي أطلق عليه بول أوروسيوس لقب الكاهن، يفهم أن الكهنوت في قرطاجة في أوساط الطبقة الأرستقراطية أمر شائع، عثر م. مارلين (M. Marlin) على نصب جنائزي لسيدة تحمل لقب رئيس الكهنة (Rab Cohanim) وإبنة رئيس الكهنة وزوجة لشفط (Suffet) سليل عائلة أشفاط من إلى الأب فالجد ووالد الجد، فجمعت العائلة المناصب الدينية إلى جانب المناصب المدنية بل يمكن أن يحمل الشخص نفسه لقب ديني وآخر مدني حيث عثر القس دولاتر سنة 1905م على نقش جنائزي يحمل صاحبه لقب رئيس كهنة وشفط (Philippe, 1907, pp. 180,182) فالتقاء المهام الدينية والوظائف الأخرى أمر شائع في أوساط الطبقات الأرستقراطية، وهذا ما يجعل ابن قائد الجيش ينصب في مهام الكهنوتية لمعبد ملقرت القرطاجي، على رأس بعثة قرطاجية نحو معبد ملقرت الصوري، فالكاهن وربما رئيس الكهنة هو من يقدم عشر أسلاب حروب قرطاجة.

1-1-2- الهدايا: ما يفهم من العبارة التي وردت لدى كوينتوس كورسيوس حول تزيين قرطاجة وصور بالأسلاب التي غنمها القرطاجيون من حروبهم في صقلية: "Apollinem retenturi Syracusis id simulacrum devexerant Pœni & in majore locaverant patria: multisque aliis spoliis urbium, à semet captarum, non Carthaginem magis, quam Tyrum ornaverant. Sacrum quoque" "القرطاجيون هم من أحضر تمثال أبوللو من سيراكوزا، وزينوا به الوطن الأم وفي مناسبات كثيرة تقاسموا غنائم أعدائهم بين قرطاجة وصور(Quintus,1696, Lib. IV, III).

وورد لدى ديودور الصقلي ما يدعم رأي كورسيوس، أثناء صراع قرطاجة ضد دونيسيوس الكبير حوالي 398 ق.م، كان تمثالا ضخما للإله أبوللو، يزين أسوار مدينة جيلا (Géla) في صقلية، إنتزعه القرطاجيون وأرسلوه إلى مدينة صور، وقد ظل هذا التمثال هناك حتى حصار الإسكندر المقدوني(Diodore de Sicile,1851(1), Liv. XIII, XXVIII, 3-4) .

1-1-3- القرابيـــن والإحتفالات: عندما أشار إلى الصراع الإغريقي الفارسي ذكر جوستيني مجيء سفارة فارسية إلى قرطاجة بغرض التحالف ضد الإغريق فيقول: " legati a Dario Persarum rege Carthaginem venerunt, adferentes edictum, quo Poeni hnmanas hostias immolare, et canina vesci prohibebantur; mortuorumque corpora cremare potius, qumm terra obruere" (Justini, 1830, Lib. XIX, I, 10-11) "جاء نواب داريوس ملك فارس لمنع البونيين من تقديم القرابين من البشر، وأكل لحوم الكلاب، كما أمرهم الملك بدفن موتاهم بدلاً من تسليمهم للنيران".

لكن كوينتوس كورسيوس في شأن منع القرابين التي يقدمها القرطاجيون إلى ملقارت يقول: "us quod sacrilegium verius quam sacrum, Carthaginenses à Conditorib- traditum, usque ad excidium urbis suae secisse dicuntur. Ac nisi Seniores obstitissent, quorum eonsilio cenâta agebantur" (Quintus, 1696, Lib. IV, III). "أخذ القرطاجيون من الصوريين هذا الإنتهاك الرهيب، الذي أرادوا تسميته تضحية وإحتفظوا به حتى إختفاء مدينتهم، لو لا معارضة مجلس الشيوخ".

يتحدث نص جوستيني عن تقديم القرطاجيين القرابين البشرية دون الإشارة إلى أي من الآلهة، لكن كورسيوس يحدد بأن هذه العادة أخذها القرطاجيون من الصوريين الذين يقدمون القرابين إلى إله مدينتهم ملقارت، وبالعودة إلى نوعية القرابين التي يقدمها الفينيقيون والكنعانيون بصفة عامة، تتكون من المعادن النفيسة، المنتجات الزراعية والغذائية والحيوانات، وعادة ما تكون باكورة الغلال، بالإضافة إلى تقديم الإبن البكر إلى مذابح الآلهة وهو تعبير عن إهداء أعز ما يملك فلذة كبده، ضف إلى ذلك معنى الطهارة والبراءة في الأطفال (الشريف، 2008، ص 21). وتتحدث التوراة عن (تفتة) – وتوفاة في قرطاجة- بواد حنون بالقرب من القدس، وهي محرقة تقدم فيها الأطفال كقرابين للحرق بعد الذبح للآلهة " أَنَّ «تُفْتَةَ» مُرَتَّبَةٌ مُنْذُ الأَمْسِ،...، مِيقَةٌ وَاسِعَةٌ، كُومَتُهَا نَارٌ وَحَطَبٌ بِكَثْرَةٍ. نَفْخَةُ الرَّبِّ كَنَهْرِ كِبْرِيتٍ تُوقِدُهَا" (العهد القديم، سفر أشعياء33،30).

يذكر ديودور الصقلي أنه عند محاصرة أجاثوكليس (Agathoclis) لأسوار قرطاجة، ندم القرطاجيون ندما شديدا على التخلي عن تقديم القرابين المتمثلة في أطفال الأسر اللامعة، وتم تعويضها بأطفال عبيد تُشْتَرى لهذا الغرض مما أثار غضب ملقارت، لذلك أصدروا قرارا بتجميع مئتين طفل من الأسر الأرستقراطية، وأصرت بعض العائلات الأخرى على المشاركة في هذا العمل ليصل العدد إلى ثلاثمئة طفل (diodore de Sicile,1851(2), Liv. XX, XIV)، كما

عثر في معبد صالمبو سنة 1920م بقرطاجة، على جرار تضم بقايا عظام للقرابين البشرية إلى جانب القرابين الحيوانية الأخرى التي قُدِمَت على شرف الآلهة، ويعتبر التوفاة المكان المقدس والمخصص لتقديم القرابين (Benichou-Safar, 2002, p. 249).

يفهم من جوستيني أن القرطاجيين بعد سفارة الملك داريوس التي منعتهم من تقديم القرابين البشرية قد "cupide paruere" " استجابوا للأمر" (Justinii, 1830, Lib. XIX, I, 11)، أما كورسيوس فيقول بأن مجلس الشيوخ القرطاجي هو من قام بمنعهم تقديم القرابين البشرية على مواطنيه (Quintus,1781, Lib IV, III).

في حين يشير ديودور الصقلي إلى انقطاع القرطاجيين عن عادة تقديم الأطفال من العائلات الأرستقراطية كقرابين لفترة من الزمن واستبدالها بأطفال من العبيد، وأثناء حصار أجاثوكليس 310ق.م لمدينتهم عادوا إليها(diodore de Sicile,1851(2), Liv. XX, XIV)، لكن إشارة كورس تفيد بعودة القرطاجيين إلى تقديم القرابين البشرية في فترة حصار الإسكندر المقدوني لمدينة صور333 ق.م حيث يذكر: "Iisdem diebus forte Carthagirrensium legati. triginta superveniunt, majus obseffis solatium, quant auxilium: quippe domestico bello Pœnos impediri, nec de imperio, sed pro salute dimicare nuntia bant. Syracusani tune Africain urgebant" (Quintus, 1696 , Lib IV, III) "في الوقت نفسه وصل ثلاثون نائباً من قرطاجة، لتقديم العزاء بدلاً من المساعدة للمحاصرين أعلنوا أن بلادهم تعاني من إحراج الحرب في الداخل، لم يعد من أجل الإمبراطورية، دمر السيراكوزيون إفريقيا، ونصبوا معسكرهم على مقربة من أسوار قرطاجة"

حسب أحمد الفرجاوي فإن مصادر هذا المؤرخ في هذا الموضع مجهولة، فتاريخيا لم يثبت حصار السيراكوزيين لمدينة قرطاجة بالتزامن مع حصار صور من طرف الإسكندر المقدوني في 333 ق.م، لأن حصار أجاثوكليس وقع بعد ذلك التاريخ في 310 ق.م، وقبل ذلك شهدت قرطاجة فترة قوة وإزدهار كبيرين منذ 410 ق.م، وخاضت حروبا كبيرة وطويلة ضد دونيسيوس (Doinysius) السيراكوزي (398 –367ق.م) ثم خليفته دونيسيوس الأصغر من (367–343 ق.م) ثم ثيملون (343– 317ق.م) وأخيرا أجاثوكليس(الفرجاوي، 1993، ص 46).

بحسب المصادر التي تشير إلى تقديم القرابين البشرية في قرطاجة، يمكن القول بعدم ثبات هذه العادة في كل المراحل التي عاشتها قرطاجة، حيث عرفت هذه العادة انتشارا، ثم أفولا، ثم عودة جديدة، وبحسب المصادر الأدبية أن سبب منعها قرار داريوس ملك الفرس 480

ق.م أثناء طلب التحالف من القرطاجيين، في معركة سلاميس(Salamis) بين الفرس والإغريق، بالتزامن مع معركة هميرا، لكن ليس من المنطق أن يتدخل ملك يطلب التحالف من كيان سياسي آخر في شؤونه الداخلية، خاصة وأن هذا الكيان يعادله في القوة، وقد تم رفض التحالف معه عسكريا فكيف يقبل تدخله على مستوى الحياة الدينية في المدينة.

لكن ما يمكن التوقف عنده هو آثار نتائج حرب هميرا 480 ق.م على قرطاجة، التي قوضت نشاطها البحري والتجاري، وجعلتها تتجه نحو مسار اقتصادي مغاير، وهو الإهتمام بالنشاط الزراعي، وهو ما سيجعل القرطاجيين يغفلون عن تقديم القربات لإله البحار والتجار، بسبب عدم الحاجة إلى حمايته، لكن بالعودة إلى الهيمنة البحرية وبعودة الأخطار عادت القرابين البشرية مرة أخرى، فالراجح هو الاستسلام لهذا الطقس يعود إلى مدى الخطر الذي يتعرض له القرطاجيين الذي يدفعهم لتقديم الأنفس البشرية إلى اله مدينة صور وحاميها.

أما **فيما** يخص تاريخ الاحتفالات بإله صور، فيذكر جوستيني مصادفة حملتي الإسكندر في ربيع 333 و323ق.م لبعثتين قرطاجيتين "Ab ultimislitoribus Oceani Babyloniam revertenti nintiatur, legationes Carthaginiepsium,..., ventum Babyloniam opperira" (Justini, 1830, Lib. XII, 13, 1) "بعد عودته من سواحل المحيط البعيدة إلى بابل، علم أن سفراء قرطاجة،... ينتظرون وصوله".

ويضيف كورسيوس: "Carthaginensium legati ad celebran dum anniversarium sacrum more patrio tune vénérant" "جاء نواب قرطاجة للإحتفال بالعيد الذي يسميه الشعبان بالذكرى السنوية المقدسة"(Quintus, 1696, Lib. IV, II)

في شهر بيتروس (فيفري– مارس) في فصل الربيع، ينظم احتفال عام في كل مستوطنات صور، يهدف إلى الاحتفال بموسم الخصوبة (Dussaud, 1946, p. 207)، وبذات الاحتفال يستشهد يوسفيوس فلافيوس بترجمة ميناندر الأفسوسي، حيث أن أول من احتفل بهذه المناسبة هو ملك صور أحيرام في القرن التاسع قبل الميلاد، وبالتالي فإن مصادفة حملة الإسكندر المقدوني في ربيعي 333ق.م و 323ق.م بالسفارة القرطاجية التي تزور قرطاجة في موسم الإحتفال بإله المدينة (Josèphe, 1930, Liv. I, XVIII,118) .

2-1- العلاقات الاقتصادية: تشير المصادر الرومانية إلى روابط اقتصادية مختلفة ظلت تجمع قرطاجة بصور إلى فترات متأخرة منها:

2-1-1- ضريبة العشر: من الكتاب الرومان الذين أشاروا إلى ضريبة العشر التي ألزم بها الرومان المدن البونية في صقلية، وفقا لما كان معمولا به قبل الهيمنة الرومانية حيث يقول شيشرون: "Siciliam nobis non pro penaria cella, sed pro aerarioillo majorum vetere ac referto fuisse: nam sine ullo sumptu nostro, coriis, tunicis, frumentoque suppeditato, maximos exercitus nostros vestivit, aluit, armavit" (Ciceron, 1869, cont Varr Lib. II, II)"كانت صقلية الكنز القديم والغني لأسلافنا: تقوم بتزويدنا بجلودها وأقمصتها وكذلك الحبوب، دون أن نضطر إلى تحمل أي نفقات، فقد كست أعظم جيوشنا وأطعمتها وجهزتها كذلك".

وقد عثر على عُملات مدينيتي ساجست (Segesta) واليمي (Elymes) من جزيرة صقلية في قرطاجة، والتي تعود إلى 410 ق.م تقريبا (Gsell, 1918,p.310) ، حيث كانت قرطاجة تُلْزِم المدن الخاضعة لها في صقلية بدفع هذه الضريبة، يمكن إعتبار هذه النسبة قد أخذتها من التقاليد الصورية، حيث كانت قرطاجة في بداية نشأتها تدفع ضريبة العشر لصور حسب ديودور الصقلي فقد كان هذا دأب سيرتهم الأولى لكن فيما بعد خفضت قيمة الضريبة، بسبب الثراء والسلطة اللتان بلغتهما (Diodore de Sicile, 1851(2), Liv. XX, XIV).

إن غموض المعلومات الواردة حول الروابط السياسية والاقتصادية بين قرطاجة وصور في المصادر الأدبية، يثير تساؤل أحمد الفرجاوي هل ضريبة العشر منفصلة عن الهدايا المادية الأخرى أم كلاهما شيء واحد؟ ويستند في ذلك إلى فكرة إرسال الهدايا المتمثلة في تماثيل المدن والممالك المحتلة، على أنها عادة شائعة لدى شعوب الشرق القديم، دأب الأشوريين على حيازة تماثيل آلهة أعدائهم كنوع من التعبير على الهيمنة وبسط النفوذ على الأمم المهزومة لكن الدلائل لا تتوفر بشكل يثبت هذه المسألة أو ينفيها (الفرجاوي، 1993، ص ص 47-48).

2-1-2- قرطاجة ومستوطنات صور: نظرا للعلاقة السياسية المتداخلة بين قرطاجة وصور، فتارة صور الوطن الأم حامية قرطاجة وتارة أخرى قرطاجة هي الحامية لمصالح صور، لذلك يصعب على الكتاب والمؤرخين التفريق بين مستوطناتهما، لكن سالوستي يقول: "Phoenices, alii multitudinis domi minuendae gratia, pars imperi cupidine, sollicitata plebe et aliis novarum rerum avidis, Hipponem, Hadrumetum, Leptim aliasque urbis in ora márituma condidere, eaeque brevi multum

auctae, pars originibus suis praesidio, aliae decori fuere" (Sallusti, 1971, XIX, 4-5).

"قام الفينيقيون، بعضهم بالرغبة في تقليص عدد السكان في الوطن، والبعض الآخر بالطموح لتوسيع إمبراطوريتهم بتأسيس هيبونوم، حضرموتوم، لبدة، ومدن أخرى على سواحل البحر، ازدهرت هذه المدن بسرعة كبيرة وكان البعض منها داعما لهم".

ويؤكد سولينوس على أن "Hadrumeto atque Carthagini auctor est a Tyro populus" (Solini, 1757,XLV). "حضرموتو (حضرموتيم) وقرطاجة من تأسيس الصوريين"

فيما يتحدث بليني الكبير عن مستوطنات حنون القرطاجي:

fuere et Hanonis carthaginiensium ducis commentarii, punicis rebus florentissimis explorare ambitum Africae iussi: quem secuti plerique é Graecis, nostrisque ad alia quae dum fabulosa et urbes multra ab eo conditas ibi prodidere, quarum nec memoria ulla, nec vestigium extat (Plinii, 1581, Lib. V, I,7).

حانونيس الذي أمر في الفترة التي كانت فيها قرطاجة أكثر ازدهارًا، باستكشاف سواحل إفريقيا وقد تبع (بوليب) معظم المؤلفين اليونانيين واللاتينيين، حيث ذكروا من بين الخرافات الأخرى المدن التي أسسها، والتي لم يتبق منها لا ذكرى ولا آثر.

ويفيد سترابون بعددها الذي يتجاوز ثلاثمئة مستوطنة أنشأت على الساحل الأطلسي إلى صور، وقام السكان المحليين بتدميرها (Strabon, 1880, Liv. XVII, III,3).

ويتحدث جوستيني عن الأذى الذي تعرضت له المستوطنة الفينيقية قادش من القبائل الإسبانية مما جعل سكانها يستنجدون بالقرطاجيين، "propterea Gaditanos bello lacessentibus, auxilium consanguineis Carthaginienses misere. Ibi felici expeditionc et Gaditanos ab iniuria vindicaverunt et maiorem partem provincia imperio suo adiecerunt" (Jusinii, 1830, Lib. XLIV, V,3) "ساعد القرطاجيين أقاربهم القاديشيين وأنقذوهم من استفزازات الجوار، وإنتقموا لهم من عنف خصومهم وأخضعوا لأنفسهم الجزء الأكبر للبلاد".

لكن مصادر المؤرخين السابقي الذكر تخلو من تواريخ يمكن الإستناد عليها أو مقارنتها بالمواد الأثرية الموجودة، لذلك فأقدم وثيقة مادية في حضرموتيم تعود إلى القرن السادس قبل الميلاد، وبالنسبة إلى لبدة فتعود أقدم اللقى الأثرية إلى منتصف القرن السابع قبل الميلاد، وبالتالي فإن المدينتين من تأسيس الفينيقيين.

2-3-1- النشاط التجاري الصوري القرطاجي:

يذكر ليفي معاهدة 348 ق.م التي أبرمت بين قرطاجة وحلفائها صور وأوتيكا مع روما فيقول: "Et cum Carthaginiensibus legatis Romae foedus ictum, cum amicitiam ac societatem petentes uenissent" (Titi Livi, 1929, Lib VII, 27,2)، "ابرام معاهدة بين مبعوثين قرطاجيين إلى روما، جاءوا لطلب التحالف والصداقة" ، ولم يتطرق ليفي الى بنود المعاهدة ، لكن يمكن الإطلاع عليها من خلال بوليب الذي إقتبس ليفي من تاريخه، حيث تقضي معاهدة 348 ق.م بالتحالف بين الرومان وقرطاجة وحليفتاها مدينتي صور وأوتيكا بتحديد شروط حركة التنقل التجارية والعسكرية بين روما وقرطاجة وحلفائها (Polybe, 1847, Liv III, XXIII) وهو الأمر الذي أثار جدلا واسعا حول ذكر مدينة صور إلى جانب قرطاجة في هذه المعاهدة، وقد خضعت لعدة تفسيرات، وأُعْتبر المقصود بصور هم فينيقييو إسبانيا أو القرطاجيون أنفسهم نسبة الى أصولهم الأولى، أو المستوطنات الصورية في غربي المتوسط، في حين يرى الفرجاوي أن نص المعاهدة لا يحتاج إلى تأويل، فالمقصود مدينة صور الفينيقية دون سواها، مثلما وضعت أوتيكا الى جانب قرطاجة، ودليله على ذلك الآثار المادية في الحوض الغربي للمتوسط من القرن الرابع قبل الميلاد التي تثبت تردد التجار الصوريين على المنطقة (الفرجاوي، 1993، ص 55).

كما تفيد هذه المعاهدة باستقلالية قرطاجة عن صور، وبسط هيمنتها على المستوطنات الفينيقية في غربي المتوسط باستثناء أوتيكا التي جاء اسمها إلى جانب مدينتي قرطاجة وصور وهو اعتراف باحتكار تجارة البحر الأبيض المتوسط لصالح قرطاجة وصور وأوتيكا، وقد ظل دور قرطاجة دورا مساعدا أو مكملا لمشروع صور المتمثل في بناء المستوطنات في الحوض الغربي للمتوسط، ولم تضطرب العلاقات والمصالح المتبادلة بين قرطاجة وصور، حتى في الفترات التي عرفت صور الضعف جراء الحملات الأشورية، والبابلية والفارسية ولم تتأثر العلاقات التجارية بين قرطاجة وصور بوضع صور، وبحسب آراء بعض المؤرخين فإن أوضاع صور بدأت في الانفراج بسبب ضعف الإمبراطورية الفارسية التي تهيمن عليها، لكن من المتعارف عليه كذلك أن صور كانت تفتدي الحملات المسلطة عليها بالمال، لذلك في الغالب تواصل نشاطها الاقتصادي على مستوى مستوطناتها ويعود وضعها الاقتصادي إلى الانتعاش بسرعة على رغم تبعيتها للإمبراطورية الآشورية والفارسية(عصفور،1981، ص ص 40-45).

أما المعاهدة التي أبرمت ما بين 279 و276 في فترة صعود بيروس (Pyrrhus) ملك إيبروس (Epirus) "cum Carthaginiensibus quarto foedus renovatum est"، " تم تجديد المعاهدة الرابعة مع القرطاجيين" (Livi, 1877, Fragmnt lib XIII) فهي تجديد وإحياء لمعاهدة 348 ق.م وتدعيم للعلاقات التجارية بين قرطاجة وصور الذي استمر إلى غاية أواخر الحرب البونية الثانية، حيث يذكر تيتي ليفي أنه أثناء فرار حنبعل إلى الشرق "Hannibal eodem die in Cercinam insulam traiecit. ubi cum in portu naves aliquot Phoenicum onerarias cum mercibus invenisset" (Livi, 1873, Lib. XXXIII, 48, 2) "عبر حنعبل في نفس اليوم إلى جزيرة قرقنة، حيث وجد في المرفأ بعض السفن الفينيقية المحملة بالبضائع".

لا شك أن الصفة التجارية للمدن الفينيقية تفرض عليها التعاون بصفة ودية مع بعضها البعض، وعلى مستوى علاقاتها الأخرى بالعالم القديم.

2- قرطاجة والوطن المستضيف:

2 -1- العلاقات الإجتماعية:

من خلال الكتابات التي تدون تاريخ الحروب البونية فقد أشار الكتاب الرومان إلى بعض الزيجات التي حدثت بين النوميديين والقرطاجيين وكان أغلبها على مستوى الطبقة السياسية في الجانبين، مثل الزواج الشهير بين صافنبعل ابنة أصدربعل القرطاجي وملك نوميديا سيفاكس Siphacis regia,..., sed mentio quoque incohata adfinitatis, ut rex duceret filiam Hasdrubalis. Ad eam rem consummandam (Livi, 1860, Lib. XXIX, 23,2)، "بداية التقارب عندما أراد الملك سيفاكس الزواج من إبنة أصدربعل، من هنا يمكن استنتاج المسألة"، يضاف إليه زواجها من ماسينيسا والذي يبقى منقوص القرائن التاريخية حيث أشار إليه ليفي بالقول: nuptias in eum ipsum diem parari repente iubet, ne quid relinqueret integri aut Laelio aut ipsi Scipioni consulendi velut in captivam, quae Masinissae iam nupta foret (Livi, 1860, Lib. XXX, 12, 19-20)، " فجأة يأمر بأن يتم التحضير لحفل الزفاف في ذلك اليوم بالذات، حتى لا يترك المجال سواء ليليوس أو سكبيو نفسه باعتبارها أسيرة، وتزوجت بالفعل من ماسينيسا"

وذكر زواج ابنة أخ أو أخت حنبعل برقا من أوزالس (Oezalces) الذي حكم مملكة المساسيل بعد وفاة جايا والد ماسينيسا، وبعد وفاة زوجها تزوجت من لاكومازيس والذي على أمل التحالف مع قرطاجة، regem appellat. Carthagìniensem nobilem feminam,

sororis filiam Hannibalis, quae proxime Oesalci regi nupta fiierat (Livi, 1860, Lib XXIX, 29, 12-13) " تزوج من نبيلة قرطاجية، ابنة أخت حنبعل التي كانت متزوجة من أوزاليسي"، ويفهم من إشارة سالوستي للتاريخ البدئي للمنطقة، بعد موت هيرقل (ملقرت الصوري) وتفرق جيشه المختلف الأعراق فرس، ميديين، وأرمن وربما فينيقيين أيضا في ليببيا القديمة، إختلطت هذه الأمم بشعوب المنطقة (Sallusti 1971, XVII, 2-5).

كما يتحدث كورسيوس على ما يشبه لجوء الصوريون أثناء حصار الإسكندر لمدينتهم بإتجاه ليبيا في الوقت الذي وصل فيه سفراء قرطاجة، لتقديم العزاء بدلاً من المساعدة للمحاصرين، أعلنوا أن بلادهم تعاني من الحرب ضد سيراكوزا، Non tamen defecêre animis Tyrii, quanquam ab ingenti pe deftituti erant; fed conjuges liberofque deyehçndos Carthaginem tradiderunt (Curce,1696, Lib. IV, III,3). "فإن الصوريين على الرغم من فقدانهم الأمل الكبير؛ من مساعدة البونيين، لكن لم يفقدوا الشجاعة، وأرسلوا زوجاتهم وأولادهم إلى قرطاجة".

على الرغم من أن المصادر الأدبية الرومانية لا تهتم بالجانب الاجتماعي والعلاقات المتبادلة بين المجتمعات لكن يمكن الوقوف على إشارة إرسال الزوجات والأبناء فهي دليل على إستمرار الهجرات البشرية من صور وربما المدن الفينيقية الأخرى إلى قرطاجة، ليست هذه الأزمة الاولى التي تواجه الصوريين.

ساهمت الزيجات المختلطة بين القرطاجيين والنوميديين وخاصة في أوساط الطبقة الحاكمة في إرساء قواعد التحالف والصداقة بينهما في المجال السياسي والعسكري، ولا شك أنها تقليد يمارس لدى الفئات الاجتماعية الأخرى التي لم تهتم المصادر بشؤونها، وقد فتحت هذه الروابط الاجتماعية باب الإمتزاج الحضاري، فماسينيسا الذي أخذ قسطا من التربية والتعليم في قرطاجة، وحنبعل الذي كان له نصيب من تعلم فنون القتال لدى النوميديين، وهذا ما جعل كامبس يرى أن ماسينيسا كان قرطاجيا بنفس القدر الذي كان فيه حنبعل إفريقيا أو ليبيا، بسبب قوة العلاقات بين الشعبين واتحادهما (كامبس، 2010، ص ص 190-191).

وفي نفس السياق يمكن الوقوف على تسمية الليبوفينيقي التي لا تعرف على وجه الدقة نوعيتها عرقية أم إدارية؟ ولكنها لا تخلو من المشترك الاجتماعي بين ساكنة الإقليم المشار له بهذه التسمية، خير دليل على عمق الروابط الإثنوغرافية والاجتماعية، التي أشارت إليها المصادر الإغريقية والرومانية القديمة وعلى اختلاف مواقعهم في هذه النصوص إلا أنه يبقى

شعب أو مجموعة سكانية تقطن المدن الساحلية المغاربية تتكون من الفينيقيين أو البونيين والليبيين امتزجوا عن طريق الزواج كرابط اجتماعي أو انضموا إلى السيادة القرطاجية وحكمتهم قوانينها كرابط قانوني وسياسي.

إن العلاقات التي جمعت الفينيقيين والليبيين كثيرة ومختلفة المظاهر، لكن المصطلحات التي يعبر بها الرومان عن هذه العلاقات في المجال الاجتماعي، ارتبطت في مدوناتهم بموضوعات بعيدة عن الجانب الاجتماعي، وهو ما يفسح باب المناقشة في هذا المقام حول النظرة الدونية للشعوب الأجنبية، فالامتزاج الاجتماعي مصطلح معاصر للتعبير عن انصهار عرقين أو أكثر، في العادات والتقاليد والثقافات المشتركة بين الشعوب، أما في العصور القديمة فقد أطلق الإغريق والرومان على هذا التفاعل بين الشعوب عدة تسميات، فأشار الإغريق للامتزاج بمصطلح "hubridés" والذي استخدمه كذلك الرومان لدلالة على الهجين من النباتات والحيوانات وكذلك وصف بها الأشخاص المولودين من نصف بربري ونصف متحضر وهي صفة إزدراء لدى الرومان في فترة الفوضى التي اعقبت نهاية العهد الجمهوري واندثر هذا المصطلح ببداية العهد الإمبراطوري (Ouachour, 2012, par12)، وحل محله مصطلح الخليط أو الخلط **"mixtum"** لدى تيتي ليفي "mixtio" يصف به الجنس الليبوفينيقي "Libyphoenices, mixtum Punicum Afris genus" "الليبوفينيقيون هم خليط من البونيين والآفري" (Livi, 1860, Lib. XXI, 22, 3)، و"mixtura" ورد المصطلح لدى بليني الكبير بعدة معاني "mixtura rernm omnium" " خليط من كل شيء"، "casus mixtura" " خليط القشرة" عند اشارته للنباتات العطرية، "mixtura médicamenta " الخلطات الطبية" (Plinii, 1851,Lib. II, LXXX; Lib XII, XXXVII; Lib XIV, VI) ، كما أطلقها على تهجين الحيوانات.

لكن أبوليوس الأديب المغاربي عندما عبر عن هويته الجيتولية النوميدية قال: "seminumidam et semigaetulum" "نصف نوميدي ونصف جيتولي" وهنا لفظ "Semi" بمعنى "النصف". واختار "Mixtio" "الخليط" ، عندما أشار إلى أصول ملك الفرس قورش الكبير للتعريف بالفرق بين المصطلحين حيث قال:

"quam Cyro Majori, quod genre mixto fuit, semimedus ac semipersa, non enim ubi prognatus, sed uti moratus quisque sit, spectandum: nec qua regione, sed qua ratione vitam vivere inierit" (Apulée, 1837, p. 62).

"مثل قورش الكبير، كان نوعا مختلطا، نصف ميدي ونصف فارسي، لكن أخلاق الإنسان التي يجب أن تكون ويجب رؤيتها، وليس أصوله، ولا من أي منطقة، ولكن بأي طريقة يعيش"

عند التعريف بأصوله لم يستخدم عبارة "mixto"، لكنه أضافها عند الحديث عن أصول قورش لتوضيح المعنى المقصود لدى الرومان للأصول المختلطة، حيث كان بالنسبة للرومان الأصول المختلطة أو الهجينة نقيصة في مكانة الأشخاص، لذلك عبر الأديب المغاربي عن رفضه لهذه الذهنية وضرب مثالا بقورش الكبير الذي لم تقف أصوله المختلطة حاجزا أمام تكوين شخصيته وطموحه في تكوين إمبراطورية.

وهو الروائي الضليع في اللغة اللاتينة، أقام في روما زمنا لتعلم اللغة اللاتينية الأدبية وأجادها مثل الرومان، حتى أن بول فاليت (Paul Vallette) يرى بأنه من أهم المبرزين في اللغة اللاتينية في الفترة الإمبراطورية كانوا مغاربة، وعلى رأسهم فرنتون (Fronton) ثم يأتي أبوليوس (Paul Vallette, 1908, p. 22)، فحرصه وعنايته بالألفاظ جعله يختار "semi" للتعبير عن الإعتزاز بأصوله المشتركة، وعندما أراد إبراز الدونية التي يتعامل بها الإغريق قبل الرومان لكل من يحملون أصولا غير رومانية أو أصول أجنبية مختلطة إختار اللفظ "mixto" إلى جانب "semi" "النصف".

2-2- العلاقات السياسية والعسكرية: بين الصداقة إلى العداء:

2-2-1- مراحل من التعاون:

تميزت العلاقات القرطاجية الليبية بمراحل من السلم والتعاون، ولعل أولى محطات الصداقة والتعاون هي الظروف التي سمحت بتأسيس مدينة قرطاجة، وعلى الرغم من رمزية الرواية، إلا أنه يمكن الوصول إلى حقيقة التعايش بين الفينيقيين الوافدين وسكان ليبيا حيث عبر عنه جوستيني "Sed et Afros detinendi advenas amor cepit"، "أحب الأفرو بقاء الوافدين الجدد"، وبعد ازدهار قرطاجة يتحدث جوستيني عن القران الذي رفضته ملكة قرطاجة مع ملك الماكسيتاني وهو ما جعلها تفقد حياتها رافضة مشاركة الملوك المحليين الحكم في قرطاجة على حد تعبيره، وأضاف إليه المؤرخين المعاصرين فكرة انعزال قرطاجة ورفضها الإمتزاج الحضاري والسكان المحليين، لكن هذا الرأي لا يصدقه الواقع والأحداث التاريخية"(Justinii, 1830, Lib. XVIII,V,13; 6, 1-8).

ثم بعد ذلك لا تهتم النصوص الأدبية القديمة بالأوضاع السياسية والعسكرية لبلاد المغرب القديم، إلا بدخول قرطاجة حيز الصراع الإغريقي ثم الروماني، حيث أشارت إلى الممالك المحلية وعلاقتها بقرطاجة، منذ تحالف ماسينيسا مع القرطاجيين أثناء الحرب البونية الثانية حسب ليفي فقد "Facile persuasum Galae, filio deposcente id bellum, ut mìtteret exercitum, qui Carthaglniensibus legionibus coniunctus"(Livi,1860, Lib. XXIV, XLVIII,4 "تم إقناع جايا بسهولة بإرسال جيش، حيث رغب ابنه في هذه الحرب، فوحّد الشاب قواته بقوات القرطاجيين".

لكن سرعان ما يلغي التحالف مع القرطاجيين ويتحالف مع الرومان، على عكس سيفاكس الذي تحالف مع الرومان ثم يتحلل من تحالفهم ويربطه مع القرطاجيين، حسب ليفي أنه بالزواج من إمرأة قرطاجية، دعم بالتعاون في شتى المجالات "nuptiis civis Carthaniensis, filiae Hasdrubalis, quem viderit apud se in hospitio, et publico etiam foedere cum populo Carthaginiensi iunctum optare" "بالزواج من مواطنة قرطاجية، ابنة أصدربعل، الذي رآه في ضيافته، وكذلك من خلال معاهدة عامة مع الشعب القرطاجي"، وقد تم بالفعل التعاون العسكري حيث انتقل سيفاكس Syphax cum quinquaginta milibus peditum, decem equitum advenit Confestìmque motis a Carthagine castris haud procul litica mimitionibusque Bomanis consedit. "على رأس خمسين ألفًا من المشاة وعشرة آلاف من الفرسان، نزل بالقرب من قرطاجة واتخذ موقعًا بالقرب من أوتيكا والخطوط الرومانية" (Livi, 1860, Lib. XXIX, XXIII,4; XXXV.11).

ورغم ما يذهب إليه المؤرخون القدامى أن القرطاجيين ورطوا ملك الماسيسيل في الحرب، إلا أن سيفاكس استفاد من هذا التحالف وتنازل القرطاجيين عن الشريط الساحلي المحاذي لمملكته والذي يشمل مدن بحرية وموانئ تجارية هامة وبدوره ساعدها على استرجاع الأراضي المتنازع عنها مع والد ماسينيسا قبيل الحرب البونية الثانية.

كما استفادت قرطاجة من روح القتال المغاربية سواء من المجندين في صفوف الجيش القرطاجي الذي ألزمت به بعض المدن الخاضعة لها، أو في إطار الإرتزاق، حيث أخبر المؤرخون القدامى عن تشكيلة الجيوش القرطاجية، في إشارة ليفي إلى تشكيلة جيش حنبعل يذكر أن حنبعل جهز جيشا من بلاد المغرب القديم ونقله إلى إسبانيا يتكون من:

Hasdrubali fratri,uiro impigro, eam prouinciam destinat firmatque eum Africis maxime praesidiis, peditum Afrorum undecim milibus octingentis quinquaginta,..., Ad haec peditum auxilia additi equites Libyphoenices, ..., quadringenti et Numidae Maurique accolae Oceani ad mille octingenti et parua (Livi, 1860, Lib. XXI, XXII,1-3)

"ترك لشقيقه أصربعل جيشًا أفريقيًا بالكامل تقريبًا ؛ يتألف من أحد عشر ألفًا وثمانمائة وخمسين مشاة من إفريقيا،...، ثلاثمائة من الفرسان الليبوفنيقيين،...، حوالي ثمانمئة نوميدي أو موري يسكنون بالقرب من المحيط "

أما فيما يخص الطبقة الحاكمة، أخبر تيتي ليفي أن زواج سيفاكس بإمرأة قرطاجية، دعم بالتعاون في شتى المجالات حسب ما جاء لدى ليفي: "nuptiis civis Carthaniensis filiae, Hasdrubalis, quem viderit apud se in hospitio, et publico etiam foedere cum, populo Carthaginiensi iunctum optare" (Livi, 1860, Lib. XXIX, XXIII).

" بالزواج من مواطنة من قرطاجة ابنة صدربعل، وكذلك بالتحالف معه، أراد أن يتحد مع أهل قرطاجة"

2-2-2- محطات من الصدام:

ما يفهم من جوستيني أن بداية الاضطرابات السياسية بين القرطاجيين وجيرانهم المغاربة القدامى بدأت في أواخر القرن السادس قبل الميلاد، منذ تقلد مالكو قيادة الجيش القرطاجي يقول: "qaud ducem suum Malchum, cuius auspiciis et Sicliae partem, domuerant, et adversus Afros magnas res gesserant".(Justinii, 1830, Lib. XVIII, VII,2)، "مالكو الذي أخضع جزءا من صقلية، وغالبا ما كان منتصرا على الأفارقة"، لكنه يضيف بأن بعدها بفترة وجيزة بدأ تهرب القرطاجيين من دفع المستحقات المالية للأفارقة لكن لم تنجح في ذلك، إلا بوصول الأسرة الماجونية إلى الحكم، وبعد معركة هميرا 480 ق.م التي كانت حافزا على إيجاد مصدرا آخرا للإقتصاد القرطاجي.

وفي فترة حكم الإخوة ماغون؛ أصدربعل وهميلكار ثار الأفارقة ضد قرطاجة أو بالأحرى طالبوها بالضرائب المترتبة عليها ثمنا لأجرة الأرض حيث يخبر جوستيني بالتالي:

Mago, Carthaginiensium imperator, quum primus omnium, ordinata disciplina militari,…,relictis duobus fillis, Hasdrubale et Hamilcare: qui, per vestigia paternae virtutis decorrentes,…, adversus Afros quoque, vectigal pro solo urbis, multorum annorum repetentes, dimicatam. Sed Afrorum sicuti causa iustior, ita et fortuna superior fuit, bellum que cum his solutione pecuniae (Justinii, 1830, Lib. XIX, II,4)

ماجون، الجنرال القرطاجي، الذي أسس القوة القرطاجية أولاً على الانضباط العسكري،...، ترك ولدين صدربعل الذي قتل في سردينيا، وهميلكار الذي،...، بموجب أوامره، حملت قرطاجة الحرب إلى سردينيا، وقاتلت الأفارقة الذين سألوها لفترة طويلة عن الضريبة السنوية مقابل ثمن أرض المدينة. لكن الأفارقة رأوا عدالة قضيتهم تتوج بالقتال، وانهت قرطاجة الحرب بسداد ديونها .

حسب جوستيني فقد بدأ تهرب القرطاجيين من دفع المستحقات المالية للأفارقة، منذ أواخر القرن السادس، لكن لم تنجح في ذلك، إلا بعد معركة هميرا 480 ق.م ووفاة هميلكار بن ماجو، خاضت الأسرة الماغونية حروبا ضد الليبيين: "Interea Hamilcar bello Siciliensi interfitur,..,per hos res Carthaginiensium ea tempestate gerebantur. Itaque et Mauris bellum illatum et adversus Numidas pugnatum, et Afri compulsi stipendium urbis conditae Carthaginiensibus remittere "(justinii, 1830, Lib. XIX, I, 1-4)، "بعد مقتل هميلكار في صقلية،...، وقعت عدة أحداث في قرطاجة. خاضوا حربًا على المور، قاتلوا النوميديين وأجبروا الأفارقة على التخلي عن الضريبة التي وعدتهم بها قرطاجة الناشئة".

ويذكر ديون من كريستوم (Dion de Chrystome) أن حنون الذي قام برحلات إستكشافية جنوب المحيط الأطلسي، في حدود منتصف القرن الرابع تقريبا، أن سياسته ومنهجه من حوّل القرطاجيين من صوريين إلى ليبيين، (Dion de Chrystome, 2006, Disc, XXV, p.313) على الرغم من أن هذه العبارة تحمل الكثير من الإيماءات فسرها سيرجيو لونسال (Serge Lancel) أنها تعني التوسع القرطاجي نحو الأراضي المغاربية (Lancel, Picard, Duval, & B, 1993, para 11)، لكن التوسع القرطاجي منذ أواخر القرن السادس نحو الشرق، في السرت الكبير في أويا وصبراتة تم بطرق سلمية، كما يذكر هيرودوت حادثة طرد المغامر دوريوس (Dorius) الإغريقي الذي حاول الإستيطان في في وادي كينييس شرق لبدة، وتحالفت قرطاجة مع القبائل الليبية وتم طرده من المنطقة، حيث يظهر الطابع السلمي والتعاون بين الطرفين المغاربي والقرطاجي (Hérodote, 1858, Liv. V, XLII).

أما بالنسبة لغرب قرطاجة فالأمر يكتنفه الغموض إلى حد ما، وكل ما يتوفر من معطيات أدبية ومادية، لا تعطي التاريخ الصحيح لإخضاع هذا الإقليم، حسب أبيان فإن قرطاجة استحوذت على أكثر من نصف ليبيا، حيث بسطت سيطرتها على شمال غرب تونس والمنطقة

الشرقية من الجزائر الحالية (Appien,1559, Lybica, LXVII)، حيث منطقة شوراتوسكا (Chora Thusca) التي إفتكها ماسينيسا سنة 152 ق.م، إضافة إلى مكثر (Mactar)، وماكسي (Maxsi) أو أراض الماكسيتاني التي طلب ملكها يد عليسا، وزوجيتانيا كما توسعت على حساب البيزاسيوم المنطقة المحاذية للشريط الساحلي من روسبينا (المنستير) إلى سفاقص جنوبا، ويرجح أن معاهدة 509 ق.م بين قرطاجة وروما التي تقضي بمنع الرومان من التجول في منطقة رأس الطيب، إلا بسبب محاولة قرطاجة الهيمنة على المنطقة خاصة وأنها تتميز بخصوبة أراضيها الزراعية، إلى جانب استحواذ القرطاجيين على مدينة تفاست بعد هزيمتهم في الحرب البونية الثانية، ومن هناك يمتد النفوذ من كيرتا (Cyrta) إلى سيكا فنيريا (Sicca veniria) مدينة الكاف التونسية (Lancel, Picard, Duval, & B, 1993, para 11) .

لا يعرف على وجه الدقة تاريخ ضم المنطقة غرب قرطاجة، لكن المرجح أن عملية التوسع بدأت منذ فترة قبل معركة هميرا480 ق.م، إذا وضع في الحسبان أن المدن الفينيقية في الشرق والتحالف الليبي القرطاجي لطرد الوافد الإغريقي دوريوس، حيث العملية قامت سلميا بعهود التحالف والصداقة بين الطرفين، وحسب جوستيني يفترض أن قرطاجة بدأت تتنصل من إلتزامتها المالية اتجاه السكان المحليين منذ أواخر القرن السادس وشهدت اشتباكات مع قدماء المغاربة على دفع ضرائب الأرض التي تحتلها المدينة (Justinii, 1830, Lib. XIX, II,4) .

وفي أواخر القرن الخامس وبعد معركة هميرا 480 ق.م، غيرت قرطاجة سياستها الاقتصادية، بالاعتماد على النشاط الزراعي كمورد اقتصادي بديل بعد تقليص دورها البحري كما استفادت من الضرائب على الإنتاج الزراعي المتمثلة في عشر المحصول في فصول السلم وترتفع إلى النصف زمن الاضطرابات والحروب، حيث بدأ دبيب مشاعر الاستياء والعداء من الأرستقراطية القرطاجية يظهر، ولعل تآمر الأفارقة وملك المور على مجلس الشيوخ القرطاجي في منتصف القرن الرابع قبل المسيح لدليل على هذه المشاعر:

> princepis Carthaginiensium hanno opes suas, qui bus vires reipublicae superabat, ad occupandam dominationem intendit, nterfecto senatu, conatus est. cui sceleri sollemnem nuptiarum diem filiae suae legit,…, munitum quoddam castellum cum viginti miilibus servorum armatis occupat, ibi dum Afros regemque Maurorum concitat, capitur, virgisque caesus (justini, 1830, Lib. XXI, VI, 1-2 , 6-7)

استخدم حانو، المواطن الأول في قرطاجة،...، ثروته لاستبعاد مجلس الشيوخ وقتلهم ليمهد طريقه للعرش،...، عن طريق المشروبات المسمومة في حفل زفاف ابنته،... حرض العبيد على التمرد، واستولى على قلعة محصنة بها عشرين ألف من العبيد المسلحين، بينما هو ينتظر نجدة الأفارقة وملك المور لمساعدته، فيقع في الأسر"

وفي فترة الحرب البونية وقف سيفاكس ضد مملكة قرطاجة لفترة زمنية قصيرة إلى جانب خصمومها الرومان حسب ليفي الذي يقول:

Syphax erat rex Numidarum, subito Carthaginiensìbus hostis factus: ad eum centuriones tres legatos miserunt, qui cum eo amicitiam societatemque facerent et pollicerentur, si perseveraret urguere bello Carthaginienses, gratam eam rem fore senatui populoque Bomano, et adnisuros, ut in tempore et bene cumulatam gratiam referant. grata ea legatio barbaro fui (Livi, 1860, Lib. XXIV, XLVIII, 2-3)

سيفاكس ملك النومديين أصبح فجأة عدو قرطاجة، فأرسلوا إليه ثلاثة قواد لعقد معاهدة صداقة وتحالف معه ، ووعده إذا استمر في الحرب ضد القرطاجيين، بأن مجلس الشيوخ والشعب الروماني سيكون شاكرا له.

يتركز اهتمام الكتاب الرومان حول العلاقات القرطاجية الليبية على جانب التصادم والعداء خاصة جوستيني، بخلاف الكتاب الإغريق الذين يوردون مواقف من التناغم والتحالف الفريقين ومثال على ذلك ما أخبر به مؤرخ صقلية حول جولة حنبعل بن جيسكون وهميلكون في البلاد المغاربية بحثا عن حلفاء من الملوك والزعماء والجنود من موريطانيا إلى قورينة في حرب قرطاجة في صقلية سنة 406 ق.م (Diodore, de sicile,1851(1), Liv. XIII, 80)

3- موقف الكتاب الرومان من الصراع الإغريقي القرطاجي:

أشار مختصر التاريخ الفيليبي من الكتاب الثامن عشر (XVIII) إلى الكتاب الثالث والعشرين (XXIII) إلى الصراع الإغريقي القرطاجي، حيث يذكر سيطرة القرطاجيين على جزء كبير من صقلية، كما يخبر بهزيمتهم في سردينيا قائلا: "qumm in Sicilia diu feliciter dimicassent. translato, in Sardiniam bello, amissa maiore exercitus parte, gravi proelio victi sunt: propter. quod ducem summ Malchom" (Justini, 1830, Lib. XVIII, VII, 1). " كانوا منتصرين في صقلية لوقت طويل، وبعد أن نقلوا جيوشهم إلى سردينيا فقدوا جزءا كبيرا منها هناك على يد مالكو"

ولم يعبأ جوستيني بذكر ظروف ودوافع التواجد العسكري القرطاجي في جزيرتي صقلية وسردينيا، الذي تزامن والتنافس الإغريقي القرطاجي على الهيمنة على جزر البحر الأبيض المتوسط، الذي يخبر ثوكوديدس (Thucydide) بشأن وصول الإغريق إلى صقلية شغلوا السواحل الشرقية من الجزيرة، مما جعل الفينيقيون وهم الذين سبق وجودهم الإغريق ينسحبون إلى الغرب في موتيا (Motyé)، صوليس (Solios) وبانوراموس (Panoramos) قريبين من حلفائهم الأليميين وغير بعيدين عن قرطاجة (Thucydide, S.D, Liv VI, 2)، حيث تعود الهجرات الإغريقية إلى القرن الثامن قبل الميلاد إلى جزيرة صقلية، عندما بسطوا نفوذهم على الجهة الشرقية منذ أوائل القرن السادس قبل الميلاد (Diodore de Sicile,1851(1), Lib V, VI) بالإضافة إلى مواقع أخرى جنوب إيطاليا، كورسيكا(Corse)، وماساليا(Masalia) مارسيليا(Marsielle) الحالية في بلاد غالا. ولم يتوقف زحفهم نحو جزر الحوض الغربي للمتوسط إلا بمعركة ألليا (Allia) سنة 535 ق.م ثمرة التحالف القرطاجي الأوتروسكي، فيقول جوستيني بأن قرطاجة "Hasdrubal in Sardinia perit. Inde Siculum bellum,....imilcon dux huius exeroitus Carthaginem reveraus, ape omni abiecta mortem sibi infert". (Justinii, 1830, Lib. XIX, prev capt 2-3) حملت الحرب إلى سردينيا... ترك صدربعل الأمر لهميلكار(الماغوني) بعد إصابته بجروح قاتلة".

من المآخد على تاريخ جوستيني الخلط بين صراع الفرس ضد الإغريق، عندما استعان هؤلاء الأخيرين بليونداس شقيق حاكم إسبرطا في ثورموبيل، وبين صراع إغريق صقلية والقرطاجيين في معركة هميرا، حيث يقول: "itaque Siciliae popolis propter assiduas Carthaginiensium iniurias ad Leonidam, fratrem regis Spartanorum, concurrentibus grave bellum natum; in quo et diu, et varia victoria proeliatum fiuit". "سئمت شعوب صقلية من إهانة القرطاجيين فطلبوا المساعدة من ليونيداس شقيق ملك إسبرطا، واندلعت حربا دموية عنيفة، كان النصر متوازنا فيها في تلك الفترة"، وبالتالي لم يتوقف جوستيني عند تفاصيل معركة هميرا 480 ق.م التي شكلت منعرجا حاسما في تاريخ قرطاجة، بل إكتفى بالإشارة إلى "Hamilcar bello Interea" "مقتل هميلكار في الحرب" (Justini, 1830, Lib. XIX, I, 2) ويرجح أن التزامن بين معركة سلاميس وثورموبيل بين الفرس والإغريق، ومعركة هميرا بين إغريق صقلية والقرطاجيين، جعلت من جوستيني يخلط بين مواقع المعركتين.

بالإضافة إلى تجاهل الحرب التي خاضها القرطاجيون ضد دونيسيوس السيراكوزي مدة أربعين سنة ثم ابنه دونيسيوس الأصغر، ولا يذكر إلا معركة تم فيها خيانة قائد الجيوش القرطاجية حنون لحساب دونيسيوس الكبير: "auctis viribus repetebant Dux belli Hanno Carthaginiensis erat: cuius inimicus Suniatus, potentissimus ea tempestate Poenorum lum odio eins, Graecis literis, Dionysio adventum exertus et segnitiam decis familiariter praenuntiasset" (Justini, 1830, Lib. XX, V, 11-13). "قاد حنون القرطاجي جيوشه، كان آنذاك قويا في قرطاجة، ويكن لمنافسيه كراهيته، أعلموا برسالة مكتوبة بالإغريقية ديونيسيوس برحيل جيشه، وشرح بصراحة خمول القائد وجبنه في اتخاذ القرارات".

ويعزى ذلك لكراهية الرومان لدونيسيوس الذي تحالف مع شعوب غالا التي أحرقت روما مثلما ورد لدى جوستيني : legati Gallorum, qui ante menses Romam incenderant societatem amici tiamque petentes adeunt (Justini, 1830, Lib. XX, V, 4) " جاء نواب من غالا، للتحالف معه، بعد بضعة أشهر من حريق روما"، علما أن حريق روما تسبب فيه الغاليين في 310 ق.م، وهو ما يتضح من خلال وصف شيشرون لشخصية دونيسيوس الكبير: accepimus, summam fuisse eius in victu temperantiam in rebusque gerundis virum acrem et industrium, eundem tamen maleficum natura et iniustum; ex quo omnibus bene veritatem intuentibus videri necesse est, miserrimum (Cicéron, 1854,Tusculum, Lib. V, XX) "كان يتمتع بصفات عظيمة رصينًا ونشطًا وقادرًا على الحكم؛ ولكن ذو طبيعة شريرة وظالمة، وبالتالي إذا أردنا الحكم بإنصاف، فإنه أكثر الرجال تعاسة".

وفي فترة حكم أجاثوكليس لم يأت على تفاصيل أحداث كثيرة فيما يخص المعارك التي دارت بين قواته والجيوش القرطاجية في صقلية والتي جعلته محاصرا في سيراكوزا، لكنه إحتفى بنقل طاغية سيراكوزا الحرب وهو في حالة ضعف وحصار إلى أرض أعدائه البونيين، حيث حملت فقرات الكتاب الثاني والعشرين (XXII) سيرة مختصرة لأجاثوكليس منذ نعومة أظافره إلى تقلده منصب حاكم سيراكوزا.

في ظل الإضطرابات السياسية والصراع على الحكم اللذان شهدتهما مدينة سيراكوزا بعد وفاة حاكمها ثيمولين، دعمت قرطاجة أجاثوكليس أحد أطراف النزاع، وبمساعدة هميلكار الذي لم يكن على اتفاق مع حكومة قرطاجة، حيث تحالف مع أجاثوكليس الذي وقع اتفاقيات سلام

مع المدن الإغريقية سنة 313 ق.م بالإضافة إلى المحافظة على حلفائه الإستراتيجيين هيراكليا(Héraclée)، هميرا، سيلونونت (Sélinonte) وعلى الرغم من أن حلف أجاثوكليس غير مضمون العواقب لكن هميلكار راهن عليه، لكن أجاثوكليس لم يتوانء على مهاجمة حلفاء قرطاجة مستفيدا من غض نظر هميلكار، مما أثار حفيظة مجلس الشيوخ القرطاجي، إلا أن وفاة هميلكار غيرت مسار الأحداث، وتم انقلاب أجاثوكليس على قرطاجة في 311ق.م (Melliti, 2016, pp. 136-137)، وهو الأمر الذي دفع بجوستيني بالقول: "non tam de Agathocles, quam Hamilcare detulerunt; huncut dominum et tyran num illum ut proditorem arguentes. a quo infestisseme hosti fortunae sociorum" "لا يختلف أجاثوكليس عن هميلكار، الأول مغتصب وطاغية، والثاني خائن بموجب اتفاق رسمي تخلى عن حلفائه لأشد أعدائهم قسوة"(Justini, 1830, Lib. XXII, III,3-4).

كما لم يهتم جوستيني بالظروف التي أدت إلى الصراع والتحالف في صقلية بين أجاثوكليس والقرطاجيين، بقدر ما ركز على الشخصيات المحركة للصراع، ووصفهما بأسوء الصفات والنعوت كالغطرسة والخيانة، حيث قدم سيرة ذاتية لأجاثوكليس في بداية الكتاب الثاني والعشرون تحمل كل معاني سوء الخلق والسلوك المنحرف (Justini, 1830, Lib. XXII, I) ويعزو الباحثين ذلك إلى منهج عمل جوستيني في التلخيص الذي يجعله يضحي بالحقائق التاريخية على حساب قصص امتاع القراء (Horon, 2019, p.174).

لكن فكرة أجاثوكليس عندما نقل الحرب إلى عقر دار عدوه، نالت رضى جوستيني ووصفها "mira prorsus auia" "بالشجاعة الرائعة حقا"(Justini, 1830, Lib. XXII, I) أن يفكر في قتال من لا يستطيع مقاومتهم داخل أسواره في بلاده، فيغزو أرضهم، على الرغم من الإختصار وعدم الإسهاب في شرح تفاصيل الحملة التي دامت ثلاث سنوات(310–307 ق.م)، في الكتابين الخاصين بأجاثوكليس.

ولم يقدم تفاصيل كافية حول أوضاع سيراكوزا أثناء حصار القرطاجيين لها، والأسباب التي جعلت أجاثوكليس يفكر في نقل الحرب إلى قرطاجة، باستثناء عبارة "أضعف من أن يقف في وجههم، غير مهيأ لدعم الحصار، وتخلى عنه حلفاؤه" (Justin,1830,Lib. XXII, IV)، هذه الأوضاع المختلفة بين العسكرية والاقتصادية التي أسهب في ذكرها ديودور الصقلي فأشار إلى فقدان أجاثوكليس للغالبية العظمى من جيشه بين هلاك المشاة وفرار الفرسان، وأمام بسط

نفوذ القرطاجيين على الجزيرة ما أدى بحلفائه إلى الانسحاب مفضلين التخلي عنه، وأخيرا بوادر المجاعة ونقص الغذاء التي بدأت تظهر في سيراكوزا كنتيجة للظروف التي تمر بها مدينة سيراكوزا (Diodore de Sicile, 1851(2), Liv. XX, X).

كما كان الإستعداد للحملة في مختصر التاريخ الفليبي مقتضب كما يأتي:

si cui status praesentis fortunae pliceret dare se ei discedendi liberam potestatem. cum mille sexcenti discessissent, ceteros ad obsidionis essitatem frumento et stipendio instruit: quinquaginta tum secum talenta ad praeaentem usum aufert,…, libertate donatos, sacramento ade, eosque et maiorem partem ferme militum navibus imnit (Justini, 1830, Lib. XXII, IV, 3-5).

منح الحرية في الإنسحاب للذين يخافون الوضع الحالي، غادر المدينة 1600 مواطن، وزود الآخرين بالمال والغذاء، ولم يأخذ سوى خمسون تالنت لتلبية احتياجات اللحظة،...، حرر العبيد من هم في سن حمل السلاح.

في حين أسهب ديودور الصقلي في ذكر الإستعدادت العسكرية لمواجهة القرطاجيين من تحرير العبيد وتجنيد القوات وتزويدها بالدروع والخيول وكل مستلزمات الحرب، وجمع هذه القوات في ستون سفينة، بالإضافة إلى مصادرة أموال وأملاك التجار والطبقة الأرستقراطية المعارضة له و سلب مجوهرات النساء، وجمع كل هذه الإمكانيات البشرية والمادية في أسطول يتكون من ستون سفينة، إلى جانب جملة من الإجراءات الأمنية في سيراكوزا، حيث نصب شقيقه انتاندر (Antandre)، وفصل الإخوة عن أخوانهم والأبناء عن آبائهم وأخذ بعضهم وترك الباقي حتى يضمن عدم التمرد على سلطته في غيابه (Diodore de Sicile,1851(2), Liv. XX, IV, V).

وقد تفوق جوستيني على مؤرخ صقلية في تعداد فوائد نقل الحرب إلى أرض قرطاجة والعوامل التي سوف تساهم في تحقيق النصر:

foris hostem etiam suis viribus vinci deficientibus sociis et odio diuturni imperii extera auxilia circumspicientibus. Huc accedere quod urbes ei stellaque Africae non muris cinctae non in montibus tae sint, sed in planis campis sine ullis munimentis ant, quas omnes metu exscidii facile ad belli (Justini, 1830, Lib. XXII, V, 4-5).

"تنقلب قواتهم وحلفائهم المتمردين ضدهم الذين سئموا من العبودية سيرحبون بالمحررين الأجانب بفرح، علاوة على ذلك مدن وقلاع إفريقيا ليست محصنة وليست مبنية على الجبال ولكنها تقع على سهول مفتوحة على جميع الإتجاهات، وخوفا من الخراب سوف تنضم إلى حزبه"

إن المتتبع لسير الأحداث التاريخية سيجد أن مزايا نقل الحرب إلى قرطاجة، استفاد منها الرومان في مواقع عدة، أعاد ريجلوس في الحرب البونية الأولى تجربة أجاثوكليس في مهاجمة قرطاجة في عقر دارها وباءت بالفشل، ثم في الحرب البونية الثانية تم إنزال قوات الرومان على السواحل المغاربية مدعومين بتحالف ماسينيسا والقبائل المتنازعة مع قرطاجة، أما في الحرب البونية الثالثة فقد تمكن الرومان من عزل قرطاجة خلف أسوارها بالمحافظة على حلفائهم في المنطقة وإيجاد حلفاء جدد، على عكس أجاثوكليس الذي لم يتمكن من المحافظة على حلفائه في المنطقة، حيث أربكته مشاكل معسكره وإنشغل بها عوض الإنشغال بالتفوق على القرطاجيين.

جعل الكتاب الرومان أجاثوكليس رمزا للشجاعة والجرأة، بنقله الحرب إلى العاصمة البونية فيذكر شيشرون في المرافعة ضد فاريس (Varrés) حاكم صقلية سنة 70ق.م، في مرافعة يمثل فيها شعب صقلية ضد فاريس الذي وجهت له تهمة سوء المعاملة واستغلال السلطة بسبب الأضرار التي ألحقها باللوحات التي تجسد قتال الفرسان لأجاثوكليس في صقلية: Ædes Minervæ est in Insula,…, Pugna erat equestris Agathocli regis in tablis picta præclare: his autem tabulis interiores templi parietes vestiebantur. Nibil erat ea pictura nobilius,..., his rebus ornare, quas ceperat, noluit; Verres, qui non Verres. (Cicéron, 1864, Liv. IV, LV). "في الجزيرة في معبد مينرفا،...، لوحات تمثل معارك الملك أجاثوكليس ضد الفرسان صورت بشكل ممتاز: كانت تغطي جدران المعبد، لم ينتج الفن شيئا أكثر جمالا منها،...، انتزعها فاريس".

عرف شيشرون بكتاباته عن أهمية الفضائل والأخلاق السامية وكذلك القوة والشجاعة والحكمة التي يجب أن يتمتع بها السياسيون والقادة العسكريون، في فترة تعج بإضطرابات الجمهورية الرومانية (Dupont, 2020, p. 295)، إن دل ترافع شيشرون ضد فاريس وتوجيه أصابع الإتهام له على انتزاع لوحات تمجد أجاثوكليس من معبد منرفا في جزيرة صقلية، إلا على الإعجاب بهذه الشخصية ومنهجها العسكري الذي استفاد منه الرومان ووجوب المحافظة

على ذكراه، على الرغم من أنه نقد الأعمال الإستبدادية لطغاة سيراكوزا، أمثال دونيسيوس الذي جعله أنموذج للطغيان(Cicéron,1854, Tusculum, Lib. V, XX).

لقد ظلت الذاكرة الرومانية تمجد أجاثوكليس وتجربته في العبور نحو بلاد المغرب القديم، وهو ما أخبر به ليفي في الحوار الذي دار بين مجلس الشيوخ وسكبيو الإفريقي بشأن نقل الحرب إلى قرطاجة، فقد قال: "Cur ergo,…, non Agathoclem potius, Syracusanum Regem, cum diu Sicilia Punico bello ureretur transgressum in hanc eandem Africam auertisse eo bellum unde uenerat refers" (Livi, 1986, Lib. XXVIII, XLIII, 21) "إذن لماذا،...، لا نذكر أجاثوكليس، ملك سيراكيوز، الذي رأى صقلية تشتعل والدماء تسفك من قبل القرطاجيين، مرّ إلى إفريقيا وأعاد الحرب إلى البلد الذي أتت منه".

كما يشيد فاليريو ماكسيم بالذكاء والحنكة العسكرية لأجاثوكليس، في معرض دعايته للأخلاق والفضائل الرومانية والشروط الواجب توفرها في الشخصيات السياسية والعسكرية الرومانية التي تضمنتها مؤلفاته وهي مقتطفات من سير وأعمال قادة ومشاهير من الحكام والقادة الرومان ومن الشعوب الأجنبية، وبهذا الصدد يصف أجاثوكليس قائلا: Agathocles,..., Syracusanorum rex, audaciter callidus. Quum enim urbem ejus majore ex parte Carthaginioses occupassent, exercitum summ in Africam trajecit (Maximi, 1888, Lib. VII, I) "أجاثوكليس،...، ملك سيراكوزا، جريء وذكي. عندما رأى جزءا كبيرا من مدينته إحتله القرطاجيون، عبر بجيشه لإفريقيا".

لقد أسقطت الذاكرة الرومانية معظم طغاة صقلية، مثل جيلون (Gélon) الذي هزم القرطاجيين في معركة هميرا 480ق.م، وثيميلون، ودونيسيوس الأكبر ونجله دونيسيوس الأصغر ولم تحتفظ إلا بأعمال أجاثوكليس المتمثلة في عبوره إلى إفريقيا، حيث خصص جوستيني كتابين لحياة أجاثوكليس، فقد كان منهجه في تلخيص تاريخ تروغوس بومبيوس أخذ مقتطفات من قصص وحياة الشخصيات والمواضيع الممتعة للقراءة والمفيدة للتعليم وتقديم أمثلة عن الفضيلة، بالإضافة إلى قصص الفضائح وأعمال الحرب والخيال من أجل إرضاء جمهور القراء الباحث عن الغرائب لذلك جاءت الكتب التي تتضمن التاريخ القرطاجي عبارة عن مقتطفات لسير القادة العسكريين وزعماء صقلية، حتى يخيل إليك أنه مختصر أو فهرس للمواضيع وليس موضوعا خاصا، فيختصر أحداث نص قرن في فقرة (Justin, S.d not,p. 8)

4 – علاقة قرطاجة بروما قبل الحرب البونية الأولى:

4–1– المعاهدات التي أشار إليها تيتي ليفي: لم يهتم المؤرخون الرومان بالعلاقات القرطاجية الرومانية قبل الحروب ضد قرطاجة، باستثناء ما وصل إلينا من نصوص تيتي ليفي فهو المؤرخ الروماني الوحيد الذي أشار إلى عدد من المعاهدات والزيارات بين روما وقرطاجة ففي الكتاب السابع وفي سياق الحديث عن أحداث الرومان في عهد القنصلين كايوس بلوتيوس (C. Plautius)، وتيتيوس مانليوس تاركاتوس (T. Manlius Torquatus) يتحدث تيتي ليفي عن ″Et cum Carthaginiensibus legatis Romae foedus ictum, cum amicitiam ac societatem petentes uenissent″، "ابرام معاهدة بين مبعوثين قرطاجيين إلى روما، جاءوا لطلب التحالف والصداقة"(Livi, 1829,Lib. VII, 27,2) ، وهو ما يوافق تقريبا سنة 348ق.م، وهي المعاهدة الثانية من ضمن ثلاث معاهدات ذكرها بوليب على التوالي: 507، 348، 279 ق.م (Polybe,1847, Liv. III, XX-XXV) .

كما يذكر ليفي قدوم القرطاجيين لتهنئة الرومان بانتصارهم في الحرب ضد السمانيين في 343 ق.م ولم يذكر أي اتفاقيات بين الطرفين سوى أن القرطاجيين: "quoque legatos gratulatum Romam misere cum coronae aureae dono, quae in Capitolio in lovis cella poneretur. fuit pondo viginti quinque. consules ambo de Samnitibus triumpharunt" (Livi, 1829,Lib. VII, 28,,2-3). "أرسلوا نوابًا لتهنئة روما وتكريمها بتاج ذهبي وضع في مبنى الكابيتول في معبد جوبيتر: وزنها خمسة وعشرون وزنة عند انتصارها على السمانيين".

بالإضافة إلى معاهدتين أخيرتين واحدة في 306 ق.م التي يقول بشأنها التالي: "cum Carthaginiensibus eodem anno foedus tertio renovatum legatisque eorum, qui ad id venerant, comiter munera missa" (Livi, 1829,Lib. IX, 43, 26) . "وفي نفس العام تم تجديد المعاهدة مع القرطاجيين للمرة الثالثة، عومل السفراء الذين أتوا من قرطاجة لهذا الغرض بلطف وأمطروا بالهدايا"، والثانية في 279 ق.م متزامنة مع حرب بيروس فيقول بشأنها: "cum Carthaginiensibus quarto foedus renovatum est"، " تم تجديد المعاهدة الرابعة مع القرطاجيين" (Livi, 1877,perioch, XIII).

يختلف المؤرخون القدامى حول عدد المعاهدات بين قرطاجة وروما، كما يختلفون حول تاريخ ابرامها، وعلى الرغم من أن التاريخ العام لبوليب، قد ذكر ثلاث معاهدات، أولها والتي لم

تذكر لدى ليفي، وقعت في فترة قنصليتي لوكيوس يونيوس بروتوس (Lucius Junius Protus) وماركوس هوراتيوس (Marcus Horatius) أول القناصل بعد سقوط الملكية في روما، وتم تكريس الكابيتيول للإله جوبيتر في الذكرى الثامنة والعشرين لمرور ملك الفرس اكسراكيس (Xerxés) ببلاد الإغريق سنة 507 ق.م (Polybe, 1847, Liv III, XXII).

تغاضى ليفي على أول معاهدة ذكرها بوليب على الرغم من أن المؤرخ الإغريقي أحد مصادره، وهو ما جعل بعض الباحثين يعتقدون أن تاريخها خاطئ بحيث لم تكن للرومان المكانة السياسية والاقتصادية التي تجعل القرطاجيون يتحالفون معهم، وهي نفسها معاهدة 348 ق.م التي تحدث بشأنها ليفي ، لكن نوع الكتابة التي خطت بها المعاهدة هي لغة قديمة جدا لم يعد سكان روما يكتبون بها في عهد بوليب مما جعل تفسيرها عسيرا، وهذا ما دفع جزال إلى العودة بالمعاهدة إلى عصر باكر من تاريخ الجمهورية (Gsell, (T III), 1918, pp. 68).

تتمثل بنود المعاهدة في حظر القرطاجيون على الرومان وحلفائهم الإبحار في المنطقة ما وراء رأس الطيب، إلا في حالة العواصف أو الاعتداء، ويمنع عليهم الإتجار إلا بما يسمح به تصليح سفنهم أو تقديم القرابين، ولا يقيمون أكثر من خمسة أيام في السواحل القرطاجية، كما تتم المعاملات التجارية في سردينيا وإفريقيا إلا بحضور منادي المدينة وكاتبها كشاهدين، ويتعامل الرومان بمعاملة عادلة وحسنة عند ترددهم على قرطاجيي صقلية، كما يتعهد القرطاجيون بإحترام حلفاء روما خاصة تلك المدن المدن الساحلية التي تقع على البحر الأدرياتيكي وهي أردي(Ardée)، أنتيوم(Antium)، لورينت(Laurente)، سرسي (Circéi)، تيراسين (Tarracine) وكل رعايا روما، كما يجب عليهم الإمتناع عن مهاجمة المدن غير الخاضعة لروما، وإذا استولوا عليها يسلمونها لها، كما يحظر عليهم بناء الحصون في اللاتيوم، وفي حالة نزولهم بقوة مسلحة يغادرونه ليلا (Polybe, 1847, Liv III, XXII).

والثانية وضعها تيتي ليفي في 348 ق.م في حين أن بوليب لم يعط لها تاريخا محددا أو أحداثا تعاصرها ويبرر ذلك بإهمال فيلنوس الأغريجونتي (Philinos D'Agrigente) المصدر الذي اقتبس منه، إلا أنه ذكر بنودها، التي تتضمن الحدود التي تسمح بها قرطاجة للرومان وحلفائهم الإبحار في مناطق نفوذها، وقد كان دافع قرطاجة من إبرام هذه المعاهدة عزل سيراكيوز ومنعها من الإتصال بالساحل الإيطالي، أما بالنسبة لروما فقد عززت سيطرتها على العصبة اللاتينية في 358 ق.م، وأخضعت الكير (Cære) في 353 ق.م، وأبرمت معاهدة مع

السامنيين (Samnites) في 354 ق.م، كما أن الحرب لم تنته مع السمانيين بل كانت تستعد لمهاجمتهم لوضع حد نهائيًا لهم، كما كان السمانيين متحالفًين مع الأوسكيس (Osques)، الذين تربطهم صلات تقارب وصداقة مع سيراكوزا، وهكذا ارتبطت مصالح الرومان والقرطاجيين، مما فرض نوع من مشاركة مناطق نفوذهم، خاصة وأن قرطاجة كان لديها أسباب للملاحة على الساحل الإيطالي لوضع حد لتهديد أوسكيس حلفاء عدوتها سيراكوزا، لذلك فإن فوكيار يرى بأن معاهدة سنة 348 ق.م صحيحة (Fauquier, 2020, p. 77).

وبالنسبة لمعاهدة سنة 306 ق.م والتي يقول بوليب أنها لم تحفظ ضمن أرشيف الكابيتيول ويذهب جزال إلى أن المعاهدة الثالثة اقتبست من تاريخ فلينوس أيضا، والتي تتوافق مع معاهدة ليفي حيث يقدمها هذا الأخير كتجديد للمعاهدات السابقة (Titi Livi,1829 Lib IX, 43, 26) فلم يكن هناك أي شرط لوجود القرطاجيين في سهل اللاتيوم، وهي طريقة أخرى للقول بأن منطقة النفوذ الروماني الذي بدأ منذ ذلك الحين بالتوسع حيث كانت روما منشغلة بالحرب ضد الأتروسك، أما قرطاجة فقد أعادت ترسيخ الوضع ضد أجاثوكليس الذي أجبرت على التعامل معه في نفس العام 306 ق.م (Fauquier, 2020, p. 79).

منع القرطاجيون الرومان التدخل السياسي أو العسكري في صقلية وكورسيكا في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، وهم الذين توصلوا إلى عدة توسعات في القدم الإيطالية وأصبحت قاب قوسين أو أدنى من الخروج منها، أما قرطاجة وبعد عودتها القوية إلى صقلية عملت على تجديد المعاهدة سنة 306 ق.م، عندما أصبحت روما أكثر قوة، يتساءل جزال كيف لروما أن تقبل شروطا قاسية تحد حريتها خاصة وأن المدة الزمنية بين المعاهدة الأولى والثانية لا تتجاوز الخمس سنوات، لذلك يرى أن المعاهدتين أُبرمتا في فترتين تاريخيتين مختلفتين بسبب نوعية الشروط التي وضعتها قرطاجة للرومان (Gsell, (T III), 1918, pp. 71-72).

فبعد زوال دولة الأتروسك –حلفاء القرطاجيين– على يد الرومان، الذين تذكرهم المصادر الأدبية أنهم ساهموا إلى جانب قرطاجة في حربها ضد الإغريق في سردينيا في منتصف القرن السادس قبل الميلاد، وخلف الرومان التركة السياسية والحضارية في سهل اللاتيوم، فمنطقي جدا أن يفكر القرطاجيون في تجديد الحلف مع الخلفاء الجدد الذين لا يستهان بقوتهم العسكرية في حالة تحالفهم مع الإغريق، بالإضافة إلى طموحاتهم الكبيرة في التوسع، أما المدن الساحلية فمن الضروري لقرطاجة إبرام اتفاقيات ومعاهدات سلم معها من أجل النزول موانئها.

أما الثالثة لدى بوليب تمت في عهد بيروس ملك إيبيروس ما بين (279 – 278 ق.م) في فترة حملة هذا الأخير على جنوب إيطاليا وهي معاهدة تجديد التحالف بين الطرفين كما تضاف لها بنود جديدة مثل عدم التفاوض مع ملك ايبيروس واحدة دون الأخرى ومساعدة القرطاجيين لروما بالسفن، دون المؤن والجيوش (Polybe,1847, Liv. III, XXII-XXV).

4-3- طبيعة ومضمون الأحلاف والمعاهدات:

4-3-2 – معاهدة 348 ق.م: يتحدث ليفي عن إبرام معاهدة بين مبعوثين قرطاجيين جاءوا لطلب التحالف والصداقة"، وهي المعاهدة الثانية التي ذكرها بوليب والتي توافق سنة 348 ق.م بين قرطاجة، أوتيكا وصور وحلفائهم، وبين الرومان وحلفائهم، تضمنت بنودها حظر القرطاجيين على الرومان كل عمليات نهب في المنطقة المجاورة لقرطاجة؛ وما وراء رأس الطيب، وفي مازيتي(Mastié) وترشيش، كما يمنع على الرومان إذا تزودوا بموارد غذائية من قرطاجة استخدامها ضد الشعوب المتحالفة مع القرطاجيين وللرومان بالمثل، بالإضافة إلى منع الرومان من بناء المدن في سردينيا وإفريقيا، ولا يقيمون فيها إلا لتوفير الغذاء أو تصليح السفن، وإذا جنح أسطول نحو سواحلهما لا يقيمون فيهما سوى خمسة أيام، وأباحت للرومان مطلق الحرية التجارية في صقلية البونية وقرطاجة مثل المواطن القرطاجي، وكذلك الأمر في حالة استيلاء القرطاجيين على مدينة لاتينية غير خاضعة للرومان، فإنهم يحتفظون بالرجال والأسلاب، ويعيدون المدينة للرومان، وإذا أسروا رجالا من الشعوب المتحالفة مع الرومان وليست خاضعة لقوانينها لن يطلب منهم قيادتهم إلى ميناء روماني، لكن إذا نزلوا في ميناء روماني ووضع روماني يده على الأسرى سيصبحون أحرارا، والشيء نفسه ينطبق على الرومان (Polybe, 1847, Liv. III, XXIII).

تقف قرطاجة الى جانب أوتيكا وصور في هذه المعاهدة لتحظر مرور الرومان دون حلفائهم إلى ما وراء رأس الطيب وعلى طول الساحل الغربي للبلاد المغاربية، وصولا إلى جنوب شبه جزيرة أيبيريا عند منطقة ترشيش حيث مناجم الفضة وكذلك منطقة مازيتي التي يرجح الباحثين قربها من ترشيش (Celestino & Lopez-Ruis, 2016, p. 52) .

بعد هزيمتها في معركة هميرا سنة 480 ق.م وتقليص دورها الاقتصادي في حوضي المتوسط، غيرت قرطاجة سياستها الاقتصادية متجهة نحو الداخل المغاربي، وأصبحت سيدة السواحل المغاربية الشمالية وهو ما تؤكده التحصينات العسكرية الممتدة من رأس قرطاجة وحتى

جنوب رأس الطيب والتي تعود إلى فترة المعاهدة الثانية بالإضافة إلى ابرام الإتفاقية باتحاد أوتيكا وقرطاجة ما يدعم فكرة احتكار قرطاجة للمنطقة الشرقية، قد يكون القسم الغربي من الساحل المغاربي محتكرا من طرف أوتيكا، وهو ما يمكن الحليفتين من الهيمنة على المنطقة بأكملها، كما يكشف البحث الأثري عن تحصينات بونية في منطقة السهول الكبرى إلى جانب تزايد الجرار الكبيرة التي تستخدم في نقل المنتجات الزراعي، أما السواحل الغربية و جنوب غرب موريطانيا الغني بالعاج وجلود الحيوانات وجنوب أيبيريا حيث مناجم الفضة، فقد إكتشفه حنون القرطاجي حوالي 450 ق.م، كما عوض الحزف البوني الخزف الفينيقي الإسباني إبتداء من أواخر القرن الخامس وفق ما عثر عليه في جزيرة رشقون بتيبازا وهو ما يدل على تمدد نفوذ البونيين نحو الغرب (Zelanti, 2019, pp.239- 242).

وفي ذات الوقت أدى انفتاح الاقتصاد الروماني على البحر الأبيض المتوسط، منذ أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، وتزايد أسواق الرومان خاصة في المنطقة المغاربية، الأمر الذي دللت عليه المعطيات المادية المتمثلة في ازدياد الحزف المصنوع في منطقة اللاتيوم في روما والمناطق الخاضعة لها أو المتحالفة معها، عثر في قرطاجة على مزهريات ذات الطوابع الصغيرة، والتي يطلق عليها باكولا (Pacola) التي تستورد من روما، إلى أسواق العالم المتوسطي كقرطاجة، أوتيكا، صقلية، سردينيا وجنوب إسبانيا (Morel, 2013, p. 1721) .

مما جعل قرطاجة تتخوف من وصول الهيمنة الرومانية الباكرة إلى المحطات الفينيقية التي آلت إلى قرطاجة، بالإضافة إلى جنوب إسبانيا، وجعلها تحتكر التجارة في هذه المناطق.

أما بالنسبة للبند الذي يحدد تعامل القرطاجيين والرومان مع المدن غير الخاضعة لسلطتهما في حال نهبها. فإنهم يأسرون الرجال ويستولون على الممتلكات وتخضع المدينة إلى قرطاجة أو روما، أما بالنسبة للشعوب الخاضعة لهما في حالة أسر القرطاجيين للشعوب الخاضعة للرومان فبمجرد مطالبة الرومان بالأسرى سيصبحون أحرارا وكذلك بالنسبة للشعوب الخاضعة لقرطاجة، وقد ناقش أندريه إيمار(Andrie Aymard) مسألتي نهب المدن غير الخاضعة للرومان وأسر الرجال، بتوظيف عدة فرضيات عند أسر الرجال دون عن غيرهم من الفئات الاجتماعية داخل المدينة، والمقصود في المعاهدة هم الرجال في سن التجنيد والذين يقومون بالدفاع عن المدينة، ولن يدرج القرطاجيون بندا مثل هذا إلا أذا كانوا متأكدين من

ضعف التأثير الروماني على تلك المدن، وتصحبه الموافقة الرومانية على هذا البند الذي سوف يمنحها نفوذا على المدن غير الخاضعة لها (Aymard, 1957, pp. 284-285).

في هذه المعاهدة حمت قرطاجة مصالحها الاقتصادية في مستوطناتها ومناطق نفوذها كما فعلت روما الشيء نفسه، إضافة إلى فتح مجال الانتفاع من الأعمال العسكرية بين الطرفين في حالة وجودها وهو ما يعبر عنه البند الثالث والرابع.

4-3-3 – معاهدتي 343 و 306 ق.م: كعادة ليفي لا يذكر بنودهما سوى أن في 343 ق.م قدم القرطاجيون لتهنئة الرومان بانتصارهم في الحرب ضد السمانيين وتقديم الهدايا، التي وضعت في مبنى الكابيتول، (Livi, 1829,lib. VII, XXXVIII)، يمكن تصور حدث مثل انتصار الرومان على السمانيين الخصم الذي لم يكن بسهولة اخضاعه من طرف الرومان، والذي أرغم روام على قتاله في سلسلة الحروب تقدر بخمس وعشرين سنة، لم يكن من قرطاجة إلا مباركة انتصار الرومان وضمان صداقتهم.

بالإضافة إلى معاهدة 306 ق.م التي يقول بشأنها أنها تجديد لتحالف روماني قرطاجي ثالث، وبحسب ما ورد لدى جزيل بأن فلينوس الأغريجونتي يرى أن الإتفاقية تنص على منع روما من التدخل في الشؤون السياسية في صقلية، وسردينيا وكورسيكا، مثل سابقاتها تحدد حيز نفوذ كل طرف في الحوض الغربي للمتوسط، وإن قيل أن المعاهدات ذات غرض اقتصادي يهدف إلى تنظيم التجارة والقرصنة، فلا يمكن فصل العلاقات الدولية ودراسة مجال دون آخر.

4-3-4 – المعاهدة ضد بيروس: بالنسبة للمعاهدة المبرمة لدحر جيش بيروس، هي تجديد رابع للمعاهدات والتحالف السابق بين قرطاجة وروما، تم إضافة بنود تخص الوضع الحربي الذي بصدده أعاد الحليفان تجديد صداقتهما، حيث يحق لقرطاجة وروما إبرام الإتفاقيات مع بيروس مجتمعتين ولا تنفرد واحدة دون الأخرى بالتحالف معه، كما يتم مساعدة بعضهما البعض في حالة تعرضهما لغزو ما، كما يمكن للطرفين مساعدة بعضهما البعض في أرض القتال، حيث يوفر القرطاجيونالأسطول لنقل المؤن والجيوش، وتتولى كل دولة دفع مستحقات جندها وباقي إلتزامات الحرب (Polybe,1847, Liv. III, XXV).

وقد قدمت قرطاجة مساعدتها إلى الرومان حسب ما ورد لدى جوستيني أن ماجون قدم إلى روما للحوار حول الحرب التي سينقلها بيروس إلى إيطاليا: "Interea Mago, dax Carthaginiensium, in auxilium Romanoram cum centum viginti navibas missus, senatnm adiit aegre talisse Carthaginienses affirmans,qood beilam

"ماجون، in Italia a peregrino rege paterentn"(Justinii,1830, Lib. XVIII, II, 1). الذي أرسلته قرطاج ومعه مائة وعشرون سفينة لإنقاذ الرومان، قدم نفسه إلى مجلس الشيوخ، معلناً "أن القرطاجيين لم يتمكنوا من رؤية ملك أجنبي دون غضب يحمل الحرب داخل إيطاليا".

لكن فاليريو ماكسيم وجوستيني يزعما أن الرومان لم يطلبوا العون من القرطاجيين بل رفضوا مساعدتهم لأن الرومان يشككون في نوايا القرطاجيين، حيث عبر جوستيني عن ذلك قائلا:

> dux Carthaginiensium, in auxilium Romanorumcum centum viginti navibusmis-sus senatum adiit, aegre tulisse Carthaginienses adfirmans, quod bellum in Italia a peregrino regepaterentur.Ob quam caussam missum se, ut, quoniam externo hoste oppugnarentur, extemis auxiliis iuvarentur. Gratiae senatu Carthaginiensibus actae auxiliaque remissa (Justini, 1830, Lib. XXVIII, II, 1-2).

عرض القرطاجيون المساعدة على الرومان فقط للاحتفاظ ببيروس في إيطاليا، عن طريق إطالة أمد الحرب هناك، ومنعه من العبور إلى صقلية. لكن فابريسيوس لوسينوس، نائب مجلس الشيوخ الروماني، أبرم السلام مع الملك.

وأشار فاليريو ماكسيم إلى المساعدات القرطاجية التي رفضها الروما: "Cartbaginienses centum ac triginta navium classem in praesidium Komanis Ostiam ultro misissent, senatui placuiti legatos ad ducem eorum ire, qui dicerent, a Populum romanum bella suscipere solero, quae suo milite geicre posset; proinde classem Carthaginem reducerent" (Maximi,1888, Lib. III, VII, 10) ، "أرسل القرطاجيون إلى أوستيا أسطولًا من مائة وثلاثين سفينة لإنقاذ الرومان، فأرسل مجلس الشيوخ نوابا لقائد الأسطول لإخباره أن الشعب الروماني لن يخض أي حرب دون أن يتمكن من دعمها بقواته الخاصة وأن بإمكان القرطاجيين إعادة أسطولهم".

بينما جاء رأي ديودور الصقلي ليؤكد على تحالف القرطاجيين مع الرومان ونقل خمسمائة رجل على متن سفنهم الخاصة إلى ريجيوم وفرضوا الحصار عليها، لكنهم اضطروا الى رفعه كما اضراموا النار الغابة هناك من أجل بناء السفن، واستمروا في حراسة المضيق ومراقبة مرور بيروس إلى إيطاليا (Diodore de Sicile,1851(2),Liv. XX, XXII, 7,5)، ويذكر ديون كاسيوس تواجد الحامية الرومانية في ريجيوم في حوالي 474 من تأسيس روما زمن مرور بيروس إلى إيطاليا والتي قدمها الرومان بطلب من سكان ريجيوم، تم وضعها تحت أوامر

ديسيوس، في الوقت الذي كانت روما منشغلة بالحرب ضد تارونت (Cassius, 1845, fragmnt, I-C, CXII).

أما بولس أوروسيوس فيضع تدخل قرطاجة لحساب تارونت قبل موت بيروس في سنة 475 من تأسيس روما أي حوالي 278 ق.م، وعندما بلغ التارنتيون خبر وفاة بيروس، عادوا مجددا لحرب الرومان واستعانوا بالقرطاجيين لكن الرومان تفوقوا عليهم هذه المرة، ثم في 273 ق.م قام القرطاجيون مرة أخرى بنجدة تارونت وألغي التحالف وكادت الحرب أن تندلع بين الحليفتين (Orosii, 1738, Lib. IV, VI, 13) .

يرى ستيفان جزال عدم جدية التحالف بين قرطاجة وروما، ولم يكن المغزى من المعاهدات التعاون لإيقاف زحف بيروس على إيطاليا وصقلية، بقدر ما كانت آداة لكسب الوقت لتحافظ كل دولة على توسعاتها، قرطاجة في صقلية وروما في إيطاليا (Gsell ,1918 , p.73) لكن النصوص القديمة لا تتفق على عدم تعاون الرومان وقرطاجة، يصر الكتاب الرومان على رفض روما للمساعدات القرطاجية، وقد جاء تحقيق السلام مع ملك إيبروس بقوة الجيوش الرومانية ومهارة الخطابة الرومانية، واحترافيها في التفاوض مثلما أشار ديون كاسيوس أن فابريسيوس لوسينوس، أحد نواب مجلس الشيوخ الروماني أقنع بيروس بالموافقة على توقيع معاهدة إنهاء الحرب (Casius,1868, frag CXXVIII, CXXIX).

فيما يتحدث ديودور الصقلي على قبول الرومان لمساعدة القرطاجيين المتمثلة في نقل الحامية المتألفة من خمسمئة جندي إلى ريجيوم بحرا (Diodore de Sicile,1851(2), XXII, 7,5)، ومن المعلوم أنه منذ 290 ق.م سيطرت روما على شمال الجزيرة الإيطالية وجعلت المدن الإغريقية جنوبا تختار أحد الأمرين الحرب أو الخضوع، فيما قبلت كل المدن الإغريقية الخضوع رفضت تارونت ذلك واستنجدت ببيروس، وإنهزم الرومان في هراكليا (Heraclae) سنة 280 ق.م، وانضمت لها المدن الإغريقية وكذلك اللوكانيون، البوتيون، السامنيون، خاصة وأن بيروس كبد الرومان خسائر ضخمة وأسر حوالي ألفين من جنودهم، كما كان مرحبا به من طرف إغريق صقلية (ديورانت، 1955، ص ص 81–82)، وتم عزل روما عن جنوب إيطاليا، فمن غير الممكن مرور حامية عسكرية رومانية إلى ريجيوم على هذه الأراضي وسيكون الممر الوحيد المتاح لها هو البحر، لذلك بإمكانها الإستعانة بالأسطول القرطاجي في

نقل الحامية إلى ريجيوم وهذا أحد مظاهر التعاون القرطاجي الروماني الذي تنص عليه الإتفاقية بأن تحمل السفن القرطاجية الرجال والمؤن الرومانية.

في حين لم تقدم روما إلى قرطاجة مساعدة تذكر، بل لم تلتزم ببنود الإتفاقية كعدم ابرام الإتفاقيات مع ملك إيبروس منفردة والآخرى في حالة الغزو، لم تنجد روما القرطاجيين في صقلية أثناء إستغاثة سيراكوزا ببيروس لرفع حصار القرطاجيين عليها، بل وقعت روما إتفاقية السلام مع بيروس منفردة، وهذا الأخير يضايق قرطاجة في صقلية، ولم ترد هذه الأخيرة بموقف معاد تجاه روما إلا بعد وفاة بيروس، وبزوال مبرر التحالف الذي أصبح لاغيا، وبعد ابداء روما عدم الالتزام بالاتفاقية وفي هذه الحالة لا مجال للحديث عن خيانة العهود أو نقضها من طرف القرطاجيين ويصبح حكم الكتاب الرومان على البونيين بالخيانة أو حتى بعدم الجدية حكما نابعا من ذاتية المؤرخ تجاه قرطاجة العدو الدائم لروما حتى بعد زوالها، وبناءا على ما تقدم، فالجدير بالقول أن روما هي التي لم تكن جادة في تحالفها مع قرطاجة بل كانت تنتظر الفرصة السانحة للسيطرة خارج إيطاليا.

خلاصة الفصل:

ما يمكن الخروج به من نتائج بعد دراسة العلاقات القرطاجية مع مختلف الشعوب المتوسطية في المصادر الأدبية الرومانية هو:

- جاء تركيز الكتاب الرومان على العلاقات الدينية الإقتصادية، ولم يولوا اهتماما للعلاقات الاجتماعية لأن التركيز على الجانبين الاوليين، في إطار الإستغلال والإستنفاع بينما الشاهد على الأمر أن علاقات القربى هي أحد الركائز التي ظلت تدعم التقارب القرطاجي الفينيقي حتى بعد نهاية عصر الوصاية، وإلى فترات متأخرة، وكذلك الأمر بالنسبة للعلاقات البونية الليبية التي صورتها في اطار الغالب –قرطاجة– والمغلوب – الليبيون– وتم التركيز على فترات التصادم والخلاف أكثر من فترات السلم والتقارب.

- انصب اهتمام الرومان في فترة الصراع الإغريقي القرطاجي في صقلية على فترة أجاثوكليس، وعلى الرغم من نظرة الإستعلاء الرومانية لحكم الطغاة والحكم الملكي، إلا أن أجاثوكليس نال منزلة لم ينلها طاغية أو ملك قبله، كان مرجعية تاريخية للعبور نحو قرطاجة، لم ينجح في غزو قرطاجة لكنه فتح الطريق أمام روما واستفادت من نقاط فشله وبعد محاولات متكررة تمكنت من اقتحام عاصمة البونيين.

- لم يهتم مؤرخو روما بتاريخ العلاقات الرومانية القرطاجية قبل الحرب البونية الأولى، ولم تنقل بنود المعاهدات بين قرطاجة وروما، وكل ما يستدل به لفهم وتحليل هذه المعاهدات وإتفاقيات الصداقة من المصادر الإغريقية، فتيتي ليفي كل ما أخبر به هو إشارات عابرة في سياق إنتصارات روما في سهل اللاتيوم وإخضاع سكانه، وليس موضوعا قائما بذاته.

قائمة المراجع:

I – المراجع العربية :

1 – الشريف أحمد الريفي. (2008). *المعتقدات الدينية الفينيقية. مجلة جامعة سبها(العلوم الإنسانية)*، مج 7، ع 1. ص ص 18–24.

2 – العهد القديم. *موقع الأنبا تكلاهيمانوت القبطي الأرثوذكسي (تراث الكنيسة القبطية الأرثوذكسيةالمصرية)*.-https://sttakla.org/Bibles/BibleSearch/indexes/ot-chapters.html ، تم الإطلاع في 11–12–2020.

2 – الفرجاوي أحمد. (1993). *بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة*. تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب.

3 – د. ادزارد، م.هـ. بوب، ف.رولينغ. (د.ت). *قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين (السومرية والبابلية)، في الحضارة السورية (الأوغاريتية والفينيقية)*. بيروت: دار الشرق العربي.

4 – كامب غابرييل. (2010). *البربر ذاكرة وهوية*، تر: عبد الرحيم حزل. الدار البيضاء: دار افريقيا الشرق.

II – المراجع الأجنبية:

1 -Appien D'Alexandrin. (1559).*Guerres des Romains*, Trad: Claude de Seyssel. Paris: Esloy Gybier à Orleans.

2- Apulée. (1837). *Apologie. Anexómenos. Fragments*, (T IV), Trd: M. V. Betolaud. Paris: C. L. F. Panckoucke.

3- Aymard, A. (1957). *Les deux premiers traités entre Rome et Carthage. Revue des Études Anciennes* , Vol 59, n ° 3-4.pp. 277-293.

4- Benichou-Safar, H. (2002). *Les Carthaginois sacrifiaient-ils vraiment leurs enfants ? Cahier des thèmes*, Vol 2. pp. 247-249.

5- Cassius, D. (1845). *Histoire Romain, Tom I, Frag I*- C, (Trd: E. Gros). Paris: Frmin Didot Libraire.

6- Celestino, S, & Lopez-Ruis, C. (2016*). Tartessos and The Phoenicians in Iberia. Oxford:* University Press

7 - Ciceronis, M, t.(1864).*Tusculanarum Disputationum libri quinque*. Lipsiae: Otto Hltze.

8- Ciceronis, M. T. (1918). *Orationes: Divinatio in Q. Caecilium. In C. Verrem, Lib II*. Oxonii: E. Typographeo Clarendoniano.

9 - Commentaria in C. Iulii Solini Polyhistora, et Lucii Flori de Romanorum rebus gestis.(1757). Basileae [Basel]:Per Henrichum Petri. Cum Caesareae maiestatis gratia & priuilegio.

10 - Diodore de Sicile. (1851). B*ébiliothéque Historique*,*Tom II, Liv V- XIV, Liv XIII*, (Trd: Ferd Hoefer). Paris: Adolphe Delahays, Libraire.

11 - Diodore de Sicile. (1851). *Bébiliothéque Historique*,*Tom IV, Liv XIX- Frgm XL*, (Trd: Ferd Hoefer). Paris: Charpentier Libraire- Editeur.

12- Dupont, F. (2020). *Histoire littéraire de Rome De Romulus à Ovide. Une culture de la traduction*. Paris: Armand Colin.
13 - Dussaud, R. (1946). *Melqart. Syria. Archéologie Art et histoire*, Tom 25 n°3-4, pp. 205-230. Doi : https://doi.org/10.3406/syria.1946.4467.
14 - Fauquier, M. (2020). *Rome et Carthage 509- 29 av J.C*. Paris: Armand Colin Editeur.
15- Gsell, S. (1918). *Histoire Ancienne De L'Afrique Du Nord*, Tom III. Paris: Librairie Hachette.
16- Hérodote. (1858). *L'Histoire, Tom II, Liv IV*, (Trd: Larcher). Paris: Charpentier Liberaire- Editeur.
17-Horn,N. (2019).*Les Histoires philippiques de Trogue Pompée / Justin : une œuvre, deux auteurs, deux époques, deux projets.. Revue des études anciennes*, Vol 121, n°1, pp. 171-182.
18- Josèphe, F. (1930). *Contre Apion, Liv II*, (Trd:Théodore Reinac). Paris: Publications deLa Société des Etudes Juives.
19 - Justini. (1830). *Historiae philippicae*. Lipsiae : Apud Hartmannum.
20 - Justin. (S.d). *Introdection sur Justin*, Sur L'Iniquité Grecque et Latine Du Moyen Age, http://remacle.org/bloodwolf/historiens/justin/livre18.htm. Le 15-2-2020.
21- Kourou, N. (2002). *Phéniciens, Chypriotes, Eubéens et la fondation de Carthage. Cahiers du Centre D'Etude Chypriotes*,n° 32. pp. 89-114.
https://doi.org/10.3406/cchyp.2002.1406.
22- Lancel, S., Picard, G. C., Duval, N., & B, E. (1993, 02 1). *Carthage. Encyclopédie Berbér*, n° 12, pp .1811-1780 . https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2070.
23- Livi, T. (1829). *Ab Urbe Condita* (Libri VI-X) Lib VII, IX. Oxonii: E Typographeo Clarendoniano.
24- Livi, T. (1860). *Ab urbe condita (Lib XXI- XXX)*. Lib XXI, XXIII, XXIV,XXVIII, XXVIV, XXX. Lipsiae: Ex Officina Bernhardi Tauchnitz.
25- Livi, T. (1873). *Ab urbe condita (Lib XXX-XXXVIII)*. Lipsiae: Simptibus Et Typis B.G. Teubneri.
26- Livi, T. (1877). *Ab urbe condita (Lib XXXIX- XLXV et Eptitome Lib XLVI-CXL)*. Lipsiae: Simptibus Et Typis B.G. Teubneri.
27- Maximi, V.(1888). *Factorum et dictorum memorabilium libri novem*. Lipsiae: In Aedbus. B.G. Teubneri
28- Melliti, K. (2016). *Carthage Histoire d'une métropole méditerranéenne*. Paris: Edition Perrin
29- Morel, J.-P. (2013, April 01). *Campanienne (céramique). Encyclopédie berbère* ,n°11. pp. 1720-1725. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2044.
30- Orosii, P. (1738). *Adversus paganos historiarum. Lib IV* . Lugduni Batavorum: Gerar Dumpotvliet.

31- Ouachour, F. (2012, August 06). *Approche conceptuelle du métissage en Afrique du nord ancienne. Insaniyat / إنسانيات* .n° 32-33. Pp.39-52. Consulté le 02 17, 2021, sur https://doi.org/10.4000/insaniyat.3315
32- Paul Vallette. (1908). *L'Apologie d'Apulée, Thése de Docorat*. Paris: Librairie C. Klincksieck.
33- Philippe, B. (1907). *Inscriptions funéraires de la nécropole de Bordj-Djedid à Carthage. l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, 51, 3. pp. 180-185.
34 - Plinii, C, S. (1851). *Historae Naturalisa (Lib I- VI*). Leipsig: Umptibus Et Typis B. G. Teubneri.
35- Plinii, C, S. (1830). Historae Naturalisa (Lib VII-XXVIII). Leipsig: Umptibus Et Typis B. G. Teubneri.
36- Polybe. (1847). *Histoire Générale, (T I), Trad: Félix Bouchot* . Paris: Charpentier Liberaire-Editeur.
37- Sallusti, C,C.(1971). *de Bello Jugurthino liber* . Campridge: At The Univesity Press .
38- Strabon. (1971). *Géographie, (Tom. III) Liv XVII, Trad: Amédé Tardieu* . Paris: Libraire Hachette.
39- Quintus, C, R. (1696). *Alexandri Magni. Lugduni Batavorvm* : Excudit Petrus vander Aa, bibliop.
40- Zelanti, A. (2019). *Carthage et le contrôle des littoraux africains : les deux premiers traités romano-carthaginois. Revue historique*, pp. 227-249.

الباب الثالث: التاريخ العسكري لقرطاجة من المنظور الروماني

I – قراءة في أسباب وإمكانيات الطرفين أثناء الحرب البونية الأولى 264-341 ق.م

II- الحرب البونية الثانية 218- 202 ق.م ميدان لتطور الفكر العسكري والسياسي

III- الحرب البونية الثالثة 149- 146 ق.م ونشأة الأيدولوجية الاستعمارية

I – قراءة في أسباب وإمكانيات الطرفين أثناء الحرب البونية الأولى 264– 241 ق.م

1 – أسباب الحرب البونية الأولى

2 – الإمكانيات المادية للطرفين المتنازعين أثناء الحرب

3 – الموارد البشرية للمعسكرين

1 – أسباب الحرب البونية الأولى:

لا تخبر نصوص مؤرخي روما الشيء الكثير عن الظروف والأسباب التي أضرمت الحرب بين قرطاجة وروما سنة 264 ق.م، فتيتي ليفي صاحب الموسوعة التاريخية الرومانية أصاب التلف مدوناته ذات الصلة بأحداث أواخر القرن الرابع إلى غاية الحرب البونية الثانية ولم يبق منها سوى شذرات بسيطة، ورد فيها الآتي:

auxilium Mamertinis ferendum senatus censuit, cum de ea re inter suadentes,ut id fieret, dissuadentesque contentio fuisset; transgressisque tunc primum mare exercitibus Romania adversus Hieronem saepius bene pugnatum. petenti pax,..., res praeterea contra Poenos et Vulsinios prospere gestas continet. (Livi, Frag, 1910, Lib. XVI, 5-15)

قرر مجلس الشيوخ مساعدة المامرتيين، بعد المناقشة بين أولئك الذين يرغبون في المساعدة وبين الرافضين لها، عبروا البحر لأول مرة وإشتبكوا ضد قوات هيرون الذي طلب السلام،...، وقد كانت حملات القرطاجيين ناجحة.

أولى شرارة حرب بين الرومان والقرطاجيين، كان سببها حادثة المممارتيين، الذين استولوا على مدينة ماسينيا، والتي روى بوليب أحداثها أنه بعدما قام هيرون بإبعاد المامرتييتن وهم مرتزقة من إقليم كمبانيا الإيطالي، وأجبرهم على الإنسحاب إلى مضيق ماسينيا، منهم من استنجد بالقرطاجيين، ومنهم من استنجد بالرومان، فيما لبت قرطاجة نداء الاستغاثة على جناح السرعة، تأخر الرومان في مباحثة المسألة، ولأن المامرتين لم يطيقوا صبرا على القوانين الصارمة للقرطاجيين كالامتناع عن النهب والسرقة، استنجدوا بالرومان مرة أخرى، وكانت روما جاهزة هذه المرة للتدخل لصالح المرتزقة الممارتيين (Polybe, 1847, Liv. I, 10,11) ، لكن ديون كاسيوس يضع الطرفين في كفة الرغبة في إنهاء السلام وبداية الصراع فيقول:

Ὅτι αἰτίαι ἐγένοντο τῆς πρὸς ἀλλήλους διαφορᾶς τοῖς μὲν Ῥωμαίοις ὅτι Καρχηδόνιοι τοῖς Ταραντίνοις ἐβοήθησαν, τοῖς δὲ Καρχηδονίοις ὅτι Ῥωμαῖοι φιλίαν τῷ Ἱέρωνι συνέθεντο. Ἀλλὰ ταῦτα μέν, οἷά που πεφύκασιν οἱ τῷ μὲν ἔργῳ πλεονεκτεῖν βουλόμενοι τὴν δὲ δόξαν αὐτοῦ αἰσχυνόμενοι, σκήψεις ἐποιοῦντο· ἡ δὲ ἀλήθεια ἄλλως ἔχει. Δυνάμενοι ⟨μὲν⟩ γὰρ ἐκ πολλοῦ οἱ Καρχηδόνιοι, αὐξανόμενοι δὲ ἤδη οἱ Ῥωμαῖοι ἀλλήλους τε ὑφεωρῶντο, καὶ τὰ μὲν ἐπιθυμίᾳ τοῦ ἀεὶ πλείονος κατὰ τὸ ⟨τοῖς⟩ πολλοῖς τῶν ἀνθρώπων (Cassius, 1845, Frgm, CI-CCIX, CXL).

بدأ الصراع بين الشعبين فبالنسبة للرومان من حقيقة أن القرطاجيين ساعدوا تارونت، وبالنسبة للقرطاجيين من حقيقة أن الرومان قد تحالفوا مع هيرون، لكن هذه

المظالم التي تأسست بشكل أو بآخر كانت مجرد ذريعة، أرادوا بها أكثر مما قالوا، لم يجرؤوا على الكشف عن أفكارهم،...، نظر القرطاجيون الأقوياء منذ فترة طويلة، والرومان الذين توسعت إمبراطوريتهم بالفعل، إلى بعضهم البعض بعيون الغيرة من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الرغبة في امتلاك المزيد والمزيد رغبة طبيعية لكثير من الرجال.

من بين الآراء المعاصرة التي تربط حرب بيروس ملك إبيروس بمجريات الحرب بين الرومان والقرطاجيين، كرأي كارلا بروندوني (Carla Perrendonner) مستشهدة بآراء المؤرخين القدامى القائلة بخرق القرطاجيين الاتفاقية المبرمة بينهم وبين الرومان، عند مساعدة التارونتيين ضد بيروس(Berrendonner, 2009, p. 251)، كما أشار تيتي ليفي إلى خرق القرطاجيين الأوائل المعاهدة ضد بيروس التي ربطتهم مع الرومان في حديثه عن حنبعل ووالده هميلكار قائلا: "uicerunt ergo di hominesque et, id de quo uerbis ambigebatur uter populus foedus rupisset, euentus belli uelut aequus iudex, unde ius stabat, ei uictoriam dedit (Livi, 1860, Lib. XXI, X). " هكذا اتحد الناس والآلهة ضدنا... حول النقاش الذي أثير حول المخالفين الأوائل للمعاهدة التي سلمتنا لحدث الحرب، والتي إذا اعتبرت عادلة، قلبت الانتصار إلى جانب العدالة ضد قرطاجة"

ويقول بول أوروسيوس بأن تدخل القرطاجيين في تارونت كاد أن يؤدي إلى حرب بينهم والرومان في تلك الآونة، وهو ما تسبب بعد ذلك في الحرب البونية الأولى، ويضع اللوم على القرطاجيين الذين قطعوا العلاقات الدبلوماسية مع الرومان ولم يبق بينهم سوى الحرب، لكنه في موضع آخر يقول بأن عودة تارونت لحرب الرومان جاءت بعد مقتل بيروس والإستغاثة بالقرطاجيين كانت بعد وفاة بيروس(Orosii, 1889, Lib. IV, 2, 5).

ووفقا لبوليب فإن فيلنوس الأغريجونتي أحد المصادر التي إعتمد عليها، أشار إلى اتفاقية 306 ق.م بين قرطاجة وروما تهتم بمحافظة كل من الدولتين على مناطق نفوذهما، النفوذ القرطاجي في بلاد المغرب القديم والجزر المتوسطية من بينها صقلية، وروما في إيطاليا، ويرى أن الرومان هم من تسببوا في خرق معاهدات الصداقة بمساعدتهم لفصيل من اللصوص وقطاع الطرق على حساب قرون من الصداقة والتحالف جمعتهم وقرطاجة، حيث يمنع على الرومان التدخل في صقلية، ويرفض بوليب هذا الرأي القائل بإنحياز روما للمامرتيين دون شرعية تذكر في تدخلها، وينظر إلى مؤرخ أغريجونت بنظرة المحاباة للقرطاجيين، ويصف رأيه

بالخطأ الفادح الذي يقع فيه بعض المؤرخين، بل يؤكد على تبعية صقلية لإيطاليا مثلما ينتمي البيلوبونيز لبلاد الإغريق (Polybe, 1847, Liv. I, 14, 42; Liv. III, 26).

أما يان لوبهك (Yann Le Bohec) فيرى أن سبب الحرب وهو"التخوف من الآخر" تخوف الرومان من الهيمنة القرطاجية، وتخوف القرطاجيين من إحتكاك الرومان بالجزر المنتشرة في الحوض الغربي كصقلية وسردينيا جعل كل منهما على أهبة الاستعداد وفي انتظار أي مبرر لإعلان الحرب (Bohec, 2017, p. 109)، لكن تاريخ التحالف والصداقة المشتركة بين قرطاجة وروما تجعل من خوف الرومان خوفا غير مبررا، فطيلة القرون التي تحالف فيها الرومان والقرطاجيين، كانت قرطاجة تسعى للدفاع عن مصالحها التجارية في المتوسط ولم تكن تطمح للتوسع بالسلاح بل عن طريق إقامة الأحلاف والمعاهدات، وطيلة هذه الفترة لم تتدخل في شؤون إيطاليا، كما لم تتدخل روما في شؤون المناطق ذات النفوذ القرطاجي كصقلية مثل ما نصت عليه المعاهدات المبرمة بين الطرفين، بل لم يهتم الرومان إلى ما يحدث في جزيرة صقلية، أو باقي الحوض الغربي للمتوسط قط (Pédech, 1952, p. 249) .

أدى الإزدهار الموازي للقوتين القرطاجية والرومانية، وإنتهاء المصالح الداعمة للصداقة والتحالف، فتنامي القوة الإقتصادية لقرطاجة في غرب البحر الأبيض المتوسط من ناحية، حيث أصبحت تهيمن على أغلب صقلية وسردينيا وسواحل بلاد المغرب القديم، وتزايد القوة العسكرية الرومانية وبسط هيمنتها على شبه الجزيرة الإيطالية بعد انتصارها على بيروس وتارونت، جعلها تفكر بصقلية التي تربطها علاقات اقتصادية وثقافية مع المدن الإغريقية جنوب إيطاليا، ومع أن القسم الغربي من صقلية تحت النفوذ القرطاجي(Humm, 2018, p. 156) .

لكن عند بداية تفكير الرومان بمشروع التوسع الإمبريالي بعد إخضاع شبه الجزيرة الإيطالية، واختبار الرومان القتال مع الجيوش الأجنبية القوية مثل جيش بيروس الذي هزموه وحتى النصر الذي حققه يعتبر إنتصارا إنتحاريا أمام الجيش الروماني، فاتجهت أنظار روما بكل ثقة صوب الحوض الغربي للمتوسط، واتجهت أنظار روما صوب جزيرة صقلية كنقطة إنطلاق نحو غزو العالم القديم.

2- الإمكانيات المادية للطرفين المتنازعين أثناء الحرب البونية الأولى:

لم تخض المصادر الأدبية اللاتينية في تفاصيل كثيرة حول الإمكانيات المادية لقرطاجة وروما عند اشتعال الحرب الأولى بينهما، لكن يمكن تتبع الإشارات البسيطة حول تلك الإمكانيات وهي:

2-1- العتاد الحربي:

2-1-1- السفينة الحربية:

ورث القرطاجيون التركة البحرية الفينيقية، حيث ساهمت السفينة التجارية في انتشار المستوطنات في العالم القديم خاصة الجزر، صقلية، سردينيا والبليار، وسهلت الاتصال والتبادل التجاري بين حوضي المتوسط، كما حظيت البحرية العسكرية منذ أواخر القرن السادس بإهتمام القرطاجيين، وذلك لحماية مستوطناتهم وتجارتهم، كما لعبت دورا رئيسيا في الصراع الإغريقي القرطاجي في معركة أليا في سردينيا وفي صقلية أيضا، وحتى بعد هزيمتها في هميرا 480 ق.م وتحول مسار اقتصادها نحو الزراعة والتوغل في الداخل المغاربي، ظلت البحرية القرطاجية تصول وتجول البحار، قامت برحلتين شهيرتين هما رحلة هميلكون شمالا وصولا إلى بحر الشمال، ورحلة حنون التي يرجح وصوله إلى خليج كنيا وربما إلى السينغال فقط، ومنه فقد ساهمت سنوات الخبرة في بناء السفن والملاحة في حيازة أسطول حربي يشيد القدامى بجودته وحسن التدريب(Thucydide, 1852, Liv I,13).

إلى جانب المهارة وحسن تسيير الأساطيل، فإن توفر المادة الأولية من الأخشاب التي يستخدمها القرطاجيون في بناء السفن عامل مساعد في إمتلاك أجود الأساطيل، حيث استغلوا غابات بلاد المغرب القديم الغنية بأجود أنواع الأخشاب، فمن خلال حطام السفينة الحربية مارسالا (Marsala) (ينظر الشكل1) التي تبين استخدام عدة أنواع من الخشب في بناء السفن، حسب بليني فإن "Maxime æterna putant ebenum et cupressum, cedrumque, claro de omnibus materiis judicio" (Plini,1882, Lib. XVI, LXXIX,1) "يعتبر خشب الأبنوس، السرو والأرز من أكثر الأخشباب ديمومة"

وحسب أقسام السفينة، تم إنشاء العوارض والجزء الخلفي من السفينة من الصنوبر، حسب بليني "Spain imiliter abieti expetitæ navigiis,…,Materies vero præcipua trabibus" " التنوب (الصنوبر) مطلوب لبناء السفن،... ممتاز " (Plinii,1882, Lib. XVI, XVIII, 2).

لصناعة العوارض" ويضيف: أنه يفضل بسبب خفة وزنه وأكثر استقامة وأطولها،.. الأكثر جودة هو الصنوبر الإفريقي"، كما يُفضل خشب الصنوبر (Plinii, 1882,Lib.XVI, LXXIX,4) "Larix in humore præcipua" "لاريكس(نوع من الصونبريات) مقاوم للرطوبة"، ويصنع من خشب الزان الشرائح الرقيقة بسبب مرونته ولينه، وأختيرت المسامير من خشب البلوط والزيتون ولأن الأخشاب الجافة لا تتشكل بطريقة مثالية وبالشكل المرغوب فيه، وتظل الفراغات منفتحة أستخدم القار لمعالجة الفراغات التي تتركها الأخشاب عند تشكيلها، ولتمليس أسطح وأرضيات السفن" (Plini,1882, Lib. XVI, XXI,1)، كما أشار سترابون إلى توفر المعادن المختلفة في مستوطناتها في اسبانيا مثل الحديد، النحاس، البرونز، الرصاص، بالإضافة إلى الصوف لصنع الحبال (Strabon, 1868, Liv. III, 6).

شكل رقم1:

صورة بقايا السفينة القرطاجية "مارسالا"



المرجع: (ريغي، 2020، ص 28)

استفادت قرطاجة من ميراث عريق في بناء السفن، كما ساهمت مكانتها التجارية وانتشارها في أنحاء العالم القديم في احتكار المعادن والمواد الصناعية التي تحتاجها في بناء السفن، بمعنى آخر ساهمت الهيمنة الاقتصادية القرطاجية في تفوقها في مجال الصناعة.

أما الرومان فالسفينة والبحر دخيلان عليهم، ولم يكن من أولوياتهم، منذ تأسيس مدينة روما وحتى عشية الحرب البونية الاولى، انصب اهتمام الرومان بالجانب الزراعي، فعملوا على استغلال الموارد الطبيعية في شبه جزيرة إيطاليا كالمناخ الملائم والسهول الخصبة، الثروة الحيوانية والمناجم (Jean, 2014, p. 15) .

ويجمع الكتاب القدامى على أنه بالقدر الذي يمنح البحر القوة والهيمنة للكيانات السياسية، فإن له من المساوئ والأخطار ما ينهك قوى المدن البحرية (Strabon,1868, Liv V, 1.33; Livi, 1897, Lib I, 33; Eutrope,1865, Lib I, 5; Florus,1826, Lib I, 4)، لذلك اختار الرومان موقعا آمنا لمدينتهم بعيدا عن البحر ويتم الاتصال بالبحر عبر نهر التيبر (Tibre) الذي يبعد عنها بحوالي 30كلم(Cicéron, 1878, Lib II,3) ، أما أول ميناء تجاري أنشأه الرومان هو ميناء أوستيا (Ostie) في عهد الملك أنكوس مارسيوس(Ancus Marcius) ، لنقل البضائع (Cicéron, Fam, XVI, 9)، كما يبحر نحو بلاد الإغريق حسب أحداث سنة 393 ق.م عندما تعرض سفن الرومان للقرصنة، لكن الرومان ليسوا بارعين في الحروب البحرية أو على الأقل لم يختبروا القتال في البحار(Jacotot, 2013, para 5) .

لم يحتج التوسع الروماني في إيطاليا إلى خبرة بحرية، فكل الحروب التي خاضها الرومان برية، وعندما أصبح من الضروري مواجهة خصومهم خارج القدم الإيطالية كالبونيين والمقدونيين، حينها إضطروا إلى دخول العمل البحري العسكري، أما قبل ذلك فقد كانت الملاحة البحرية عملا محتقرا ومهنة الفقراء (Jacotot, 2013, para 20)،

يصف فلوروس سرعة بناء الأسطول الروماني بأنها: ausus est, quum quidem ipsa velocitas classis comparatæ victoriæ auspicium fuit. Intra enim sexagesimum diem, quam cæsa silva fuerat, CLX navium classis in anchoris stetit, ut non arte factæ, sed quodam munere deorum (Florus, 1757, Lib. II, II)"تذير انتصار بعد أقل من ستين يومًا من قطع الأشجار، كان أسطولا مكون من مائة وستين سفينة في الميناء، يمكن للمرء أن يعتقد أنه لم ينشأها الإنسان، بل الآلهة".

أما بوليب فيشير الى تقليد الرومان للسفن القرطاجية، فعندما تحطمت سفينة بالقرب من معسكرهم، أخذوها كأنموذج قاموا بتقليده في عملية البناء(Polybe,1847,Liv. I, 20, 11) وهو ما ما كشفت عنه الأبحاث الأثرية الحديثة، التي تعرفت على واحدة من أساليب الإنتاج الفعالة التي يعتمد عليها القرطاجيين وهي نظام تركيب الأجزاء الجاهزة، حيث تحمل كل قطعة

رمزا أو رقما متسلسلا، لتسهيل عملية تركيب الأجزاء، وهو ما جعل ميزان القوى يتغير عندما إكتشف الرومان طرق الإنتاج والتركيب التي سارعوا إلى تقليدها (Blin, 2020, p. 101).

ويضيف بوليب أن الروح القتالية والعبقرية الرومانية هي التي رجحت كفة توزان القوى من العدم وجعلت روما تتفوق على خصومها، عندما بنت أسطولا يتكون من 100 سفينة خماسية و20 سفينة ثلاثية الأبعاد على غرار خماسية القرطاجيين (Polybe,1847, I, 20, 11)، لكن الواقع التاريخي والسياسي يرفض هذا الطرح غير العقلاني في تمجيد القوة الرومانية، لأن روما منذ 394 ق.م تجوب البحار بقوة بحرية لا تضاهي قوة القرطاجيين، لكن بالقدر الذي سيجعلها تتعرف على الملاحة البحرية ويمكنها من اكتساب الخبرة.

ويختصر ليفي تحضيرات الرومان للمشروع الجديد كالتالي:

iterum Pyrrhum ex Sicilia in Italiam reversum vicit et Italia expulit,…, cum Ptolemaeo, Aegypti rege, societas iuncta est,…, coloniae deductae sunt Posidonia et Cosa. (Livi, 1877, Perch, XIV) هُزم بيروس مرة أخرى، وعاد من صقلية إلى إيطاليا وطرد من إيطاليا... التحالف مع بطليموس ملك مصر... إنشاء المستعمرات في باستوم[1] في بوسيدونيا وكوزا.

بعد هزيمة بيروس، قام الرومان بجملة من الإستعدادات لتحقيق النصر على القرطاجيين وطردهم من صقلية، وكان لتأسيس مستعمرتي بوسيدونيا وكوزا في منطقة باستوم الإغريقية هدفا هو حماية الساحل، والاستيلاء على منطقة الغابات الزاخرة بالأخشاب لبناء السفن، كما تم التحالف مع ملك مصر بطليموس الثاني فيلادلفيا المتخوف من القوة القرطاجية، بعد كل هذه الاستعدادات اللوجيستية، بل الأكثر من ذلك تم تدريب القائد العام للجيش الروماني كايوس دويليوس نيبوس (Caius Duilius Nepos) على المعارك البحرية، وانتصر في ملاي (Mylae)، وكرس له موكب نصر دخل به روما، وخلدت اسمه قائمة النصر، حيث قبل هذه الحرب العمل البحري عملا وضيعا، حكرا على الطبقة الفقيرة ومن غير المجدي على أفراد الطبقة الأرستقراطية بكافة فئاتها وتراتباتها المهنية الخوض فيه (Jean, 2014, p. 15) .

[1]– باستوم: هي مستوطنة إغريقية منذ حوالي 600 ق.م في جنوب ايطاليا تقع على البحر التيراني، أنشأ بها الرومان بعد حرب بيروس مباشرة مستعمرتين بوسيدونيا وكوزا، ساهمت في تمويل الرومان بالأخشاب وبناء الأساطيل، في الحرب البونية الأولى، للمزيد ينظر: (Ciprianiv & Giovanni, 2007, Introduction, p.4).

منذ البداية كان هدف الرومان واضحا هو الاستيلاء على صقلية، ومنذ 261 ق.م أو ربما من بداية الاستعداد للحرب أدركوا أنه لن يتسنى لهم تنفيذ مشروعهم إلا من خلال المزج بين المعارك البرية والبحرية، لذلك قاموا ببناء السفن (Livi,1877, Perch XVII)، وهو ما يدعمه رأي فلوروس الذي يرى أن الرومان يحترقون من الرغبة في امتلاك صقلية" Mox, quum videret opulentissimam in proximo prædam quodam modo Italiæ suæ abscissam et quasi revulsam, adeo cupiditate ejus exarsit, ut quatenus nec mole jungi, nec pontibus posset, armis belloque jungenda et ad continentem suum revocanda videretur" (Florus, 1757, Lib. II, II) "التي لم يستطع إلحاقها بإيطاليا عن طريق السد أو عن طريق مد الجسور، فقرر اللجوء إلى السلاح والحرب لإعادة توحيدها وإعادتها إلى قارتها."

احتك الرومان بالبحر في وقت متأخر إذا ما قورنوا بالقرطاجيين، لكن نظرية العبقرية الرومانية هي التي ضمنت إنتصارهم في البحر، نظرية تستجيب للدعاية التي استخدمها الكتاب الرومان من أجل إعلاء القيم الحربية والقتالية في روما، أما من الناحية العملية فميدان الحرب والبحر على حد سواء لا يعترف إلا بالكفاءات والمهارات في التخطيط والعمل، وإن مدة الحرب بين المتنازعين لتدلل على مدى قوة القرطاجيين وأنهم لم يكونوا فريسة سهلة للرومان.

ومن خلال الجدول(الشكل رقم 2) الذي يحصي تعداد السفن التي ورد ذكرها في نصوص القدامى في الحرب البونية الاولى، حيث تراوحت إحصائية بوليب ما بين 130 و200 سفينة على مدى العشرون سنة، وكأنه يقول هذه إمكانيات القرطاجيين على مدى عقدين من الحرب، ولم يبتعد ديودور الصقلي عما ورد لدى بوليب ما بين 200–250 إلا بحوالي خمسون سفينة، قد عبر المؤرخين عن رتابة تمويل الحرب بالسفن لدى القرطاجيين التي ظلت على وتيرة واحدة مما يشير إلى وضع اقتصادي وتمويل عسكري مستقر لم تؤثر أوضاع الحرب على ميزانيته على الرغم من وقوع بوليب في التناقض بعد خسارة الرومان الحرب في افريقيا، وعند رحيل الأسطول الروماني المتكون من 350 سفينة إلى صقلية قد تمكن من الاستيلاء على 114 سفينة قرطاجية كانت في هيرمي(Hermée)، ثم عادوا الى صقلية ليصل التعداد الى 464 سفينة، وعند الحادث الذي تعرض اليه في كاميرنا (Camarine) لم ينج منه سوى 80 سفينة لذلك لا يمكن قبول 114 سفينة التي أخذت من القرطاجيين، فهي وصف مبالغ فيه للقوة الرومانية التي خسرت معركتها البرية في قرطاجة عندما استعانوا بالمدرب العسكري الإغريقي

اكسونتيب (Xanthipe) ومرة أخرى عندما تحطم أسطولهم وأسلابهم على صخور سواحل كاميرنا (Polybe, 1847, Liv. I, 36,37).

ويعتبر تيتي ليفي مصدر المؤرخين الثلاثة فاليريوس ماكسيموس، أوتروب وأوروسيوس في مراحل مختلفة من عمر الامبراطرية(Gsell, 2018, p. 444)، الذين جاءت أعدادهم مضاعفة، حيث وصل عدد السفن التي تم الإستيلاء عليها من طرف الرومان في افريقيا سنة 254 ق.م لدى أوتروب وأوروسيوس 134 سفينة بين السفن التي اغرقت والسفن المصادرة من طرف الرومان، أما في معركة جزر الأيجاتس فبلغ عدد السفن القرطاجية الحربية 400 سفينة دمرت منها 125 سفينة، وصودرت 63 سفينة، أما بالنسبة الى فاليريوس ماكسيموس فإن إجمالي السفن القرطاجية بين غارقة ومصادرة بلغ 600 سفينة.

أما إذا طٌرح السؤال لماذا تعرض تعداد الأسطول القرطاجي لكل هذه التناقضات وما هي العوامل والأسباب التي عملت على توسيع الفوارق بين الإحصائيات؟، فستيفان جزال لا يعطي سببا لعدم واقعيتها، غير أنه لا يمكن إعتبار كل تلك السفن سفنا حربية خماسية، بل منها السفن الثلاثية وقسما كبيرا مخصص للمؤن وليس للحرب (Gsell, 2018, p. 444).

على الرغم من توفر المصدر الأساسي لحروب الرومان وهو بوليب، لكن المؤرخين الذي جاءوا بعده جانبوا الصواب في الإحصاء وذلك مرده إلى ظروف وأوضاع الفترة التي عاصرها الكتاب فالقرن الأول من عصر الإمبراطورية ليس مثل القرن الثالث أو الخامس، عندما كتب ليفي تاريخه في بداية العصر الإمبراطوري الأول، كان بدافع استعادة عادات وتقاليد أسلاف الرومان واستحضار الشخصيات التي ساهمت في تحقيق الإنتصار في ايطاليا وخارجها حيث كان له دافعين للكتابة الأول تعليمي وأخلاقي يعود بالقارئ الروماني إلى فترة قوة أسلافه وتفوقهم على الشعوب الأجنبية حيث يعتبر ماض الشعب الروماني مادة علمية وتربوية تهذب سلوك الأفراد وتعود بهم إلى منابع القيم التي فقدت في عصره، أما السبب السياسي فهو ظروف إرساء قواعد الإمبراطورية والحاجة إلى السلام بنشر قيم ومبادئ العصور السالفة والإستفادة من بطولات السلف ومنهجهم في تسيير الحروب والأزمات (tite- live, 1864, Intro, 1-12).

يمكن الأخذ بما جاء لدى بوليب لسببين اثنين هما: بصفته الرجل العسكري والإستراتيجي الناجح والمؤرخ حيث لم يعامل بوليب معاملة الأسير بقدر ما عومل معاملة المعلم في الحلقات الثقافية والعلمية في روما، كما ربطته صداقة قوية مع أسرة سكيبيو، وهذا الأمر سوف يجعل

منه مؤرخا أمينا ينقل الأحداث بدقة إلى جانب خبرته العسكرية التي ستؤهله إلى وضع مخطط واقعي للمعارك وتعداد الأساطيل والجنود بعيدا عن المبالغة، ليستفيد الرومان من التجربة.

2-1-2- الفيل:

إحتل الفيل مكانة كبيرة في حروب قرطاجة، حتى يكاد يرتبط إسمها بالفيل، فقد تم العثور على العملات المعدنية وكذلك على المنحوتات ولوحات الفسيفساء التي جسدت الفيل في بلاد المغرب(Burgeon, 2016, p. 3)، وقد تعرف القرطاجيون على قوة الفيل القتالية منذ حرب بيروس، ثم اعتمدوا في حروبهم منذ بداية الحرب البونية الأولى، حيث في سنة 262 ق.م، وقد توجهوا بحوالي 100 نحو هراكليا (Héraclia) واستخدم الفيل في مواجهة جيش ريجلوس (Regulus) في 255ق.م، عندما نقل الحرب إلى إفريقيا، واستخدم في حرب المرتزقة (Polybe, 1847, Liv I, 32,9 ; 76-77)، لكنهم منيوا بالهزيمة في أغريجونت بسبب عدم الخبرة الكافية في التعامل مع هذه الحيوانات، لكن الفيل لم يحظ بالمكانة نفسها لدى الرومان، فمن خلال روايات القدامى يشهد تباين بشأنه، حيث يقول بليني:

" Elephantos ltalia primum vidit Pyrrhii regis bello ...dringeutesimo septuagesimo secundo: Roma antem in triumpho, septem annis ad superiorem numerum additis. Eadem plurimos anno quingentesimo secundo, Victoria Metelii pontificis in Sicilia de Pœnis captos. Centum quadragiuta duo fuere, aut, ut quidam, CXL, transvecti ratibus, quas doliornm consertis ordinibus imposuerat. Verrius eos pugnasse in Circo" (Plini, 1830, Lib. VIII, VI, 1).

أن أول فيلة رآها الرومان هم فيلة بيروس... وبعد سبع سنوات رأت روما أنها تؤدي إلى الانتصار، تم أخذ العديد منها من القرطاجيين على يد ميتلوس.. بلغ عددهم 142 أو140،...، قاتلوا في السرك،...، لأنهم لم يعرفوا ماذا يفعلون بهم.

وهو ما يؤكده كذلك فلوروس: "Apud Panormum sic hostes cecidit, ut ne amplius eam insulam cogitarent. Argumentum ingentis victoriac circiter elephantorum captivitas; sic quoque magna præda, ac si gregem illum non bello, sed venatione cepisset" (Florus, 1826, Lib II, II) "في بالرمو

ولإثبات الأهمية الكبيرة لهذا الانتصار من خلال القبض على مائة فيل، كان يمكن أن يكون غنيمة كبيرة، حتى لو تم أخذ هذا القطيع ليس في الحرب، ولكن في الصيد".

شكل رقم2:

جدول يوضح تعداد خسائر السفن لقرطاجة وروما من خلال المصادر الأدبية القديمة

الكاتب	منذ بداية الحرب حتى معركة ايكنوم256 ق.م				معركة ايكونوم 256 ق.م				افريقيا 254 ق.م				جزر الايقاتس241 ق.م			
	النص	عدد السفن	أغرقت	أخذت	النص	عدد السفن	أخذت	أغرقت	النص	عدد السفن	أغرقت	أخذت	النص	عدد السفن	أغرقت	أخذت
بوليب	Liv I, 23,3	130	50	31	Liv, I,29,1	**350**	**30**	**64**	Liv, I, 36,11	**200**		**114**	Liv I, 61,6		**70**	**50**
ديودور الصقلي	Liv, XXIII, 10,1	200			Liv،				Liv, XXIII, 18,1		**24**		Liv, XXIV,11,1	**250**	**117**	
فاليريوس ماكسيموس													chap. 41		**600**	
أوتروب	Lib,II, 20,2.			14	Lib II, 21, 1		**30**	**64**	Lib, II, 22,1		**104**	**30**	Lib, II, 27,1	**400**	**125**	**63**
أوروسيوس	Lib IV,7,10			13	Lib IV, 8,6		**30**	**64**	Lib,IV, 9,6		**104**	**30**	Lib IV, 10,6	**400**	**125**	**63**

المرجع: (إنجاز الباحث)

لم يستخدم الرومان الفيل في الحروب، حيث ظل يتملكهم الفزع من هذا الحيوان على حد قول بوليب على الرغم من انتصارهم على القرطاجيين في أغريجونت في 262 ق.م، ومصادرة 50 فيلا من أصل 60 فيل، ثم في معركة ريجيلوس حيث أثارت الفيلة الرعب في صفوف الرومان (Polybe, 1847, Liv. I,).

وظلت الرهبة من الفيل ملتصقة بالرومان حتى وقت متأخر من القرن الرابع للميلاد، حيث يرى فيجيوس (Végèce)[1] أن حجم الفيلة الهائل وصراخها الرهيب يخيف الجنود والخيول الذين يرونها لأول مرة(Végèce, 1859, Liv. III, XXIII) .

لم يثبت استخدام أفيال الغابات االمغاربية، التي يطلق عليها المؤلفون القدامى الفيلة الليبية، كما تُظهر المصادر القديمة أن استخدام فيل اثيوبيا وفيلة المغرب القديم في الحرب كان تقليدًا قديما، كما كان الحال في الممالك الهندية مع الفيل الآسيوي، كتب بعض المؤرخين أن لديهم مهارات تدريب أقل من الفيل الآسيوي، لذلك فائدتها قليلة في الحروب، بسبب ضعف استجابتها للتدريب يالمقارنة مع فيلة أثيوبيا (Guet, 2022, pp. 35-36)

تباينت الآراء القديمة للرومان حول استخدام الفيل في الحروب، فبليني يقر ضمنيا بعدم مهارة الرومان في استخدامه في الحروب، أما فيجيوس فيرد بعدم استخدام الفيلة في الحروب الرومانية بسبب فزعهم منه، وهو بهذا الرأي يتفق مع بوليب الذي يرى كذلك أن الرومان ظلوا يخافون من الفيلة منذ حروب بيروس، لكن هذا الأمر لم يمنع الكتاب الرومان والمترومنيين من الفخر بمصادرة الفيلة البونية في المعارك التي خاضوها ضد القرطاجيين.

2-1-3 آليات الدفاع والهجوم:

من بين الآلات التي جاء ذكرها في كتابات القدامى في الحرب البونية الأولى هي:

2-1-3-1-الكباش: الكبش هو آلة تستخدم لتدمير الجدران، حسب ما ذكره المهندس الروماني فيتروف (Vitruve, 1847, Lib X, XIII,1) الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد بأن الكبش اختراع قرطاجي: "Primum ad oppugnationes aries sic inventus esse memoratur Carthaginienses ad Gades oppugnandas castra posuerunt quum

[1] – فيجيوس: من الكتاب الرومان الذين اشتهرت كتباتهم في القرن السادس عشر للميلاد، لا تعرف أصوله ولا موطنه سوى أنه يعود إلى أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس الميلاديين، وقد انصب اهتمام الباحثين بمؤلفاته حول الفنون القتالية والحربية أكثر من البحث في أصوله، للمزيد ينظر (Chaliand& Mousset, 2002, p.301)

"autem castellum ante cepissent ، "يقال إن أول آلة اخترعت للتغلب على مكان كانت الكبش، كان القرطاجيون قد نزلوا أمام قادس، حيث كانوا يفرضون الحصار عليها".

ويشير بوليب الى استخدام القرطاجيين الكباش في حصار ليلبي، عندما استخدمها القرطاجيون في رمي اللهب على المواقع الرومانية (Polybe, 1847, Liv I, 11) وعلى الرغم من أن الكباش اختراع حربي قديم في الشرق، استخدمه الأشوريين منذ القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد فإن الرومان لم يروه إلا لدى القرطاجيين، وتصنع هذه الآلة من الخشب وتغطى بجلد سميك، يبرز في مقدمتها ما يشبه الرأس ذو شكل مخروطي وأحيانا رأس يشبه رأس الكبش ومنه أخذت تسمية الكبش (أزهار، 2021، ص 55).

2-1-3-2-الغراب: الغراب قطعة خشبية دائرية الشكل، طولها أربعة أذرع، بها ثلاث زعانف في المركز، تثبت في مقدمة السفينة، وفي الجزء العلوي من العارضة توجد بكرة تتصل بسلم بطول ستة أذرع، وعلى جانبي السلم تثبت قاذفات حديدية موصوله في الأعلى بحلقة يمر من خلالها الحبل ليتم رفع الغراب بواسطة البكرة بأعلى العارضة، عند الاقتراب من سفينة العدو يلقى الغراب عليها فيتشكل جسر يمر من خلاله الجيش نحو خصمه والقتال على أرضية تشبه اليابسة (Polybe, 1847, Liv I, IV).

كانت فكرة الغراب غريبة عن القرطاجيين عندما رأوها أول مرة حسب ما ورد لدى فلورس عندا ألقى الرومان به على سفنهم سخر منهم القرطاجيين كثيرًا قبل المعركة، وكانوا لكنهم قاتلو كما لو كانوا على الأرض وانتصر الرومان بالقرب من جزر ليباري (Florus, 1826, II, I)

أما عن أصل الاختراع فهو للإغريقي ديااداس (Diades)، وحسب فيتروف De corace nihil putavit scribendum, quod animadverteret eam machinam nullam habere virtutem (Vetruve, 1847, Lib X, XIII, 8) " كان يعتقد أنه لا ينبغي كتابة أي شيء عننه، لأنه ليس لديه تأثير"، لم يكن الغراب اختراعا مهما كثيرا للإغريق المتمرسين في الملاحة، لذلك يمكن القول أن من بنى السفن الرومانية هم الإغريق وثبتوا الغراب على هذه السفن لجعل المقاتلين البريين يشعرون كأنهم يقاتلون على اليابسة وهذا حسب رغبة الرومان على الأرجح، أي بنيت السفن بمواصفات تتكيف إعداداتها مع إمكانيات الرومان التي تفتقر إلى المهارات القتالية البحرية، خاصة أمام منافس ارتبط إسمه بالبحر.

2-1-3-3-القاذفات والعربات: يشير فيجيوس الى القاذفة التي استخدمها الرومان في مواجهة الفيل، وهي بمثابة العربة التي يجرها الحيوان أو الأشخاص تُحَمل بالحجارة المستديرة التي يقوم الجنود برميها ، فتصيب هذه الحجارة عندما تلقى من يد بارعة وقوية على سائقي الأفيال، فتحطم الأبراج التي تشُحن بها الفيلة لتفادي اندفاعهم نحوهم، وهكذا تصبح هذه الحيوانات في مركز الضغط من جميع الجهات، وغالبًا ما يتم القبض عليها مع سائقيها غير مصابة، وتوضع العربات في غالب الأحيان في مؤخرة الجيش، كما تدفع العربات التي تدفع الرمح أو السهام بقوة شديدة، حالما تقترب الأفيال يقوم الجنود المكلفون بخدمة هذه الآلات، بجذبها ضدهم (Végèce, 1859, Liv III, XXIII).

2-2- الميزانية الحربية:

لا تنبؤ المصادر الأدبية بالكثير عن الوضعية المالية لقرطاجة، سوى أن قرطاجة سيدة البحر المتوسط، قوة تجارية استثنائية في العالم القديم مثلما ورد لدى شيشرون: Nec vero ulla res magis labefactatam diu et Carthaginem,..., pervertit aliquando quam hic error ac dissipatio civium, quod mercandi cupiditate et navigandi et agrorum et armorum cultum reliquerant."ليس هناك من سبب أثر في انحطاط قرطاجة،...، وخرابها أكثر من هذه الحياة المتجولة وتشتت مواطنيها الذين جعلهم حب الملاحة والتجارة يتخلون عن الزراعة ويتعاملون مع السلاح".(Cicéro,1823, Lib. II, IV).

وتوضح البقايا المادية في صقلية أن سك العملة في الفترة ما قبل الحرب 300-275 ق.م كان غزيرا، يحتوي شيكل المصنوع من الألكتروم (Electrum) على 95% و5 % من النحاس لينخفض بعد ذلك إلى 45 % من الذهب و55 % من النحاس، وهذا دليل الإنتقال من الثراء إلى إعادة التقييم العام لمادة الذهب في النقود القرطاجية وهو مؤشر على ضعف الإمكانيات المالية للبونيين بعد سنوات من الحرب (Alexandropoulos, 2002, p03).

ومن خلال اكتشافين للعملات النقدية الفضية والذهبية ونبرونزية في تونس في عام 1948 يضم حوالي 60 قطعة نقدية، والآخر في عام 1985 يضم حوالي 40 قطعة نقدية، يعود تاريخ اصدارها إلى 300 ق.م تقريبًا، وهي من آخر إصدارات "الشيكل البوني" ذي الإلكتروم المنخفض، تتميز العملات الفضية بالجودة العالية وقد تم سك هذه النقود في قرطاجة، أما العملات البرونزية فتعود إلى الأعوام 300-241 ق عندما تدنى المستوى الإقتصادي القرطاجي بسبب الحرب(Alexandropoulos, 2007, pp. 67-69).

شكل رقم2:

صورة تبرز العملة القرطاجية



المرجع: (Alexandropoulos, 2007, p.508)

يساوي الشيكل القرطاجي 1.5 دراهم أتيكا، ويحتوي على ما قيمته حوالي 12.5 غ من الذهب، يظهر على الوجه رأس تانيت، أما الظهر فصور عليه حصان يقف على اليمين، ويدير رأسه، أما الشيكل ذو 0.25 دراهم أتيكا فيبلغ وزنه 2.06غ من الذهب، صور على الوجه الإلهة تانيت متوجة بظفائر أعلى الرأس، وبقلادة تتدلى من العنق أما الظهر فيحتوي على حصان قائم وخلفه نخلة، وقد كان تداولهما في كل العالم القديم، أما العملة التي مكونها الإلكتروم (مزيج من الذهب والفضة) يبلغ 9.1 غ من الالكتروم نفس الصور التي طبعت على الشيكل الذهبي فتحمل على الوجه رأس تانيت وعلى الظهر الحصان القائم، وكان تداولها ثانوي، في حين بلغت الفضة في الشيكل الفضي الذي يعود الى حوالي 300 ق.م حوالي 6.7 غ، أما بالنسبة لقيمة الذهب والفضة في النقود التي سكت في فترة الحرب البونية الأولى ما بين 264–254 ق.م فقد إنخفض مستوى الذهب في العملة التي تحكل قيمة الشيكل ونصف الى 10.8- 1.9غ، ويظهر نصف الشيكل الذهبي في فترة حرب الجنود المرتزقة بقيمة 3.8غ (Alexandropoulos, 2007, pp. 369-373).

أما عن الطرف الروماني فمن بين الإستعدادات التي تجهزت روما بها للإعداد لحرب البونيين ما أشار له ليفي victis Tarentinis pax et libertas data est,… tune primum populus argento uti coepit (Livi, 1977, prioch XV) "بعد الإنتصار على الترانتيون عم السلام والحرية،...، ولأول مرة يستخدم الرومان العملة الفضية".

لكن الرومان اعتمدوا على مصدر آخر لتمويل الجيش في صقلية غير حزينة الدولة، وهي الإتوات التي فرضوها على حلفاؤهم أو بصيغة أخرى الخاضعين لهم، فعندما تمكن الرومان من إخضاع هيرون وجعلوه يتخلى عن قرطاجة ويصبح حليفا لهم، مقابل السلام الذي

كلفه مؤونة حرب التي لم يخبر بوليب بقيمتها العددية سوى أنها مساعدات منحها الملك السيراكوزي للرومان (Polybe, 1847, Liv I, III)، أما تيتي ليفي فيضع قائمة بما قدمه هيرون للرومان: "ducentum ac viginti adferre sese,…, advexisse etiam trecenta milia modiùm tritici, ducenta hordei, ne commeatus deessent,et quantum praeterea opus esset, quo iussissent subvecturos. milite atque equite scire nisi Romano Latinique" (Livi,1860, Lib XXII, XXXVII, 4-6). 200 وزنة ذهبية، 300.000 بوشل من القمح، 200 من الشعير،...، وأرسل قوات مساعدة ألف من الرماة والقوات المؤهلة للقتال في جزر البليار من المور والشعوب الأخرى لا يقبل في الجيش إلا الرومان أو اللاتين "، وهو ما يدعمه أوتروب كاتب من القرن الرابع حول هيرون حيث يقول أنه "is cum omni ... pacem a Romanis impetravit, deditque argenti talenta ducenta، "نال السلام مع الرومان،...، منح مائتي وزنة من الفضة"(Eutrope, 1865, Lib. II, X).

حسب ما ذكره بوليب كل المدن التي أخضعوها قدمت المساعدة للرومان في صقلية حيث جمعوا الطعام والذخيرة، وجلبوها إلى مدينة إربيسي (Erbesse)، على مقربة من معسكر الرومان (Polybe, 1847, Liv I, III).

أما القرطاجيون فكانت حكومتهم هي الممول الوحيد لهذه الحرب، حسب ما يفهم من مقتطف بوليب، عندما أرسل حنبعل بن جيسكو إلى حكومة قرطاجة ينبههم بأن مؤونة الجيش وصلت إلى الحد الأدنى، فتم تحميل القوات والأفيال على السفن إلى صقلية، كما قام بقطع طريق المؤونة على الرومان، لكن ملك سيراكوزا قام بتموينهم، وفي كثير من الأحيان يتعرض الجنود الى المجاعة مما يجبرهم على الفرار، وهذا مرده إلى هدف القرطاجيين من هذه الحرب وهو حماية مواقعهم في الجزيرة، على عكس الرومان، فكل أرض تطؤها أقدامهم تصبح مجالا حيويا يمكنهم الإنتفاع منه ولو بالقوة، مثل ما حدث عند نقل ريجلوس الحرب الى قرطاجة، وعند رفض السكان فتح أبواب المدن وفرضوا عليهم حصارًا ودمروا العديد من المنازل، واستولوا على كمية من الماشية، وأسر أكثر من عشرين ألف عبدٍ(Polybe, 1847, Liv. I, III, VI) .

3- الموارد البشرية:

3-1- تركيبة الجيش: لأن أغلب المعارك تمت في البحر كان الإهتمام منصب على الأساطيل الحربية أكثر من الجيوش البرية، ويوضح بوليب مصادر الجيش القرطاجي حيث قاموا بجبايات كبيرة للجنود من ليغوريا ومن بلاد الغال وأعظمها في إسبانيا، وأرسلوهم جميعًا إلى صقلية، ولأن أغريجونت كانت أقوى مدينة وأهم من كل أولئك الذين ينتمون إليهم، فقد ألقوا هناك كل مؤنهم وكل جيوشهم وجعلوها مركزا للحرب (Polybe, 1847, Liv I,III).

بالقدر الذي إشتهر الجيش الروماني باعتبار الدولة الرومانية منذ نشأتها وحتى أفولها دولة عسكرية بامتياز، لكن تغيب المعلومات والمعارف حول هذه الجيوش التي عرفت الكثير من التحولات عبر فترات مختلفة، حيث لا يمكن التعرف عن الجيوش وتعدادها، إلا من خلال معاهدة إحصائية رسمية يحدد التنظيم العسكري، فلا يمكن التعرف على أعداد الجيش الروماني من خلال النصوص الأدبية، إلا من خلال بعض الإشارات والمناسبات التي أشار فيها الكتاب الرومان إلى وضعية الجيش، فإلى هذا التاريخ لا تزال تركيبة الجيش الروماني غير نظامية، تتألف من المتطوعين من سكان روما القادرين على حمل السلاح، كما سمحت التوسعات في شبه جزيرة ايطاليا بتجنيد قوة بشرية جديدة تعرف بالفيالق اللاتينية (socii nominisve) Latini (Bohec, 2017, p. 111) .

تتم عملية التجنيد بإحصاء السكان القادرين على حمل السلاح، من سن السابعة عشر حتى الخامسة وأربعون، وفقا لما ذكره بوليب (Polybe, 1847, VI, 19, 2-3)، لكن لا يمكن تصور إستمرار هذه الحملات المتعاقبة على أنها سنوات من الخدمة المستمرة، خاصة في بداية التوسعات الرومانية في شبه جزيرة ايطاليا، فإن الالتزامات العسكرية تكون ما بين شهري مارس وأكتوبر، وعندما خرجت إلى حوض البحر الأبيض المتوسط، لم تكن فترات تعبئة المواطنين مستمرة بل تتوافق الخدمة العسكرية مع المشاركة في حملات طويلة إلى حد ما، اعتمادًا على الوقت اللازم لتحقيق النصر، منهم من يعود الى الحياة المدنية ومنهم من يستمر في الخدمة العسكرية، حسب اللياقة البدنية للجنود وسيرهم القتالية (Cosme, 2021, p. 19)، مثلما يُستدل من نص تيتي ليفي حول أحد الجنود يدعى لسبوريوس ليجوستينوس (Spurius Ligustinus)

الذي خدم في الحرب المقدونية سنة 171 ق.م والذي قدم خطابا يروي فيه تدرجه في المراتب العسكرية من بين ما جاء فيه:

> Miles sum factus, P.Sulpicio, C.Aurelio consulibus In eo exercitu, qui in Macedoniam est transportatus, biennium miles gregarius fui adversus Philippum regem: tertio anno virtutis caussa mihi,…,Quater intra paucos annos primum pilum duxi: quater et tricies virtutis caussa donatus ab imperatoribus sum: sex civicas coronas aceepi, viginti duo stipendia annua in exercitu emerita habeo, et major annis sum quinquaginta. Quod si mihi nec stipendia omnia emerita essent, necdùm aetas (Tite-Live, 1832, Lib. XLII, XXIV).

> أصبحت جنديًا تحت قيادة ب. سيلبيكيوس وس. أوريليوس كنت جزءًا من الجيش الذي تم إرساله إلى مقدونيا، ولمدة عامين كجندي بسيط في الحرب ضد فيليب،...، لقد حصلت من جنرالاتي على أربعة وثلاثين جائزة شجاعة، وبستة تيجان مدنية، لديّ اثنان وعشرون حملة وعمري أكثر من خمسين عامًا، بالنسبة لي طالما أن الضابط المسؤول عن الإحصائيات يجدني لائقًا للخدمة فلن أعتذر عنها أبدًا.

كان للجيش الروماني في الحقبة الجمهورية ثلاث خصائص أساسية هي أنه قومياً ومراقبياً وغير دائم، لذلك فهو جيش متطوعا وليس إحترافيا، قوامه الرجال القادرين على حمل السلاح من روما وحلفائها من شبه جزيرة إيطاليا والذين يعتبرون أفرادا ضمن الوطن المشترك إيطاليا بالنسبة للفترة قبيل الحرب البونية الأولى، مما جعلهم يمتنعون عن تجنيد المرتزقة، وقد اكتسبت وحدات الحلفاء أهمية كبيرة في بعض الأحيان تشكل ثلثي الجيش الروماني، التي كانت تشبه لحد ما جيوش المرتزقة ما سبب ثورتها على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تمر بها في 89 ق.م (Nicolet, 2001, p. 303)، كما كانت جيوش الأقاليم الإيطالية من أهم القوات الداعمة لجيش روما حسب ما يفهم من إشارة تيتي ليفي عند مواجهة الرومان لقوات بيروس في عام 270 ق.م حيث قال:

> Culpam ejus rei consulem in tribunos militum contrà illos in consulem conferre. Ignominiam Claudii temeritate acceptam, elevare eos Patres acceperunt, qui perpaucos Italici generis, et ma gna ex parte tumultuario delectu conscriptos ib milites amissos referebant. Consules designati, ubi primùm magistratum inissent (Tite-Live, 1812, Lib. XLIII, XI).

علم أعضاء مجلس الشيوخ أن عار الهزيمة الناجم عن حماقة كلوديوس قد تم تقليله في روما، بالقول إن الخسارة الكاملة تتكون من عدد صغير من الجنود الإيطاليين، قادمين من التجنيد الذي تم إجراؤه على عجل

أما بالنسبة لتجهيز الجيوش فيقع على عاتق الجنود حسب الالتزامات الضريبية نحو خزينة الدولة حيث كانت مهمة الرقباء التحكم في عملية تسليحهم، ويرى أن هذا النظام لم يتغير منذ نشأة مدينة روما، حسب ما جاء لدى ليفي الذي قسم الجنود الرومان الى خمسة أقسام، يتكون القسم الأول من الأفراد الذين يمتلكون 100.000 آيس وأكثر، يقسمون إلى ثمانين فوج، أربعين من الشباب وأربعين من الكهول مهمتهم حراسة المدينة كما يخوضون الحرب خارجها، يحملون أسلحة دفاعية: الخوذة، الدرع، اللباس، كلها من البرونز، أما الأسلحة الهجومية فهمي الرمح والسيف، وتتألف الفئة الثانية من أولئك الذين تبلغ حصتهم الضريبية أقل من 100.000 حتى 75.000 آس وتضم عشرين فوجا من المواطنين صغارًا وكبارًا، أسلحتهم مماثلة لأسلحة الدرجة الأولى باستثناء الدرع الذي كان أكثر طولا وفيهم من لم يكن لديه درع، أما القسم الثالث الضريبة المطلوبة منه 50.000 آس، وعدد أفواجه وتقسيم الأعمار، ومعدات الحرب باستثناء اللباس، كل شيء كان مماثلاً للطبقة الثانية، والصف الرابع كان لديه رمح ونبلة فقط، وتتكون الطبقة الخامسة وهي الأكثر عددًا من ثلاثين فوجا، مسلحة بالمقاليع والحجارة، وضريبتها 11.000 آس (Tite-Live,1864, Liv. I, 43).

إن مبدأ المساواة الذي حدد الالتزامات العسكرية للمواطنين وفقًا لثروتهم، غير متوافق نظريًا مع الدفع مقابل مشاركتهم في الدفاع عن المدينة، حيث يتم إعفاء أفقرهم من الخدمة العسكرية.

يعتبر بيار كوسم(Pierre Cosme) هذا التقسيم غير عادب من حيث اعتماده على موارد كل مواطن، حيث يتم تخفيض الشروط المتعلقة بالضرائب بكل فئة على مر السنوات فتفقد الخزينة مواردها، وكان هناك أيضًا متطوعون في الجيش لم يستوفوا هذه المتطلبات، وفق شهادة ليفي الذي يقول بأن قبل أي طلب من الشعب أو الترابنة، أصدر مجلس الشيوخ مرسومًا يقضي بأن يتلقى الجنود أجرًا مأخوذًا من الخزينة العامة، عندما كان الأفراد يشاركون في الحرب على نفقتهم الخاصة (Tite-Live, 1812, Liv. IV, XLIII, 10)، الذي يوافق الفترة ما بين 406 و396 ق.م (Cosme, 2021, p. 18) وهو ما يذهب اليه ديودور الصقلي أيضا عندما أشار إلى

إصدار أول مرة مرسوم روماني يقضي بمنح المحاربين أجرًا سنويًا يعود إلى تاريخ إخضاع شعب الفولسكي(Volsques) (Diodore de Sicile, 1865, Liv. XIV, 16) .

وهذا ما يفتح المجال أمام فرضية تلقي الجنود أسلاب الحروب كرواتب مقابل الخدمة العسكرية، تضم اللغة اللاتينية القديمة مصطلحات تدل على الأسلاب الناتجة عن عمليات الحرب أو عمليات النهب، مثل (praeda) الأسلاب الناتجة عن ردع القراصنة، أما صبوليا (Spolia) فهي أسلاب الحروب المختلفة من حيوانات ومقتنيات مادية أخرى، لذلك كان يتوجب على الجنود النصر، بالإضافة الى العمل على روح الترابط الذي زرعها الرومان في حلفائهم حيث يتم النداء للحرب خاصة في فترة التوسعات خارج ايطاليا باسم الوطن المشترك، فتهرع العامة لتلبية الواجب(Cosme, 2021, pp. 12-15).

أما بالنسبة لأعضاء النخبة، كان المرور بالجيش التزامًا فرديا، تفرضه الحياة السياسية التي تشترط أن يكمل من لديه طموح سياسي عددًا معينًا من الحملات العسكرية، على سبيل المثال قام كايوس سامبرونيوس جراكوس (Caius Sempronius Gracchus) بعدة حملات على مدى فترة زمنية تقارب 12 عامًا، بينما رضي غيره بالعشر الالزامية.

لم ترق فكرة توظيف الجند المأجور الى الجيش الروماني فقد ظل الرومان يفتخرون بالجيش الجمهوري حتى أواخر الإمبراطورية، بهذا الشأن يقول فيجيسيوس، أن الفيلق الروماني المكون من مجموعات متناسقة، موحد في صنف المشاة، الدرع الثقيل، أي النبلاء ورماة الحراب وجنود الصف الثالث، والجنود ذو التسليح الخفيف، القاذفون والرماة، بالإضافة إلى الفرسان، كل هذه الاقسام لها نفس الروح، يعملون كفريق واحد، بارعين في تحصين المعسكرات والدخول في المعركة والقتال لذلك فإن الفيلق هو في حد ذاته جيش كامل دون مساعدة أجنبية في السابق، يهزم كل من يواجهه، وعظمة الرومان دليل على ذلك، لقد هزموا بجحافلهم أكبر عدد ممكن من الأعداء (Végèce, 1859, Lib. II, II).

لكن المؤرخ الإغريقي زوناروس (Zonaras) الذي يقتبس من الكتاب السادس للتاريخ الروماني لصاحبه ديون كاسيوس أن أول إستخدام روماني للجند المأجور، جاء في الحرب البونية الأولى عندما فرت فرقة غالية من البونيين، وخدمت تحت راية الرومان مقابل المال وأثناء حرب المرتزقة بعد الحرب البونية 241–237 ق.م "استأجر الرومان هؤلاء الغاليين

وغيرهم من حلفاء القرطاجيين الذين ثاروا ضد القرطاجيين كمرتزقة، حتى ذلك الحين لم يكن لديهم أجنبي واحد" (Zonaras, 1886, VIII, 16).

أما بالنسبة للجيش القرطاجي، فالسمة الغالبة التي يوصف بها في المصادر الأدبية أنه جيش لفيف من الجنود الأجنبية، التي يشبهها الرومان بفرق المساعدة ولا يمكن الإعتماد عليها مطلقا في الحرب حيث يصفه فجيسيوس بأنه يتألف من أجانب مرتشين يأتون من بلدان مختلفة وفي أجساد غير متكافئة لا رابط بينهم، لكل أمة لغتها وانضباطها ونمط عيشها ووطريقتها في الحرب، من المستحيل أن تتصرف مثل هذه القوات ذات الترتيب السيئ بشكل جيد ومتناسق في مسألة يكون فيها من الضروري أن يتحرك جميع الجنود تحت نفس القيادة، فالأشخاص الذين لم يتم تدريبهم مثل بقية الجيش لا يمكنهم الانصياع على قدم المساواة ولا بنفس السرعة ومع ذلك فإن هذه القوات الأجنبية لا تفشل في الحصول على مساعدة كبيرة بفضل التدريبات الجيدة، كانوا دائمًا ينضمون إلى الجحافل في المعركة كدروع خفيفة لم يشكلوا القوة الرئيسية للجيوش (Végèce,1859, Lib. II, II).

كما أن المصدر الأول الذي وصف تعداده المؤرخ الإغريقي بوليب حيث أشار الى أربعة آلاف من المشاة وثلاثمائة فارس، كما يشير الى قيام القرطاجيين بجبايات كبيرة للجنود من الليغور، من بلاد الغال، وأعظم القوات من إسبانيا، وتم إرسال هذا الجيش إإلى أغريجونت بصقلية، حيث وضعوا مؤنهم وجيوشهم وجعلوها مكانا للحرب (Polybe, 1847, Liv. I, III).

منذ فترة الصراع الإغريقي القرطاجي في صقلية أواخر القرن السادس وبداية الخامس قبل الميلاد، عرفت قرطاجة تحولا في مسيرتها السياسية والعسكرية عندما تحولت من عاصمة اقتصادية تعتمد على التجارة كنشاط رئيسي يسمح لها بالإنتشار غرب المتوسط، وعززت قوتها العسكرية التي لا يستهان بها في الإنضباط العسكري وصرامة قادتها من عائلة برقا التي سيطرت على الحكم في قرطاجة، حسب جوستيني الذي يصف ماجو:

> Carthaginiensium imperator, quum primus omnium ordinata disciplina militari imperium Poenorum condidisset, viresque civitatis non minus bei landi arte quam virtute firmasset, diem fungitur, relictis duobus filiis Hasdrubale et Hamilcare qui per vestigia paternae virtutis decurrentes, sicuti generi, ita et magnitudini patris successerunt (Justini, 1830, Lib. XVIII ,7).

جنرال القرطاجيين الذي كان أول من أسس القوة القرطاجية على الانضباط العسكري وعزز عظمة بلاده بفضائله وبفضل مواهبه، تاركًا ولديه صدربعل وهميلكار، الذين بعد الآثار المجيدة لأبيهما أظهرا أنهما قد نقل إليهما عبقريته بدمه".

ويضيف بأن "quum familia tanta imperatorum gravis liberae civitati esset omniaque ipsi agerent simul et iudicarent" (justinii, 1830, Lib XIX, 1-2) "هذه العائلة من الجنرالات هم السادة المطلقون والقضاة في جميع أفعالهم".

صور المؤرخون الرومان قرطاجة العسكرية التي تعتمد في بسط نفودها على القوة والحرب، لكن هذا الرأي نابع من ظروف نفسية واجتماعية وسياسية وعسكرية عاشتها الشعوب المنافسة لقرطاجة التي رأت فيها خصما عنيدا، نظروا الى قوتها وانتشارها بمنظار المبادئ التي تحكمهم كشعوب تقدس العمل العسكري والبطولات القتالية، حتى هذا التاريخ لم يكن الإنخراط في الجيش مهنة رسمية، ظل لمدة طويلة المواطن هو الجندي، لم يتم التمييز بين الوظائف السياسية والعسكرية إلا بمستوى الطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليها، فكان أرخون أثينا(archontes d'Athènes) أمير حرب إلى جانب وظيفة التسيير والقضاء، وهو الأمر عينه في روما حيث حجز الغني موقعه في تسيير الدولة وفي سلاح الفرسان، وهكذا يتم رص صفوف الجنود في الخدمة العسكرية، لذلك كان موقف الرومان من الحياة العسكرية يعكس مكانة الأفراد الاجتماعية ونفوذهم السياسي (Fustel de Coulanges, 1870, PP 296-301).

من هذا المبدأ حكم الكتاب الرومان على قرطاجة بنزعتها العسكرية، على الرغم من أن ظهورها بالثوب العسكري هو نتيجة وضع دفاعي عن مكتسباتها، في أغلب الحروب التي خاضتها ضد الإغريق والرومان، فكانت مدفوعة لحماية مستوطناتها في صقلية وغرب المتوسط عموما ولم يكن الأمر إختيارا، ومن الأنسب لشعب يعتمد على التجارة العيش في سلام مع جيرانه، لازدهار تعاملاته التي تعتمد على أواصر الصداقة أو على الأقل علاقة معتدلة بعيدة عن العداء والحرب، لذلك لم تدخر جهدا لإقامة علاقات سلمية مع جيرانها الإغريق والإيطاليين الذين كانوا أهم شركائها التجاريين، فكانت هي من تتقدم في أغلب الأحيان وفي أوقات السلم كما في أوقات الحرب لتوقيع المعاهدات وإنهاء الحرب سريعا (Baklouti, 1995, p. 17, 19).

3-2- الذهنية الحربية لدى المعسكرين:

من بين الأعراف التي رصدتها الكتابات الرومانية التي اعتمدها القرطاجيون تجاه قادة جيوشهم، معاقبتهم بحد الموت في حالة الهزيمة، حيث يشير تيتي ليفي الى صلب حنبعل في بداية الحرب البونية الأولى: "Hannibal, dux Poenorum, victa classe cui praefuerat, a militibus suis in crucem sublatus est" (Livi, 1877,Perioch, XVII) "بعد هزيمة الأسطول الذي قاده زعيم القرطاجيين حنبعل صلبه جنوده".

ويعرف جوستيني بهذا المبدأ الذي من خلاله يتم محاسبة قادة الحرب حيث يذكر أنه "centum ex numero senatorum iudioes deliguntur, qui reversis a bello ducibus rationem rerum gestarum exigerent" (justini, 1830, Lib XIX,2). "تم اختيار مائة من بين أعضاء مجلس الشيوخ، يقومون بمحسابة القادة الذين عادوا من الحرب".

ويتحدث كاسيوس عن هذا العرف لدى القرطاجيين كذلك بأنهم يقتلون القادة المنهزمين لأن الفئة التي تمول الجيش ينسبون النصر إلى أنفسهم ويلومون القادة على الهزيمة، وكان القرطاجيون أكثر ميلًا إلى معاقبة االقادة الفاشلين (Cassius,1845, Frg ,CXLVII) ، والراجح أنه يقصد بعبارة " الفئة التي تمول الجيش" بالأرستقراطية الحاكمة في قرطاجة، والتي تسمح بتمويل الحرب والرحلات الاستكشافية.

ربما تم إنشاء محكمة المائة من أجل احترام برنامج الحرب بدقة وأي فشل في تطبيق البرنامج يعرّض الجنرالات لعقوبات قاسية تصدرها هذه المحكمة، وليس الحكم بإعدامهم، لكن يأس القادة من تحقيق النصر و تخييب الآمال المرجوة منهم أو تجنب الأسر يجعلهم يقدمون على الإنتحار، ومن ثمة نقلها المؤرخون الرومان أن البونيين يقدمون على قتل قادتهم المهزومين.

لكن للمؤرخين المعاصرين لهم وجهة نظر مختلفة عن مؤرخي روما القدامى، يعتبر البكلوتي الجيش القرطاجي من الجيوش الأغلى والأكثر كفاءة في العالم القديم، بسبب العناصر المختلفة التي شكلته الذين يتقاضون رواتب عالية والمعدات الباهضة التي تم تجهيزه بها، وأحدث الأسلحة وأكثر السفن الحربية تطوراً في ذلك الوقت، وحرصا على عدم تجنيده وتوظيفه إلا عندما تصبح الحرب حتمية، في الوقت المناسب وسريعًا، لذلك يمكن فهم لماذا يتجنب الجنرالات القرطاجيون في أغلب الأحيان فرض الحصار طويل الأمد، واستعجال القرطاجيين إنهاء

الحروب، فقد كانوا دائما السباقين في المبادرة وفي أغلب الأحيان لاقتراح السلام على نفقتهمخلال الحرب االبونية لأولى في معركة جزر الأيجاتس، عندما امتنع العدو بشدة عن أي مفاوضات سلام حيث كانت خسائر قرطاجة أقل من خسائر الرومان، لكن فضلوا إلقاء أسلحتهم والامتثال لشروط السلام التي يمليها المنتصر(Baklouti, 1995, pp. 21-22) .

وعلى النقيض من ذلك ما أشارت إليه المصادر حول الذهنية العسكرية الرومانية، فعن اعلان الحروب وتحمل تداعياتها في روما يقول ليفي: "quod quem imiquam de sua sententia facere ausum? Antiochi, Philippi, Hannibalis et Poenorum recentissima bella esse; de omnibus bis consultum senatum, populum iussisse, per legatos ante res repetitas, postremo qui bellum indicerent missos quid eorum" (Livi , 1873, Lib XXXVIII, 46). "من هو الجنرال الذي تجرأ على تحمل مثل هذه المسؤولية؟ حروب أنطيوكوس، فيليب، حنبعل، حروب لا تزال حديثة، مرت جميعها على يدي مجلس الشيوخ وبإرادة الشعب، كانوا دائما تقريبا يبدؤون بإرسال السفراء، وطلب جبر الضرر ثم في النهاية إعلان الحرب" .

يولي الرومان إهتماما كبيرا بقادة جيوشهم ووضعهم النفسي والمادي، حسب كاسيوس فقد عاش ريجولوس في فقر مدقع لدرجة أنه لم يوافق على ترك عائلته من أجل الحرب إلا بعد توقيع مرسوم ضمان إعالة زوجته وأطفاله على حساب الخزينة العامة، وعندما أراد القرطاجيون استبدال الأسرى أخذوا ريجلوس لأنهم يعلمون أن مجلس الشيوخ سوف يرضخ لشروطهم من أجل استعادة هذا القائد (Casius,1845, Frgm, CXLVIII, CLIII).

ورث القرطاجيون ذهنية الصوريين الذي يفتدون مدينتهم بالمال وينهون القتال بأقل تكلفة كلما تعرضت للغزو، من طرف القوى المجاورة كالأشوريون، الفرس، اليهود، لكن الوضع في الحوض الغربي مختلف، كما أن الفكر العسكري لدى الرومان مختلف كذلك عما كان في الشرق، كان الغزو من أجل كسب الأموال والأسلاب، لكن الذهنية الحربية الرومانية تقاتل من الهيمنة عن الإنسان، المال، والأرض.

لا تُوفر المصادر الرومانية الكثير من المعارف حول نهاية هذه الحرب بسبب ضياع كتب ليفي من الكتاب (XI– XX)، سوى ما أشار إليه ليفي بأن النصر في حرب دامت أكثر من عشرون سنة، سيخرج المنتصر مثقلا بالخسائر مثل المهزوم، فالمنتصر والمنهزم متقاربان في الخسائر والأرباح (Livi,1860, Lib XXI, l).

أما بوليب وهو المصدر الوحيد الذي يذكر فيه نتائج الحرب على الطرفين، فبعد النفقات الكبيرة لفترة طويلة قد استنفد الطرفان مواردهما المالية، ومع ذلك تمسك الرومان بحزم ضد هزائمهم البحرية، على الرغم من أنهم قد تخلوا عن البحر منذ ما يقرب من خمس سنوات قبل نهاية الحرب بسبب الخسائر المتوالية التي تكبدوها، كما بدا لهم أن القوات البرية كافية لتحقيق النصر، مع أن الحرب لم تأخذ المسار الذي كانوا يأملونه، أما هميلكار فَقَدَ كل شيء بسبب عدم وجود موارد تجعله ينتصر في صقلية، لذلك باءت جهوده بالفشل، أما حماس مجلس الشيوخ والمواطنين كان دافعا قويا للرومان تم استخدام كل الوسائل على الجانبين الخطط المستفادة من التاريخ، خدع الحرب التي اقترحتها المناسبة والظروف الحالي، الجرأة والاندفاع، كانت القوات على كلا الجانبين متساوية، والمعسكرات محصنة لا يمكن الوصول إليها، والفاصل الزمني الذي يفصل بينهما قصير جدًا (Polybe, 1847, Liv. I, XIII).

اهتم الكتاب الرومان بانتصارات روما في هذه الحرب أكثر من أي شيء آخر، لم يقدموا سوى وصف للمعارك والنصر والهزائم، لكن ما وصل الينا من الكتابات الإغريقية تفيد بأن القوتين القرطاجية والرومانية ظلتا إلى وقت طويل متوازية القوى، ولم تتمكن واحدة من الاخرى وإذ كانت قوة قرطاجة في حزينتها فالرومان في سواعد جنودهم، حيث يقول كاسيوس بهذا الصدد: القرطاجيون أسياد البحر منذ زمن طويل، سادوا بمهارة مجذفهم والرومان بشجاعة وجرأة جنودهم" (Cassius,1845, Frg,CXLVI)، وهو الرأي الذي ظل متبنى من طرف الكتاب الرومان حتى بداية القرن الخامس الميلادي، مما يفهم من إشارة فيجيوس إلى الثراء القرطاجي الذي ساهم في إطالة فترة الحروب التي خاضتها ضد الجمهورية الرومانية ذات الصبغة الحربية حيث يقول: "منذ اللحظة التي يضع التاريخ الرومان والقرطاجيين ، ندرك أن هؤلاء سادوا إلى حد بعيد إلى جانب قواعد الحرب... كانت الموهبة الخاصة بالرومان، أما بالنسبة للثروة فليس من الغريب أن تكون جمهورية تجارية بحتة مثل قرطاجة، أكثر ثراءً من جمهورية شبه عسكرية مثل روما"(Végece,1859, Lib. I, I, 7).

على الرغم مما يذهب اليه المؤرخون من توازن النصر والهزيمة بين روما وقرطاجة، إلا أنه يمكن القول بأن الرومان لم يملكوا الإمكانيات المادية في القدم الإيطالية التي توازي ثراء قرطاجة، وكان مبدأهم في الحرب هو حق الإنتفاع من كل أرض تطؤها أقدامهم فتصبح بموجب هذا القانون خاضعة لهم، فيوفرون على خزينة الدولة تكاليف مؤونة الجيوش والتسليح

ورد لدى شيشرون عندما وصف صقلية بأنها: "Siciliam nobis non pro penaria cella, sed pro aerarioillo majorum vetere ac referto fuisse: nam sine ullo sumptu nostro, coriis, tunicis, frumentoque suppeditato, maximos exercitus nostros vestivit, aluit, armavit" (Ciceron, 1918, verum actio, II, Lib. II, II) "كانت صقلية الكنز القديم والغني لأسلافنا: تقوم بتزويدنا بجلودها وأقمصتها والحبوب، دون أن نضطر إلى تحمل أي نفقات، فقد كست أعظم جيوشنا وأطعمتها وجهزتها كذلك"

كما أن الحرب لم تكن على أراضيهم، حتى لو سلمنا بأن أغلب المعارك بحرية، إلا أن عندما انتقلت الى اليابسة، تعرضت المدن البونية في صقلية إلى التدمير سواء في العاصمة القرطاجية أو في صقلية، كما كانت الحرب تمول من خزينة حكومتها، وهو الأمر الذي يؤثر على مستوى الإنفاق كلما طالت مدة الحرب وتوقف القرطاجيون عن ممارسة أنشطتهم التجارية بسبب تدهور الأوضاع في الحوض الغربي وهو ما أدى بهم إلى خفض معدن الذهب من عملاتها، وعجزها عن دفع مستحقات جندها المأجور بعد عودته من صقلية.

خلاصة الفصل:

من خلال الإشارات البسيطة التي وردت في نصوص الرومان القدامى وتتبع الاسباب والعوامل التي أدت إلى إندلاع أول حرب بين روما ورقرطاجة، والبحث في الإمكانيات المادية والبشرية التي جهزها كل طرف من القوى، نخلص إلى عدة نتائج وهي:

- من أهم نقاط القوة التي تمتع بها القرطاجيون هي التجهيزات ومعدات القتال، التي كانت غريبة عن الرومان، مثل السفن والمعارك البحرية التي لم يعتد عليها الجيش الروماني، والكباش التي رآها لأول مرة لديهم، أما الفيل وعلى الرغم من أنهم تعرفوا عليه في نفس الفترة في حرب بيروس وهو ما جعل القرطاجيون يستغلون قوته وتم إستخدامه في الحرب، أما الرومان فلم يتمكنوا من تدريب الفيلة على القتال، ومرد ذلك إلى إعتمادهم على القوة العددية للجيوش أكثر من التجهيزات المادية الأخرى.

- من خلال المقارنة بين التعامل النقدي القرطاجي والروماني، نجد أن الرومان حديثي عهد يصك العملات من المعادن النفيسة مثل الفضة، على عكس قرطاجة التي عرفت منذ وقت متقدم العملات الذهبية والفضية والبرونزية نتيجة انفتاحها على العالم القديم، ومن جهة أخرى يتضح العجز الذي حققه مخزون الذهب والفضة في قرطاجة من خلال تخفيض وزن العملات.

– تصور شذرات الكتابات الرومانية المتبقية الحكومة القرطاجية حكومة صارمة لدرجة الطغيان لا تحترم قادتها عند إخفاقهم في تحقيق مشاريعها وتحكم عليهم بحد الموت، حيث لا يمكن قبول هذا الرأي الذي وردت فيه إشارات ضئيلة لا تدعمها الأدلة المادية أكثر قوة، بالمقابل تبرز مدى عناية الشعب الروماني ومجلس شيوخه بالقادة العسكريين، وتحفيزهم على تحقيق الإنتصارات.

– من أهم العوامل التي ساهمت في جعل آثار الحرب على الرومان أقل وطأة هي قانون حق الإنتفاع الذي يجعل من كل أرض تطأها أقدامهم مجال حيوي خاضع لإرادتهتم يطالبون سكانه بالضرائب المتنوعة، وهو أحد الحلول التي سهلت تمويل الحرب عليهم، الى جانب طموح الجنود الرومان من العامة في إحراز النصر مقابل الأسلاب والمكافاءات، أما الطبقة الأرستقراطية فمزيد من الترقيات والمناصب العسكرية المرموقة.

قائمة المراجـــــع:

I – المراجع العربية:

1 – أزهار، هاشم شيت. (5، 7، 2021). *عوامل قوة الجيش الاشوري. مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية*، مج5، ع1، الصفحات 45-72.

2- ريغي، مراد. (9 ديسمبر، 2020). *السفينة الحربية القرطاجية. المجلة الجزائرية التاريخية*، مج4، ع2، ص ص 21-35.

II- المراجع الأجنبية:

1- Alexandropoulos, J. (2002). *D'une guerre punique à l'autre : la puissance de. Vita Latina*, n° 166. pp. 2-10.

2- Alexandropoulos, J. (2007). *Les Monaies De L'Afrique Antique.* Toulouse : Presses Univesitaires Du Midi.

3- Baklouti, H. (1995). *La conception de laguerre chez les Carthaginois. Les Cahiers De Tunisie, Tome XLVIII, N° 169-170*, pp. 15-27.

4- Blin, A. (2020). Les grands capitaines D'Alexandre le Grand à Giápperrin. Paris: Perrin, un département de Place des Éditeurs.

5- Berrendonner, C. (2009). *Les raisons du plus fort : La reconstruction par l'historiographie antique des liens entre la guerre de Pyrrhus et la première guerre punique. Pallas*,79. pp. 249-266. https://doi.org/10.4000/pallas.14955

6- Burgeon, C. (2016, Decembre). *L'éléphant carthaginois dans les « Punica » de Silius Italicus :un symbole punique annonciateur de la victoire romaine.* Consulté le 03 24, 2022, sur Extrait de lectronica Classica: http://bcs.fltr.ucl.ac.be/FE/32/TM32.html.

7- Cicéro, M, T. (1823). De Républica, Lib II. Bostoniae: Everett.

8- Cicéronis. (1834). Officiis, Lib II. Paris :Firmin Didot Frères, Fils Libraires.

9- Ciceronis, M. T. (1918). Orationes: Divinatio in Q. Caecilium. In C. Verrem, Lib II. Oxonii: E. Typographeo Clarendoniano.

10- Ciprianiv, M., & Giovanni, A. (2007). *Paestum: les temples et le musée.* Firenze: Casa Editrice Bonechi.

11- Collection des Auteures Latins. (1869). Ammien Marcellin, Jornandès, Frontin, Végéce, Modestus,(Trd: M. Nisard). Paris: Firmin Didot Frères et Fils

12- Cosme, P. (2021). *L'armée romaine VIIIe s. av. J.-C. - Ve s. ap. J.-C.* Paris: Armand Colin.

13- Cassius, D. (1845). *Histoire Romain, Tom I, Frag I- C,* (Trd: E. Gros). Paris: Frmin Didot Libraire.

14- Diodore de Sicile. (1851). *Bébiliothéque Historique,Tom IV, Liv XIX- Frgm XL,* (Trd: Ferd Hoefer). Paris: Charpentier Libraire- Editeur.

15- Eutrope. (1865). *Abrégé De L'Histoire Romain, (Trd:* N. A Dubois).Paris : Garnier Freres Libraires- editeurs.

16- Commentaria in C. Iulii Solini Polyhistora, et Lucii Flori de Romanorum rebus gestis.(1757). Basileae [Basel]:Per Henrichum Petri. Cum Caesareae maiestatis gratia & priuilegio.

17- Chaliand, G., Mousset, S. (2002). L'héritage occidental. Paris:Odile Jacob.

18- Fustel de Coulanges. (1870). *Les Institutions Militaires De La République Romaine. Revue des Deux Mondes*,90, n°2. pp. 296-314.

19- Gsell, S. (1918). *Histoire Ancienne De L'Afriaue Du Nord, Tom III* . Paris: Librairie Hachette.

20- Guet, R. (2022). *Chars à faux, éléphants, cataphractes et dromadaires dans les guerres hellénistiques: approche militaire, sociale et culturelle.* Nantes: Université de Nantes UFR Histoire, Histoire de l’Art et Archéologie.

21- Inglebert, H. (2005). Le droit romain. Dans H. d. romaine, *Hervé Inglebert* (pp. 113-154). Paris: Presses Universitaires de France.

22- Jacotot, M. (2013). *Qustion D'Honneur(Les notions d'honos, honestum et honestas dans la République romaine antique).* Rome: Publications de l’École française de Rome.

23- Jean, C. (2014). *Rome et la mer Des origines à la première guerre punique* .

24- Justini. (1830). *Historiae philippicae*. Lipsiae : Apud Hartmannum.

25- Humm, M.(2018). La République romaine et son empire(De 509 av. à 31 av. J.-C.). Paris: Armand Colin.

26- Le Bohec, Y. L. (2017). *Histoire des guerres romaines (Milieu du VIIIe siècle avant J.-C. – 410 après J.-C.)*. Paris: Tallandier Éditeur .

27- Livi, T. (1829). *Ab Urbe Condita (Libri VI-X) Lib VII, IX*. Oxonii: E Typographeo Clarendoniano.

28- Livi, T. (1860). *Ab urbe condita (Lib XXI- XXX). Lib XXI, XXIII, XXIV,XXVIII, XXVIV, XXX*. Lipsiae: Ex Officina Bernhardi Tauchnitz.

29- Livi, T. (1873). *Ab urbe condita (Lib XXX-XXXVIII)*. Lipsiae: Simptibus Et Typis B.G. Teubneri.

30- Livi, T. (1877). *Ab urbe condita (Lib XXXIX-XLXV et Eptitome Lib XLVI-CXL)*. Lipsiae: Simptibus Et Typis B.G. Teubneri.

31- Livi, T. (1897). *Ab urbe condita (Lib 1- XXI-XXII)*. Boston: Allvn And Bacon.

32- Nicolet, C. (2001). *Rome et la conquête du monde méditerranéen (264-27 av. J.-C.). Tome 1: Les structures de l'Italie romaine*. Presses UniversitairesdeFrance. https://doiorg.sndl1.arn.dz/10.3917/puf.nicol.2001.01

33- Orosii, P. (1738). *Adversus paganos historiarum. Lib IV* . Lugduni Batavorum: Gerar Dumpotvliet.

34- Pédech, P. (1952). *Sur les sources de Polybe : Polybe et Philinos. Revue des Études Anciennes*, 54, n° 3-4. pp. 246-266. https://doi.org/10.3406/rea.1952.3477.

35- Polybe. (1947). *Histoire Générale, Tom I ,Liv I,(Trd: Félix Bouchot)*. Paris: Garnier.

36- Plini, S, C. (1830). *Naturalis historiae* libri XXXVII,(Lib XVI- XXVIII). Leipsig: aedibus B.G. Teubneri.

37- Plini, S, C. (1882). Naturalis historiae libri XXXVII,(Lib VII- XXII). Leipsig: aedibus B.G. Teubneri.

38- Strabon. (1805). *Géographie, (Tom. I) Liv III*. Paris: l'Imperimerie Impériale.

39- Strabon. (1867). *Géographie, Liv XVII, Trd: (Amédée Tardieu)*. Paris: Librairie Hachette.

40- Thucydide. (1852). *Histoire de la guerre du Peloponnese*. Liv VI, (Trd: Jean Violquin). Paris: Charpentier, Libbraire-Editeur .

41- Tite-Live, (1864), *Histoire Romain*, *Tom I*, *Introduction*, (Trd: M. Nisard). Paris: Frmin Didot

42- Vitruve. (1847). *De l'architecture*,(Trd: M. Ch.-L. Maufras). Paris: C. L. F. Panckoucke.

43- Zonaras. (1886). *Hisroire Romain*, (Trd: Coussin). Paris: Veuve de Damisn Faucoult Imprimeur.

II- الحرب البونية الثانية 218- 202 ق.م

ميدان لتطور الفكر العسكري والسياسي

1 – المدرسة العسكرية لحنبعل

2 – سيفاكس ومشروع الوحدة الجيوسياسية في بلاد المغرب القديم

3- ماسينيسا والوحدة النوميدية

لا يوجد موضوع أسال حبر الباحثين، وشغل الأكاديميون في تاريخ قرطاجة أكثر من الحرب البونية الثانية 218 ق.م، وشخصية حنبعل بن هميلكار برقا، الشخصية الرئيسية في هذا الصراع والتي لا يقتصر دورها على تأجيج الصراع بين قرطاجة والرومان في الأدبيات القديمة، بل تجاوزت شخصية حنبعل إلى الشخصيات الأخرى كسيفاكس وماسينيسا المحركة للمشهد السياسي والعسكري، والتي تحمل بدورها خططا ومشاريعا سيادية، ظل تأثيرها على المنطقة منذ ذاك الحين وحتى عشية الاحتلال الروماني، فمن خلال المصادر الأدبية الرومانية، سيتم تحديد تصور الرومان القدامى لمشاريع هذه الشخصيات وكيف كان حكمهم عليها ؟ بالإضافة إلى التعرف على جانب من الأفكار والمبادئ الرومانية وخطط التوسع وكيف أثرت في الفكر السياسي في الفترة المعاصرة؟

1-مدرسة حنبعل العسكرية:

1-1-البيئة السياسية والعسكرية التي نشأ فيها حنبعل: يعتبر المؤلفون الرومان حنبعل برقا المسؤول الرئيسي في الصراع بين روما وقرطاجة في أواخر القرن الثالث السابق للميلاد حيث فقدت روما استقلالها تقريبًا واقتربت من الخطر الذي كاد يؤدي لسقوطها، فيتم تقديم الحرب البونية الثانية على أنها حرب وطنية رومانية في مواجهة قرطاجة المعتدية، يُقدم حنبعل فيها تارة بكل الرذائل والصفات غير الإنسانية التي قد يحملها بشر، وتارة أخرى حنبعل بطل ملحمة عظيمة افتتحها بعبور سلسلة جبال الألب، ولم يدخر جهدا في تحقيق رغبته في استعادة مجد بلاده.

وقد أجمع المؤرخون الرومان على أن مشاعر الكراهية التي غرسها هميلكار برقا في ابنه ذو التسع سنوات هي المحرك الأساسي لاندلاع الحرب البونية الثانية، ويستذكر تيتي ليفي طفولة حنبعل التي أثقلها والده بروح الانتقام قائلا: Fama est etiam Hannibalem annorum ferme nouem, pueriliter blandientem patri Hamilcari ut duceretur in Hispaniam, cum perfecto Africo bello exercitum eo traiecturus sacrificaret, altaribus admotum tactis sacris iure iurando adactum se cum primum posset hostem fore populo Romano (Livi,1860, Lib, XXI, 1). "يُذكر أيضًا أن حنبعل وهو بالكاد في التاسعة من عمره، أثناء المداعبات الطفولية التي قدمها له والده، توسل إليه قبل أن يأخذه إلى إسبانيا، كانت الحرب في إفريقيا قد انتهت للتو بسعادة، وكان هميلكار على وشك

القيام برحلة استكشافية جديدة، قدم قربانا للآلهة ودفع ابنه إلى أسفل المذابح، وأمره أن يقسم ويده على القربان، أنه في أقرب وقت سيكون عدو روما".

كما يرى فاليريوس ماكسيموس أن حنبعل تشبّع بالكراهية ضد الرومان منذ نعومة أظافره حيث قال: "Quam uehemens deinde aduersus populum Romanum Hamilcaris odium! quattuor enim puerilis aetatis filios intuens eiusdem numeri catulos leoninos in perniciem imperii nostri alere se praedicabatr" (Maximi,1888, Lib IX, 31) " أي كراهية كان يحملها هميلكار ضد الشعب الروماني؟ قال وهو ينظر إلى أبنائه الأربعة: إنه يربي أربعة أشبال من أجل خراب الإمبراطورية الرومانية".

وهو نفسه المبرر الذي وضعه فلوروس لحرب حنبعل حيث يقول بأنه: "raptæ insulæ, dare tributa, quæ juberé consueverat, ultionem puer Annibal ad aram patri juraverat: nec morabatur. Igitur in causam belli Saguntus delecta est, vetus Hispaniæ civitas et opulenta" (Florus, 1557, Lib II, VI) "كان من المؤلم بشكل خاص لشعب لامع أن يفقد إمبراطورية البحر، وأن يتم تجريده من جزره، لذلك أقسم حنبعل وهو طفل على المذبح لأبيه أن ينتقم لبلاده، وكان ينتظر الفرصة لخلق سبب للحرب".

كما انتقلت هذه الرؤية إلى الكتاب المترومنين الأفارقة أمثال أوريليوس فيكتور (Aurelius Victor) الذي عاش في القرن الرابع للميلاد والذي أشار بدوره إلى أنه عندما كان حنبعل في التاسعة من عمره فقط جعله والده يقسم على المذابح على الكراهية الأبدية للرومان ومنذ ذلك الحين وهو جندي ورفيق لوالده، لم يغادر المعسكر أبدًا، وبعد وفاة هميلكار بحث عن ذريعة للحرب ليهاجم بها مدينة ساجونت (Sagonte) شمال مدينة فالنسيا (Valence) الإسبانية حليقة وصديقة الشعب الروماني (Victor, 1846, XLII, 1)، وإلى غاية القرن الخامس للميلاد ظل مبرر الإنتقام يلقي بظلاله لدى الكتاب المسيحببن مثل الأسقف بول أوروسيوس (Orosii, 1889, Lib. IV,14,3).

اتفق الكتاب الرومان القدامى على أن أسباب الحرب البونية الثانية هي مشاعر الانتقام من روما التي سلبت قرطاجة جزر البحر المتوسط الاستراتيجية –صقلية وسردينيا–، وجعلت الاعتداء على ساجونت ذريعة لخرق المعاهدة التي تربطها بالرومان، يدعم تيتي ليفي هذا المبرر بالسيرة الذاتية لطفولة حنبعل الذي ترعرع على كراهية الرومان، وعندما أرسلت روما السفارة التي تتمثل في أعضاء من مجلس الشيوخ إلى جانب عدد من كهنة الحرب إلى حنبعل

في اسبانيا للتفاوض بشأن الاعتداء على ساجونت، رفض التفاوض معها، فتوجهت نحو قرطاجة وتحدث خطيب الوفد الروماني بإسم " Per deos foederum arbitros ac testes senatum obtestans" "بإسم الآلهة والمحكمين وضامني المعاهدات" لكن دون جدوى لم يجد الآذان الصاغية في مجلس شيوخ قرطاجة (Livi, 1860, Lib. XXI, I, 10-20).

لكن الواقع التاريخي والسياسي يشهد على أن بعد خسارتهم في الحرب البونية الأولى لكل قواعدهم الاقتصادية في جزر البحر الأبيض المتوسط، غيّر القرطاجيون بمعية آل برقة خطتهم الاقتصادية، بالتوجه للاستثمار في الأراضي الأيبيرية، وقد حقق المشروع البرقي نموا سريعا جعل روما تراقب توسعاتهم وتحاول كبحها (Jerphagnon, 2010, PP 61-62)، أما الرومان بعد غنيمتهم لجزر غرب البحر المتوسط، استوقفتهم عدّة أزمات، غارات شعوب غالا (Gaul) شمال إيطاليا وتمكنوا من القضاء عليها ما بين (224– 222 ق.م)، وأنشأوا هناك المستعمرات اللاتينية الثلاث الهامة مودينا(Modène) وبارما(Parme) وبياتشينزا (Piaisance)، أما جنوبا فقد عانوا على ساحل البحر الأدرياتيكي من القراصنة الإيليريون. الذين تصدوا لهم ما بين (229 – 219 ق.م) وبعد الانتصار عليهم وعندما التفتوا صوب القرطاجيين في أسبانيا وجدوا نهضتهم تثير المخاوف (Nony, 1997, pp. 662-663).

دفعت روما بمعاهدة الإيبرو في 226 ق.م كأولى العراقيل التي وضعتها أمام التنامي القرطاجي، حيث تقضي المعاهدة بعدم تجاوز القرطاجيين جنوب نهر الإيبرو، ويضع دانيال نوني (Daniel Nony) مقترح ج. كاركوبينو (J. Carcopino) حول موقع نهر الإيبيرو ومدينة ساجونت (فالنسيا الحالية) جنوب نهر الأيبيرو وهو نهر جوكار (Jucar) الحالي وعندما دبّ النزاع بين قبيلة إسبانية حليفة للقرطاجيين ومدينة ساجونت، لجأ أعيان هذه الأخيرة إلى روما لتدعمهم في خلافهم ضد القرطاجيين والقبيلة الإسبانية، ولم تكن ساجونت قبل هذه الحادثة حليفة روما بمقتضى معاهدة رسمية (Carcopino,1953, p. 259).

لم يُخَيل إلى روما أن تنهض قرطاجة سريعا في وقت وجيز من ركام الهزائم التي شهدتها في الحرب البونية الأولى، في الوقت الذي كانت هي منشغلة بالأزمات التي تهدد شبه جزيرة إيطاليا، وبمجرد أن قضت على خصومها وجدت عدوتها التقليدية قد عادت إلى ريادة اقتصاد العالم القديم من جديد، وهكذا وجد الرومان في لجوء مدينة ساجونت إليهم ذريعة لإعلان الحرب عن حنبعل.

يعترف علم النفس العسكري في الفترة المعاصرة، بأن عملية توظيف الجوانب النفسية وخلق الحوافز والدافعية لدى الجنود خاصة عند الاستعداد للحروب، هي واحدة من متطلبات عملية صناعة القائد العسكري(الزغلول، 2008، ص ص 34، 96)، لكن بسبب ضياع الإرث الثقافي للإمبراطورية القرطاجية، لا يمكن التعرف على نوع التعليم الذي كان يلقن للأطفال في هذه السن، خاصة أبناء الطبقة النبيلة، مثل ما هو الحال بالنسبة لسيرة صافونبعل التي كانت مدركة للظروف والحيثيات التي تمر بها بلادها والمنطقة عموما، ولابد أن التوعية والتعليم اللذان يتلقاهمها الطفل في سن مبكرة هما اللذان يحددان موقفه وتوجهاته تجاه قضايا بلده.

وقد عمل هميلكار برقا على تنشئة ابنه تنشئة عسكرية وسياسية تليق بقائد عسكري باطلاعه على كافة الظروف السياسية والعسكرية التي عاشتها قرطاجة، وكيف يمكن تعديل الظروف مستقبلا، وأطلق عليها الكتاب القدامى بوليب وتيتي ليفي زراعة مشاعر الإنتقام في الطفل الصغير(Polybe, 1847, Liv. III, VI ; Livi,1860, Lib XXI, 21) ، وهي نفسها التربية العسكرية التي نشأ عليها أبناء القادة العسكريين من الطبقة الأرستقراطية الرومانية من عائلة سكبيو، عندما قدم بوليب إلى روما أسير حرب قام بتربية أبنائهم تربية سياسية وعسكرية مشابهة، كما رافق الإبن الذي سيلقب بالإفريقي والده في الحرب ضد حنبعل في شمال إيطاليا وفق ما ذكره ليفي: "vulnus periculumque intercursu tum primum pubescentis filii propulsatum. Hic erit iuuenis penes quem perfecti huiusce belli laus est, Africanus ob egregiam uictoriam de Hannibale Poenisque appellatus" (Livi, 1860, Lib XXI, XLVI, 7-8) ، "لكن ابنه وهو بالكاد في سن البلوغ ، يرمي بنفسه بين الأعداء، ويتفادى الخطر الذي يهدد والده، هذا البطل الشاب محجوز لإنهاء هذه الحرب واستحقاق لقب الأفريقي بانتصاره الرائع على حنبعل والقرطاجيين".

ولم يُحَرر بوليب من الأسر إلا بعد ما شاهد قرطاجة ركاما من الرماد في 146 ق.م تزامنت نهاية أَسْره ومهمته العسكرية تجاه سكيبيو بنهاية قرطاجة، كما ألف تاريخه العام من أجل القادة العسكريين للإستفادة من تجارب الحروب التي خاضتها روما ضد الشعوب المختلفة الأعراق (Texier, 2014, p. 240).

من هذه المقارنة بين طفولة القائدين، حنبعل الذي حنبعل الذي افتتح الحرب بملحمة عبور جبال الألب، وسكيبيو الذي وواجهه ووقع نهاية الحرب البونية الثانية لصالح الرومان،

يتبين الشبه الكبير بين التربية العسكرية في روما من خلال أسرة سكيبيو، وتربية آل برقة، لكن الكتاب الرومان قاموا بتلميع صورة البطل الروماني وتشويه صورة القائد البوني.

1-2-القيم الدينية والإنسانية لدى حنبعل:

تستند الحرب وفق القانون الروماني إلى الفضيلة، الشرف، والقيم الدينية، وهو ما جعل ليفي يساوى فضائل حنبعل مع رذائله، حيث يصفه بالآتي:

"Has tantas viri virtutes ingentia vitia aequabant: inhumana crudelitas, perfidia plus quam Punica, nihil veri, nihil sancti, nihil sancti, nullus deum metus, nullum jusjurandum" "كان أفضل فارس وأفضل المشاة، الأول الذي يندفع إلى المعركة والأخير من يتركها، تساوت الرذائل العظيمة مع الفضائل الرائعة: القسوة المفرطة وأكثر من ذلك الغدر البوني، لا شيء حقيقي، لا شيء مقدس بالنسبة له، لا خوف من الآلهة لا احترام للقسم، لا دين له" (Livi, 1860, Lib XX I ,4) .

كما يقوم الشاعر الفلافي بإدراج المشروع العسكري لآل برقة كمشروع ديني موجه لتدنيس المقدسات الرومانية لأنه يتم التعرض بالاعتداء على الآلهة ومبنى الكابيتول: Bellantemque "Iovem cerno" (Italici,1800, Lib I, 137)، "أرى الإله داخل المعركة".

كما كان لفكرة عبور جبال الألب، وما يعنيه الجبل من قدسية لدى الرومان كحاجز ممنوع على البشر، وقام حنبعل بانتهاك المحظورات الرومانية لدى ايطاليكوس "clausae starent mortalibus Alpes, nec, Thrasymenne" (Italici, 1800, I, 446 – 447)، " كانت جبال الألب مغلقة في وجه البشر"، لكن حنبعل يقوم بإنتهاكها، ضف الى ذلك انتهاك المعاهدات المختومة بقسم الآلهة وحضور كهنة الحرب الضامنين لكل معاهدة، بل يجعل من مهاجمة حنبعل لمدينة ساجونت إعتداء على منزل الآلهة

Urbs, habitata, diu Fidei caeloque parentem
Murorum repetens, ruit inter perfida gentis
Sidonia tela… (Italici,1800, Lib, II, 654-656)

هذه المدينة التي يسكنها الولاء لمدة طويلة
والذي يعتبر مؤسسها من الآلهة، حتى انهارت تحت أسلحة
أهل صيدا...

وفي موضع آخر يتحول الشاعر الى وصف القيم الروحية التي يتحلى بها زعيم القرطاجيين في معركة كناي، حيث يصوره في مشهد بطولي مفضلا المجد عن الثروة وطمع الغزاة وجشعهم

قائلا: "Bellandi merces sit gloria" (Italici, 1800, Lib IX, 193) "أجر الحرب هو المجد"

بينما يقدم تيتي ليفي أخلاق البونيين جميعا لا تتعارض رغبتهم في المجد مع الثروة من خلال خطاب حنبعل للجنود قبيل معركة تيسينو (Ticino):

> Si Siciliam tantum ac Sardiniam parentibus nostris ereptas nostra virtute recuperaturi essemus, satis tamen ampla pretia essent; nunc quidquid Romani tot triumphis partum congestumque possident, id omne vestrum cum ipsis dominis futurum est. In hanc tam opimam mercedem, agite dum, diis bene iuvantibus arma capite,…, tantum itineris per tot montes tluminague et tot armatas gentes emensos. Hic vobis terminum laborum fortuna dedit; hic dignam mercedem emeritis Stipendiis dabit (Livi,1860, Lib. XXI, XLVI ,6-10).
>
> لو تم استعادة صقلية وسردينيا المأخوذة من آبائنا بسيفنا، لكان ذلك ثمنًا لا ينبغي احتقاره، كل ما جمعه الرومان بالعديد من الانتصارات، كل ذلك سوف يصبح بين يديكم، يحتفظ بانتصاركم بأكثر المكافآت الرائعة التي يمكن للبشر أن يطلبوها من الآلهة،...، عليكم أن بالفوز أو الموت عند مواجهة العدو، لكن القدر الذي جعل الحرب قانونًا، اركضوا إلى هذه الفريسة الجميلة إلى السلاح أيها الجنود.

ضَمَّنَ تيتي ليفي الأوضاع التي تسبق انطلاق الحرب البونية الثانية عدة مشاهد دينية ترويجية لمشروع السلام الأوغسطي وبناء روما الجديدة، وهو الهدف الحقيقي لتدوين تاريخ الرومان لدى ليفي، فمن ناحية الرومان الذين كان دافع الحرب لديهم ضد حنبعل هو إقامة العدل والمحافظة على مبادئ الولاء بحماية حليفتهم مدينة ساجونت(Chemain, 2015, p36) ومن ناحية أخرى تصوير مشهد الكراهية، وبذرة الانتقام التي زرعها هميلكار برقا في إبنه ذو التسع سنوات ليكون العدو الدائم للرومان، وعندما تأزمت الأوضاع بين ساجونت وحنبعل لجأت هذه الأخيرة لروما، التي اعتبرت نفسها حليفة لها وداعمة السلام في إسبانيا، وتدخل مجلس الشيوخ وضامني المعاهدات وكهنة الحرب حيث إحدى مهامهم مراقبة وحماية المعاهدات بين روما وسائر الأمم، لإحياء العدل بمباركة الآلهة (Livi, 1964, Lib. XXI, I, 10-20)، والأهم من ذلك اقناع الشعب الروماني بدخول الحرب بإضفاء الصبغة القانونية والدينية الى جانب الفوائد المادية.

1-3-العبقرية العسكرية لحنبعل:

بناء على تقرير القائد العسكري في الكلية الحربية للجيش الأمريكي جيمس باركر (J. Parker) الذي يرى أن القائد القرطاجي اعتمد في الحرب ضد روما على ثلاث نقاط أساسية تتمثل أولا في هزيمة الجيوش الرومانية في الميدان، ثانيا فصل روما عن حلفائها وأخيرا غزو اللاتيوم وإحتلال روما (Parker, 2001, p. 12).

1-3-1- معارك حنبعل في شمال إيطاليا: قام ليفي بإحصاء معارك حنبعل منذ حلوله بشمال إيطاليا، في خريف 218 ق.م وحتى معركة كناي صيف 216 ق.م، كان النصر حليفه في مجملها، تُوّج بالنصر في معركة نهر تسينو(Técino) في خريف 218 ق.م منذ الوهلة الأولى لوصوله الى إيطاليا، حيث يقول ليفي: ″Scipio cum equitatu iaculatoribusque...,obuius fit Hannibali,…,Vixdum clamore sublato iaculatores,…, donec Numidae qui in cornibus erant circumuecti paulum ab tergo se ostenderunt. Is pauor perculit Romanos, uxitque pauorem consulis uolnus" (Livi,1860, Lib. XXI, XLVI). "يتقدم سكيبيو على رأس الفرسان ومجموعة من القوات الخفيفة من الرماة،...،بالكاد أُعلنت الصرخة الاولى،...،عندما ظهر النوميديون عند مؤخرة الصفوف الرومانية، هذه الحركة التي أرعبت الرومان،...، تسببت في تشتت جماعي للرماة الذين رأوا اصابة القنصل"

أما المعركة الثانية التي وقعت بين بحيرة تراسيمان(Trasimene) والجبل القريب منها، حيث استغل حنبعل عامل التضاريس ونصب كمينه هناك كما أخبر ليفي:

> Flaminius cum pridie solis occasu ad lacum pervenisset inexplorato, postero die, vixdum satis certa luce, angustiis,…, ab tergo ac super quod petierat, clausum lacu caput decepere insidiae Poenus ubi, id ac montibus et circumfusum suis copiis habuit hostem,…,eo magis,..,subita atque improvisa res fuit (Livi, 1860,lib.XXI, XXII).
>
> وصل كنتوس فلامينوس إلى البحيرة عند غروب الشمس،...، وبالكاد طلع النهار عَبَر المضيق الذي يتسع عند سهل مكشوف أين وجد عدوه في وجهه وخلفه وفوقه، لم يكتشف الكمين إلا عندما أطبق القرطاجي عليه....المفاجأة كانت غير متوقع"

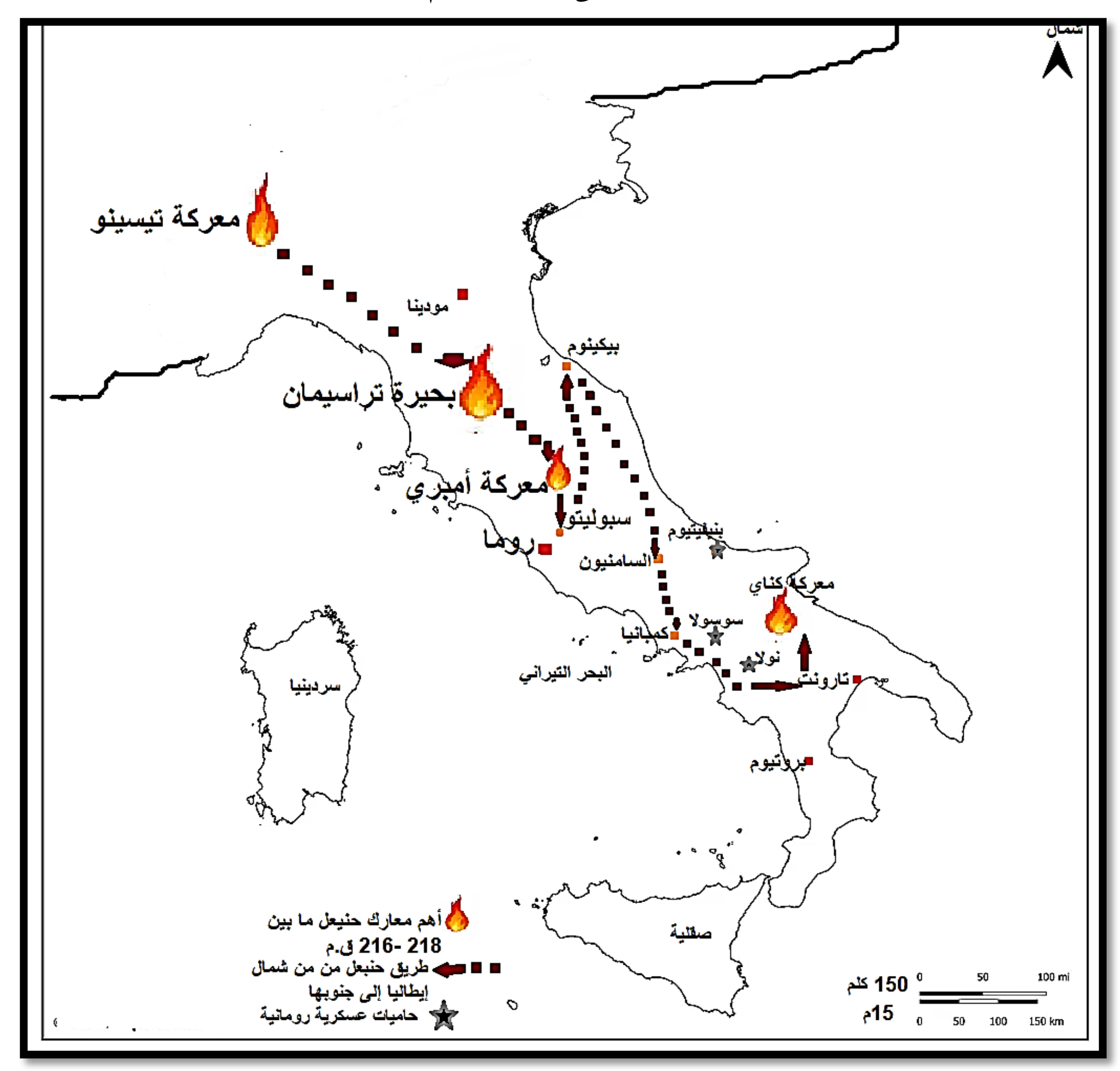
بعد تراسيمان انتصر في معركة أمبري(Embri) مخلفا مقتل أربعة آلاف فارسا رومانيا ثم توجه نحو سبوليت (Spoléte) شمال شرق روما، سببت هذه الانتصارات الذعر في أوساط

الرومان، واعتقدوا أن محطته القادمة ستكون مدينة روما ولا أمل لنجاتها، لكن القائد القرطاجي توجه نحو بيكنوم (Picenum) (Livi,1860, Lib XXII,VIII ,9, 56)(ينظر الشكل رقم1).

من أهم الإجراءات التي يتخذها حنبعل أثناء المعارك هي جعل ظهر الجنود في مواجهة الرياح والغبار بدل الوجوه، بالإضافة إلى اختيار المناطق ذات التضاريس الوعرة، مثل القرب من المستنقعات والبحيرات أو اختيار الممرات الضيقة وهو بذلك يعوض الفرق العددي في جيوشه بالمقارنة مع التعداد الروماني (Buisson & Hecht, 2020, p.18) مثل ما حدث في معركة تراسيمان حيث استغل فترة الصباح الباكر حيث لا يمكن الرؤية بوضوح عندما يعبر الجيش الروماني المضيق بين الجبل والبحيرة أين فاجأهم وتمكن من هزيمتهم.

شكل رقم01:

خريطة إيطاليا تبين مسار حنبعل من شمالها إلى جنوبها وأهم المعارك

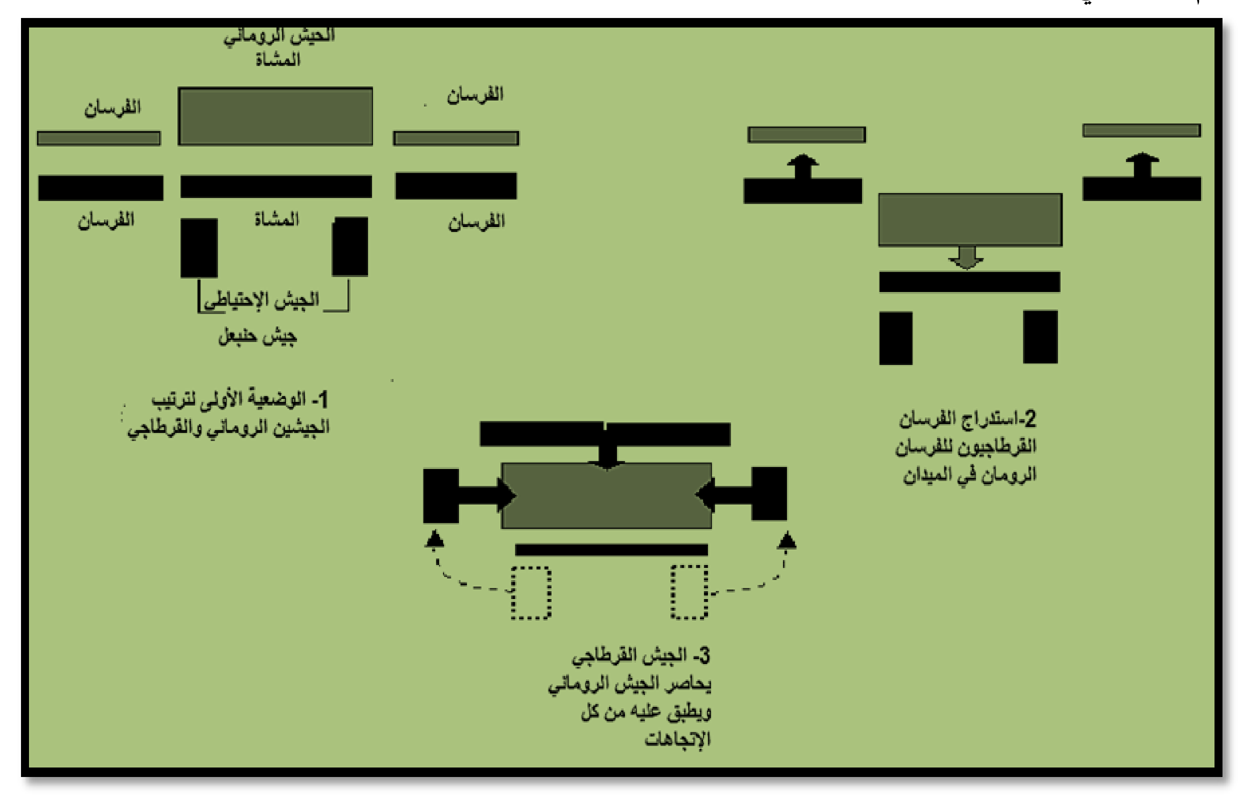


المرجع: (إنجاز الباحث)

1-3-2- إخضاع المدن الإيطالية وعزل روما: بعد المعارك الضخمة اعتمد حنبعل على نهب وحرق المدن الحليفة للرومان التي يمر عليها للحصول على المؤونة لجيوشه، فتمكن من العبور من شمال شرق إيطاليا من بيكينوم نحو بلاد السامنيين، وكمبانيا وصولا إلى جنوب إيطاليا طيلة سنة 217ق.م، وفي صيف 216 ق.م حقق أكبر انتصاراته في معركة كناي حيث كبد الرومان خسائر بشرية تقدر بمقتل 2700 فارس و45500 من المشاة من بينهم 80 عضوا من مجلس الشيوخ كما أسر حوالي 3000 من المشاة و1500 فارسا (Livi, 1860, Lib. XXII, VII- XIV).

شكل رقم 02:

رسم توضيحي لخطة الكماشة



المرجع: (إنجاز الباحث)

أطلق المحللون العسكريون اسم "خطة الكماشة" على الخطة التي استخدمها حنبعل في معركة كناي ليعوض النقص في سلاح المشاة، حيث قام بإعاقة حركة الجيش الروماني الكبير والذي كانت قدرته على الحركة بطيئة، فوضع المشاة الخفيفة في المقدمة، وفرسان غالا والإسبان في الجناح الأيسر أما الفرسان النوميديين المعروفين بسرعة حركتهم على الجناح الأيمن، وجعل في الوسط في نصف دائرة محدبة القوات المكونة من المشاة الخفيفة، وكطعم

سيقف باقي المحاربين في الاحتياط، ومنذ الإنطلاقة ينحني مركز الجيش القرطاجي تحت وطأة الجحافل الرومانية كما هو متوقع أثناء تقدمهم نحو الرومان الذين تخيلوا أن القرطاجيون يفرون وقد انتصروا عندما انقسم الفرسان القرطاجيون على جناحي الجيش الروماني، ليجد الرومان أنفسهم محاطين بالفرسان النوميديين قبل مهاجمتهم من جميع الجهات والإطباق عليهم كفكي الكماشة من كل اتجاه ثم القضاء عليهم، وهكذا تكبد الرومان خسائر بشرية كبيرة، وكان بإمكان القنصل بول إميل (Paul Emil) الفرار لكنه اختار الموت بين جنوده وتمكن القنصل الثاني فارو (Varro) من الفرار (Teegarden, 2020, pp.61-62) (ينظر الشكل رقم03)

أما على مستوى علاقة الرومان بحلفائهم الإيطاليين فقد تخلى الحلفاء عن روما كما ورد لدى ليفي:

> Quanto autem maior ea clades superioribus cladibus fuerit, vel ea res indicio est, quod fides sociojrum, quae ad eam diem firma steterat tum labare coepit, nulla profecto alia de re quam quod desperaverant de imperio, defecere autem ad Poenos hi popul: Atellani, Calatini, Hirpini, Apulorum pars, Samnites praeter Pentroe, Bruttii omnes, Lucani; praeter hos Uzentini et Graecorum omnis ferme ora, Tarentini, Metapontini, Crotonienses Locrique et Cisalpini omnes Galli (Livi, 1860, Lib. XXII, LXI, 10-12).

إن ولاء الحلفاء الذي ظل ثابتًا حتى يومنا هذا بدأ يتراجع، بالتأكيد أنها يئست من الإمبراطورية وانتقلت إلى القرطاجيين الشعوب التالية: أتيلاني، كالاتيني، وهيربيني وجزء من الأبوليانيين، والسامنيين باستثناء البنتري، وجميع البروتيين واللوكانيين بالإضافة إلى أوزنتيني وجميع الساحل الإغريقي تقريبًا، التارونتيين والميتابونتين، شعب كروتونا ولوكري، وجميع غالا القريبة (شمال ايطاليا) (ينظر الشكل رقم3).

من أسباب استسلام المدن الإيطالية لحنبعل هو الفرار من بطش الرومان بعد هزيمتهم أمام القرطاجيين مثل سكان كابوا(Polybe, 1921, Liv. VII, Frgmnt, I)، ووفقًا للمؤرخين المعاصرين فإن الإخفاقات العسكرية المتكررة لروما، وعدم قدرتها على الدفاع عن مصالح حلفائها في مواجهة الدمار الذي خلفته الحروب على أراضيهم، جعلهم ينشقون عليها بسبب عدم مقدرتها على حمايتهم، فسمح الانشقاق لحنبعل على الأقل لفترة من الوقت بالتقدم في خطته المتمثلة في عزل روما وحرمانها من إمكانات حلفائها البشرية والمادية التي تعتمد عليها في حروبها (Gharbi, 2017, p. 129).

شكل رقم03:

خريطة إيطاليا تبين الشعوب التي أخضعها حنبعل في الفترة ما بين 218-216 ق.م



المرجع: (إنجاز الباحث)

1-2-3- أسباب تعثر غزو روما: كان على حنبعل أن يستثمر هذه الانتصارات في التقدم نحو مدينة روما، مثل ما كان مخططا له قبل رحلته نحو جبال الألب، لكن بعد معركة كناي تغيرت رؤيته للمشروع، نصحه مستشاره ماهربال (Maherbal) بأن لا داعي للتأخير ويجب استثمار هذا النصر: "في غضون أربعة أيام سنكون في مبنى الكابتيول" لكن حنبعل رأى هذا التصميم جميل جدًا، لكن لا يمكن تبنيه على الفور، فأخبر ماهربعل أنه أثنى على نيته لكنه يحتاج إلى وقت لموازنة نصيحته، وردّ عليه ماهربال: "Non omnia nimirura eidem di dedere: vincere scis, Hannibal, victoria uti nescis Mora ejus diei satis creditur saluti fuisse urbi atque imperio"(Livi,1860, Lib XXII, LI). "لا عجب أن الآلهة لم تعط كل شيء لنفس الرجل، أنت تعرف كيف تغزو، حنبعل أنت لا تعرف كيف تستمتع بالنصر" يرى ليفي أن هذا التأخير كان سببا في إنقاذ مدينة روما وجنبها الغزو.

لكن ماهي الظروف التي أوقفت حنبعل عن حماسه بعد أن أصبح قريبا من روما؟

لقد حاول منذ نهاية صيف 216 ق.م، احتلال موانئ كامبانيا من خلال العمليات التي نفذها ضد نابولي (Napoli) وكوماي (Coumae) ، كما هاجم مدينة ريجيوم في الطرف الجنوبي لشبة جزيرة إيطاليا، لكنه فشل في الاستيلاء عليها، ثم في 214 ق.م حاول الاستيلاء على تارونت ولكنه ابتعد بسرعة كبيرة بسبب حامياتها العسكرية، فمن خلال كل هذه المناورات كان يهدف إلى الحفاظ على الاتصال البحري مع قرطاجة (Gharbi, 2017, p. 129).

على الرغم من كل الانتصارات العسكرية التي حققها الجنرال القرطاجي، ظل الوضع في إيطاليا غير متاح له تماما، ذلك أن عدة مدن في جنوب إيطاليا ظلت وفية لروما وقاومت المحاولات المختلفة التي وجهها حنبعل ضدهم، خاصة كامبانيا، كوماي، نولا(Nola)، ونابولي بروتيوم (Protium)، بوليا (Buglia)، كما أن الرومان عززوا مواقعهم من خلال وضع الحاميات العسكرية، ولم يكن الجيش الروماني بعيدًا أبدًا لتقديم الإغاثة للمدن التي هددها حنبعل منذ 216 م، كانت كامبانيا محمية من قبل جيشين أحدهما متمركزًا في شمال كامبانيا في سوسولا (Suessula) والثاني لحماية نولا (Nola)، وعزز بجيش ثالث في بينيفيتوم (Binivitium) في 214 ق من أجل منع جيش قرطاجة من الإتصال بلوكريا (Leceri) شمال إيطاليا (Gharbi, 2017, p. 130) (ينظر الشكل رقم01).

تفطن الرومان لنقطة ضعف الجيش القرطاجي وهي التمويل، بما أن حنبعل لم يقم بحملات إخضاع واسعة على الشعوب التي مرّ بأرضها، وتيقنوا بأن الإمدادات سوف تصله إما عن طريق الساحل الجنوبي من قرطاجة، أو من شمال إيطالي من إسبانيا عبر جبال الألب.

من بين الأسباب التي جعلت حنبعل يتمهل في قرار غزو روما، أزمة تمويل الجيوش بعد معركة كناي، على الرغم من تمكنه من إبرام معاهدات صداقة وتحالف مع فليب الخامس وملك سيراكوزا (Polybe, 1947, Liv VII, Frgm, II, III)، لكن لا فائدة من هذه المعاهدات طالما التمويلات لا تصل إليه عن طريق البحر، وهي إحدى الثغرات في خطته التي حدت إمكانيات إمداد وتمويل الحروب التي سيخوضها.

يرى ريتشارد غابرييل (Gabriel, 2008, p. 31)، أنه عندما غزا شبه جزيرة إيطاليا وضع كل اهتماماته في الجيش البري، باعتبار أن الرومان مقاتلين جريئين على اليابسة، لكن تجاهل أمر القوة البحرية والسيطرة على الممرات البحرية، التي ستكون خير عون في حالة عزله في

إيطاليا، بالإضافة إلى طيلة مسيرته الحربية لم يوفر قواعد تجنيد كبيرة لقواته المسلحة مثل ما يفعل الرومان، أينما يحل الجيش يتدبر أر المؤونة عن طريق إخضاع الشعوب قوة أو سلما أما حنبعل فلم يستطع الاعتماد على أي امدادات قادمة من إسبانيا أو قرطاجة، لأن الحكومة القرطاجية لم يكن لديها الكثير لتمنحه إياه، كما أن أساطيل روما كانت تعترض السفن المتجهة إلى الساحل الإيطالي.

اتجهت آمال حنبعل إلى إنهاء الحرب بسرعة قبل أن تتمكن روما من الاستفاقة من صدمة غزو إيطاليا وقبولها بتسوية مواتية أمام إنعزالها (Morato, 2014, pp. 76-77)، كان بإمكانه إنشاء قاعدة إمدادات في ايطاليا بإجبار الشعوب التي أخضعها أو كسب صداقتها على دفع الضرائب، لكن الجانب الإنساني في شخصيته منعه، حيث ردد ليفي عبارته الشهيرة: "Non intemecivum sibi esse cum Romanis belluni; de dignitate atque imper certare"(Livi,1860, Lib XXII, LVIII) "إنه كما يقول أنه لا يشن حربًا على الرومان حتى الموت، بل إنه يحارب من أجل شرف الإمبراطورية القرطاجية"، كان الهدف الذي يسعى إليه تقويض سلطة روما وليس القضاء على شعوب إيطاليا، لذلك لم يسمح لنفسه بقتل الشعوب ونهبها وإخضاعها بالقوة من أجل مشاريعه العسكرية، بل على العكس من ذلك راح يقدم الإغراءات المادية لحلفاء روما حتى يتخلوا عن صداقتها، مثل ما فعل مع شعبي الهيربيني والسامنيين الذين أرسلوا اليه سفرائهم يشرحون وضعهم الأعزل وفقرهم الشديد حيث لا يقوون على تحمل الخضوع فرد بأنه " "exercitum sese non in agrum Hirpinum Samnitemve, ne et ipso oneri esset, set in proxima loca sociorum populi Romani adducturum" (Livi, 1860, Lib XXIII, XLIII, 3) "لن يقود جيشه إلى أراضي الهيربيني، ولا إلى أراضي السامنيين، لئلا يصبح عبئًا عليهم؛ لكنه سيعسكر بالقرب منهم في أراضي حلفاء روما".

يرى أرنود بلان أنه عند وصول حنبعل إلى إيطاليا طبق عملية قطع أوردة القلب عن الجسد التي من خلالها يشل حركة روما ويعزلها عن حلفائها، عن طريق استخدام القوة والترهيب والإقناع لشعوب إيطاليا على التخلي عن روما والانضمام اليه، وهكذا ينتقل من الشمال إلى الجنوب دون أن يسعى أبدًا إلى استثمار روما نفسها (الشكل رقم 1)، كان هدفه إلحاق الخسائر بالخصم بحيث يضطر إلى التخلي عن القتال (Blin, 2020, p. 83).

لذلك يمكن القول أن استراتيجية حنبعل تهدف إلى إضعاف القدرة العسكرية لروما والسعي إلى تضييق توسعاتها ليس تدمير روما، كما أن القيم الإنسانية ومبادئ إعلان الحرب التي آمن بها حنبعل وقفت حاجزا أمام تقدمه العسكري في كثير من الأحيان، لم يستغل الشعوب المسالمة والضعيفة، وظل متمسكا بمبدأ إضعاف العدو ولي إبادته، فلم تكن الحرب ذات دوافع إنتقامية كما يدعي الكتاب الرومان، فقد حاز على عدة فرص تمكنه من القضاء على روما وحلفائها ولم يفعل، بل كانت ردا على تدخلات روما في اسبانيا بإضعاف قوتها واسترجاع المكانة القرطاجية في الحوض الغربي للمتوسط.

2- سيفاكس ومشروع الوحدة الجيوسياسية في بلاد المغرب القديم:

بخلاف حنبعل لا يعرف الشيء الكثير عن حياة سيفاكس قبل الحرب البونية الثانية، تشير المصادر إلى تحالفه مع الرومان بعد انتصارهم في إسبانيا على القرطاجيين في 213ق.م، وبداية البحث عن حليف في إفريقيا لنقل الحرب إلى هناك، ثم ما فتأ أن أدرك سوء عمله في 206 ق.م، ليتحول إلى المعسكر القرطاجي، منحازا إلى الروابط الجغرافية والاجتماعية على المصالح السياسية التي سينالها من الرومان.

2-1- سيفاكس يختبر العلاقات الدولية:

يتحدث ليفي عن واقع العلاقات بين سيفاكس وقرطاجة وسبب اختياره المعسكر الروماني بداية الأمر فيقول:

> odem anno P. et Cn. Cornelii, cum in Hispania res prosperae essent maltosque maltosque et veleres reciperent sodos et noros adicerent, in Afrkam quoqne spem extenderunt. Sypfax erat rex Nnmidarum, subito Cartbaginiensibus hostis factus:ad eum centuriones tres legatos miserunt, qui cum eo amicitiam socielatem que facerent et poUicerentur, si perseveraret urguere beilo Carthaginienses (Livi, 1860, Lib. XXIV, 48)

> في العام الذي حقق فيه الأخوين سكبيو نصرهما الباهر في إسبانيا،...،حملوا آمالهم إلى إفريقيا، سيفاكس ملك النوميديين أصبح فجأة عدو قرطاجة، أرسلوا إليه ثلاثة نواب لإبرام معاهدة صداقة وتحالف، ...، أجرى مباحثات مع المبعوثين حول وسائل صنع الحرب،...، التقى بالقرطاجيين في السهل وهزمهم، والرومان من جانبهم انتصروا كثيرا في إسبانيا، بسبب الأعداد الكبيرة من النوميديين.

لم تخبر المصادر الأدبية القديمة عن طبيعة الأزمة بين سيفاكس وقرطاجة سوى أن هذه الأخيرة قامت بنقل فصيل من جيوشها من إسبانيا في وطأة الحرب البونية الثانية 213 ق.م إلى بلاد المغرب القديم، وهو ما أسفر عنه تحالف سيفاكس مع الرومان، فحسب رواية أبيان فإن الرومان أرسلوا خمسة سفن إليه تحمل الهدايا ولتذكره السفارة التي على متنها بمزايا التحالف مع الرومان ووعدهم سيفاكس بذلك كما قبل الهدايا، وأرسل بالمقابل أيضا هداياه إلى مجلس الشيوخ الروماني (Appien, 1808, VI, V,29)، أما ليفي فيكتفي بالإشارة إلى إبرام معاهدة الصداقة والتحالف مع الرومان والمحادثات مع المبعوثين حول وسائل شن الحرب وتنسيق القوات الرومانية مع تلك القوات الخاصة به (Livi, 1860, Lib. XXIV, 48, 1-6).

من الأسباب التي دأب الخلاف حولها بين الممالك المغاربية هي مشكلة التوسعات على ملكيات الجوار حيث وقف القرطاجيون مع خصمه جايا (شنيتي، 1982، ص 22)، مثل ما هو الحال مع ملك الماسيل جايا الذي نشب بينه وبين القرطاجيين نزاعا في 220 ق.م حول توسعاته على الأراضي الخصبة بالقرب من مدينة باجا وما جاورها (Gsell, 1818,p.178) وقد يكون الحماس أخذ سيفاكس بادئ الأمر للتحالف مع الرومان كردة فعل على العداء الصريح بينهما، لكن بعد ذلك سيتراجع عن موقفه لصالح القرطاجيين، كما أدرك القرطاجيون مدى خسارتهم السياسية والعسكرية في التخلي عن حليف قوي يتربع على عرش مملكة غنية بالموارد البشرية والطبيعية في بلاد المغرب القديم (Polybe, 1847, Liv. XV, 3)، إلى جانب تزويد قرطاجة بالجنود والمقاتلين، فإن شساعة مملكته سواء سواحلها التي تسمح للأسطول القرطاجي من استغلال موانئها لقربها من مستوطناتها في إسبانيا أو مجالها البري الي يسمح بتجنيد الجيوش وتمويلها بالحبوب والخيول وغير ذلك من الموارد.

ظلت الأحداث التي أعادت التقارب القرطاجي الماسيسيلي مجهولة في المصادر الأدبية القديمة، عدا حادثة زواج صافونبعل ابنة أصدربعل من سيفاكس هي المسألة التي يعلق عليها معظم المؤرخون القدامى مبرر عودة العلاقات السلمية بين قرطاجة وسيفاكس.

وعندما يشير ليفي إلى الأحداث التي جاءت بعد عودة سيفاكس إلى المعسكر القرطاجي يقول:

Oedus ea tempestate regi cum Carthaginiensibus erat; quod haud gravius ei saqctias que quam vulgo barbaris, quibus ex fortuna pendet Ödes, rata fore, oratorem ad eum C. Laetium cum donis mittit,…, nullae iam erant, aniicitiam se Romanorum accipere annuit;

firmandae eius fidem nee dare nee accipere nisi cum ipso coram duce Romano, ita Laelius in id modo fide ab rege aeeepta, tutum adventum fore, ad Scipio (Livi, 1860, Lib. XXVIII, XVII,6-10).

أراد سكيبو أن يكشف مخطط سيفاكس الذي كان في ذلك الحين حليفا لقرطاجة، واعتقد أن هذا الملك لم يكن أكثر جدية،...، على غرار كل البرابرة الذين يخضع ولاؤهم لفرص الثروة، لذلك أجزل له ليليوس الهدايا، استقبل البربري الهدايا بفرح... وافق على الدخول في تحالف الرومان، لكنه قال إنه لن يعطي ولا يأخذ في الموضوع إلا في حضور سكبيو نفسه، لذلك اكتفى ليليوس بالحصول على سلوك آمن من الملك...، وعاد إلى سكبيو، لقد كان أمرًا مهمًا للغاية بالنسبة لأولئك الذين يتطلعون إلى غزو إفريقيا، أن تكون صداقة سيفاكس أقوى ملوك هذا البلد.

تراجع سيفاكس عن حلفه مع الرومان، بعد خمسة سنوات من التعاون والاحتكاك بالإمبريالية الرومانية، بعدها منح لنفسه الوقت للتفكير في المرحلة القادمة في ذروة انتصار الرومان، وهنا تظهر الحصافة الدبلوماسية لسيفاكس، ومدى تريثه ودراسته لموضوع التحالف وتحليل نتائجه وتأثيراته على مصالحه السياسية والعسكرية في المنطقة، ليس في الوقت الراهن فقط بل على المدى البعيد.

ومن جهة أخرى فهو على دراية عميقة بالتاريخ العريق بين الشعبين القرطاجي والنوميدي لا يمكن التخلي عنه، يتخلله في بعض الأحيان تصادم، لكن وشائج الصداقة والتحالف كانت تتغلب على فترات الخلاف، ووجب عليه إتخاذ القرار المناسب له ولمملكته وشعبه (غانم، 2005، ص 133).

بينما اعتبر الرومان حياد ملك نوميديا تخل وخيانة لجانبهم، وهذا يعود إلى سببين أولهما منهج الإخضاع والهيمنة الذي سلكته روما في حروبها التوسعية، إذ السفارات التي كانت ترسل من طرف الرومان للتفاوض من أجل تحقيق السلام مع خصومهم كانت عبارة عن رسل إنذار بالإخضاع بالسلم أو بالحرب أكثر منها بحثا عن السلام، ولم يتعودوا على الآراء الحيادية.

وثانيها النظرة الدونية لبلاد المغرب القديم شعبا وقيادة، ويتجلى ذلك في وصف سيفاكس بالبربري الجشع ومدى طمعه في الأموال والهدايا التي منحها له الرومان، وهو الجانب الذي يعول عليه الرومان لكسب سيفاكس، فيقع تيتي ليفي في التناقض كيف لملك قوي، تضاهي قوته امبراطورية قرطاجة العدو الموازي لروما.

يصف أرنود بلان (Arnaud Blin) فضاء البحر الأبيض المتوسط بالفضاء المفتوح بسبب عدم وجود كيان سياسي قادر على فرض السلام بالقوة، وقد لعبت روما وقرطاجة دور المحكم السياسي مع العديد من الجهات الفاعلة، الذين تنازعوا هم أنفسهم على السلطة أو المنطقة، كانت لعبة التحالفات في بدايتها بسيطة لكنها عرفت التعقيد فيما بعد ووصلت الى الانفجار أمام الأساطيل والجيوش، حيث اعتمدت روما وقرطاجة على هياكل سياسية واقتصادية متينة بما يكفي للحفاظ على السلام، وإذا لزم الأمر خوض الحروب، ومن هنا بدأت لعبة التحالفات التي تغذيها الطموحات الشخصية للقادة والزعماء (Blin, 2020, p. 91).

وهذا ما تحمله الفقرة الموالية من تاريخ ليفي عند المقارنة بين سكبيو وسيفاكس وعرض هذا الأخير السلام على الطرفين المتنازعين:

اعتذر سكبيو بأنه ليس ضد أصدربعل، وقال: "aut de re publica quicquam se cum hoste agere iniussu senatus posse" "لا عداوة شخصية يمكن أن ينهيها مؤتمر، أما شؤون الجمهورية فلا يمكنه التعامل معه دون أمر مجلس الشيوخ الروماني"، ويضيف تيتي ليفي:

> easdem venire epulas haud abnuit; cenatumque simul apud regem est et eodem etiam lecto Scipio atque Hasdrubal, quia ita cordi erat regi, accubuerunt. tanta autem inerat comitas Scipioni atque ad omnia naturalis ingeni dexteritas, ut non Syphacem modo, barbarum insuetum que morìbus Bomanis, sed hostem etiam infestissimum (Livi,1860, Lib. XXVIII, XVIII, 4-7).

لم يرغب الملك في استبعاد أحد ضيوفه من طاولته، فقد أصر أن يأخذ سكيبيو مع أصدربعل مكانه، لم يرفض الروماني ذلك. فاكلوا عند الملك وخدم سكيبيو وصدربعل نفس الحاشية حسب رغبة الملك، كانت هذه الحضارة الرائعة لسكيبيو والمرونة في تقبل جميع الأدوار، لم تغر كلماته سيفاكس البربري الأجنبي عن الحضارة الرومانية فقط، بل صدربعل نفسه، هذا العدو الذي لا هوادة فيه، ترك نفسه لسحر حديثه.

بالقدر الذي أراد ليفي أن يظهر تفوق الرومان ومدى مراوغتهم في المفاوضات مبرزا نجاح سكيبيو في التنصل من مسؤوليته تجاه الحرب بين الرومان وقرطاجة، سخر من المراسيم وآداب المجاملة الواجب احترام أطراف النزاع في الاجتماعات والاستقبالات الرسمية ككرم الضيافة والحياد قبل اتخاذ القرار النهائي الذي تعامل بهما سيفاكس مع الطرفين، على الرغم أنه حليف للقرطاجيين.

لكن الواقع التاريخي والسياسي يثبت أن سيفاكس وضع مبادئ وأسس التفاوض السلميين بمفهومها الحقيقي دون تهديد في الحوض الغربي للمتوسط، لكن الكتاب الرومان وصفوه بالخائن ولا يمكن الوثوق به، لأن الدبلوماسية الحقيقية لدى الرومان تعني المبعوث أو السفير الذي يحمل وثيقة تثبت ذلك، وهي أيضا صفة المنافق بوجهين لذلك لم يتجاوز التفاوض في العلاقات الدولية لديهم صفة التهديد بالخضوع سلما أو حربا، وكمثال على المراوغة والمماطلة يروي ليفي عندما أرسلت توسكلم (Tusculum)، جابيس (Gapis)، لابيكوم (Lapicum) لتعلم مجلس الشيوخ بأعتداء البراسيين على أراضيها، فرد مجلس الشيوخ بعدم تصديق مثل هذه المظالم، ولم يستجب لمطالبهم، وبعد أشهر من سفارة المدن الثلاثة أعلن دعمه للبراسيين في حربهم ضد الفليتارا (Velitrae) (Livi, 1829, Lib VII, 19, 6–7, 27, 5–6) ، وحتى سنة 57 ق.م ظل حضور الدبلوماسية محتشم في روما، حسب الرسالة التي أرسل بها شيشرون إلى شقيقه كلوديوس من بين ما جاء في رسالته بخصوص الدبلوماسية لدى الرومان، حيث أخبره بأنها حاضرة دائما بشكل قليل (Ciceronis,1869, Ad Quinrum, Letr. 2, 1, 3).

وقد ظل سيفاكس يتوسط من أجل السلام حتى بعدما نزل الرومان على السواحل المغاربية، حيث عرض عليهم إجلاء جيش حنبعل من إيطاليا، مقابل تراجع سكبيو عن الساحل المغاربي، لكن الأمر قوبل بالرفض من طرف الرومان، وإعتبر ليفي هذه المبادرة " تأثير من زوجته" (Livi, 1860, Lib XXX, III)

يرى المفكرون المعاصرون أن الدبلوماسية علم وفن، علم لأنها تستوجب الإلمام بشؤون العلاقات الدولية السياسية وما يسمح به قانونها ومصالحها وتقاليدها التاريخية وأحكام المعاهدات، وفن لأنها تهتم بتنظيم ومتابعة بالإضافة الى التمتع بالقدرة على تنظيم ومتابعة المفاوضات السياسية وتوجيهها توجيها ينجم عن إدراك ومعرفة واسعين في الشؤون الخارجية (قسيمية، 2021، ص 272–273).

ولم ييأس مسعاه لتحقيق السلام في حوض البحر المتوسط، حتى بعد وصول الرومان الى الساحل المغاربي، لأن كلا القوتين على قدر كبير من التوازن، مثلما فقدت قرطاجة مواقعها في إسبانيا، فقد فقدت روما حلفائها في إيطاليا على يد حنبعل، حيث يقول تيتي ليفي "أن سيفاكس ذهب بنفسه إلى المعسكر الروماني لإجراء مقابلة، في البداية كان الجنرال الروماني بالكاد

يرغب في سماع الشروط، بعد ذلك،...، أظهر نفسه أقل صعوبة، وأعطى الأمل،...، بفهم بعضهم البعض"(Livi, 1860, Lib XXX, IV).

على الرغم من أن هناك من يرى أن هذه المحاولة في الوساطة وتهدئة النزاع التي قام بها سيفاكس إنما تعكس تردده بين القوتين المتحاربتين قرطاجة وروما ومساعيه السلمية لدى الرومان يمكن ردها إلى الوضع العسكري القرطاجي الذي أصبح يؤول إلى الضعف بعد انتصار الرومان في إسبانيا وسقوط قرطاجنة (Carthagène) بأيدي الرومان سنة 209 ق.م وتمكن الرومان من اجتياح إسبانيا، كما استطاعت روما في شبه جزيرة إيطاليا من منع الإمدادات إلى حنبعل عن طريق البحر وأصبح واضحا أن انتعاش روما العسكري ستكون له عواقب وخيمة على قرطاجة (شنيتي، 1982، ص 28) وهو الرأي المستوحى من رواية ليفي عندما تم تسليم سيفاكس إلى الأسر حيث ردد بأن زوجته هي من ورطه في حرب كان النصر فيها لقوات الرومان

إلا أن مجريات الحرب الرومانية القرطاجية سواء الأولى أو الثانية، جعلت من الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط مسرحًا للصراع، دمرت هذه الحروب العديد من المدن في صقلية والفضاء القرطاجي في بلاد المغرب القديم وكذلك إسبانيا، بالإضافة إلى انخراط الكثير من الكيانات السياسية في المنطقة في سياسة الأحلاف لقد كان صراعا دوليا ليس فقط بين قطبين متنازعين، بل انخرطت دول وشعوب البحر الأبيض المتوسط، إما طواعية أو بناءً على طلب المتحاربين أو بسبب الاحتفاظ بالمصلحة الحالية أو من أجل المكاسب المستقبلية.

مثال على ذلك في الحرب البونية الأولى كان التحالف الروماني مع بطليموس ملك قورينة قبيل انطلاق الحرب، كما يعتبر اختيار الوقوف مع المامرتيين وضم هذه الفرقة من المرتزقة إلى الجناح الروماني واحد من الأحلاف التي فضلت فيه روما هذا الفصيل عن صداقة قرطاجة (Polybe, 1847, Liv. I,)، وفي الحرب البونية الثانية إزداد السباق حول التحالف بين الرومان والقرطاجيين، بداية الأمر تمكنت روما من ضم مدينة ساجونت إلى معسكرها حيث انطلقت أولى شرارة الحرب (Livi,1860, Lib. XXI,VI, 4)، كما استغلت خلاف سيفاكس ثم ماسينيسا ضد قرطاجة، وتمكن حنبعل لفترة من الزمن من فصل حلفاء روما عنها وعقد الحلف معه (Livi, 1860, Lib. XXII, LXI, 10-12) كما تمكن من ابرام معاهدة مع فيليب الخامس وملك سيراكوزا(Polybe, 1947, Liv VII, Frgm, II, III)، ومن خلال

عمليات البحث عن الأحلاف سواء من الجانب الروماني أو القرطاجي، فلا شك أن سيفاكس يدرك أنه ليس بإمكانه اختيار الحياد في ظل السباق المحموم نحو التحالف، لذلك فالتردد الذي وصف به سيفاكس يمكن أن يعتبر فرصة للتفكير والاختيار أي المعسكرين يقف إلى جانبه من أجل حماية مملكته وشعبه، ودراسة النتائج التي تعود عليه من خلال التحالف سواء الإيجابية أو السلبية.

ومن جهة أخرى فإنه عند الإشارة إلى أنواع الدبلوماسية وأقسامها من حيث الآليات والأساليب، فتنقسم إلى دبلوماسية سلم وهي الأصل في الدبلوماسية البحث عن وسائل سلمية بعيدة عن قوة السلاح لحل الأزمات والصراع، ودبلوماسية الحرب التي تستخدم السلاح للجنوح إلى السلم، أما من حيث النوع فهي متعددة الأنواع تتمثل في دبلوماسية الأزمات التي يوجه العمل لحل أزمة دولية طارئة كبديل للحرب وكمخرج للتوتر بين الدول بالإضافة إلى دبلوماسية علم النفس هدفها التعرف على الطرف المفاوض ومدى تمسكه بالنزاع المسلح ومدى التحكم وتوجيه مسارات المفاوضات (قسمية، 2021 ، ص 273).

ومن خلال معايير تصنيف الدبلوماسية يمكن التعرف على نوع الدبلوماسية التي استخدمها سيفاكس وهي بالدرجة الأولى دبلوماسية تعتمد على الأسلوب السلمي، وهي دبلوماسية حل الأزمات فقد ظل في بحث حثيث عن سبل الخروج من الصراع دون اللجوء إلى الحرب، بالإضافة إلى أنه اختبر مدى تمسك المعسكرين بالحرب وأهداف كل فريق، لذلك وقع اختياره على المعسكر القرطاجي الذي كما سبق الذكر أن الحرب تمثل حلا دفاعيا مؤقتا عن مصالحه وليست آلية للهيمنة على الشعوب.

2-2- سيفاكس يختار الدفاع عن المجال المغاربي:

من أجل حفظ التوازن السياسي والعسكري، كان على سيفاكس الإلمام بمجريات الأحداث في الحوض الغربي للبحر المتوسط ثم يتصرف بعد ذلك وفقا لواقع المعطيات المتوفرة، فاشتعال الحرب في بلاد المغرب القديم سيكون بمثابة كارثة ستضرب مستقبلها بما في ذلك مملكته كما أدرك خطر الوجود الروماني في المنطقة .

عندما قرر سيفاكس العودة إلى التحالف مع قرطاجة، لم يغفله تاريخ العلاقات بين الشعبين، أما الرومان فقد خبرهم خلال الخمس سنوات التي تحالف معهم، لا بد أن قراره في التخلي عن الرومان له ما يبرره، ورأى أن الاتجاه المحلي المغاربي هو الأكثر سلامة على

شعبه ومملكته، فقرطاجة على الرغم من القوة التي بلغتها، مبدأها في الحرب دفاعي، وإذا ما رغبت في التوسع لن تتمادى أمام الخصوم القوية، عكس الرومان الذين لن يردعهم أي شيء عن المد التوسعي الذي انتهجوه.

لو عقدت مقارنة بسيطة بين الحلف القرطاجي والمازيسيلي، وسياسة التكتل المعاصرة لوجد أن هذا الحلف أقرب إلى سياسة التكتل، حيث تمثل الكتلة عصبة دولية متجانسة في جوانب مختلفة دينيا، اجتماعيا، سياسيا وعسكريا، وبناء على هذا التجانس يكون التعاون في الميادين المشتركة بين أعضائها، فلا ينحصر التعاون في المجال العسكري فقط بل يتجاوزه إلى ميادين الثقافة والاقتصاد وغيرها، بالإضافة الى تزعم دولة من الأعضاء المنتمية الى الكتلة رئاسة هذا الإتلاف (مرغني، 2014، ص 94).

فلا يمكن تجاهل التجانس الاجتماعي والثقافي والسياسي بين القرطاجيين والنوميديين وكذلك التعاون العسكري حيث لم يخل تاريخ قرطاجة من الاستعانة بالجنود النوميديين في حروبها، أما بالنسبة لتزعم دولة التكتل على حساب الأعضاء الآخرين، فالحرب تخوضها قرطاجة وزعيمها حنبعل، أما سيفاكس فهو أحد الأعضاء الذين تعاونوا مع قرطاجة مثل فيليب الخامس وملك سيراكوزا.

باعتراف الدراسات المعاصرة أن الإغريق والرومان لم يعرفوا سوى صنف واحد من الدبلوماسية وهو التهديد بقوة الحرب مقابل السلام (قسمية، 2021، ص 272)، وعلى الرغم من مساعي وجهود سيفاكس في وضع قواعد السلام وفض النزاع بين قطبي العالم القديم في القرن الثالث قبل الميلاد في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، إلا أن هذه الجهود ظلت مهمشة ولم تبرزها الكتابات المعاصرة، فعند دراسة تاريخ الدبلوماسية ونشأتها لا تجد ذكرا لمساهمة سيفاكس في نشأتها وتطوير آلياتها.

3- ماسينسا والوحدة النوميدية:

3-1- علاقة الماسيل بقرطاجة قبيل الحرب البونية الثانية: لا يخبر الكتاب القدامى بالكثير حول الممالك المحلية قبل اقتحامها ميدان الحرب، سوى إشارة ليفي أن العلاقات بين الملك وقرطاجة لم تكن على وفاق عند اندلاع الحرب البونية الثانية، بسبب أنه " استولى والد الأمير على مقاطعة تابعة لقرطاجة"، ولم يحدد موقعها ساحليا أو داخليا، لكن عندما تحالف سيفاكس مع الرومان، تقارب القرطاجيون والملك جايا مرة أخرى حيث "أرسل القرطاجيون سفارة إلى غايا، ومنذ تحالف سيفاكس مع الرومان أصبح بمساعدة حلفائه أكثر ملوك الغرب القديم قوة، وكان من مصلحة جايا الاتحاد في أقرب وقت مع القرطاجيين قبل أن ينتقل سيفاكس إلى اسبانيا وقبل أن ينتقل الرومان الى افريقيا" (Liv, 1860, Lib, X XIV, XLIII,44-50).

ومن ناحية أخرى كان ماسينسا بن جايا شابا يغمره الحماس إلى خوض الحروب لإثبات جرأته العسكرية، حيث أعلنت شخصيته مسبقا أنه سيجعل مملكته أكثر إتساعا بسرعة هائلة مثلما أقنع والده بسهولة لإرساله على الجيش لإسبانيا، لتوحيد قواته مع قوات القرطاجيين، وقد هزم سيفاكس في معركة كبيرة قتل فيها 30 ألف رجل" (Livi, 1860, Lib, XXIV, XLIII).

3-2- ماسنيسا ينتقل من المعسكر القرطاجي للرومان:

وضع العديد من الكتاب القدامى سبب اختيار ماسينيسا المعسكر الروماني هو خيانة القرطاجيين له بعدما وعدوه بالزواج من صافونبعل لكن تيتي ليفي والذي لم يتطرق إلى هذا الموضوع[1].

ووضع المؤرخون المعاصرون سببا آخرا لهذا التقارب هو حرمانه من عرش مملكته، حيث يشير ليفي الى أحداث مملكة الماسيل عقب وفاة جايا انتقل التاج وفقًا لعرف النوميديين إلى أوزليس شقيق الملك غايا، الذي كان متقدمًا جدًا في العمر، بعد فترة وجيزة توفي هو كذلك وورث الخلافة أكبر أبنائه كابوسا الذي كان شقيقه لا يزال طفلاً العرش الأبوي، بدلاً من ذلك وبحكم قوانين البلاد، بدلاً من الاعتبار الذي يتمتع به وسلطته، كان هناك بعد ذلك أمير نوميدي يُدعى مازيتول من الدم الملكي، ولكن من عائلة كانت دائمًا عدوًا للفرع الحاكم، والتي غالبًا ما كانت تتنازع على التاج معها بنجاح متفاوت(Livi, 1860, Lib XXIX, XXIX).

Gens Maesuliorum omnis in dicionem imperiumque Mazaetulli concessit; regio tamen nomine abstinuit contentusque nomine modico

[1] -ينظر الى الباب الثاني الفصل الثاني، ص159.

tutoris puerum Lacumazen, qui stirpis regiae supererat, regem Carthaginiensem nobilem feminam, sororis flliam Hannibalis, quae proxime Oezalci regi nupta fuerat (Livi, 1860, Lib XXIX, XXIX).

خضعت أمة الماسيل لقوانين وسلطة مازيتول، لكنه لم يأخذ لقب الملك: لقد اكتفى بالاسم المتواضع للمدرس، وأعلن أن لاكوماسيس الشاب ملكًا، آخر نسل من الفرع الملكي، تزوج من نبيلة قرطاجية، ابنة أخت حنبعل وأرملة أوزاليس،...، أرسل سفراء ليجدد مع سيفاكس كرم الضيافة القديمة.

هذا يقود إلى التساؤل حول تاريخ توحيد سيفاكس لنوميديا وحرمان ماسينيسا من عرش أجداه، قبل تحالفه مع الرومان أم بعد؟

يرى أبيان أنه بسبب زحف سيفاكس على أراضي الماسيل وتحالفه مع قرطاجة وزواجه من خطيبته، تحالف ماسينيسا مع الرومان(Appien, 1808, Ibrique, XXXV) ، أما نصوص ليفي فقد حدث فيها الكثير من الاضطراب حول تاريخ بداية الاتصال بين سكيبيو والماسيل، عند إسترجاع سكيبو الأسير النوميدي ماسيفا (Massiva) حفيد الملك جايا، وهو التاريخ الذي بدأت قوة الرومان تهيمن على إسبانيا جاء اللقاء بين سكيبو وماسينيسا مباشرة بعد انتصار الرومان في إسبانيا وقبل طرد القرطاجيين نهائيا أي قبيل 209ق.م، لأن وحسب ما أشار اليه تيتي ليفي بعد انتصارات الرومان في إسبانيا:

Laetus eum Scipio uidit audiuitque cum caput rerum in omni hostium equitatu Masinissam fuisse sciret, et ipse iuuenis specimen animi prae se ferret. Fide data acceptaque profectus retro Tarraconem est. Masinissa permissu Romanorum ne sine causa traiecisse in continentem uideretur populatus proximos agros, Gades rediit (Livi , 1860, Lib XXVIII, XXXV).

تم تأجيل المفاوضات التي كانت قد بدأت في السابق مع ماسينيسا لأسباب مختلفة... عندما تظاهر بأن خيوله كانت تجنح بعيدًا عن (قادش)،...، وهكذا حصل من ماجو على إذن للعبور إلى (إسبانيا) لتدمير أقرب الأراضي(كان للقاء سكيبيو).

يحدد تاريخ وفاة جايا لدى بعض المؤرخين بعام 208 ق.م ولم يستجب سكبيو لدعوة حضور المؤتمر إلا بعد تيقنه التام من ضم ماسينيسا إلى معسكره (غانم، 2006، ص56)، إلا أن البعض الآخر يضعه في 206 ق.م وهذا لحرص الطرف الروماني على التقرب من

سيفاكس (حارش، 2014، ص 15) لكن نظرا لتداخل الأحداث بسبب تزامن الأحداث بين هزيمة القرطاجيين في إسبانيا وأحداث العرش الماسيلي في نوميديا.

يشير ليفي في معرض خطبة أحد أعضاء مجلس الشيوخ الروماني:

ostis Masinissa ante vobis quam socius fuit, nec incolumi regno cum auxiiis suis, sed extorris, expulsus, amissis omnibus copiis, cum turma equitumin castra confugit vestra. tamen eum, quia in hon in patrium solum regnum ...restituistis, sed adiecta opulentissshna Hn inter Africae reges fecistis (Livi, 1860, Lib XXXVII, LIII).

ماسينيسا قبل أن يكون حليفا لكم كان عدوكم،...، عندما إلتجأ إليكم لم يصطحب معه جيشا تابعا لمملكة، ولكنه أقبل عليكم كرجل حكم عليه بالنفي والإبعاد...فلم يكفكم أنه انتصب على مملكة آبائه،...، لقد جعلتم منه الملك الأكثر قوة بين ملوك إفريقيا"

من خلال هذه الفقرة التي تشير إلى طلب ماسينيسا تحالف الرومان بعد أحداث العرش النوميدي وليس قبل ذلك، يضع ليفي التقارب النوميدي الروماني كرد فعل على حرمانه من العرش، إلا إذا كان يريد تغيير العرف النوميدي القاضي بإعتلاء الأكبر سنا، كما يفتح هذا النص بابا للنقاش حول حقيقة ملكية ماسينيسا والسيادة النوميدية، بين من يرى ماسينيسا مجرد موظف عينه الرومان على رأس ادارة نوميديا، وبين من يراه ملكا مكتمل السيادة.

وعند الوقوف على إشارة تيتي ليفي الى طريقة الرومان في التعامل مع الشعوب الأجنبية يقول: "mos vetustus erat Romanis, cum quo nee foedere nee aequis legibus iuogeretur amicitia, non prius imperio in eum tamquam pacatum uti, quam omnia divina humanaque dedidisset, obsides ao cepti, arma adempta, praesidia urbibus imposita forent" (Livi,1860, Lib. XXVIII, XXXIV,7) "كانت عادة قديمة عند الرومان، عند التعامل مع شعب لم يتحالف معهم سواء بمعاهدات أو بعلاقات ودية، أن لا يعتبروه شعبا صاحب سيادة، قبل أن يسلم كل ما لديه من إله وإنسان، ويسلم رهائن ويستقبل حاميات في مدنه".

لا يعرف الكثير عن الرهائن الذين أخذهم سكبيو خلال الحرب البونية الثانية في إسبانيا سوى هذا الأمير النوميدي الصغير، وإذا ما أخذ كمؤشر على نوعية الرهائن التي سلمت للرومان فهي من الطبقة الأرستقراطية والعائلات الحاكمة في المجتمع القرطاجي والنوميدي على حد سواء، ظلت تقليدا ساريا لدى الرومان إلى الحرب البونية الثالثة لدى بوليب عندما

اشترط الرومان على القرطاجيين 300 رهينة من العائلات النبيلة، وكذلك وإرجاع الأمير النوميدي هو رمزية للقناة الدبلوماسية التي فتحت بين الرومان والماسيل الذين لم يكونوا علاقات سياسية وعسكرية مع الرومان حتى هذا التاريخ (Polybe, 1847, Liv XXXVI, 4-6) .

كما يذكر بوليب كيف استغل سكبيو الرهائن للضغط على ذويهم لقبول التحالف مع الرومان، فقد أحسن معاملتهم وطمأن الأطفال بقرب عودتهم إلى عائلاتهم، أما الشباب فقد حثهم على الكتابة إلى عائلاتهم بأنهم سالمون ومعافون ويتلقون أحسن معاملة ، وأن الرومان اقترحوا لإرسالهم إلى بلادهم موافقة آباؤهم على قبول صداقة روما، ثم وزع عليهم بعض الهدايا التي اختارها من الغنائم حسب الجنس والعمر والتي اعتبرها الأنسب لغاياته، فقد منح للفتيات أقراطا وأساورا وللشباب سيوفا وخناجرا (Polybe, 1847, Liv. X, XVIII, 5-6).

إذا كان موقف استعادة الشاب النوميدي من طرف سكيبيو إلى ماسينيسا له دلالات معينة في العرف الروماني، كإشعار بقبول التحالف مع ماسينيسا، أما استقبال الحامية في بلاده، فمجريات الأحداث تنبؤ بأن الرومان الأكثر رغبة في التحالف والدفع بجيوشهم نحو المغرب القديم للحرب ضد قرطاجة.

يقارن شنيتي بين نصي ليفي السالف الذكر (Livi ,1860, Lib XXXVII, LIII) ونص بوليب الذي اقتبس منه، حيث وضع هذا الأخير عبارة "إعترفتم به ملكا" بدل " جعلتم منه ملكا" التي وردت لدى ليفي ويرى أن مؤرخ روما يجهل تفاصيل ووضع نوميديا وأقسامها بين الماسيل والماسيسيل، ولم يدقق في ما هو حق لماسينيسا وما هو مكتسب بعد معركة السهول الكبرى وهزيمة سيفاكس في 203ق.م (شنيتي، 1988، ص 37).

وفقا للكتابات فإن مجلس الشيوخ الروماني اعترف بماسينيسا ملكا على عرش آبائه وأهدى له قِسما من مملكة سيفاكس، وعينه ملكا صديقا للشعب الروماني، وأهداه رداءا أرجوانيا وكوبا من الذهب وكرسيا وصولجانا من العاج، كما نال الاعتراف بشرعيته الملكية من طرف شعب الماسيل، الذي استقبله بحفاوة ونصبوه ملكا عليهم، وتمتع الملك بصداقة وتحالف الرومان كند وليس كتابع، على غرار الملوك الذين عاصرهم(Livi, 1860, Lib. XXXI, XI).

ومن جهة أخرى يكثر الجدل حول نوع الصداقة والتحالف بين ماسينيسا والجمهورية الرومانية هل سيادته على العرش النوميدي سيادة تامة أم هو مجرد موظف لدى الرومان يمتثل لأوامرهم وقوانينهم ؟

لم تتطرق المصادر الأدبية القديمة إلى طبيعة العلاقات بين روما وحلفائها بشكل صريح، لكن عند إلقاء نظرة أكثر على القانون الروماني الذي يحدد حقوق وواجبات الرومان والشعوب الأخرى في القانون الروماني الذي جمعه جيستانيوس (Justinius) في القرن السادس ميلادي جاء في أحد بنوده بناءا على تفسير القاضي الروماني بركولوس (Proculus) الذي يجعل حلفاء الرومان أحرار لكن ليس بشكل متساو معهم وتلزمهم الآداب بتبجيل سيادة روما:

> non ut intellegatur alterum non esse liberu et quemadmodum clientes nostros intellegimus liberos esse, etiam si neque authoritate neque dignitate neque ivre omnino bis pares sunt, sicet eos, qui maiestatem nostram comiter conservare debent, liberos se et intellegendum. (Digesta pandectae, Lib XLIX, Lex VII)
>
> لا يجب فهم أن الآخر ليس حرا، ومثلما يفهم عملائنا أنهم أحرار، حتى لو لم يكونوا متساوين في السلطة أو الكرامة أو الثروة، وبأدب يجب أن يحافظوا على عظمتنا بالرغم من أنهم أحرارا.

وعلى الرغم من أن بركولوس لم يعط مفهوما لطبيعة العلاقة بين الرومان وحلفائهم بشكل قانوني محظ، إلا أنه يحدد صورة الأطراف المتحالفة ويؤكد على عدم مساواتهم مع الرومان مع الإحتفاظ بحريتهم، ضف إلى ذلك الإلتزام الأخلاقي بإستشعار عظمة روما، ووفق هذه الشروط الضمنية في معاهدة التحالف فإن روما هي من تفرض سياستها وشروطها على حلفائها دون استثناء.

أما بالنسبة للملوك الذين تربطهم بمعاهدات "تحالف وصداقة" "amicitia et societas" كان القنصل يقوم بإعلان الصداقة أمام مجلس الشيوخ، كعلاقة غير محددة الشروط تفتقد إلى أي إجراء رسمي يعيق المصالح الرومانية ومن هنا تأتى أهمية هذا الأسلوب، لأنه يبنى بشكل كبير علاقات للتحالف والتزامات الصداقة، وبناء على النقوش اللاتينية فهذا المصطلح يصعب تحديد معناه بدقة، لأنه أُستخدم فى حالات كثيرة وفي مناسبات مختلفة، كما أدخلت روما تعديلات على وضع الصديق ظهر الصديق المحايد أو والصديق المحايد بشروط، كما تميز وضع الصديق عن حالة الصديق الحليف الذى له التزامات عسكرية بمساعدة روما في الحروب (الحمصانى، 2016، ص 186).

تعاني المصادر القانونية الرومانية من مشكلة الثغرات في التوثيق التي ترتبط بدورها بمتغيرين اثنين هما جمع المادة القانونية في وقت متأخر، والاختلاف الذي عرفته الكتابات

القانونية سواء الاختلاف في الفترات التاريخية التي تم الإشارة فيها الى القوانين، أو حتى نوعية القضايا التي تثيرها الكتابات وأصحابها، من المعلوم أنه من النادر المحافظة على نص القوانين باستثناء حالات قليلة تم فيها الاقتباس الكامل لنصوص القوانين مثل نصوص مجلس الشيوخ وهي ملخصات و إقتباسات مختصرة جدًا، كما يمكن إعادة تشكيل مرسوم البريتور الذي تم تدوينه بواسطة المحامي سلفيوس جوليانوس (Salvius Julianus) –في القرن الثاني للميلاد– إلى حد كبير من الاقتباسات الموجودة في قانون ثيودوسان (Code de Théodosien) أو جوستينيان(Digested de Justinian)، كما تُعرف الدساتير الإمبراطورية أحيانًا عن طريق المراسيم مثل مرسوم كاراكلا لعام 212م، أو النقوش (مرسوم الحد الأقصى لدقلديانوس لعام 301م)، رغم ما كتبه مؤلفو الفترات السابقة كالمحامين وأساتذة القانون في عصرهم، تشير التقديرات إلى أن قانون جوستينيان نقل ما يقرب من 5 ٪ من الفقه المكتوب بين 150 ق.م و250 م من كتاب تاريخ دقيق للقانون الروماني، حيث عملوا على تطوير القانون من خلال تفسير القانون المدني وزيادة الدعاية للقوانين، أما بالنسبة لقانون الشعوب الأجنبية فلا يعرف عنه الكثير سوى أنه كان يتبع القوانين المحلية للأجانب خاصة في الشرق، حيث تم أخذ التقاليد اليونانية في الاعتبار (Inglebert, 2005, 118-119,124) .

تفتقد المعطيات التاريخية للكثير من التفاصيل حول معاهدات الحلف والصداقة بين الرومان والشعوب التي ربطتها بها معاهدات بهذا الشكل، مثل ما هو الحال في تحالفها وصداقتها مع ماسينيسا، لكن من خلال بعض المعطيات التي رصدها المؤرخون المعاصرون من خلال القوانين الرومانية المكملة لقانون التحالف والصداقة، فقانون الحلف والصداقة له نطاق دولي يدخل في قانون الشعوب الأجنبية فيما يخص العلاقات مع الشعوب المستقلة والتي يتم التعامل معها على أساس المساواة والمعاملة بالمثل، فيبرز هذا القانون أنه حتى لو لم تعترف روما "بالحق في المساواة" مع الشعوب الأجنبية أو غير الخاضعة لسلطتها، بمعنى أنها تعتقد أنها تقلل من استقلال الدول الأخرى لتأخذ المكانة العليا على حساب سيادة الشعوب الأخرى لكن كتطبيق تظهره ممارسة الحقوق المتساوية في العلاقات الخارجية مع حلفائها الذين لم يتم إجبارهم على الانحناء أمام السلطة الرومانية(Chauveau,1891, p.398).

لا تتعمق المصادر الأدبية في شخصية ماسينيسا بعد اعتلاء العرش النوميدي، ولا تذكر أي شكل من أشكال الرضوخ التي تعرض لها بشكل مباشر أو غير مباشر من طرف الرومان

وعلى قلة النصوص فإن الإشارات تأتي حول ملك الماسيل متكررة الموضوع، يمكن تشترك في مقدرة ماسينيسا على ادارة شؤون الحكم وهو في سن متأخرة بسبب إعتداله في الطعام الذي سمح له بالبقاء بصحة جيدة حتى سن الشيخوخة من خلال رواية بوليب عند إنتصاره على القرطاجيين في 150 ق.م (Polybe, 1847, Liv. XXXII, Fragmnt, III)، والأخرى في الشذرات المتبقية من تاريخ ليفي (Livi, 1877, Fragmnt. XLVIII.).

أما أبيان فيذكر مسألة تقسيم العرش النوميدي بين أبنائه الثلاثة قبل وفاته بالتزامن مع زيارة سكيبو له في مرضه الأخير أثناء حصار قرطاجة 149 ق.م وقد نالت إهتمام المؤرخين المعاصرين الذين رأوا أن قرار التقسيم جاء بناء على أوامر الرومان (Appien, 1559, XI) والتي يذكرها فاليريوس ماكسيموس أيضا في إطار الإشادة بمناقب عائلة سكبيو التي بفضلها "an praecipue Masinissae régis pectus grati animi pignoribus fuerit refertum. Beneficio eirn Scipionis et persuasu regni modo liberius auctus,..., eum dividendi regni arbitrum haberent; quod is statuisset , perinde ac testamento cautum, immutabile ac sanctum obtinerent." "توسعت مملكته...واحتفظ بصيانة جميل هذا الكرم بإخلاص لم يتغير،...، كما جعله محكما في تقسيم مملكته وأن تحترم قراراته كأحكام لا تقل ثباتا ولا قدسية عن قرارات الملك" (Maximii,1888, Lib. V. II, 4).

كما يجعل المؤرخون المعاصرون من الثغرة القانونية التي تركها الرومان عند إبرام معاهدة زاما وحظر حمل السلاح على البونيين في قرطاجة وخارجها بينما لم يحددوا طبيعة العلاقة بين قرطاجة وماسنيسا، هذا ما جعل ملك الماسيل يستغل تغاضي الرومان عن تصرفاته ويستفز قرطاجة باقتطاع أقسام مهمة من ممتلكاتها دون أن تجرأ على منعه بقوة السلاح، فقد استفاد الرومان من صراعه ضد قرطاجة بإشعال فتيل الحرب مرة أخرى، وهو ما جعلهم يطلقون يده في المنطقة شرقا للإستيلاء على الممتلكات القرطاجية وغربا من خلال توسعاته على حساب أراضي فيرمينا (Vermina) دون قيد أو شرط (جوليان،2011، ص 114)

إلا أن روما التي برزت كقوة لا تعترف إلا بهيمنتها على الشعوب والدول، كيف تطلق يد حليفها وتجعله يستفيد من توسعاته في بلاد المغرب القديم، حيث ستتخلص من القوة القرطاجية لتغذي القوة النوميدية ويظل الخطر كامنا في الضفة الجنوبية للمتوسط، لكن ما لم تصرح به النصوص القديمة وفق جون ماري لاسير (Jean- Marie Lassére) أنه كان لدى روما ديون يجب دفعها لماسينيسا، الذي قدم لها أولاً المساعدة العسكرية عندما كانت تبحث عن حليف في

بلاد المغرب القديم، وثانيا لعب دورًا حاسمًا في القضاء على حليف قرطاجة سيفاكس لذلك يمكن أن يعتبر ماسينيسا أحد المهندسين الأساسيين لانتصار روما، والذي ينعكس امتنانها في بنود المعاهدة (Lassére, 2010, para. 18).

لم يكن الوضع السياسي والعسكري في روما يسمح بمواجهة ماسينيسا أو التفكير في إقصائه بعد الحرب البونية الثانية 202 ق.م، فبعد معركة زاما التفتت روما إلى القضاء على أذناب جيش البونيين أين ألب هميلكار أحد قادة حنبعل شعوب غالا ضد الرومان وهو ما استدعى تدخل الجيوش الرومانية، بالإضافة إلى الانتقام من حلفاء وداعمي حنبعل، واجهت أنتيكوس ملك سوريا كما دخلت في حرب ضد الملك فيليب أين انطلقت سلسلة الحروب المقدونية، حيث لم تكن روما مستعدة للقتال في عدة جبهات وهو ما جعلها تطلب مساعدة ملك نوميديا حسب رواية ليفي التي يروي فيها الأتي:

Africam traiciendi; peterentque ut ad id bellum mitteret auxilia Numidarum equitum. dona ampla data,...,togapurpurea et palmata tunica cum eburneo,…,equites raille Numidae, cum MM daret, accepti. ipse in navis imponendos curavit, et cum dueentis milibus modium tritici ducentis hordei in Macedoniam misit"

"عبروا إلى افريقيا وأخذوا هدايا رفيعة إلى ماسينيسا...، صولجان عاجي وكرسي ... وطلبوا منه المساعدة بالفرسان النوميديين، ...وساعدهم بألف فارس نوميدي في الحرب ضد الغال ومقدونيا و200 ألف بوشل من القمح ومثله شعير كمؤونة حرب " بالإضافة إلى الحبوب الموجهة إلى روما" (Livi,1873, Lib. XXXI, I; X; XI, 11; XIX,4).

أثرت الحرب الطويلة التي خاضتها روما ضد قرطاجة على مواردها البشرية والمادية على الرغم من إنهاء الحرب ضد قرطاجة بمعاهدة زاما 202 ق.م، لكن الجبهات الأخرى في بلاد الإغريق وغالا وسوريا إلى جانب حاجتها إلى مراقبة القرطاجيين، كانت حاجتها للمؤن والمساعدات الحربية أكثر، التي توفرت لدى ملك نوميديا وبدورها وفرت له جانبا من إطلاق اليد ضد قرطاجة مقابل تمويل حروبها، فعلى الرغم من القانون الروماني الذي يضع الحلفاء والأصدقاء في موضع أقل منزلة من الرومان إلا أن الظروف السياسية والعسكرية التي مرت بها روما خدمت ملك النوميديين وجعلته ندا للرومان.

خلاصة الفصل:

بعد دراسة المشاريع السياسية والعسكرية لملوك وقادة بلاد المغرب أثناء الحربين الثانية والثالثة من خلال المصادر الرومانية، يمكن استخلاص عدة نتائج وهي:

– على الرغم من فحوى النصوص الرومانية التي تحمل نبرة الإستعلاء عن المغاربة، إلا أن الوعي السياسي وإدراك خطورة التحالف مع عدو إمبريالي يطمح للهيمنة على العالم القديم، خطوة لها من المضار والمخاطر أكثر من الفوائد.

– تبدو ملامح الديبلوماسية المغاربية واضحة من خلال إجتماعات سيفاكس وتقريب وجهات النظر بين الفرقاء، إلى جانب التمسك بالوحدة الإقليمية وإختيارها كطرف للتحالف.

– ساهم الكتاب الرومان القدامى في زرع بذور الإحتلال وإبراز الأيدولوجيات الإستعمارية الحديثة التي لا تكاد تظهر ملاحمها قبل التوسعات الرومانية، بالإضافة الى التمييز العنصري على الأساس العرقي والجغرافي.

– تظهر جدلية الأنا والآخر التي تعتبر واحدة من الأنماط الأدبية في الرواية المعاصرة التي تعالج فكرة الصراع بين الغرب والشرق، حيث يعتبر الأدب الروماني القديم هو من مهد لهذا النمط الأدبي للظهور على ساحة الأدب المعاصر.

قائمة المراجـــع:

I – المراجع العربية:

1 – حارش، محمد الهادي.(2014). *التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء مسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول 203 –46 ق.م*. الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.

2 – الحمصانى، ناهد عبد الحليم. (2016). *مفهوم الرعاية الرومانيةPatrocinium وعلاقتها بإعلان حرية المدن اليونانية عام 196ق.م: "تبعية" clientelae أم "صداقة" amicitia . مجلة بحوث الشرق الأوسط*. ع38. ص ص 161–214.

3 – جوليان، شارل أندريه. (2011). *تاريخ إفريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647 م*، (تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة)، كاليفورنيا: مؤسسة توالات الثقافية.

4 – الزغلول، عماد عبد الرحيم. (2008). *علم النفس العسكري*. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

5 – شنيتي، محمد البشير. (1 جوان، 1988). *قضية السيادة النوميدية من خلال المصادر القديمة. مجلة الدراسات التاريخية*. مج3، ع 2. ص ص 33–41.

6– غانم، محمد الصغير. (2005). *مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم*. عين مليلة: دار الهدى للنشر والطباعة والتوزيع.

7– غانم، محمد الصغير. (2006). *المملكة النوميدية والحضارة البونية*. عين مليلة: دار الهدى للنشر.

8– قسيمية، محمد. (2021). *ظروف تطور الدبلوماسية و القواعد المنظمة لها. مجلة الدراسات والبحوث القانونية*. مج 6، ع 2. ص ص 269–282.

9– ملحم، ابراهيم أحمد. (2008). قراءة الآخر. اربد: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.

II – المراجع الأجنبية:

1 -Appien.(1808).*Des Guerres Civiles De La Repéplique Romain*,Tome III, Liv. Ibrique, (Trd: J.J. Combe-Dounous). Paris: L'Impremerie des Freres Mame.

2-Blin, A. (2020). *Les grands capitaines D'Alexandre le Grand à Giápperrin*. Paris: Perrin, un département de Place des Éditeurs.

3- Buisson, J., Hecht, E. (2020). *Les grands vaincus de l'histoire*. Paris: Edition Perrin.

4- Carcopino, J. (1953). *Le Traité D'Hasderbal et La Responsabilité de La Deuxième Guerre Punique. Revue des Etudes Ancienne*, Vol 55, n°3-4. Pp.258- 293.

5- Chemain, J.F. (2015). *L'Evolution de La Notion de "Bellum iustum" à Rome Des Origines à Saint Augustin*. Thèse de Doctorat. Faculté de Droit. Université d' Angers Nantes.

6- Cicéron.(1869). *Œuvre Completes, Tom V, Ad Quintum*, (Trd: M. Nisard). Paris: Firmin Didot Frères et Fils Libraires.
7- Commentaria in C. Iulii Solini Polyhistora, et Lucii Flori de Romanorum rebus gestis.(1757). Basileae [Basel]:Per Henrichum Petri. Cum Caesareae maiestatis gratia & priuilegio.
8- Chauveau, M.(1891). *Le Droit de Gens Dans Les Rapports De Rome Avec Les Peuples De L'Antiquité. Nouvelle revue historique de droit français et étranger*, Vol 15. Pp. 393-445.
9- Digesta vetus, seu pandectae iuris civilis.(1606). Ventiis: Apud Luncas.
Dubuisson, M. (1990). *Caton et les Ligures : l'origine d'un stéréotype. Revue Belge de philologie, et Histoire*. Vol 68, n° 1. pp. 74- 83.
10- Gabriel, R. A. (2008). *Scipio Africanus: Rome's Greatest General*. Washington: Potomac Books.
11- Gharbi, M. (2017). *Le sacriice d'Hannibal dans le lac Averne ou la « descente aux enfers » d'un général* : à propos d'un épisode de la seconde guerre punique. Guerre et religion dans le monde punique (pp. 125-). Sousse: Laboratoire de recherche Histoire des Économies et des Sociétés méditerranéennes Université de Tunis.
12- Gsell, S.(1918).*L'Histoire Ancienne De L'Afrique Du nord*, Tome III. Paris: Libraire Hachette.
13- Inglebert, H. (2005). *Le droit romain. Dans H. d. romaine, Hervé Inglebert* . pp. 113-154. Paris: Presses Universitaires de France.
14- Italici, S. (1836). *Punica I-X*. Lipsiae: In Aedibus B. G. Teubneri.
15- Jerphagnon, L. (2010). *Histoire de la Rome antique*. S. L: Libraire Arthéme Fayard Pmuriel.
16- Lassere, J.-M. (2010). *Massinissa. Encyclopédie berbère*.n° 30.pp. 4650-4661. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.493
17- Livi, T. (1860). Ab urbe condita (Lib XXI- XXX). Lib XXI, XXIII, XXIV,XXVIII, XXVIV, XXX. Lipsiae: Ex Officina Bernhardi Tauchnitz.
18- Livi, T (1877). *Ab Urbe Condita* Lib *XXXIX- XLXV*, Epitome Lib XLVI-CXI. Lipsiae: Simptilus et Typis B. G. Teubneri.
19- Livi, T. (1919). *Ab Urbe Condita, T II, Libri VI-X*. Oxonii: E Typographeo Clarendoniano .
20- Morato, J. (2014). *The Limits of Brilliance: The Role of Supply Problems in Hannibal's Failed Italian Campaign. Saber And Scroll*, pp. 73-72.
21- Maximi, V.(1888). *Factorum et dictorum memorabilium libri novem*. Lipsiae: In Aedbus. B.G. Teubneri.
22- Nony, D. (1997). *La péninsule Ibérique. Rome et la conquête du monde méditerranéen (264-27 av. J.-C.)*, Tome II. Paris: Presses Universitaires de France.

23- Orosii, P. (1738). *Adversus paganos historiarum. Lib IV* . Lugduni Batavorum: Gerar Dumpotvliet.
24- Parker, J. (2001). *Comparing Strategies of The 2D Punic War: Rome's Stragic Victory Over The Tactical/ Operational Genius, Hannibal Barca Pennsylvania:* U.S. Army War College, Carlisle Barracks.
25- Plini, S, C. (1882). *Naturalis historiae libri XXXVII,(Lib VII- XXII).* Leipsig: aedibus B.G. Teubneri.
26- Polybe. (1847). *Histoire Générale. Tom III, Liv XXXI- XXXIX*,(Trd: Filix Bouchot).Paris: Charpentier Libraire-Editeur.
27- Polybe. (1856). *Histoire Générale. Tom II, Liv V, VII*,(Trd: Dom Thuillier).Paris: Ansselin Libraire.
28- Strabon. (1888). *Géographie,Tom III Liv XVII*, (Trd: Amédée Tardieu). Paris: Librairie Hachette.
29- Texier, J-G. (2014). *192-182 avant J.-C. : regards et réflexions sur dix ans d'histoire spartiate. Dialogues d'Histoire Ancienne*,n° 11. pp. 237-296. https://doi.org/10.3917/dha.hs92.0237.
30- Teegarden, S.(2020). *Hannibal at the Gates: An Analysis of the Punic Invasion of Italy in the Third Century BCE*. A Thesis in History. Carolina: East Carolina University
31- Victor, S. A. (1846). *Origines du peuple romain*, (Trd: M. N. A). Dubois. Paris: C.L.F. Panckoucke.

III- الحرب البونية الثالثة 149- 146 ق.م ونشأة الأيدولوجية الاستعمارية

1 – مفهوم الحرب العادلة ونشأته لدى الرومان

2- مبررات الحرب البونية الثالثة

3- تدمير قرطاجة وصفته القانونية بين النصوص القديمة والمعاصرة

4 – الكتاب الرومان والصراع الحضاري بين الغرب والشرق

تعتبر الحرب البونية الثالثة (149–146 ق.م) هي المشهد الأخير الذي تسبب في نهاية قرطاجة وفنائها، لكن من ناحية أخرى فمجريات الأحداث التي ساهمت باندلاع الحرب وأثرت بنتائجها على الحوض الغربي للمتوسط، تعد مرحلة جديدة من تاريخ العلاقات الدولية في العصور القديمة حددت فيه روما أسس ومعايير العلاقات السياسية من خلال تفعيل هيمنتها على مختلف الشعوب والأعراق، وهي الأفكار والمبادئ التي ظلت تُلقي بظلالها على الساحة الدولية إلى غاية الفترة المعاصرة، لذلك أرادت هذه الدراسة التركيز على مدى تأثير تاريخ الفكر الروماني السياسي والعسكري الذي يعد واحد من أهم المصادر التي يلجأ إليها الباحثين في تكييف نظريات العلاقات الدولية، ومن خلال الوقوف على أهم القوانين التي تحكم المنظومة السياسية والعسكرية الرومانية ومدى عدالة حربها الأخيرة ضد قرطاجة، ومقارنتها بوقائع الفترة المعاصرة، إلى جانب مساهمة الأدب اللاتيني القديم في ظهور صور ومواضيع الأدب المقارن في الفترة المعاصرة.

1–القانون الروماني ومبررات الحرب البونية الثالثة 146ق.م:

1–1– مفهوم الحرب العادلة "Bellum Jistum" ونشأته في الفكر السياسي الروماني:

أول ما تم ذكر مصطلح الحرب العادلة في الكتابات الأدبية اللاتينية القديمة، ومن أوائل الكتاب الرومان الذين صاغوا مفهومها شيشرون (Cicéron)، في كتاب الواجبات (de Officiis)، (Chemain, 2015, p.37) حيث يقول: " Ac belli quidem aequitas sanctissime fetiali populi Romani iure perscripta est. Ex quo intellegi potest nullum bellum esse iustum, nisi quod aut rebus repetitis geratur aut denuntiatum ante sit et indictum"(Cécironis,1834, Lib Lib. II, XI) "حدد كاهن الحرب القانون الخاص بالشعب الروماني وكل ما يتعلق بنزاهة الحرب بعناية، لا يمكن أن تكون الحرب عادلة، ما لم يسبقها شكوى رسمية أو إدانة أو مطالبة بتعويض ممتلكات".

فلا يمكن لحرب أن تنطلق بين جبهتين إلا بتوفر مبررات حقيقية وأسباب تستدعي الحرب، ويعتبر الملك نوما (Numa)[1] هو مؤسس فريق كهنة الحرب أو وسطاء السلام الفيسيال (Fétial) الذي يتكون من عشرون كاهنا، مهمتهم التوسط والتفاوض باسم الملك،

1– نوما: الملك نوما بومبيليوس (Numa Pompelius)(715– 673ق.م) : تقول المصادر بأنه الملك الموالي الذي نصب بعد إختفاء للملك الأسطوري روميلوس، تعرف فترة حكمه بفترة السلام، يعد من أول الملوك الذين سنوا الأعراف والشرائع الدينية والقانونية، وأول من وظف الكهنة في المعابد في روما، للمزيد ينظر: (رجب سلامة عمران، د.س، ص23).

للوصول إلى حلول سلمية والتراجع عن الحرب ضد الشعوب المجاورة لروما، وأول مهمة قام بها هؤلاء الكهنة كانت المفاوضات للوصول إلى حل سلمي وتجنب أعمال العنف ضد شعب أرديا (Ardéat) بسهل اللاتيوم، ويعتبر مجمع الكهنة ذاك مجمع دبلوماسي يعمل تحت سلطة الملك، وفي عهد خليفته تولوس هوستيلوس (Tullus Hostilus)[1] أصبحت سلطة كهنة الحرب ليست فقط الوساطة الملكية بل تتعداها إلى الصيغة القانونية وإقامة الطقوس الدينية المصاحبة لإبرام إتفاقيات الحرب (Chemain, 2015, pp. 62-64).

وتعكس المكانة التي حظي بها كهنة الحرب في عهد هوستيليوس حاجة هذا الأخير للشرعية والتأييد الجماهيري من شعب روما لسياسته المعادية للشعوب المجاورة، بوجود ضمانات أخلاقية وشرعية إلى جانب الواجبات الدينية المقدسة المقنعة لخوض الحروب، على الرغم من أن ما يذهب إليه المؤرخين القدامى أن هذا الملك لم يكن من رعاة الدين في روما وحسب ما ورد لدى تيتي ليفي أن التقاليد الرومانية المتبعة عند التفكير في خوض الحرب وفي مشهد استعداد الملك نوما لإعلان الحرب على أمة الإكيكول (Equicoles) –شعب أرديا– فتح أولا باب المفاوضات بين سفارة كهنة الحرب الرومان والممثلين السياسيين للدولة الأجنبية صاحبة المشكلة مع الرومان، ثم مناقشة شؤون الحرب في مجلس الشيوخ مع إمكانية معالجة الأمور سلميا، وإرسال سفارة كهنة الحرب إلى العدو، لإخباره بفحوى القرار الروماني حول الحرب، وفي الأخير بعد موافقة مجلس الشيوخ على إعلان الحرب في حالة عدم التوصل إلى قرار ينهي الأزمة سلميا دون اللجوء إلى السلاح ، فيتم إرسال كهنة الفيسيال مرة أخرى لإبلاغ العدو بقرار إعلان الحرب (Titi Livi, 1875, Lib I, 31, 6-15).

أما دونيس الهاليكارناسي(Denys D'Halicarnasse) الذي يخبر بما سمعه حول طريقة إعلان الحرب في عهد نوما، تفيد بأن الفيسيال من واجبهم مراقبة الشعب الروماني أثناء إعلان الحرب خشية أن تكون الحرب غير عادلة ضد مدينة ما، وإذا وقع هجوم عليهم أو انتهاك للمعاهدات، فإن كهنة الحرب أو وسطاء السلام –كما يصفهم– يكونون بمثابة السفراء بادئ الأمر يطالبون بالعدالة الرسمية، وفي حالة رفض مطالبهم يعلنون الحرب عليهم، وفي حالة شكوى حلفاء روما فإنهم يقررون ما إذا كان هؤلاء الحلفاء قد عانوا من الأذى فعلا؛ وإذا

---

1 – تولوس هوستيليوس (672–641 ق.م): خليفة الملك نوما، عرف بتعطشه للحروب والحياة العسكرية على عكس سلفه، للمزيد ينظر: (رجب سلامة عمران، د.س، ص ص23–24).

كان لشكواهم مبررا حقيقيا وصادقا، يعملون على القبض على المتهم وتسليمه إلى الحلفاء المتضررين، ومن وظائفهم كذلك التحقيق في الجرائم التي ترتكب ضد سفراء الدول المتنازعة مع الرومان، والعمل على احترام المعاهدات دينيا وسياسيا، وتحقيق السلام وفقًا لقواعد القوانين المقدسة، كما يقومون بالتحقيق في تجاوزات الجنرالات والقادة بقدر ما ينتهكون القسم والمعاهدات(Denys de Halicarnasse, 1723, Liv. II, XIX, 1-3).

وقد حافظ الرومان على هذا التقليد حسب ما يفهم من عبارة ليفي عندما أرسلت روما سفارتها إلى قرطاجة قبيل إندلاع الحرب البونية الثانية "Per deos foederum arbitros ac testes senatum obtestans" بإسم الآلهة والمحكمين وضامني المعاهدات لكن دون جدوى" (Livi,1860, Lib. XXI, IX, 1-10)، وما يفهم من نص ليفي حول خطاب سفارة القرطاجيين أمام مجلس الشيوخ الروماني حول موضوع استيلاء ماسينيسا على الأمبوريا بالقوة عندما أرسلوا نوابهم إلى مجلس الشيوخ الروماني يتمنون أن ينظر في حقوقهم على قدم المساواة مع حلفاء الرومان أو يسمحون لهم بصد حرب غير عادلة بحرب عادلة ومقدسة"(Livi, 1877, Lib. XLII, XXIII,6).

كما أن هذا التقليد ظل سائدا حتى أواخر عهد الإمبراطورية، يذكر أميان مارسلين (Ammien Marcellin) في القرن الرابع للميلاد، عندما اندلعت الحرب بين الرومان والفرس حيث يقول: " عند الإشارة المعروفة لرمي الرمح الدموي الذي يلقي في الهواء من قبل غرومباتس (Grumbates)[1] الذي يؤدي في حال الحرب دور الفيسيال، وفقًا لتقاليد بلده وعاداتنا" (Marcellin, 1849, Liv XIX, II) ، ومنه فإن دور كهنة الحرب يظل ساريا حتى عند اندلاع الحرب حسب رواية أميان مارسلين بل الكاهن هو من يعطي إشارة الإنطلاق للجيش كما ظل حتى العصور المتأخرة هذا التقليد ساريا، كما يمكن أن يكون كاهن الحرب هو نفسه القائد السياسي أو الملك حاكم القبيلة أو البلاد.

في المرحلة الملكية حيث يرتبط الدين بالأنظمة العرفية، كان دور وسطاء السلام دورا دبلوماسيا بارزا ومهما بين الملك والشعوب المعادية، ودورا دينيا بإقامة الطقوس حتى تصبح

1 – غرومباتس: المعلومات حول غرومباتس نادرة، أول ما تم الإشارة إليه في نصوص أميان مارسلين، كخصم للرومان، لا يعرف على وجه الدقة المعنى الإصطلاحي للكلمة، هل هي تسمية لملك، أو صفة لزعيم قبيلة ما أو قائد جيوش في خيونتا (Chionite) ببلاد فارس، للمزيد ينظر:(Ammien Marcelin, 1849, Liv XIX, II).

الحرب عادلة، وفي العصر الجمهوري لم يتجاوز دور وسطاء السلام أو كهنة الحرب دور السلطة التنفيذية، والقرار الأول والأخير كان بيد مجلس الشيوخ، ولم يكن لهم دور أو تأثير سياسي في مجرى الأحداث السياسية والعسكرية في روما، حيث تضاءل دور وسطاء السلام بعد تبلور القانون بشكل واضح، وظهور الفقهاء والمشرعين أو على الأقل قل ذكرهم في النصوص القديمة (Auliard, 1992, PP 10-11).

عندما احتل القانون مكانة هامة في الفكر السياسي والعسكري الروماني، ظل الرومان يتمسكون بالتقاليد الدينية القديمة على الرغم من حضور كهنة الحرب في السفارات التي تسبق إعلانها الحرب لإضفاء الشرعية الدينية على أعمال الحرب مهما كانت أسبابها ومبرراتها، ولإقناع العامة بضرورة الحرب ومدى قداستها.

لقد سعت التقاليد الرومانية منذ العصور الأولى إلى إعطاء صيغة قانونية للحرب من خلال تطوير مبدأ الحرب العادلة، ومن أجل ذلك سعت إلى جعل القوة والقانون متوافقين بوضع الأول في خدمة الثاني، أو عن طريق الحد من الأول من قبل الأخير، لذلك كان يُنظر إلى الحرب على أنها رد عادل على العدوان غير المبرر وبشكل أعم على أنها وسيلة لمتابعة حق منتهك أو عقوبة عن عمل عدائي، وبالتالي فإن الحرب العادلة تتمحور حول أربع مبادئ الدفاع واستعادة الممتلكات والسعي وراء الحقوق، والردع والعقاب (Kolb, 1997, p.594) .

1-2- مبررات الحرب البونية الثالثة 146ق.م:

وفقا لليفي فقد التزمت قرطاجة بمعاهدة زاما (Zama)[1] التي فرضت عليها من طرف الرومان بعد هزيمتها في الحرب البونية الثانية 202 ق.م حيث يقول: " Carthaginienses eo anno argentum in stipendium impositum primum Romam advexerunt" "أحضر القرطاجيون أول مبلغ من الضريبة المفروضة عليهم،...،وسألوا مجلس الشيوخ عن إعادة الرهائن فأعادوا إليهم مئة رهينة"(Livi, 1860, Lib. XXXII, 2, 1-5)، كما أرسلوا إلى

1-معاهدة زاما: تنص معاهدة زاما على أن يسلم القرطاجيون كل سفنهم الحربية باستثناء عشرة ثلاثية المحاديف وجميع فيلتهم، ولا يمكنهم امتلاك أخرى، كما منعتهم من خوض الحرب في بلاد المغرب وخارجها إلا بإذن روما، كما تزود قرطاجة الرومان بالمؤونة ويدفعون طيلة خمسين سنة ضريبة تقدر بـ عشرة آلاف تالنت فضية تقسم على أقساط متساوية، للمزيد ينظر: (Polybe, 1847, Liv.I, 62)

روما مليون بوشل من القمح وخمسمائة ألف بوشل من الشعير وقد وصف تصرف القرطاجيين هذا بواجبات الحلفاء المخلصين والامتنان(Livi, 1877, Lib. XLIII,VI, 11-12).

وقد عملت كل ما بوسعها لإرساء قواعد السلام بينها وبين الرومان إلا أن صفو هذه العلاقة لم يدم طويلا، حيث بدأت تظهر بوادر النزاع بين القرطاجيين وماسينيسا، بسبب توسعاته على حساب الأراضي القرطاجية، حيث يصف بوليب رغبة هذا الأخير في ضم المدن الواقعة على شريط منطقة السرت الصغير بالرغبة الجامحة ولم تتمكن قرطاجة المقيدة بمعاهدة السلام مع الرومان من مقاومته، وما كان منها إلا رفع شكواها إلى مجلس الشيوخ الروماني عدة مرات، للتدخل في خصومتها مع ماسينيسا(Polybe,1847, Liv. XXXII, II).

كما يذكر ليفي أن القرطاجيين في بداية الأزمة بينهم وبين ماسينيسا طلبوا من مجلس الشيوخ الروماني الآتي:

> missos esse se, qui orarent senatum, ut trium harum rerum unam ab se impetrari sinerent: ut vel ex aequo mter regem socium populumque Carthaginiensem quid cuiusque esset, disceptarent; vel pemiitterent Carthaginiensibus, ut adversus iniusta arma pio iustoque se tutarentur bello(Livi, 1877, Lib. XLII, XXIII,6).

قد أرسلوا لمطالبة مجلس الشيوخ بالسماح بالحصول على أحد هذه الأشياء: أن تبحث المسالة على قدم المساواة مع الملك والشعب القرطاجي وما يجب أن يكون كل على كل منهما، أو يسمحون لهم بحماية أنفسهم من الحرب الظالمة بحرب تقية وعادلة.

ثم في الشذرات المتبقية من تاريخه يقول بأن خلال مضي اللجنة نحو قرطاجة وجدوها تجمع معدات الحرب والبحرية إستعدادا للحرب:

> legati ad disceptandum inter Carthaginienses et Masinissam missi nuntiaverunt vim navalis materiae se Carthagine deprehendisse. aliquot praetores a provinciis avaritiae nomine accusati damnati sun

أرسل النواب للحكم على الخلاف الذي نشأ بين ماسينيسا والقرطاجيين، أفادوا أنهم وجدوا في قرطاجة أكوامًا من مواد الإنشاءات البحرية، تم إدانتهم من طرف البريتور بارتكاب تجاوزات (Livi, 1877, Prioch, XLVII, 10).

جاء تاريخ ليفي في سياق الانتقال من الحكم الجمهوري إلى الإمبراطوري، وبالتالي فإن هذه التلميحات إلى الحرب العادلة هي بلا شك جزءًا من المنهج الأيديولوجي الذي يحاول المؤرخ عرضه في إطار مشروع إصلاحات أوكتافيوس، يهدف إلى تعريف الرومان بأنهم

مدينين بانتصاراتهم وبناء إمبراطوريتهم لمنظومة من المعتقدات والسلوكيات التي من الأفضل أن يعيدوا اكتشافها حيث الهيمنة الطبيعية لروما ترتبط بالتفوق الأخلاقي واليقين بأن الإمبراطورية تأسست على التزام الجميع بالقيم الرومانية، التأكيد على أن الهدف من الحرب هو السلام وأن السلام هو الهيمنة الرومانية (Chemain,2015,p.36).

وقد تظاهرت روما بإرسال لجان شكلية في الفترة ما بين (157– 155 ق.م) لتبحث في موضوع اختراق ماسينيسا للأراضي القرطاجية لكن دون الخروج بحلول تذكر، حيث يصف بوليب هذا التصرف بالسلوك المفيد للجمهورية، أن تعد الشعوب المحظورة من حرب حلفاء الرومان بإيجاد حلول للمشكلة بينما تعمل على إلهائه عن الاستعداد للحرب أو اتخاذ أي إجراء من شأنه رد المظالم (Polybe,1847, Liv XXXII, II).

ويشير ليفي إلى نتائج لجنة التحقيق التي أرسلت إلى قرطاجة فيقول:

cum legati ex Africa cum oratoribus Carthaginiensium et Gulussa, Masinissae filio, redissent dicerentque et exercitum se et classem Carthagine deprehendisse, perrogari sententias placuit. Catone et aliis principibus senatus suadentibus,ut in Africam confestim transportaretur exercitus, quoniam Cornelius Nasica dicebat nondum sibi iustam causam belli videri, placuit, ut bello abstinerent(Livi, 1877, Proich, XLVIII, 4).

عندما عاد المبعوثون من إفريقيا مع المرافعين القرطاجيين وجلوسا ابن ماسينيسا قالوا أنهم حجزوا الجيش والأسطول في قرطاجة تقرر تمديد الأحكام، عندما حث كاتو وأمراء مجلس الشيوخ الآخرون على ضرورة نقل الجيش فورا إلى إفريقيا، حيث إلا أن كورنيليوس ناسيكا لم ير بعد سببًا عادلًا للحرب، فقد قرر الامتناع عن خوض الحرب.

ثم يضيف بأن بعد الجدل حول الحرب ضد قرطاجة قد "Catonis sententia devicit, ut in decreto perstaretur, et ut consules quam primum ad bellum proficisce rentur. qui ubi in Africam transierunt, acceptis quos imperaverant trecentis obsidibus, et armis omnibusque instrumentis bellicis, si qua Car"(Livi, 1877, Proh, XLIX) "ساد رأي كاتو بأن القرار يجب أن يستمر وأن القناصل يجب أن يشرعوا في أقرب وقت ممكن في الحرب والعبور إلى إفريقيا، والقبض على ثلاثمائة رهينة، والأسلحة وجميع أدوات الحرب إن وجدت"

أما بالنسبة لفلوروس فيذهب الى القول بأن سبب اعلان روما الحرب ضد قرطاجة هو:
"hujus causa belli, quod contra fœderis legem adversus Numidas quidem semel parasset classem et exercitum, frequens autem Massinissæ fines territabat. Sed huic bono socioque regi favebatur. Quum bellum sederet, de belli fine tractatum est (Florus,1557, Lib II, XV) " هو التحدي لقانون المعاهدة، أُعِدَّ بالفعل أسطولًا وجيشًا ضد النوميديين، وكثيراً ما كان ماسينيسا يتوغل في حدودهم، لكن فُضِلَ هذا الملك الصالح والحليف بالكاد تم حل الحرب وكان النصر قد حسم مقدمًا".

وقد وجد الرومان ذريعة قوية لإعلان الحرب على قرطاجة، بسبب التصادم العسكري بين ماسينيسا والقرطاجيين في حدود 150 ق.م تقريبا عندما تم طرد شخصيات سياسية من قرطاجة فلجأت إلى ملك نوميديا، حيث انقسم مجلس الشيوخ القرطاجي إلى ثلاثة أحزاب مؤيدو الوضع الراهن مع روما الذين سيطروا على المناقشات عند ابرام معاهدة زاما، ومؤيدو وضع اتفاقية سياسية مع المملكة النوميدية، وأخيراً الحزب القومي المؤيد لسياسة أقل تصالحية مع الرومان وماسينيسا، ثم تم طرد الحزب النوميدي من المدينة الذي لجأ إلى ماسينيسا، وقد أدى فشل سفارته بقيادة أبناء الملك النوميدي غولوسا (Glussa) وميكبسا إلى قرطاجة إلى المواجهة العسكرية وإلى تعجيل الحرب (Melliti, 2016, p.454).

لكن السبب الحقيقي الذي أعلنه بلوتارك أنه عندما أرسلت روما كاتو الكبير (Cato) للتحقيق في النزاع بين القرطاجيين وماسينيسا، وعندما قدم هذا الأخير إلى قرطاجة ورأى إزدهارها ونموها في كافة مجالات الحياة، كأنها لم تعان ويلات الهزائم ومعاهدات الإسترقاق في زاما، أصر على مجلس الشيوخ الروماني بضرورة تدميرها، لأن روما ستبقى دوما عرضة لمخاطرها، وكان في كل مناسبة يردد على مسامع مجلس السيوخ الروماني "يجب تدمير قرطاجة"(Plutarque, 1829, Cato, XL, XLI).

فيما يشير ليفي إلى شرط الرومان الوحيد على القرطاجيين "si Carthaginieuses classem exussissent et exercitum dimisissent; si minus, proximi consules de bello Punico referrent" (Livi, 1877, XLVIII)، " إذ لم يحل البونيون جيشهم ويحرقون أسطولهم فلينتظروا اعلان القناصل الحرب ضدهم"، في حين يقول بوليب أن الرومان استغلوا ميل قرطاجة إلى السلم ومبرره بسبب خوفها وعدم يقينها من النصر عليهم، وهو ما دفع بروما

إلى الإشتراط على القرطاجيين شروطا قاسية لتكف يدها عنهم، مثل تسليم أسلحة الدفاع والهجوم، تسليم حوالي ثلاثمئة رهينة، وآخر شرط مُهين كان الخروج من مدينتهم والإستقرار في واحدة أخرى تبعد عن البحر بثلاث مراحل(15 كلم)(Polybe,1847 Liv. XXXVI,4-6) كما أشار فلوروس أيضا بشأن تغيير موقع المدينة "Medium senatus elegit, ut urbs tantum loco moveretur" (Florus, 1757, Lib II, XV) "إختار مجلس الشيوخ نقل المدينة إلى مكان آخر".

وأمام هذا الإذلال عزم القرطاجيون على المواجهة العسكرية، لكن وعلى الرغم من ذلك ظلت مساعي القرطاجيين للصلح قائمة حتى بعد الحصار الذي فرض على المدينة في 149 ق.م، يذكر بوليب قدوم أصدربعل إلى سكيبيو من أجل التباحث في عملية الصلح، إلا أن القائد الروماني أشار على الجنرال القرطاجي بقبول استسلامه رفقة عائلته وعشر شخصيات بونية يختارهم بنفسه إلى جانب مئة من عبيده، لكن أصدربعل رفض الاستسلام مفضلا الحرب والموت بكرامة (Polybe, 1847, Liv XXXVI, 4-6, Liv XXXIX, 2)

على الأرجح أن شرط الخروج من مدينة قرطاجة، وتأسيس مدينة مدينة داخلية بعيدا عن البحر، إما لاستفزاز القرطاجيين ودفعهم إلى الحرب، لأن الدبلوماسية القرطاجية التي خلقت من الفكر التجاري الفينيقي ظلت متمسكة بالصلح والسلم لآخر لحظات الحصار، أو لعزلهم عن دورهم الاقتصادي في حوضي المتوسط، وإبعادهم عن التفاعلات الحضارية التي كان التأثير البوني واضحا في كل أنحاء المتوسط تقريبا، حيث أن المدينة الجديدة ستنشأ وفق المنهج السياسي والاقتصادي والثقافي الروماني.

عند مقارنة مفهوم الحرب العادلة ومبادئها في المنظومة القانونية الرومانية الذي يفرض على من يعلن الحرب وجود مبررات قوية ووجيهة كخرق معاهدات، اعتداء أو نهب صريح للممتلكات، والموقف السياسي الذي اتخذته روما اتجاه القرطاجيين بغض طرفها على تجاوزات حليفها ماسينيسا التي أثارت حفيظة القرطاجيين من جهة، ومن جهة أخرى تماطلها في إرسال سفراء للتحقيق في قضيتهم والنظر في عدالتها، وقد عبر بوليب عن هذا الإجراء قائلا: "كان للقرطاجيين موضعا لدى روما، وهذا ليس لأنها عادلة بل لأنه سلوك يخدم للجمهورية"(Polybe, 1847, Liv XXXI, 2)، فإن مبدأ العدالة الذي ترفع شعاره روما مجرد ستار اختلقه مجلس الشيوخ من أجل اقناع بعض الشخصيات المعتدلة من أشراف المدينة

وطبقة العامة التي تقع تكلفة الحروب على عاتقها، وعندما تكون المبررات رفع المظالم باسم الآلهة والهدف منها إعلاء راية الفضيلة والعدالة سيوافق ويقتنع دون شك أولئك الذين يرفضون الحرب.

إن إعادة تسليح المدينة البونية وما صاحبه من نمو للاقتصاد القرطاجي في الربع الأول من القرن الثاني والذي شهدته الحفريات التي أجريت في موقع المدينة، والتي أكدت أيضًا على اندماجها التام في الشبكات التجارية للعالم الهلنستي، الأمر الذي سيجعلها تشكل على المدى القصير تهديدًا محتملاً للوضع السياسي الراهن الذي ساد بعد هزيمتها في 202 ق.م على نطاق الحوض الغربي للمتوسط، كما أن روما التي وجدت نفسها منذ إنتصارها على أنتيكوس الثالث في سوريا (192–188 ق.م) وإنهائها لحرب مقدونيا الأولى (200–197ق.م) قوة وحيدة متفرغة ومهيمنة على شعوب العالم القديم، ونهوض قرطاجة سيسبب لها عائق من جديد (Brisson,2019, para1-2).

فتصميم الرومان على الحرب ضد قرطاجة الخصم والمنافس رقم واحد كان من أهم المشاريع التي أولتها روما اهتمامها بعد تمكنها من القضاء على خصومها الثانويين في بلاد الإغريق وسوريا.

2–الحرب البونية الثالثة مصدر لدراسة العلاقات الدولية من المنظور العرقي والأيدولوجي:

2–1– تدمير قرطاجة وصفته القانونية بين النصوص القديمة والمعاصرة:

بالنسبة لمصير قرطاجة البائس الذي جعل الرومان يسلمونها للنيران، بعد حصارها حوالي الثلاث سنوات، لم يختلف المؤرخون القدامى حول المتسبب في فكرة تدميرها، فبلوتارك يرى أن إلحاح كاتو الكبير والتحريض المتواصل لمجلس الشيوخ الروماني على القضاء النهائي على مدينة قرطاجة (Plutarque, 1829, Cato, XL, XLI)، وهو رأي بليني الكبير أيضا عند إشارته إلى التين الإفريقي ودهشته من عنف كاتو تجاه مدينة قرطاجة وهو الذي "Namque perniciali odio Carthaginis Qagrans, nepotumque securitatis anxius, qnum elamaret omni senatu Carthaginein delendam, altulit quodam die in curiam præcocem ex ea provincia ticum: ostendensqne Patribus" "بدافع الكراهية لقرطاجة والقلق بشأن الأمن كان يرغب " (Plinii, 1832, Lib XV, XX,1). في تدميرها، ويؤكد في كل جلسة من جلسات مجلس الشيوخ، على ضرورة تدميرها، أحضر

من هناك تينا نضج باكرا وسأل مجلس الشيوخ عن وقت قطافه فأجابوه أنه طازج، فرد عليهم بأنه قطف قبل ثلاث أيام من قرطاجة العدو القريب من روما"، كما يؤيد فلوروس رأي بلوتارك وبليني بأن كراهية كاتو الكبير هي التي تسببت في تدمير قرطاجة عندما "Cato inexpiabili odio delendam esse Carthaginem, et quum de alio consuleretur,pronuntiabat; Scipio Nasica, servandam, ne metu ablato æmulæ urbis"(Florus, 1557, Lib II, XII). "أعلن كاتو بكراهية شديدة، أنه يجب تدمير قرطاجة في حين فضل سكيبيو ناسيكا أن يبقيها تحت المراقبة، خشية أن ينغمس – الرومان– في الرفاهية بسبب انتزاع الخوف منهم بغياب خصم قوي".

ساهمت أفكار كاتو الكبير في محرقة قرطاجة من خلال رمزية التين الذي حوّل مدينة مزدهرة إلى رماد، ما هو إلا تعبير عن الصراع عن المجال الحيوي والنفوذ الاقتصادي، الذي ساهمت في تأجيجه طبقة المزارعين والتجار الإيطاليين، وكذلك المصرفيين المقربين من الطبقة الأرستقراطية ومجلس الشيوخ، مما أدى إلى إعلان الحرب على البونيين من أجل القضاء على منافس قوي أغرق السوق الإيطالية والعالم القديم بالزيت والنبيذ والحبوب وغير ذلك من المواد التي كان يصدرها القرطاجيون الى العالم (Kiernan, 2003, pp. 37-38) .

يذهب الكثير من المؤرخين المعاصرين إلى وصف إحراق قرطاجة بالجريمة الإنسانية التي ليس لها ما يبررها، حيث يضعها بين كيرنان (Kiernan, 2003, P33) كواحدة من أولى عمليات الإبادة الجماعية في التاريخ الإنساني، تم تدمير ثقافة بأكملها بسبب رفض أهلها التخلي عن مدينتهم ومرافقها من معابد وأسواق وتقاليد اجتماعية، كما يُقر بوليب شاهد العيان بأن روما أبادت القرطاجيين تماما(Polybe, 1847, Liv XXXVIII, 1)، وكذلك شهادة بلوتارك التي تفيد بأن كاتو من تسبب في إبادة القرطاجيين، بسبب أفكاره المحرضة على شعب حكيم ونشيط ستزيد المصاعب من تأديبه وحكمته وشجاعته وتشحذ المصائب ارادته (Plutarque, 1829, Cato, XL, XLI).

أما ليفي فيرى بأن تدمير قرطاجة جاء نتيجة للسباق المحموم بين رجالات السلطة السياسية والعسكرية "inter M. Porcium Catonem et Scipionem Nasicam, quorum alter sapientissimus vir in civitate habebatur, alter optimus vir etiam iudicatus a senatu erat, diversis certatum sententiis est, Catone suadente bellum et ut tolleretur delereturque Carthago" (Livi, 1877, Peroich, XLIX). "بين بروسيوس كاتو وسكيبيو ناسيكا، أحدهما يحظى بتقدير الرجل الأكثر حكمة في المدينة،

والآخر أفضل رجل على مستوى مجلس الشيوخ، كان هناك تنافس في الآراء المختلفة، مع إقناع كاتو بالحرب وأن قرطاجة يجب إزالتها وتدميرها."

تتحدث المصادر عن الخسائر البشرية فيشير أبيان إلى خمسون ألف رجلا بين جندي ومدني قتلوا في المعركة، وعدد من وقع في الأسر فيتجاوز خمسة وخمسون رجلا وخمس وعشرون ألف إمرأة (Appien,1559, Libyqua, VIII)، وهو ما يتوافق مع نصوص القانون الدولي المعاصر الصادر في 1948م بالأمم المتحدة لتعريف الإبادة الجماعية وهي: "التدمير المتعمد كليًا أو جزئيًا لجماعة قومية أو إثنية أو عرقية أو دينية، سواء بقتل أعضاء من الجماعة، أو إلحاق الأذى الجسدي أو الروحي، أو إخضاعها لظروف معيشية سيئة لأجل تدميرها" (ربيع، 2014، ص 107) مثل ما حدث مع مدينة البونيين تضم أكثر من سبعمئة ألف نسمة قبل حصارها في سنة 149 ق.م (Strabon, 1868, Liv XVII, III, 15)، على الرغم من اعتبار إحصائيات القدامى مبالغ فيه ولم يتجاوز العدد أربعمئة ألف ساكنة، قتل منهم أكثر من مئة وخمسون ألف قرطاجي (Kiernan, 2003, pp. 33–34).

ويرى أروند بلان أن السلام الذي اتفق عليه الرومان مع القرطاجيين بعد الحرب البونية الثانية ما هو إلا هدنة للإعلان عن الفصل الأخير من الحرب الثانية، التي حسمت مصير قرطاجة إلى الأبد، عندما كانت ذروة الصراع خلال الحرب الثانية كاد حنبعل أن يبيد روما وينتصر في ايطاليا، وتمكن الرومان من تغيير الوضع الذي بدا ميؤوسًا منه للفوز في هذه الحرب، وبعد سنوات قليلة من انتصار زاما الهائل، تستأنف روما الصراع من جديد بما يسمى اليوم حربًا وقائية مشروعها قائم على تدمير مدينة قرطاجة وإبادة سكانها، فجاءت الحرب الثالثة كمعركة أخيرة من سلسلة معارك لتنتهي حلقة الحروب البونية بزوال حضارة وسحق شعب سوف تستمر ثقافته ولغته (Blin, 2020, pp. 98,100).

وهذا ما يجعل الحروب التي خاضتها روما ضد قرطاجة، حروبا غير عادلة تندرج في عداد ما يعرف في العلوم السياسية والعلاقات الدولية المعاصرة بالحرب الوقائية والتي تكون مبرراتها ليس رد الضرر أو الدفاع عن الممتلكات، بل تهدف إلى الحفاظ على توازن القوى، والقضاء على إمكانية هجوم الخصم في المستقبل، وهي ليست حربا لرد المظالم الآنية، بل تفترض وجود نوايا مبيتة لإحداث الضرر، وتعتمد على تقدير الإمكانيات المادية للعدو الذي يشكل خطرا على منافسه، الى جانب النوايا المستقبلية الُمَبَيتة، وهي حرب غير ضرورية وليس

لها ما يبررها من وجهة نظر القانون الدولي، بل هي فرصة للنيل باكرا من الخصم قبل استعداده، وهو ما يعطي حظا أكبر في التغلب عليه (بن عمر، 2008، ص ص 18–20). مثلما فعل كاتو الكبير عندما قدّر قوة القرطاجيين وخمن خطرها على الرومان، لذلك رأى أن أحسن حل هو القضاء عليها قبل تتنامى قوته.

من خلال النصوص الأدبية القديمة ونصوص القوانين المعاصرة لم يكن تدمير قرطاجة عملا حربيا عادلا ومشروعا، ولا يدخل ضمن منظومة الحروب العادلة، لكنه كان عملا إنتقاميا تعتبر المنظومة القانونية والسياسة التوسعية الرومانية هي القاعدة التي انطلق منها المجتمع الدولي المعاصر نحو الاستعمار الحديث، واستخدام القانون الدولي في البحث عن الشرعية للأعمال الحربية غير المبررة باستخدام كل الأعراف والقوانين.

2–2– الحرب البونية الثالثة مصدر للتنظير للعلاقات الدولية المعاصرة:

في بداية الحرب البونية الثانية لفت ليفي توازن القوتان الرومانية والقرطاجية الذي حققته منذ الحرب البونية الأولى قائلا: "Nam neque ualidiores opibus ullae inter se ciuitates gentesque contulerunt arma neque his ipsis tantum unquam uirium aut roboris fuit; et haud ignotas belli artes inter sese sed expertas primo Punico conferebant bello" (Livi, 1860, Lib XXI, I) "لم تقم مدينتان بل دولتان أخرتان بالتوزان في أسلحتهما مثلهما، لم يكن لدى روما وقرطاجة الكثير من القوة، ولم يكن الأمر كذلك في معرفة فنون الحرب، ولكن مع الخبرة المكتسبة في الحرب البونية الأولى تحقق التوازن وانقلب القدر وكانت الحرب من النوع الذي كان المنتصر أقرب إلى المهزوم".

شكلت قرطاجة تهديدا للمصالح الرومانية في فترة ما بعد الحرب البونية الثانية التي تعكس النتائج والتداعيات المأساوية للحرب ضد قرطاجة كالتدمير الجزئي أو الكلي للمدن، وتشريد السكان المدنيين واستعبادهم وفق ما ورد لدى بوليب حول ما تفعله الحروب من تجاوزات عند وصف قوانين الحرب في عصره على النحو التالي: "الإستيلاء على ممتلكات العدو وتدمير الأماكن والموانئ والبلدان والرجال والسفن والمحاصيل وجميع الأشياء المماثلة من أجل إضعاف الخصم وتقوية وضع وعمل الدول " (Polybe, 1847, Liv. V, 11, 3).

ومنذ عام 188 ق.م وخروجهم من حروب الهيمنة على بلاد الإغريق، لم تكن أي دولة أخرى في وضع يمكنها تحدي روما لمكانتها البارزة على الساحة الدولية القديمة بعد هزيمة أنتيكوس والمقدونيين وحل نزاع الملوك البطالمة في مصر وقورينة، كما اعيد ملك كابدوكيا

(Cappadoce) في آسيا الصغرى إلى الحكم بعد أن عزله أنتيكوس، وأقبلت مختلف الشعوب على طلب حلف وصداقة الرومان: الليقوريين، شعوب جزيرة رودس، نواب الملك بوروسياس (Prusias) ملك بثينيا (Bithynie) (Livi, 1860, Lib.Fragmnt, XLVI, XLVII)، وهو ما أكده العالم السياسي الأمريكي كينيث والتز(Kenneth Waltz) المنظر الرئيسي للواقعية البنيوية[1]، أن التوجه السياسي للدول هو الذي يشكل ويدفع سلوك الفاعلين الدوليين للتهديد بالحرب والإخضاع، لكن في نفس الوقت لا يمكن التنبؤ بأفعال قادة الدولة العدو والذي عبر عنه "بالنظام الفوضوي" الذي تكون فيه الكيانات السياسية متفاوتة القوة دون هيمنة واحدة عن الأخرى، حتى تظهر قيادة تتمكن من تزعم كل الوحدات السياسية وتخرج العالم من النظام الفوضوي إلى نظام هيمنة دولة وحيدة أو يطلق عليه بنظام أحادي القطب في الفترة المعاصرة، وقد استعان لصياغة نظريته بالواقع التاريخي الذي عاشته روما وقرطاجة حيث تعتبر الحرب الأخيرة هي المحدد لنهاية نظرية الفوضى وبداية ظهور الواقعية البنيوية في العصور القديمة (Brisson, 2019, Para2).

وفي ظل الظروف التي بموجبها لجأت روما إلى التدخل عسكريًا ضد القوة الموازية قرطاجة، بإيجاد مبررات لخوض الحرب، وتحديد الإدراك التاريخي الذي يحكم سلوك الفاعلين الجمعيين وقرارات قادة هؤلاء الفاعلين، يقدم البحر الأبيض المتوسط أنموذج تقريبي لنظام دولي فوضوي، في وقت لم تكن فيه سلطة سياسية تنظم أو تهمين على العلاقات الدولية، إذا كان النظام القديم يهتم بالغزو كمورد اقتصادي جديد أو الدفاع على مناطق نفوذ أما الوضع الثقافي والاجتماعي والسياسي فقد كان نظاما متبادل التأثيرات، مثل ما هو موجود بين قرطاجة وبلاد الإغريق أو في المغرب القديم من تبادل حضاري بين قرطاجة ونوميديا على وجه الخصوص.

---

[1] – نظرية الواقعية البنيوية: هي واحدة من نظريات الدراسات الإستراتيجية في الأمن والقوانين التي تحكم العلاقات الدولية، ظهرت في سبعينيات القرن العشرين مرتبطة باستقلال الدول المستعمرة، ويعتبر ولتز أنّ البنية هي التي تشكل وتقيد العلاقات السياسية للوحدات المكونة، فالنظام الدولي لا يزال فوضويا، على الرغم من استقلال الكيانات السياسية، حتى تظهر قيادة دولية تتمكن من تزعم كل الوحدات السياسية وتخرج العالم من النظام الفوضوي، وقد استعان لصياغة نظريته بالواقع التاريخي الذي عاشته روما وقرطاجة حيث تعتبر الحرب الأخيرة هي المحدد لنهاية نظرية الفوضى وبداية ظهور الواقعية البنيوية في العصور القديمة، للمزيد ينظر: (إيفانز ونيونهام،2004، ص 14) .

يحدد ريموند آرون (Raymond Aron) وضع الدولة في إطار نظام دولي معين من خلال مدى الموارد المادية والبشرية التي يمكنها حشدها لدعم سياستها الخارجية، من خلال الأساس الذي يقوم عليه النظام أحادي القطب وجود قوة عظمى واحدة، على عكس ما يسمى بالأنظمة الفوضوية ثنائية القطب أو متعددة الأقطاب يسمح بتوزيع القوة بين الدول داخل نظام دولي معين، ويتم تصنيف القوة العظمى كدولة تتمتع بإمكانيات كبيرة في جميع الجوانب كامتداد الرقعة الجغرافية والتعداد السكاني ومصادر الثروة، إلى جانب الاستقرار السياسي والقوة العسكرية، على عكس القوى الصغيرة التي يمكنها مع أو دون الحد الأدنى من المساعدة الخارجية حتى تخوض حربا خارج مناطق نفوذها (Aron & Duroselle 1962, p.79)، وقد تمكنت روما من منع غريمتها من امتلاكها للسلاح والأفيال أو خوض حرب خارج حدودها دون إذن منها، كما أحرقت سفنها في موانئها مباشرة بعد توقيع معاهدة زاما، إلى جانب دفع غرامة تقدر 100 ألف تالنت على مدى خمسين سنة (Polybe, 1847, Liv.I, LXII).

يضع بريسون تاريخ تأسيس أحادية القطب الروماني في نهاية سلسلة من الصراعات التي أدت إلى خفض الادعاءات السياسية والعسكرية للقوى المتوسطية العظمى الأخرى وكرست هيمنتها بعد فناء قرطاجة في 146 ق.م، فأصبح الرومان سادة العالم في هذه المرحلة، لم يكن لدى أي دولة متوسطية أخرى القدرة على تحمل صراع طويل الأمد ضد القوات الرومانية (Brisson, 2019, Para2) التي أثبتت تفوقها في ساحات القتال في بلاد الأغريق وآسيا الصغرى، وآخر صراع خاضه الرومان قبل اندلاع الحرب البونية الثالثة هو الحرب المقدونية الثالثة (171–168ق.م) ، التي أثارها الإحياء الواضح لطموحات الهيمنة في بلاد الإغريق من جديد، وفي نهاية هذا الصراع الذي بلغ ذروته في ساحة معركة بيدنا (Pydna) في 148 ق.م، ألغي النظام الملكي المقدوني نهائيًا وتم تقسيم المملكة إلى أربع مقاطعات شبه مستقلة (Livi,1877, Lib XLV,XLIII, 3-4).

أما ما يفهم من النصوص القديمة بأن ظهور الفصيل الديمقراطي القرطاجي الذي ينادي بإعادة توجيه السياسة الخارجية للمدينة البونية في 150 ق.م ومواجهة ماسينيسا هذا الأخير الذي كان لعقود من الزمن المحور المركزي لسياسة الاحتواء الرومانية في بلاد المغرب القديم، وممول الحرب الرومانية في بلاد الإغريق وفي شبه الجزيرة الأيبيرية، هو سبب تخوف مجلس الشيوخ الروماني من قرطاجة وهو المبرر الذي سرّع عملية تدمير قرطاجة في عام 146ق.م

(Polybe, 1847, Liv. ; Livi, 1877, Lib Fragmnt, XLVIII) وبالتالي من المستحيل فهم الأسباب الحقيقية وراء الحرب البونية الثالثة دون دراسة المبررات التي تحدث عنها آرون وهي مدى الموارد المادية والبشرية التي يمكن حشدها لدعم السياسة الخارجية للحرب، وما يمكن التوقف عنده أن أعضاء مجلس الشيوخ الروماني لم يأخذوا في الحسبان الوضع العسكري في إسبانيا أو الوضع السياسي الذي ساد في العالم اليوناني بؤرة النظام الهلنستي والتفت إلى قرطاجة كمصدر للخوف والقلق على الجمهورية الرومانية، والذي أشار إليه الكتاب القدامى من خلال تقدير كاتو لقوة قرطاجة الصاعدة وضرورة الحد منها هذه المرة بالقضاء عليها وليس بعرقلة إزدهارها.

يرفض بريسون الرأي الذي يدعم الأطروحة الدفاعية أو التخوف من الآخر لتطور الإمبريالية الرومانية (Brisson, 2019, Para2)، فقد أخطأ في تصور الإرادة الحقيقية للسلطة في روما التي مثلها مثل أي دولة معنية بضمان أمنها كما سعت بحزم لأن تصبح القوة الإمبريالية الوحيدة في عالم البحر الأبيض المتوسط خلال النصف الأول من القرن الثاني كما أن السياسة الخارجية لروما كانت تستند إلى حد كبير على مخاوف ذات طبيعة أمنية تسمح لها بدراسة الأوضاع في الحوض الغربي للمتوسط بزيادة قوتها العسكرية واستبعاد القوى الأخرى (Le Bohec, 2017,p.109)، كانت تلك هي الوسيلة الوحيدة لضمان هيمنتها خارج القدم الإيطالية، والتي حاولت الحفاظ عليها كقوة أحادية القطب منذ هزيمة أنتيكوس الكبير188 ق.م، عندما تجاوزت "عتبة الإمبراطورية" وأصبح هدفها بسط سلطتها السياسية والعسكرية والثقافية على العالم القديم، وهكذا أصبحت إمبريالية البحر الأبيض المتوسط هي الحل الدائم للمعضلة الأمنية التي انخرطت فيها روما، أكثر من بحثها عن السلام الذي فُرضته على مقدونيا من خلال معاهدة السلام أفاميا (Pax Apamia) عام 188 ق.م أو حتى الانتصار الذي تحقق في بيدنا عام 167 ق.م(عمران،2018، ص ص 145–156)، فقد كان عام 146 ق.م أو قبل ذلك منذ سنة 149 ق.م عند تصويت مجلس الشيوخ الروماني على قرار العبور إلى بلاد المغرب القديم ونقل الحرب إلى قرطاجة، يمثل نقطة تحول سياسية أساسية لأنه أقر بطريقة ما نهاية النظام متعدد الأقطاب من خلال الضم الفعلي لقسم من بلاد المغرب القديم وكل مقدونيا، أصبحت بموجبه روما قوة أحادية القطب ولتصبح بالمعنى الدقيق للإمبراطورية عندما أصبح البحر الأبيض المتوسط بحرا رومانيًا.

ساهم تاريخ الفكر السياسي والعسكري الذي تبنته روما تجاه منافستها قرطاجة البونية والذي حفظ في ما تبقى من كتابات قديمة في تطوير النظريات العسكرية والحربية المعاصرة، فلا يقوم المنظرين في مجال العلاقات الدولية بوضع مقاربات تاريخية فقط، بل يلجؤون إلى تحليل ومعالجة الوقائع المتشابهة بين العصور القديمة و الفترة المعاصرة، وإيجاد الحلول من خلال تفكيك الأيدولوجية الرومانية ومبادئها في الهيمنة على الشعوب.

3-الكتاب الرومان والصراع الحضاري بين الغرب والشرق:

لم يقتصر الصراع بين الرومان والقرطاجيين الذي حفظته الأدبيات اللاتينية في المساهمة في تطوير الأفكار والأيدولوجيات في الميدان العسكري والهيمنة السياسية والاقتصادية، بل تجاوزه للأبعاد الثقافية والنفسية التي تؤثر في الضمير الجمعي للأفراد والشعوب، وفي سياق المتغيرات الأدبية وضمن دراسة صورة الآخر الذي أصبح واحدا من بين أهم فروع الأدب المقارن[1]، ومن خلال الصراع الحضاري بين الشرق والغرب الذي رصدته المصادر الرومانية سيتم التعرف على صورة الآخر الشخصية المغاربية القديمة في منظور الأنا الرومانية.

3-1- جدلية الانا والآخر بين الأدب اللاتيني القديم والأدب المعاصر:

يكتسي موضوع جدلية الأنا والآخر في الأدب المعاصر أهمية بالغة، تكمن في تسليط الضوء على موقف الغرب والشرق من بعضهما البعض، في إطار التصادم والاحتلال وكذا الحوار، لكن بإمعان النظر سيجد الباحث أن جذور الرفض والعداء بين الغرب والشرق لها امتداد تاريخي عبر العصور، بدأت تظهر ملامحه في النصوص اللاتينية منذ فجر الإمبراطورية الرومانية (سناني،2020 ، ص141).

عرفت الشعوب القديمة الغزو كوسيلة للتوسع والحصول على موارد جديدة لزيادة الثراء، أو تغطية النقص الذي قد يحدث في خزينة الدولة، لم تهتم بتكريس الصبغة الثقافية والدينية على الشعوب الخاضعة تحت السيطرة، حيث يساهم الجانب الفكري من الدين والثقافة في تجسيد الصورة الشخصية للأفراد وكذلك الأمم، وهما الصفتان اللتان تعرفان بهويتها الفكرية

---

[1] – الأدب المقارن: يدرس الأدب المقارن تاريخ العلاقة بين الآداب في لغاتها المختلفة، وروابطها المتنوعة بين الماضي والحاضر، إلى جانب التأثير والتأثر في الأصول العامة للجذور الفنية للأجناس والتيارات والمذاهب الأدبية، أو بطبيعة الموضوعات في حد ذاتها التي تسلط الضوء على جوانب من آداب الأمم الأخرى بوصفها صلات تربط بين الشعوب بروابط مختلفة تختلف باختلاف الصور والكتّاب، للمزيد ينظر: (غنيمي، 2008، ص 13) .

والثقافية التي تبنى بمختلف المعارف التي يتوصل إليها عن طريق التجارب المتوالية، أو مكتسبات الآخرين ويضيف عليها طابعه الشخصي، حيث تظل الفكرة حية راسخة حتى بعد فناء صاحبها، لتصبح موروثا حضاريا (حمود، 2013، ص 18).

ومنذ ظهور الرومان على الساحة الدولية القديمة، أعتبر مشروع توسعهم إيذانا بافتتاح عصر الصراع بين الغرب والشرق، أسس نواته الأولى كاتو الكبير وافتتحه بحريق قرطاجة، وأكدته الممارسات الأدبية لكتاب فترة حكم أوكتافيوس خاصة، من خلال فرجيليوس وتيتي ليفي، اللذان صورا المشهد الحضاري الروماني بنظرة الاستعلاء على الأجناس الأخرى خاصة المغاربية منها، باعتبار الرومان يحملون رسالة حضارية، الى جانب خطة للسلام في العالم القديم، من خلال تبني آلهتهم وقوانينهم، والرضوخ إلى سياستهم، ومن هنا كان مشروع الرومان ليس التوسع فقط بل إزالة الآخر من جذوره، عندما اشترطوا على القرطاجيين بناء مدينة أخرى بعيدة عن البحر، وهو شرط له آفاق سياسية وفكرية بعيدة المدى، لن تكون المدينة الجديدة سوى مشروع روماني ضمن سياسة الرومنة يفضي الى مستوى آخر من عدم تقبل الآخر إلا بالاحتلال والهيمنة ليس على نفوذه وسلطته السياسية والعسكرية، بل يتجاوزه إلى الاستلاب الثقافي والديني.

كان كاتو الكبير يمتلك مشروعا حضاريا يسعى من خلاله لصد ثقافات الشعوب الأخرى التي تغزو روما، ولم يكن الرومان قادرين على المحافظة على طابعهم الشخصي، فكل المستخدمات الرومانية في العمارة والفن وفي الحياة الدينية ولغة الكتابة والمسرح إغريقية المنشأ، وكان كاتو الكبير من الشخصيات المتذمرة من نمط الحياة الإغريقي والشرقي في روما فدعا الرومان إلى العودة إلى مشاربهم الأولى (Néraudau, 1994, pp.30-31).

وقد أصبح رأي كاتو الصورة النمطية حيث تكونت ما يسمى بالأيدولوجية أو العقيدة السياسية والعرقية في التعامل مع الشعوب الأجنبية، والتي تباينت معاملتها وفق صفاتها وخصائصها قبل الإخضاع، فالشرقيون والمغاربة في الضفة الجنوبية يختلفون عن الشعوب الغربية وشعوب الضفة الشمالية، حيث يتصف الشرقيون والمغاربة أحيانا بالشجاعة والهمجية والطيش، وأحيانا أخرى بعدم فاعليتهم في القتال، والخداع لتعويض الشجاعة المفقودة، أما الجهة الغربية من شعوب شبه جزيرة ايبيريا إلى بلاد السكيث (Scythes) فهم يستجيبون

للخضوع وينقادون بنعومة، ومن هنا بدأ تقسيم العالم جغرافيا وسياسيا إلى دائرتين من الشعوب واحدة همجية وأخرى متحضرة (Dubuisson, 1990, PP. 75-76).

كما أن إضفاء الصبغة الرومانية أو ما يعرف بسياسة الرومنة التي وضعها الرومان لتتمكن الشعوب الأجنبية من العيش بسلام مع العالم الروماني كإدارة سياسية وعسكرية تمارس سيطرتها وهيمنتها باختلاف أساليب الحكم في الأقاليم الخاضعة، بين تشجيع الحكم الذاتي التابع مثل المدن الإغريقية، وبين أسلوب القوة الرادعة الذي استخدم ضد قرطاجة والممالك النوميدية فيما بعد(Le Roux, 2004, pp. 289-290).

على الرغم من أن التمييز العنصري في العالم القديم لم يكن واضح المعالم بعد، لكن كاتو الكبير من الأوائل الذين ابتكروا الأيدلوجية في المجال السياسي التي تحفظ تميز الجنس الروماني من الاندماج في حضارات أخرى، ويعد من أوائل الكتاب الرومان الذين كتبوا باللغة اللاتينية، وقد حمل العداء لثقافات الشعوب الأخرى، على سبيل المثال كان الليقوريين شعبا أميا، كاذبا ومخادعا، وكانت الحضارة الإغريقية حضارة جامدة وعرقا حقيرا، ولا تعلو الثقافة البونية المهيمنة على العالم القديم عن الإغريق، حيث كانت المزيج الجامع لكل الأخطار الممكنة أن تهدد روما سياسيا واقتصاديا وثقافيا(Kiernan, 2003, pp.41 -42).

وكذلك موضوع جدل الأنا والآخر الذي يتطرق إلى البعد الحضاري بين الشرق والغرب، فيظهر من خلاله رأي ونظرة كل طرف للأطراف الأخرى التي تتميز في أكثر الأحيان بالإختلاف والتباين، فتجد الكاتب يعطي رأي ومنظور المجتمع الذي ينتمي إليه في رسم صورة الآخر وفي تناوله لموضوع معين له صلة بالآخر (شفيري، 2013، ص 142).

تبرز هذه الصورة في إنيادة فرجيليوس الذي صور الأنا (الروماني) في صورة إنياس الجد الأسطوري للرومان وهي صورة تتباين معالمها وأهدافها ومشاريعها السياسية والفكرية مقابل الآخر الذي تجسده صورة عليسا الأميرة الصورية حاكمة قرطاجة، كما يحاكي تاريخ الرومان لدى تيتي ليفي في كتابه الواحد والعشرون صورة الأنا الروماني الأنموذج المتحضر سكيبيو، وصورة الآخر البربري المتوحش، الشرس والهمجي في عدة نماذج مغاربية مختلفة حنبعل، سيفاكس، صدربعل ثم ماسينيسا.

أما بالنسبة لتروغوس بومبيوس صاحب التاريخ الفيليبي فيصور بدوره الآخر في كتبه الأربع والأربعين، البربري الذي فقد ممالكه وقوته بسبب ضعفه وعدم تدبره، على عكس ما

كان يرى ويكتب حول الأنا روما الإمبراطورية القوة التي عرفت كيف تحتوي العالم القديم بما فيها الإمبراطوريات التي اضمحلت نتيجة لطيش حكامها وضعف التزاماتهم.

2-3- موقف الأنا من الآخر:

يمكن رصد بعض مظاهر الصراع بين الآنا والآخر في النصوص الرومانية في عدة تمثلات منها:

2-3-1- الإعجاب والإنبهار حتى التماهي: ربطت روما وقرطاجة علاقات سلمية قبل أن تتحول إلى الصراع، عبر عنه فرجيلوس بلقاء عليسا وإنياس، عندما رمت به العواصف على سواحل ليبيا أين تتربع عليسا على عرش مملكتها، فلم يصدق إنياس وأصدقاؤه ما رأوه من عظمة المملكة، وترتيبها السياسي والإداري قلّ نظيره في العالم القديم، عبر فرجيلوس عن ذلك بهذه العبارات:

Miratur molem Aeneas, magalia quondam:
Miratur portas, strepitumque, et strata viarum.
Instant ardentes Tyrii: pars ducere muros,
Molirique arcem, et manibus subvolvere saxa:
Pars optare locum tecto, et concludere sulco.
Jura magistratusque legunt, sanctumque senatum.
Hic portus alii effodiunt,... (Vergile, 1808, Lib I, 425-431).

أعجب بالعديد من الصروح الرائعة التي لم يرها في السابق:
إنه معجب بعظمة البوابات، وتعبيد الشوارع، وضجيج الناس.
ينتظر الصوريون الأعمال بفارغ الصبر، يواصل البعض إحاطة الجدران،
يرفعون القلعة وينحتون الحجارة الكبيرة بقوة أذرعهم.
يختار آخرون مواقع مناسبة لمنازلهم:
هنا توضع القوانين، وينتخب القضاة، ويشكل مجلس الشيوخ الموقر،
هناك يحفرون الموانئ،...

يمكن التعرف بوضوح على التفاوت الحضاري الذي يشعر به الغرب اتجاه الشرق في هذه الفترة، حيث يتجلى من خلال موقف الأنا (إنياس- الرومان) من حضارة الآخر (عليسا- قرطاجة) التي أصبح يرى نفسه جزءا منها، وهو ما يعبر عنه نقاد الأدب بالوصول الى درجة التماهي الذي سيصبح استلابا ثقافيا وحضاريا يعاني منه الأنا (حمود، 2013، ص 21) وهي نفسها نزعة كاتو الكبير الذي نظر إلى الحضارة القرطاجية الثرية بإنبهار تحول إلى تخوف

من تأثير نمطها الحضاري وتكريسه على الرومان عندما يشيد بفكر وحضارة الآخر كما عمد صاحب الإنيادة إلى ابراز التباين بينها في الجنس الأنثى والذكر، والعرق الصوري والطروادي، حتى تذكره الآلهة "Quid struis? aut qua spe Libycis teris otia terris?" (Vergile, 1808, Lib IV, 271) "ماذا تبني؟ أي أمل لديك في بلاد الليبيين؟"

اذا تمت العودة بالتاريخ لوقت سابق قبيل الحروب البونية بقليل ومقاربة الأحداث التاريخية في رمزية العلاقة بين عليسا وإنياس، وهي مرحلة التعاون والوفاق بين روما وقرطاجة، المتمثلة في المعاهدات التي وثقت هذه الصورة من الصداقة بين الطرفين على مدار الثلاثة قرون من أواخر القرن السادس وحتى الحرب البونية الأولى 509–264 ق.م كانت قرطاجة تمثل الحلقة الأقوى في كل الاتفاقيات بين الطرفين، وكانت روما عبارة عن تابع لكيان أقوى منه، على الأقل من الناحية الاقتصادية، والهيمنة السياسية بل وتتجاوز ذلك الى الجانب الثقافي على الرغم من أن قرطاجة لم تستخدم القوة للهيمنة بل كان اسلوب الاحتواء هو المفضل لديها.

2-3-2- الرفض والتعالي:

وظف فرجيلوس الآلهة الرومانية كأحد العوامل التي أجبرت إنياس على رفض مظاهر الحضارة القرطاجية، ومقاومة تقاليد الضيافة التي منحتها له ملكتها، مفضلا نداء الواجب:

Ipse Deûm tibi me claro demiitit Olympo…
Quid struis? aut qua spe Libycis teris otia terris?
Si te nulla movet tantamm gloria remm,
Nec super ipse tun moliris laude laborem,
Auscanium surgentem, et spes haeredis luli
Respice, cui regnum Italiae Romanaque tellus.(Vergile, 1808, Lib IV, 268, 271-275)

لقد أنزلتني الآلهة إليكم من الأولمب...
ماذا تبني؟ أي أمل لديك في أرض الليبيين؟
إذا لم تقم بأي شيء لبناء مجدك،
ليس لديك ما يؤججك
إلق نظرة على اوسكانيوس ....
انظر الى مملكة إيطاليا والأرض الرومانية

أما إيطاليكوس فقد أظهر الإيمان الروماني والقرطاجي على شكل صراع بين المبادئ الأخلاقية المتناقضة، يفرض البوني غدره بالكامل ويعترف بصوت عالٍ بعدم احترامه للآلهة مخاطبا أحد محبي هرقل قبل قتله:

foedera faxo
Iam noscas, quid vana queant et vester Hiberus
Fer tecum castamque fidem servataque iura
Deceptos mihi linque deos(Italicus, 1863, Lib 1, 479-482)

معاهداتك الباطلة

وحدود الإيبرو سوف أعلمك ما تستحقه

خذ ولاءك الذي لا يتزعزع واحترامك للقانون،

واترك لي الآلهة التي أقوم بخداعها

وفي موضع أخر قد بلغ الرفض والتعالي ذروته لدى إيطاليكوس من خلال تذكير القارئ بتاريخ قرطاجة الذي يعرضه بطريقة التهكم وسرد الروايات المصاحبة لتأسيسها على يد جماعة من المنفيين من صور، بل يتجاوز تلك الحقبة الى ظروف قيام الحرب البونية الثانية واتهام والد حنبعل بتوريث روح الإنتقام لإبنه:

dicta admiscentem: quaenam te, Poene, paternae
hue adigunt Furiae? non haec Sidonia tecta
feminea fabricata manu pretiove parata,
exulibusve datum dimensis litus harenis.
fundamenta deum Romanaque foedera cernis.(Italicus, Lib I, 443-447)

"ما هذا الجنون الموروث من والدك، الذي جاء بك أيها البوني

هذه ليست مدينة صورية

بنيت بأيدي امرأة أو تم شراؤها مقابل المال،

هذا ليس شاطئًا بمساحة محسوبة من الرمال، منح للمنفيين.

أنظر هنا إنها أسوارًا أقامتها الآلهة حلفاء روما".

كما يبرز التعالي على الجنس الليبي والبوني في مقارنة ليفي للقادة العسكريين الثلاثة سيفاكس، صدربعل وسكيبيو في مؤتمر سيقا 206 ق.م أراد ليفي أن يلفت القارئ إلى المفارقة بين الأنا (الحضارة الرومانية) والآخر (البربرية المغاربية) من خلال تلميع صورة سكيبيو وتشويه صورة الآخر النوميدي والقرطاجي قائلا:

posse, illud magno opere tendente rege, ne alter hospitum exclusus mensa videretur, ut in animum induceret ad easdem venire epulas haud abnuit; cenatumque simul apud regem est et eodem etiam lecto Scipio atque Hasdrubal, quia ita cordi erat regi, accubuerunt. tanta autem inerat comitas Scipioni atque ad omnia naturalis ingeni dexteritas, ut non Syphacem modo, barbarum insuetum que morìbus Bomanis, sed hostem etiam infestissimum (Livi,1860, Lib XXVIII, XVIII, 5-7).

فقد أصر سيفاكس أن يأخذ سكبيو مكانه الى جانب أصدربعل، ولم يرفض الروماني تناول الطعام الى جانب الملك وخُدِم سكبيو وأصدربعل حسب رغبة الملك، كانت هذه هي الحضارة الرائعة لسكيبيو والمرونة الطبيعية لعقله لتقبل جميع الأدوار، أما سيفاكس فهو مجرد بربري أجنبي عن الحضارة الرومانية، وأصدربعل العدو الذي لا هوادة فيه، ترك سيفاكس نفسه ليغريه بسحر حديثه.

ولم يختلف وصف ليفي للملك ماسينيسا صديق وحليف سكبيو الذي رآه لم يكن أكثر حكمة أو إخلاصاً من سيفاكس بل جعله أكثر تهوراً، كان هناك بالتأكيد المزيد من الغموض والجنون في الطريقة التي تزوج بها من صافونبعل" بل يقارنه بسكبيو الشاب الذي قاد حرب الرومان ضد البونيين في إسبانيا ولم تثن الشهوات رغبته في تحقيق النصر لبلاده وقد أقحم ليفي خطابا لسكبيو وجهه لصديقه ماسينسا معاتبا وناصحا له، بعد حادثة الزواج من صافونبعل الأسيرة البونية لدى الرومان دون إذنه قال فيها:

atqui nulla earum virtus est, propter quas tibi adpetendus visus sim, qua ego aeque ac temperantia et continentia libidinum gloriatus frierim. hanc te quoque ad ceteras tuas eximias virtutes,…, quantum ab circumfusis undique voluptatibus.…,multo maius decus maioremque victoriam sibi peperit quam nos Syphace vieto habemus,…, vince animum; cave deformes multa bona uno vitio et tot merìtorum gratiam maiore culpa (Livi ,1860, Lib XXX, XIV, 5-7)

إن الصبر وضبط النفس هما الصفتان اللتان أفتخر بهما كثيرًا، وأود أن أراك تضيفهما إلى صفاتك الممتازة الأخرى عندما يعرف المرء كيف يكبح عواطفه ويروضها،...، ويفوز بنصر أكبر من النصر على سيفاكس، النشاط والقوة اللذان أظهرتهما، أشهد لك بهما وأتذكرهما بسرور، أما بالنسبة لأفعالك الأخرى، فأنا أتركها لتأملاتك الخاصة وأوفر لك تفسيراً يجعلك تخجل من نفسك.

تعتبر أنماط الفكر واحدة من الصفات المحددة للشخصية، من خلال الحكمة وتقدير الأمور بمنهج عقلي متزن كلما تراكمت خبرة الفكر والدراية بواقع الحياة، يتحقق وعي الأنا بنفسها وبالآخر (النجدي، 2008، ص 15)، وهذا الأمر الذي نفيه مؤرخ روما عن النوميديين من خلال صورة ماسينيسا الشاب الطائش ذو القصور الفكري، أما الحكمة والإتزان فقد أصبغهما على الروماني سكيبيو، من خلال حادثة زواج النوميدي من الأسيرة الرومانية دون إعلام حليفه سكبيو متبعا هواه فوصفه بعدم الاتزان واتباع العواطف والشهوات وهي صفة أرفقها وألصقها ليفي بكل البرابرة، ففي موضع آخر عند إشارته لزواج سيفاكس من صافونبعل ابنة أصدربعل بن جيسكون قال: "ut rex duceret filiam Hasdrubalis ad eam rem consummandam tempusque nuptiis statuendumiam, ..., profectus HaedrubaI ut accensum cupiditate et sunt ante omnia Numidae barbaros effusi in Venerem sensit" (Livi 1860, Lib XXIX, XXIII, 3-4) "على الملك أن يتزوج ابنة الجنرال القرطاجي أصدربعل، راغبًا في التعجيل بإنهاء هذه العلاقة وتحديد موعد الزواج،...، ذهب إلى الملك ورآه في حب عميق، مثل كل النوميديين، أكثر الشعوب البربرية حماسة وعاطفة".

2-3-3- الكراهيـــة والعداء:حبك فرجيليوس عقدة الرواية التي من خلالها سوف تتقلب العلاقات بين الأنا والآخر من الإتفاق إلى العداء، من خلال رحيل إنياس الذي جعله سببا في الكراهية بين الجنس الصوري والطروادي عندما تخلى إنياس عن عليسا، مفضلا واجباته التي ذكرته الآلهة بها، فأطلقت الملكة لعنتها عليه وعلى الجنس الطروادي بأسره، وجعلته عدوا أبديا للبونيين، وتوعدته بالإنتقام، عندما أيقضه الإله عطارد من غفوته منذرا اياه من مخططات الملكة قائلا:

Huic se forma Dei vultu redeuntis eodem,…
Ominia Mercurio similis, vocemque, coloremque
Illa dolos dirumque nefas in pectore versât,
Certa mori, varioque irarum fluctuât œstu (Vergile, 1808, Lib IV, 566- 569).

ظن أنه رأى مرة أخرى في نومه نفس الإله يعود بنفس الشكل، ويكرر له نفس النصيحة،
يشبه في كل شيء عطارد، له صوته وبشرته...
(الملكة) تتساق الى ذهنها كل الحيل والجرائم الفظيعة،
مصممة على الموت، وتسلم نفسها لجميع الوسائل التي يمكن أن يلهمها الغضب.

كما يضيف شاعر الإنيادة مقطعا آخرا يحمل كل معاني الكراهية والعداء للجنس الروماني فيقول:

Non potui abreptum ditellere corpus, et undis, Spargere ?..
Ascanium, patriisque epulandum apponere mensis…
Implèssemque foros flammis; natumque patremque
Cum genere exstinxem: memet super ipsa dedissem. (Vergile, 1808, Lib IV, 600,603,605-606)

ألا أستطيع أن أمسكه وأمزقه وأبعثر أطرافه،..؟

وأذبح إسكانيوس(ابن إنياس) بنفسي، وأقدمه وليمة مروعة لأبيه...

كنت سأشعل النار في سفنه، وأبيد الأب والابن

والعِرق كله وأنا من بعدهم.

إن رفض كل فكرة تجعل الأنا يتساوى مع الآخر، هي محاولة للسعي الى تحقيق وإثبات الأنا التي يريد لها أن تظهر متكاملة على حساب صورة الآخر المشوهة، وهو ما يفضي الى الكراهية والعداء بين الغرب والشرق، بل يؤدي إلى التعصب لخصائص الأنا كالعرق والمجتمع والأرض، وهو ما يفضي الى إعلان الحروب الدموية والاحتلال (ملحم، 2008، ص 19).

يبلغ العداء درجة التعصب حيث يعرف على أنه الرأي السلبي والصور الذهنية المشتركة التي تحملها جماعة من الأفراد والتي تتكون في أغلب الأحيان من رأي بسيط لا يتفق مع الحقائق الواقعية، أو رأي ناقص يحجب الكثير من المصداقية، أو مشوه نتيجة لغياب الموضوعية إتجاه جماعة أخرى أو شخص أو قضية أو حدث، فتصبح صورة الآخر لدى الأنا الجمعي قوالب جاهزة لتحديد صورة الآخر (الصرايرة، 2013، ص32).

وقد رمز شعراء روما إلى رفض فكرة التعايش والاختلاف بين الرومان والشعوب الأخرى، لدرجة أصبحت كراهية الآخر (قرطاجة) مطبوعة في الذاكرة الجماعية للأنا (الرومان) منذ الحرب البونية الأولى، حيث أولى الأعمال الأدبية للشعراء الرومان التي وصفت عداء الرومان لقرطاجة، وتم توريث التعصب للفترات اللاحقة، حيث يظهر في إنيادة فرجيلوس خاصة، ودون شك فإن صورة القرطاجي قد اصطبغت بعدة ألوان منذ القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الأول للميلاد، وخضعت للعديد من التأثيرات التي أشار إليها مفهوم التعصب المذكور سالفا، كبساطة طرح الآراء وسذاجتها التي تجمع شخصيتي عليسا وإنياس اللتان لا تتوافقان زمنيا وتاريخيا، ومن هنا يحدث التشوه في الحقائق وتغيب الموضوعية في تحديد صورة الآخر.

وهو ما يتجلى كذلك في نصوص الكتاب الرومان عندما رمزوا للصراع بين روما وقرطاجة بمشاعر الكراهية والعداء التي نمت لدى القرطاجيين منذ وقت باكر ضد الرومان، وهو ما يطلق عليه صورة انعكاس الأنا في صورة الآخر هي مرآة الأنا وما تحمله من أفكار وآراء نحو الآخر والذي دون شك يتأثر بظروفها الثقافية والسياسية والاجتماعية ومنه تحدد صورة الآخر (حمود، 2013، ص ص 13-14)، بينما تظهر فكرة الصراع من أجل البقاء واثبات الذات الرومانية على حساب الآخر القرطاجي لدى بلوتارك الذي يعبر عن مدى حقد وعداء كاتو الكبير على القرطاجيين الذي تسبب في حريق مدينتهم ، لذلك جعلوا مبرر روح الانتقام هي المحرك الذي يدفع بالقرطاجيين لعداء الرومان، وأصبح من الواجب على روما الوقوف ومواجهة هذا الخصم، بل مبادلته الشعور بالانتقام والكراهية والعداء، حتى لو كلفها ذلك اعلان الحروب ضده (Plutarque, 1829, Cato, XL, XLI).

في فترة العصور القديمة حيث لا يزال فيها المنهج التاريخي شديد الصلة بشتى أنواع المعارف الإنسانية كالأدب والقصة، وفي الفترة المعاصرة اتسعت دائرة الدراسات المقارنة، وتعددت ميادينها وتداخلت فصولها لتمس بعض الجوانب في علوم مختلفة، ودراسات متنوعة، كالهوية والثقافة والأدب والرواية وغيرها من العلوم التي محور اهتمامها البحث في مظاهر العلاقة والتفاعل والصراع الحضاري بين الأمم. فقد ساهمت رؤية الكتاب الرومان في وضع لبنة موضوع الأنا والاخر في مختلف الأصناف الأدبية نثرا وشعرا، وكذلك في الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس.

خلاصة الفصل:

من خلال التعرف على الواقع القانوني والديني المنظم لشن الحرب ومنهج التعامل مع الشعوب الأجنبية في حالة الصراع في قانون الحرب العادلة الذي تعلق عليه روما إنخراطها في الحروب وأسباب ومبررات الحرب البونية الثالثة نخلص إلى النتائج الآتية:

– حافظ الرومان على منظومة الأعراف والدين للتعامل لها أثناء الحروب والصراعات والأزمات العسكرية مع خصومهم، وحتى عندما حلت المنظومة القانونية محل العرف استمر الرومان في إظهار الجانب الديني في ابرام الأحلاف وشن الحروب وهذا لإضفاء الشرعية الدينية لأعمالهم الحربية واقناع العامة في روما بضرورة وحتمية الحرب التي يخوضونها، وعند مقارنة المبادئ القانونية التي سطرها الرومان في تبرير الحروب لا تنطق على الحرب البونية الثالثة، حيث أن الأسباب التي اتخذها الرومان ذريعة هي مبرر واه كان بإمكانهم التجكم في مسار الأحداث قبل وقوعها.

أثر الفكر العسكري الروماني في زرع بذور الإحتلال وإبراز الأيدولوجيات الإستعمارية الحديثة التي لا تكاد تظهر ملاحمها قبل التوسعات الرومانية، بالإضافة الى التمييز العنصري على الأساس العرقي والثقافي والجغرافي من خلال آراء كاتو الكبير.

– يعتبر الفكر السياسي والعسكري الروماني ومنظومته القانوينة هي النواة التي أسست للعلاقات الدولية والقانون الدولي المعاصر، خاصة في تكييف الحروب غير المبررة ورسم الأطر الأولية لتبرير الحروب وإعطائها الشرعية مثل الحروب الوقائية التي إعتمدتها من أجل كبح قوة تنامي منافستها قرطاجة، إلى جانب إعتبار الحرب البونية الثالثة مصدرا للباحثين في الأمن الإستراتيجي وهيمنة القوة العظمى على العالم القديم ونشأة النظام الدولي المعاصر أحادي القطب، مثل ما نشأت القوة الإمبريالية الرومانية التي عملت على أن تكون قوة وحيدة في البحر الابيض المتوسط.

– ساهمت مضامين الكتابات الرومانية القديمة في تأسيس نواة الأدب المقارن والتأسيس لظهور صورة جدلية الأنا والآخر وتمثلات الصراع بين الشرق والغرب الذي يعتبر واحد من الأنماط الأدبية التي تعنى بدراسة العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في إطار الحوار والتصادم بين الحضارات، حيث يعتبر الأدب الروماني القديم هو من مهد لهذا النمط الأدبي للظهور على ساحة الأدب المعاصر.

قائمة المراجـــع:

I – المراجع العربية:

1 – إيفانز، غراهام ونوينهام جيفري. (2004). *قاموس بنغوين للعلاقات الدولية*. (تر: مركز الخليج للأبحاث(. الإمارات: مركز الخليج للأبحاث.

2- بن عمر، إمام. (2008). *الحروب الوقائية في الفكر الإستراتيجي الأمريكي* – دراسة حالة العراق-. مذكرة ماجستير (غير منشورة) في العلوم السياسية والعلاقات الدولية. كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة بسكرة.

3 – حمود، ماجدة. (2013). *إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب.

4 – سلامة، عمران رجب.(د.س). *الفكر العسكري الروماني بين الدفاع والهجوم والتوسع والاستعمار حتى نهاية العصر الجمهوري* 509- 31 ق.م. القاهرة: مكتبة الثقافة.

5 – سناني، إلهام. (2020). *جدلية الأنا والآخر في بدايات الكتابة الروائية الجزائرية رواية مالا تذروه الرياح لعبد العالي عرعار ورواية المرفوضون لإبراهيم سعدي أنموذجا، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية*، مج 3، ع 1. ص ص 140-149.

6 – شفيري، فتيحة. (2013). *الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المعاصرة. مجلة الاداب واللغات*، مج1، ع4، ص ص 144-162.

7 – الصرايرة، عامر جميل. (2013). *جدلية العلاقة بين الشرق والغرب في نماذج مختارة من الرواية العربية المعاصرة من عام 2001-2011*. رسالة دكتوراه في اللغة العربية. الكرك: جامعة مؤتة.

8 – غنيمي هلال، محمد. (2008). الأدب المقارن. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

9 – قسيمية، محمد. (2021). *ظروف تطور الدبلوماسية و القواعد المنظمة لها. مجلة الدراسات والبحوث القانونية*. مج 6، ع 2. ص ص 269-282.

10 – مرغني، حيزوم بدر الدين. (8 جانفي، 2014). *دور الأحلاف العسكرية حفظ الأمن اماعي الدو وفقا يثاق الأمم اتحدة . مجلة العلوم القانونية والسياسية*، مج 5، ع 1. ص ص 91-104.

11- ملحم، ابراهيم أحمد. (2008). *قراءة الآخر*. اربد: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.

12 – النجدي، إيهاب. (2008). *صورة الغرب في الشعر العربي الحديث*. الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.

II- المراجع الأجنبية:

1 - Ammien, M. (1849). *Jornandés, Liv XIX*. Trd: M. Nisard, Paris: Libraire Firmin Didot.

2 - Appien. (1559). *Guerres de Romain, Libyqua*. Trd: M. Claude de Seyssel. Paris: Benoit Prevost a L'Etoile d'Or.

3 -Aron, R., Duroselle, J. (1962). Paix et guerre entre les nations: la théorie des relations internationales selon Raymond Aron. Paris: Fondation nationale des sciences politiques, centre d'études des relations internationales.

5- Blin, A. (2020). *Les grands capitaines D'Alexandre le Grand à Giápperrin*. Paris: Perrin, un département de Place des Éditeurs.

6- Brisson, p-L. (2019). *Rome et la troisième guerre punique : unipolarité méditerranéenne et dilemme de sécurité au IIe siècle a.C. Mélanges de l'École française de Rome - Antiquité*, Vol 131, n°. pp.177-199.

8- Cicéronis. (1834). *Officiis, Lib II*. Paris :Firmin Didot Frères, Fils Libraires.

9- Chemain, J.F. (2015). *L'Evolution de La Notion de "Bellum iustum" à Rome Des Origines à Saint Augustin*. Thèse de Doctorat. Faculté de Droit. Université d' Angers Nantes.

10- Claudine, A. (1992). *Les Fétiaux, un collège religieux au service du droit sacré international ou de la politique extérieure romaine. Collection de l'Institut des Sciences et Techniques de l'Antiquité*. n°463. Pp. 1- 16.

11- Commentaria in C. Iulii Solini Polyhistora, et Lucii Flori de Romanorum rebus gestis.(1757). Basileae [Basel]:Per Henrichum Petri. Cum Caesareae maiestatis gratia & priuilegio.

12- Denys D'Halicarnasse. (1723). *Antiquités Romaines, (T I), Liv II*. Trd: E. Gros. Paris: Philippe Nicolas Lottin.

13- Dubuisson, M. (1990). *Caton et les Ligures : l'origine d'un stéréotype. Revue Belge de philologie, et Histoire*. 68 (1). pp. 74- 83.

14- Italici, S. (1836). *Punica I-X*. Lipsiae: In Aedibus B. G. Teubneri.

15- Kiernan, B. (2003). Le Premier Génocide: Carthage 146 A.C. Diogène. n°3(203). PP 32- 48. https://doi.org/10.3917/dio.203.0032.

16- Kolb, R.(1997). Sur l'origine du couple terminologique ius ad bellum I ius in bello. Revue Internationale de La Croix Rouge, n° 827. Pp 593-602.

17- Livi, Titi. (1875). *Ab Urbe Condita, Lib I*. Leipzig: Druck Und Verlag Von B. G Teubner.

18- Le Bohec, Y. (2017). *Histoire des guerres romaines (Milieu du VIIIe siècle avant J.-C. – 410 après J.-C.)*. Paris: Tallandier Éditeur .

19- Livi, T (1877). *ab Urbe Condita Lib XXXIX- XLXV, Epitome Lib XLVI-CXI*. Lipsiae: Simptilus et Typis B. G. Teubneri.

20- Livi, T. (1919). *Ab Urbe Condita, T II, Libri VI-X*. Oxonii: E Typographeo Clarendoniano .

21- Le Roux, P. *(2004). La romanisation en question. Annales. Histoire, Sciences Sociales*, n°59, 287-311.

22- Melliti, K. (2016). Carthage: Histoire d'une métropole méditerranéenne. Paris: Edition Perrin

23- Néraudau, J-P. (1994). *La littérature latine (L'époque républicaine*). Paris: Hachette Education.

24- Plini, S, C. (1882). *Naturalis historiae libri XXXVII*,(Lib VII- XXII). Leipsig: aedibus B.G. Teubneri.

Polybe. (1847). *Histoire Générale. Tom III, Liv XXXI- XXXIX*,(Trd: Filix Bouchot).Paris: Charpentier Libraire-Editeur.

25- Polybe. (1856). *Histoire Générale. Tom II, Liv V, VII*,(Trd: Dom Thuillier).Paris: Ansselin Libraire.

26- Plutarque. (1854). *Les Vies Des Les Hommes Illustres*, Tom III, (Trd: Alexis Pierron). Paris: Charpentier Libraire- Editeur.

27- Strabon. (1888). *Géographie,Tom III Liv XVII*, (Trd: Amédée Tardieu). Paris: Librairie Hachette.

28- Vergili, M. (1886). Ænied. Lipsiae, B. Tavehnitz.

الباب الرابع: الرومان والممالك المحلية من الجمهورية إلى الإمبراطورية 111 ق.م- 429 م

I-موقف الرومان من يوغرطة والسيادة النوميدية

II- انعكاسات الحياة السياسية الرومانية على بلاد المغرب القديم

III- التحولات السياسية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم في العصر الإمبراطوري 31 ق.م- 429 م

I- موقف الرومان من يوغرطة والسيادة النوميدية.

1- تقاليد خلافة العرش النوميدي من ماسينيسا إلى مكيبسا

2- شخصية يوغرطة وعلاقته بالرومان من خلال كتابات سالوستي

3- حملات الرومان ضد يوغرطة

4- نتائج الحرب ضد يوغرطة

1- تقاليد خلافة العرش النوميدي منذ عهد ماسينيسا الى مكبسا:

لا تخبر المصادر الرومانية بالوضع السياسي وشؤون الحكم في نوميديا، وكل ما أشارت إليه هو أن خلافة العرش تؤول إلى الأكبر سنا في البيت الملكي، مثلما حدث بعد وفاة غايا فتقلد شقيقه كابوسا ولاية العرش، ثم بعد وفاة هذا الأخير آل العرش إلى فرد آخر من الأسرة الملكية يدعى لاكومازن حسب ليفي:

morituri Galae nomen erat. Regnum ad oratrem regie Oesalcen pergrandem natuita mos apud Numidas est pervenit. haud multo post Oesalce quoque mortua maìor ex duobus filiis eius Capussa, puero admodum altero, patemum imperium accepit. ceterum cum magis iure gentis quam auctoritate inter suos aut viribus obtìneret regnum(Livi, 1860, Lib XXIX, XXIX, 10-12).

بعد وفاة جايا آلى العرش الى شقيقه أوزاليس، الذي كان متقدما في العمر، توفي أوزاليس وترك ولدين الأكبر كابوسا الذي ورث العرش بحكم قوانين البلاد لا بسلطته ولا بالاعتبار الذي يتمتع به، وكان شقيقه لا يزال طفلا.

من خلال ما رود لدى ليفي حول تقلد الحكم في المملكة الماسيلية، يتبين أن الأعراف والقوانين النوميدية هي متسيد المشهد، حيث لا يمكن للبيت الحاكم أن يورث عضوا من أعضائه دون الرجوع لهذه الأعراف والقوانين التي تحكم البلاد، التي يشارك الشعب في إدارتها وتفعيلها، وبهذا الصدد يمكن الوقوف على ذلك من خلال استقبال الماسيليين لماسينسا عند مقدمه من إسبانيا مطالبا بكرسي العرش، أين تم الموافقة عليه من طرف ثلة من شعب الماسيل.

necei fratris patrueirs, ex Masinissa, audìta morte patrui, dei*n* Hispanìa in Manretaniam Baga,..., quattuor milia Maurorum impetravit. cum iis, praemisso nuntio ad patemos suosque amicos, cum ad finis regni pervenisset, quingenti ferme Numidae ,..., sicut convenerat, retro ad regem remissis quamquam aliquanto minor spe multitudo nec cum qua tantam rem adgredi satis auderet convene rat, ratis agendo ac moliendo vires quoque ad agendum aliquid علمconlecturum (Livi, 1860, Lib XXIX, XXIX, 10-12).

ماسينيسا بوفاة عمه ثم ابن عمه، فانتقل من إسبانيا إلى موريطانيا حيث حكم باغا، حصل منهم ...على أربعة آلاف من المور. وغادر معهم بعد أن أرسل ليحذر أنصار والده وأنصاره، وعندما وصل إلى حدود المملكة، رأى ما يقرب من خمسمائة

نوميدي يتجمعون حوله،...، كان الأنصار الذين اكتشفهم للتو أقل بكثير مما كان يأمل، وبالكاد كان بإمكانه المجازفة بمثل هذا المشروع المهم بقوى قليلة جدًا.

وفق المصادر الإغريقية غيّر هذا الملك التقليد السائد في المملكة، وجعل الملكية لا تخرج من بيته، فقد ترك العرش لأبنائه الثلاثة مستنبعل، جلوسا ومكبسا، الأول قيادة الجيش، والثاني القضاء، والثالث الإدارة، ويتساءل الباحثون حول امكانية تدخل الرومان في هذه التعديلات السياسية في نوميدبا خاصة وأن سبق وفاة ماسينسا زيارة سكيبيو له وهو على فراش الموت، خاصة أنه عندما أرسل مجلس الشيوخ الروماني لجلب قوته ضد القرطاجيين أثناء حصار قرطاجة، طلب هذا الأخير رؤية سكيبيو، وأمر أبناؤه بطاعته (Polybe, 1847, Liv XXXVII, 16; Appien,1559, XI)، لا تسعف المصادر الرومانية بطريقة تغير تقاليد ولاية العرش النوميدي وأسبابها والأبعاد التي ترنو اليها، إنما تهتم بشؤون السياسة والحكم النوميدي بقدر ما تهتم بالعلاقات بين الطرفين.

ذكر فالريوس ماكسيومس المؤرخ اللاتيني الذي عاش في القرن الرابع، والذي يعاب عليه فقدانه روح النقد، لكن احتوت مؤلفاته على معلومات وأحداث تجاهلها غيره من المؤلفين، في معرض تعداد مناقب أسرة آل سكيبيو والسخاء والإنسانية التي تعامل بها مع ماسينيسا،

Ceterum nescio, an praecipue Masinissae régis pectus grati animi pignoribus fuerit refertum. Beneficio eiiirn Scipionis et persuasu regni modo liberius auctus. (Maximi,1888, Lib IV, II,4) " بفضل نصائح سكيبيو توسعت مملكة ماسينيسا بكل حرية، وأن جعل سكيبيو محكما في تقسيم مملكته وأن تُحترم قراراته كأحكام لا تقل ثباتا وقدسية عن قرارته".

قسمت المهام الملكية بين أبناء ماسينيسا، مكيبسا رجل سلام منحت لها الشؤون الإدارية، وكان جلوسا (Glussa) رجل حرب منحت له قيادة الجيش، أما مستنبعل(Mastanbal) فقد منح له القضاء(Appien,1559, Liv XI) ، ولا تعرف على وجه الدغة كيف تم اختيار هذا التقليد لإدارة شؤون مملكة نوميديا، من بين المؤرخين من يراه تقليدا نوميديا قديما أحياه ماسينيسا (Camps, 1999, p. 3243)، ومن منهم يرى أنها فكرة سكيبيو حتى لا يجمع السلطة والقوة في يد شخص واحد، ويضمن تدخلات الرومان في المملكة (Gsell, 1828, p. 123) ومن ناحية أخرى وكما سبقت الإشارة أن حرية الملوك والشعوب المتحالفة مع روما، من واجباتها الأدبية والأخلاقية أن تظل تحت المظلة الرومانية لا يستبعد أن ماسينيسا طلب مشورة

سكيبو، لأن المشرع الروماني قد حسم الأمر بوجوب عودة الحلفاء والأصدقاء إلى روما في إتخاذ القرارات المصيرية، على الرغم من منحهم الحريات السياسية اللازمة لتسيير شؤون دولهم وممالكهم، من ناحية أدبية وأخلاقية رأى ماسينيسا ضرورة استشارة سكيبيو.

لا تخبر النصوص الأدبية بالشيء الكثير حول حكم ميكبسا، وبما أن عصره لم يحظ باهتمام الكتاب القدامى فقد اختلفت آراؤهم حول عدد أبنائه، فيذكر ديدودور الصقلي أن لمكيبسا الكثير من الأبناء يذكر منهم: أذربعل الأكبر سنا، وهيمبصال ومكيبسا هذا الأخير الذي يحمل اسم والده (Diodore de Sicile, XXXIV,13)، أما سالوستي فيذكر أنه أنجب ثلاثة من الأبناء في سن متأخرة (Sallusti, 1971, X).

2 - شخصية يوغرطة وعلاقته بالرومان من خلال كتابات سالوستي:

يعتبر كتاب حرب يوغرطة (Bellum Jugarthinum) لسالوستي أقرب المصادر الأدبية إلى زمن الحادثة التاريخية، تعرض الكاتب إلى شخصية يوغرطة، كابن يفتقد الى الشرعية السياسية، نال رعاية جده ماسينيسا ثم عمه مكيبسا، الذي أعجبته قوة هذا الشاب الذي يمتع بالقوة البدنية، والحكمة، إلى جانب ذلك محبة النوميديين له، بداية الأمر سيمكنه استغلال صفاته هذه في إعلاء مملكته، لكن من جهة أخرى فزع من هذه الجرأة والطموح على ولديه الضعيفان.

existimans virtutem Iugurthae regno suo gloriae fore, tamen, postquam hominem adulescentem exacta sua aetate et parvis liberis magis magisque crescere intellegit, vehementer eo negotio permotus multa cum animo suo voluebat. Terrebat eum natura mortalium auida imperi et praeceps ad explendam animi cupidinem, praeterea opportunitas suae liberorumque aetatis (Sallusti ,1971, VI).

افترض أن شجاعة يوغرطة ستكون مجدا على مملكته، عندما أدرك أن هذا الشاب بدأ يصير رجلا وقوته تزداد يوماً بعد الآخر لم تكن تخيفه طبيعته المتعطشة للسلطة والمتسرعة لإشباع رغباتها فقط، بل كانت تخيفه أيضاً الفرصة السانحة التي يسمح بها عمره المتقدم وصغر عمر أبنائه،...، فضلا عن محبة النوميديين ليوغرطة".

لكن مكيبسا أكمل مشروع استغلال قوة يوغرطة عندما أرسله على رأس كتيبة نوميدية داعمة للجيش الروماني في حرب نومانس (Numance)[1] في إسبانيا، وقد حقق يوغرطة التميز في هذه الحرب جعل سكيبيو يشيد بقوته وجرأته حيث يقول سالوستي بأنه نصح يوغرطة بالعمل على نيل محبة الرومان جميعا، كما أرسل معه رساله الى مكيبسا يقول فيها:

> Iugurthae tui in bello Numantino longe maxima virtus fuit, quam rem tibi certo scio gaudio esse. Nobis ob merita sua carus est; ut idem senatui et populo Romano sit,..., summa ope nitemur. Tibi quidem pro nostra amicitia gratulor. Habes virum dignum te atque auo suo Masinissa,…, et Iugurtham beneficiis vincere aggressus est statimque eum adoptauit et testamento pariter cum filiis heredem instituit (Sallusti ,1971, IX).
>
> إن يوغرطاك هذا أبلى البلاء الحسن في حرب نومانس،...، سأوصي به الشعب والشيوخ خيرا في روما، باسم المودة التي بيننا أهنئك فإن هنا رجلا جدير بك وبجده ماسينيسا، فما كان من ميكبسا إلا أن يغير طريقته،...، وتبناه وكتب له الوصية على العرش.

ما يفهم من النص أن إجراءات التبني ووصاية العرش قام بهما ميكبسا مباشرة بعد عودة يوغرطة من الحرب في 133 ق.م، لكن في موضع آخر من كتاب سالوستي عندما يتطرق الى الحوار بين الأخوة الثلاثة عقب وفاة والدهما حيث ورد الآتي: "tametsi regem ficta locutum intellegebat et ipse longe aliter animo agitabat, tamen pro tempore benigne respondit. Micipsa paucis post diebus moritured Hiempsal… ignobilitatem Iugurthae, quia materno genere impar erat, despiciens, dextra Adherbalem assedit, ne medius ex tribus" (Sallusti ,1971, XI)، "ناقشوا تسيير المملكة وكان يوغرطة قد اقترح التخلي عن تدابير الرحمة وباقي القرارات التي اتخذها الملك قبل خمس سنوات والتي أدت الى وعن المملكة، فلنلغها جميعا قال هيمبصال، بما فيها القرار الذي اتخذه منذ ثلاث سنوات بتبنيك والذي أوصلك إلى العرش"

فيصبح قرار التبني الذي أشير إليه عند ما وقع النزاع على العرش بين الأخوة بعد وفاة ميكبسا في 118 ق.م، والذي يرده الباحثون إلى سنة 121 ق.م، وتظهر إشكالية أخرى في تاريخ نوميديا هل قرار التبني خاضع لإرادة الرومان أم هي رغبة ميكبسا لحماية ولديه ومملكته

---

[1] – نومانس: مدينة إسبانية تقع قرب منابع نهر الدورو، تبعد عن عاصمة اسبانيا الحالية مدريد بـ 200كلم شمالا، ثار سكانها ضد القوة الرومانية في 133 ق.م، مما جعل الرومان يقومون بحصارها ثم تدميرها، للمزيد ينظر: (سرحان، 2014، ص 7).

وكسب بن أخيه؟ (حارش، 2013، ص ص 101-102)، حتى لو لم يكن قرار التبني باقتراح روما فهو بمباركتها، إلى هذا التاريخ يعد يوغرطة أفضل النوميديين والأكثر تبجيلا لدى الرومانيين، وذلك للمميزات التي رآها الرومان فيه، والتي تستحق الإهتمام والرعاية حتى لا يخرج عن السيطرة، فقرروا منحه بعض الامتيازات في مملكة عمه.

جدير بالتوضيح أن مصطلح الصداقة الذي أشار إليه سكيبيو في رسالته إلى مكيبسا لدى الرومان، يعبر به عن العلاقات الاجتماعية بين شخصين طبيعيين، وكذلك عن شخصيتين معنويتين أو أكثر، حيث تعبر الصداقة عن حالة من التكافؤ، وتصبح العلاقة علاقة تبعية في حالة كان أحد الطرفين أقوى من الآخر، ومنذ أواخر القرن الثالث قبل الميلاد وبعد سيطرتها على معظم إيطاليا، أعتبر الرومان أنفسهم اقوى الأطراف في العالم القديم، وعلاقتها مع غيرها تدخل ضمن الإخضاع أو التبعية يبرز ذلك من خلال استخفافها بمعاهدتها مع قرطاجة ضد بيروس، مفضلة التفاوض مع ملك إبيروس دون حليفتها قرطاجة، وبناء عليه فكل مقترحاتها السياسية والعسكرية في واقع الأمر هي أوامر يجب على الطرف الآخر الرضوخ والاستجابة لها (الحمصاني، 2016، ص179)، وهو ما ظل سائدا حتى القرن الثالث للميلاد، جاء لدى فلوروس " أن يوغرطة حينما بدأ جرائمه، كانت نوميديا تحت ولاية وحماية (Fides) وتبعية (Clientela)مجلس الشعب الروماني" (Florus, 1557, I, 36).

يفيد مصطلح (Fides) الإخلاص والولاء الذي يظهره الأصدقاء لبعضهما البعض، كما يعبر المصطلح عن الصداقة نفسها لدى الرومان، سواء كان الصديق فردا أو جماعة، وهي من الصفات التي كان يعبر بها عن أصدقاء الشعب الروماني (Gaffiot, 1934, p.665)، ضف إلى ذلك فهو يعكس عدم المساواة، فالرومان يمدحون أصدقاؤهم من أجل ما يتمتعون به من إخلاص وولاء لهم، كما يظهر الرومان إخلاصهم للأصدقاء عن طريق المساعدة وقت الحاجة أي يقومون برعاية الأصدقاء الذين يحتاجون المساعدة، والرعاية حسبهم تكون من القوي إلى الأضعف منه، لذلك تدخل الشعوب والملوك المتحالفة مع الرومان في اطار "العملاء والرعايا""Parenter et Clients" (الحمصاني، 2016، ص ص 180-179).

أثنى سالوستي على جرأة وشجاعة يوغرطة إلى جانب الحكمة التي صقلته ووهبته اياها حرب نومانس حيث قال: "لقد حل يوغرطة المعادلة الصعبة. وأوجد توازنا كبيرا بين إندفاع الشجاع، ورؤية الحكيم، فاستخلص من الأول الجلد والصبر على الشدة، و اقتبس من الثاني

حسن التدبير، وهكذا أصبح القائد الأكبر يكلف يوغرطة بكل المهام العسيرة، ويتخذه صديقا" كما وصفه بجمع بين صنفين من الصفات يصعب الحصول عليهما لدى شخص واحد، Ac sane, quod difficillimum in primis est, et proelio strenuos erat et bonus consilio, quorum alterum ex providentia timorem, alterum ex audacia "temeritatem afferre plerumque solet"(Sallusti ,1971, VII) أولـها الجرأة، والشجاعة في الحرب إلى درجة المجازفة، وثانيهما الدهـاء السياسي زمن التحاور، بينما يـورث الأول المجازفة والإقدام، ويورث الثاني التـأني والحكمـة"

رأى الرومان في يوغرطة صورة جده ماسينيسا وقرروا أنه سيكون أفضل حماة مصالحهم في بلاد المغرب القديم في حال تغيرت ظروف المملكة النوميدية، تغير رأي مكبسا بهذه العبارات من مجلس الشيوخ الروماني، كما ستتغير عبارات سالوستي اتجاه يوغرطة بعد أن يظهر توجهه السياسي البعيد عن الخضوع للرومان.

من خلال الفقرة التي تؤرخ لتبني يوغرطة، يتضح عدم رضى إبني ميكبسا عن مشاركة يوغرطة لهم في الحكم، على الرغم من أن سالوستي لم يُعَرّف عن طباعهما إلا من خلال عبارة وحيدة بشأن هيمبصال "Hiempsal, qui minimus ex illis erat, natura ferox" "كان ذو طبيعة اندفاعية ومتوحش" ولم يُخْفِ عداؤه ليوغرطة منذ الوهلة الأولى، وهو الأمر الذي جعل الخلاف يتفاقم بين الأشقاء منذ الاجتماع الأول، مما دفعهم لتقسيم المملكة وليس المهام بينهما فقط. وكانت نقطة البداية لخلافات أكبر جلبت الحرب الى نوميديا(Sallusti ,1971, XI).

يقول سالوستي:

> placuerat dividi thesauros finisque imperi singulis constitui. Itaque tempus ad utramque rem decernitur, sed maturius ad pecuniam distribuendam. Reguli interea in loca propinqua thesauris alius alio concessere. Sed Hiempsal in oppido Thirmida forte eius domo utebatur, qui proximus lictor Iugurtha,…, Numida mandata brevi conficit atque, uti doctus erat, noctu Iugurthae milites introducit. Qui postquam in aedis irrupere, diuersi regem quaerere, dormientis alios (Sallusti ,1971, XII).
>
> جعلوا مساكنهم على مشارف المدينة التي تحوي كنوز المملكة، اختار هيمبصال مدينة ثرميدا، أين شاء له الحظ أن يختار بيت القائم بأعمال يوغرطة، رجل شديد التعلق بسيده، عظيم الولاء له، اراد يوغرطة استغلال هذه الفرصة، ووعد صاحبه بمساعدته لإسترجاع بيته، وزين له الأمر حتى سايره في مكيدة ...أن

يتخذ مفاتيح بديلة بعدما ذهبت مفاتيحه الى هيمبصال... دخل جنود يوغرطة خلسة ليلا... قطعوا رأسه حسب أمر يوغرطة وأخذوه اليه

لكن منذ أن دخل يوغرطة في صراع مع أشقائه أصبح عدوا لروما، إختلفت نظرة سالوستي ليوغرطة، مثلما يصفه في مقدمة كتابه أنه "شخصية دموية" " المتوحش الرهيب" "مرتش وفاسد"، ومبعث هذه الآراء هو العداء الشخصي الذي يكنه سالوستي للطبقة الأرستقراطية الرومانية، التي يرى أنها ساهمت في حماية يوغرطة على الأقل في بداية الصراع مع شقيقيه، وهي الطبقة نفسها التي سببت إبعاده ونفيه من روما، حيث لم يكن سالوستي من هذه الطبقة بسبب منشئه المتواضع، لذلك انخرط في حزب العامة وانتخب تريبونا لحزب العامة (Plebis Tribunus)[1] للمرة الأولى في العام 52 ق.م، ومن خلال انتمائه الحزبي وقف مع الشعبي كلوديوس ضد الأرستقراطي ميلو (Milo) لأن لديه من الأسباب الشخصية التي تجعله يضمر له الكراهية- سبق أن أزعجه إذ كان يلاطف زوجته- بمقدار الأسباب السياسية، فانتهز هذه الفرصة لمهاجمته كخصم سياسي فألقى عدة خطب سياسية معادية له و فعل كل ما في وسعه من أجل أن يؤجج غضب العامة بسبب إغتياله لكلوديوس، وتم الحكم عليه بالنفي لكن بعد سنتين انتقم مجلس الشيوخ من خلال أبيوس كلاوديوس (Claudius Appius) الذي طرد سالوستي و أعضاء آخرين من الحزب، بتهمة الفساد الأخلاقي، على الرغم من أنه لم يكن أسوأ من الباقين، لكنه كان ذلك إنتقاما من آرائه (Dupont, 2022, p. 264) .

تميزت علاقة يوغرطة بمجلس الشيوخ الروماني والأرستقراطية الرومانية، كما يصفها سالوستي بالآتي:

> Tum Iugurtha patratis consiliis, postquam omnis Numidiae potiebatur, in otio facinus suum cum animo reputans timere populum Romanum neque aduersus iram eius usquam nisi in auaritia nobilitatis et pecunia sua spem habere Itaque paucis diebus cum auro et argento multo Romam legatos mittit, quis praecipit (Sallusti ,1971, XIII).

[1] – حزب العامة: يتزعمه يوليوس قيصر كما يطلق عليه حزب الشعبيين، وهي فئة تطالب بحقوقها السياسية والإجتماعية، ضد طبقة الأرستقراطيين أو المحافظين، بزعامة بومبي زعيم الحزب الأرستقراطي الذي يرغب في إبقاء الأوضاع على حالها في روما، للمزيد ينظر: (نصحي، 2001، ص ص 500-506)

الاحتماء بأطماع النبلاء وما يمكن لما معه من مال أن يحقق على هذا المستوى، وأنجز يوغرطة ما فكر فيه فأرسل مبعوثين محملين بالذهب إلى روما، مهمتهم جلب صداقات جديدة.

بعد حادثة مقتل هيمبصال بن مكيبسا، وإحتماء شقيقه أذربعل بمجلس الشيوخ الروماني، مَثُلَ مبعوثو يوغرطة كذلك أمام مجلس شيوخ روما، ودفعوا الإتهام عنه، وكان الرأي الغالب في روما تبرئة ساحة يوغرطة من دم أخيه، كما قرر المجلس إرسال سفارة تقسم البلد بين طرفي النزاع، ويضيف سالوستي ترأس اللجنة ل. أوبيميوس الذي استغل كل أعداء يوغرطة من الرومان، لكن هذا الأمر لم يطل حتى أغراه يوغرطة بالأموال والهدايا paucis carior fides quam pecunia fuit. In divisione, quae pars Numidiae Mauretaniam attingit, agro virisque opulentior, Iugurthae traditur (Sallusti, 1971, XVI) " كان الواء للمال والنتيجة أن استحوذ يوغرطة على القسم من نوميديا المحاذي لموريطانيا وهو الجزء الأكثر ثراءا وسكانا"

يتحدث سالوستي عن "ما يمكن لما معه من مال أن يحقق على هذا المستوى" وكأن خصم يوغرطة أحدا من العامة، واذا كان يوغرطة ملكا على نوميديا، فإن شريكه أذربعل في الحكم يمتلك من الأموال ما يجعله يغدق على أعيان روما ما يمكنه من استمالتها وكسبها، لكن ما رآه الشيوخ في شخص يوغرطة ولم يلمسوه في شقيقه ليست الأموال والهبات بل الدهاء والفطنة ومحبة النوميديين له، وإذا ما وقفوا ضده وكأنهم يعلنون الحرب على مملكة من المحاربين، في الوقت الذي كانت روما تعاني من غارات القبائل الغالية منذ 118 ق.م تعرضت لهجمات قبائل البرابرة في الألب، وانتصر فلاكوس (Flacus) عليها، لكن تطلب الأمر حملات أخرى لتأديبها كلما تمردت، بالإضافة إلى هزيمة الرومان ضد غارات قبائل الكمبري في شمال أوروبا التي تقوم بغزو اليريا، كما تهاجم حلفاء الرومان التوريسكي في نوريكوم (الأحمد، د.ت، ص ص 89-90).

أما عن اختيار القسم المجاور لموريطانيا، فالأمر لا يستحق دفع ثمنه للرومان، لأن الواقع يخالف ذلك فالمنطقة التي منحت لأذربعل الممتدة من خليج السرت الكبير الى العاصمة كيرتا هي منطقة غنية بالسهول الخصبة والمدن والموانئ، تتصل مباشرة بالمدن صديقة الرومان مثل أوتيكا...، وقورينة (Plinii,1851 , Lib, V, III, 1)، في حين تعتبر المنطقة الغربية بعيدة

عن التأثيرات البونية بمعنى أقل تطورا من المنطقة الشرقية ومعزولة نسبيا اذا ما قورنت بالمنطقة الشرقية (بولخراص، 2015، ص 55)، وهذا ما يثير التساؤل عن دوافع سالوستي من تدوين تاريخ الحرب ضد يوغرطة، وإشارته الى الرشوة والفساد الذي تعامل به يوغرطة مع الرومان، هل كان عملا يحاول بحق كما قال فيه العودة الى الفضيلة والأخلاق، أم هي عملية تشهير بالطبقة المتنفذة والحزب الأرستقراطي في روما ؟

تفاقمت ظاهرة الرشوة في المجتمع الروماني منذ عهد الأخوين غراكوس (Gracchus) (125–131 ق.م) تلقى نواب مجلس الشيوخ والقناصل الرشوة من طرف سفارات ملوك الحلفاء والأصدقاء للموافقة على مشاريعهم، وأصبحت تستخدم من طرف الطبقة المتنفذة الرومانية لتحقيق أغراضها المختلفة في الجانب السياسي والإداري وتجاوزت ذلك إلى الميدان العسكري أما ميدان القضاء القضاء فمنذ 149 ق.م وهو يغرق في مستنقع الفساد، لكن المصادر الأدبية الأخرى لا تهتم بتقديم ملوك نوميديا الرشوة الى الرومان، باستثناء سالوستي في حرب يوغرطة هذه الظاهرة التي لم يسلم منها صاحب الكتاب شخصيا ففي العام 59 ق.م عندما شارك في الحرب الأهلية استطاع جمع ثروة هائلة من الأعمال غير الشرعية كالرشوة ونهب الغنائم، كما تقلد مناصب أخرى بطرق شرعية وأحيانا بطرق فاسدة، وعندما تولى منصب قنصل لمقاطعة نوميديا بعد غزوها من طرف قيصر، أربك حال النوميديين وأثقل كاهلهم بالضرائب، وأصدروا في حقه شكاوي متعددة، وهذا ما يقلل من مصداقية كتابات سالوستي خاصة فيما يتعلق بتقديم يوغرطة الرشوة (شارن، 2001، ص ص 363– 364، 368) حيث يشير إليه كاسيوس بالقول: "بينما كان قد أدلى في الكتب التي كتبها بملاحظات مريرة وعديدة ضد أولئك الذين يحتالون على الآخرين، إلا أنه لم يمارس ما بَشّر به، على الرغم من أن قيصر برأه تمامًا، إلا أنه في تاريخه، كتب الرجل على نفسه دليل إدانته" (Casius,1868, Lib XLII, 9).

إن تم التسليم بالرأي القائل أن العلاقة بين روما ونوميديا علاقة حلف وصداقة قوية ربطها ماسينيسا مع الرومان، وحافظ عليها مكيبسا، فقد أضحت علاقة تدخل صريح في شؤون المملكة في عهد يوغرطة وأخويه، كما يبدو تخوف روما من يوغرطة واضحا بمنحه القسم الأقل أهمية في المملكة، لعزله وإبقائه تحت المراقبة قدر الإمكان، الأمر الذي تفطن إليه يوغرطة وجاء رده سريعا، باستخدام كل الوسائل المتاحة أمامه والتي من شأنها أن توصله لمراده، بادئ الأمر قدم الرشوة لاستمالة مجلس شيوخ روما لتمرير مشروعه المتمثل في القضاء على

خصميه، ثم عندما سارت الأمور نحو الحرب، بالاعتداء على الجالية الإيطالية في كيرتا سوف يصبح رفع السلاح هو الحل.

لم يمنعه تقسيم الرومان لمملكة جده من القضاء على خصمه المتبقي، بل استغل الأوضاع الداخلية الرومانية، حيث عرفت أزمة أخلاقية تتمثل في ظاهرة الرشوة وشراء ذمم الشيوخ، فقد هاجمه وحاصره في عاصمته كيرتا كما جاء لدى سالوستي:

> necessario copias parat et Iugurthae obvius procedit. Interim haud longe a mari prope Cirtam oppidum utriusque exercitus consedit et, quia diei extremum erat, proelium non inceptum. Sed ubi plerumque noctis processit, obscuro etiam tum lumine milites Iugurthini signo dato castra hostium invadunt, semisomnos partim, alios arma sumentis fugant funduntque. Adherbal cum paucis equitibus Cirtam. profugit Legati in Africam maturantes veniunt, eo magis quod Romae (Sallusti, 1971, XXI, XXII).

> بعد تقسيم المملكة، ...، فرغ يوغرطة من الهواجس السابقة وصار متفرغا تماما لمملكة أذربعل،...، كان لقاء الفريقين بضواحي كيرتا،...، قبل طلوع النهار،...، كانت مجزرة حقيقية جعلت أذربعل مع قلة من جنوده يفرون باتجاه كيرتا،..، لم يكن من يوغرطة إلا أن هاجم المدينة،...، وكانت أخبار حصار المدينة تملأ آذان المبعوثين قبل وصولهم إلى نوميديا.

لم يُفصل سالوستي في أخبار وظروف الأربع سنوات التي تفصل بين قرار التقسيم في العام 117 ق.م، والنزاع بين الأخوين في 113 ق.م (حارش، 2013، 107)، لابد من وجود أحداث جعلت يوغرطة ينتظر هذه الفترة هو تعطشه للسلطة وعند استنجاد أذربعل بالرومان للمرة الثانية، أرسلت روما وفدا للتحقيق في المسألة سنة 112 ق.م لكنه لم يحقق إنجازا يذكر سوى تنديد لم يثني يوغرطة عن مشروعه (نصحي، 1973، ص172)،

> Ea postquam Cirtae audita sunt, Italici, quorum virtute moenia defensabantur, confisi deditione facta propter magnitudinem populi Romani inviolatos sese fore, Adherbali suadent, uti seque et oppidum Iugurthae tradat…Iugurtha in primis Adherbalem excruciatum necat, deinde omnis puberes Numidas atque negotiatores promiscue, uti quisque armatus obvius fuerat, interficit Romae (Sallusti, 1971, XXVI).

دفعت الأخبار الواردة حول لقاء يوغرطة بممثلي المجلس الإيطالي المتعبين من الحصار،...، الى نصيحة أذربعل كي يسلم نفسه، ثم يفعلون مثله بعد الحصول على وعد الأمان، وانتهى أذربعل بقبول اقتراحهم واستسلم سجن يوغرطة عدوه ونكل به تنكيلا لا يوصف قبل أن يقتله،...، عند دخول كيرتا كانت مجزرة لا سابق لها.

ويتساؤل المؤرخون لماذا انتظرت روما كل هذا الوقت حتى تعلن الحرب على يوغرطة؟ منهم من رد ذاك لإنشغالها بحروب الكمبري والتيينون ومسائل الشرق القديم ولا يمكنها فتح الحرب على عدة جبهات، وآخرون يرون أن السبب هو قوة المملكة النوميدية، منذ عصر مكبسا حققت المملكة تطورا هاما أشاد به المؤرخون القدامى، حتى أن سترابون يقول بأن بإمكانها تجنيد 10 الاف فارس(Strabon, 1880, Liv XVII, 13)، ولا تزال هذه المملكة محافظة على قوتها وثرائها رغم قرار التقسيم، فلا يمكن لروما التدخل المباشر، كما أن يوغرطة لم يشق عصا الطاعة مباشرة ويعلن تمرده عن الرومان، لتكون ذريعة لمجلس الشيوخ حتى يعلنون الحرب ضده ويقتنع الشعب الروماني بحجته، ولما وجد في مقتل الجالية الإيطالية مبررا لم يتوانئ عن ذلك.

3-الحرب ضد يوغرطة (حملات الرومان على نوميديا):

3-1- حملة كالبرنيوس بستيا Calpurnius Bastia 111 ق.م:

يقول سالوستي بشأن حملة بستيا:

Interim Calpurnius parato exercitu legat sibi homines nobilis factiosos, quorum auctoritate quae deliquisset munita fore sperabat,…, legiones per Italiam Regium atque inde Siciliam, porro ex Sicilia in Africam transuectae, Igitur Calpurnius initio paratis… Numidiam ingressus est, multosque mortalis et urbis aliquot pugnando cepit. Sed ubi Iugurtha per legatos pecunia temptare bellique, quod administrabat (Sallusti, 1971, XXVIII, XXIX).

جهز كالبرنيوس نفسه ودعم المجلس بعديد النبلاء المفيدين في حالات الحسابات الداخلية،...، عبر الجيش من ايطاليا ثم صقلية ودخل إفريقيا، عدة مواجهات سريعة انتهت بأسره لعدد مهول من النوميديين وسيطرته على عدة مدن،...، عاد يوغرطة الى طريقته أرسل المال الطائل ولم يطل تردد القائد

الروماني، فقد أثنته أطماعه عن الإستقامة،...، تم المصادقة على الهدنة،...، ليعم الضفة النوميدية الهدوء والسلام.

حسب ما ورد لدى سالوستي، بأن يوغرطة يمتلك الحلول لك الأزمات عن طريق شرائها بالمال، لذلك لم يبذل جهدا كبيرا في استمالة القائد الروماني وشراء ذمته مقابل معاهدة لا تليق بنودها بسلطة روما، كالإعتراف بسيادته على كامل التراب النوميدي بإستثناء لبدة التي قرر سكانها اللجوء الى الرومان، مقابل مبلغ زهيد من المال وعدد كبير من الخيول والمواشي ووثلاثون فيلا (Sallusti ,1971, XXVIII, XXIX)

إن رأي سالوستي هو رأي العامة التي ترى تواطؤ قائد الحرب بمقابل نقدي وعيني أمام الهدنة والذي عبر عنه أحد ممثلي العامة يدعى س. ميموس " من الذي يدعم يوغرطة في غيّه هذا؟ نفر قليل يحظى بالثروة الطائلة فيما تحصد الدولة الهوان" (Sallusti ,1971, XXXI) فيما يرى الإتجاه الآخر أن الهدنة هي الحل الأمثل على الدخول في حرب متوازنة القوى محفوفة بالمخاطر غير مضمونة النتائج (نصحي، 1973، ص 174).

لكن رأي العامة الذي تبناه سالوستي لا يستند إلى الموضوعية، فالهدنة ليست نهاية الحرب بين روما ويوغرطة، حيث ترك بستيا الجنود على مشارف نوميديا وغنم الرومان مدينة لبدة التجارية التي سيتفيد الرومان من ضرائبها واتواتها(Sallusti ,1971, XXXIII) ، وهنا قد بدأت سياسية التقسيم التي شرع الرومان في تنفيذها في نوميديا منذ بداية الحرب، إلى جانب الخيول البربرية التي دأبت روما على استرادها من نوميديا، في حين أن الفيلة ليس لها دور في حروب الرومان لكنها في حروب المغاربة لها حظوة وإمتياز كبيرين، أما المال فلم يذكر قيمته العددية حتى يتم الحكم ها حقا يجب أن يوصف بالمبلغ الزهيد.

حسب سالوستي فقد نتج عن معارضة العامة لقرار القنصل الذي واجه يوغرطة، جلب هذا الأخير الى المحاكمة في روما، لكن المحاكمة كانت شكلية كالعادة، واستطاع يوغرطة الإفلات من القانون الروماني، كما تمكن من القضاء على آخر خصومة من بني عمومته: Romae Numida quidam nomine Massiua, Gulussae filius, Masinissae nepos, qui, quia in dissensione regum Iugurthae aduersus fuerat, dedita Cirta et Adherbale interfecto profugus ex patria abierat,…, cum metu urgeat, regnum Numidiae ab senatu petat" (Sallusti ,1971, XXXIV, XXXV) " كان هناك في روما أمير نوميدي اسمه ماسيفا بن جولوسا وحفيد ماسينيسا، الذي كان على خلاف مع

يوغرطة، وبعد مقتل أذربعل هرب من بلده مطالبا الرومان بولاية عرش نوميديا" لتصبح حصيلة يوغرطة ثقيلة من الجرائم.

تنوعت وسائل المقاومة لدى يوغرطة، بين الدبلوماسية والتفاوض، الإغراء بالأموال، قوة السلاح، واستغلال الفجوة السياسية بين سياسي روما ونبلائها، فهو في موقف الملك المدافع عن مملكته ضد عدو خارجي (محمد عبد الغني،2000، ص 32)، لكن سالوستي يضعه في مقام التابع ويطلق عليه النعوت والصفات التي وصف بها نبلاء روما الذين آثروا مصالحهم الشخصية على مصلحة الجمهورية، وهي صفات لا تنطبق على يوغرطة الذي يعمل على استرجاع سيادة مملكته بشتى الوسائل المتاحة في السياسة والحرب.

3-2 – حملة ألبينوس (S. Postunius Albinus) 110 ق.م:

استأنف الرومان حربهم ضد يوغرطة، بتعيين ألبينوس قائدا لهذه الحملة، وهنا يشير سالوستي الى خطة يوغرطة في مواجهة الرومان "contra Iugurtha trahere omnia et alias, deinde alias morae causas facere; polliceri deditionem ac deinde metum simulare cedere instanti et paulo post, ne sui diffiderent, instare: ita belli modo, modo pacis mora consulem ludifficare" "بعد التسليم يتراجع، يتظاهر مرة بالخوف، يفاوض أياما، يقرر عكس ما يفاوض به، يترك مساحات للقنصل لاحتلالها، ثم يهاجم فيسترجع بعضها، كان هدفه ابتلاع التسرع والعجلة التي كان ألبينوس فيها" فضيع الوقت على البينوس الذي عاد الى روما وترك قيادة الجيش لشقيقة أولوس(Sallusti ,1971, XXXVI)

ولم يكن حظ أولوس أحسن من أخيه، فقد أخفق بدوره في القضاء على يوغرطة، رغم أنه "aut conficiendi belli aut terrore exercitus ab rege pecuniae capiendae milites mense,…, oppidum Suthul, ubi regis thesauri erant,.., caelum nocte atque nubibus obscuratum thesauros oppidi… periculum anceps; postremo fugere an manere tutius foret…Numidae cuncti irrupere Nostri foeda fuga, plerique abiectis armis, proximum collem"(Sallusti ,1971, XXXVI, XXXIX)"

كثف الهجمات راغبا إما في إلقاء القبض على يوغرطة أو الحصول على المال،...، تقدم بسرعة في هجماته إلى أن بلغ ساحة السوثول أين يوجد كنز الملك، إلا أن الجو الشتوي الذي اختاره،...، الموقع المحصن،...، الاسوار المبنية على جرف هار ومن الجهة الأخرى يقابلها امتداد كبير يتحول بفعل المطر الى وحل لا عبور منه،...، هجم النوميديون ليلا، وطوقوا الرومان ،...، ولم ينقض الليل إلا والجيش الروماني يترك الاسلحة ويهرب.

قد أدت الهزيمة في معركة السوثول (Suthul) إلى الخضوع لشروط يوغرطة، وحتى بعد عودة بوستنيوس ألبينوس الى نوميديا فإنه لم يتمكن من إنقاذ الموقف، وتم إبعاده ليتولى منصب القنصلية ميتلوس سنة 108 ق.م، وبقيادته سوف تدخل الحرب طورا آخر في مسرح أحداثها ونتائجها(Sallusti ,1971, XXXVI, XXXIX).

فاوض يوغرطة الرومان من باب التفوق واشترط انسحابهم من نوميديا خلال عشرة أيام "Sed ubi ea Romae comperta sunt, metus atque maeror civitatem invasere: pars dolere pro gloria" "وقد كان الامر مهينا بالنسبة للرومان، إلا أن يقين الموت جعلهم يسارعون إلى القبول"، وهذا ما زاد من ثقل الهزيمة في روما، وعمَّق الخلاف أكثر بين العامة والطبقة النافذة وفتح تحقيق لمقاضاة المتسببين في الإخفاقات المتكررة، وتمت محاكمة الأخوين ألبينوس وكذلك القائد الذي سبقهم كالبورنيوس(Sallusti ,1971, XXXIX)

لم تكن حرب يوغرطة هي المعركة الوحيدة التي هُزِمَ فيها الجيش الروماني بل مُنِيَ بهزيمة ثقيلة من طرف قبائل الكمبري شمال الدانوب وغزوا غالا وأربكوا أوضاع الجمهورية الرومانية ، وعلا صوت النقاش في روما الذي يعيد سالوستي سببه إلى طغيان طبقة العامة التي أصبحت لا تختلف عن النبلاء(Sallusti ,1971, XLIII)

إن فتح جبهات القتال في أكثر من جهة، يربك الدول ويهزم الجيوش، لكن نظرا لأهمية المنطقتين، نوميديا وشمال ايطاليا بالنسبة لروما، فقد أرسلت حملتان واحدة بقيادة ميتلوس الى نوميديا، والثانية بقيادة سيلانوس (الأحمد، د.ت، ص 90).

على الرغم من أن الاهتمام الكبير الذي يوليه سالوستي في كتابه حرب يوغرطة بالقيم الأخلاقية التي تعامل بها موظفي الدولة الرومانية في هذه الحرب، ومثله مثل العامة لم يرض بإنجازات القيادات السابقة للجيش الروماني في نوميديا، التي وصلت إلى سوثول وانهزمت هناك، على الرغم من عدم معرفة موقعها بدقة، إلا أن بول أوروسيوس من القرن الخامس للميلاد بعد ستة قرون من سالوستي يخبر بأنها مدينة خميسة الحالية تقريبا تبعد عن سدراتة ب20كلم، أما بالنسبة للآراء المعاصرة فإن السوثول وصف سالوستي لميدان المعركة على جبل محاط بالأهوار والمستنقعات بالإضافة الى التحصينات المنيعة، يجمع محمد أكلي إخربان الآراء التي تناقش موقع السوثول بدءا بالرأي الذي يرى موقع قالمة الذي يتحدث عنه اوروسيوس ويشير إلى تواجدها جنوب شرق هيبون بضواحي حمام بردة (Mannert, 1842,

(pp. 702-703، وبين من يراها بجوار تيفاست حيث المستوطنة الرومانية التي يطلق عليها الرومان اسم سوثال في منطقة على الحدود التونسية الجزائرية الحالية التي تسمى بير أم علي، بل من الجغرافيين من يضعها في تونس الحالية (Ikherbane, 2017, pp. 291-296)، لكن اذا صحت الفرضية القائلة بأن موقع السوثول بجوار قالمة وسدراتة الحاليتين، فإن الجيش الروماني تمكن من الزحف على نوميديا ووصل الى موقع ليس ببعيد عن كيرتا، لكن سالوستي يريد القضاء على مملكة نوميديا بين يوم وليلة متجاهلا كل الإمكانيات المادية والبشرية التي تمتلكها من تجهيزات للجيوش وعدد لا يستهان به من المحاربين.

3-3- حملة ميتلوس Q. Caeciluis Metellus 109 ق.م:

أمام ثورة العامة في روما، والإنقسام الحزبي بين الشعبيين أنصار الطبقة العامة، والأرستقراطيين الذين يحاولون الهيمنة على كل الموارد والحقوق في الجمهورية، مع إزدياد الفوضى وضعف المبادئ والقيم الأخلاقية، وهو ما انعكس على كل جوانب الحياة الرومانية، بما في ذلك الجيش، الذي كان لا يزال لحد تلك الساعة جيشا مؤقتا يجند من العامة. فحسب ما رواه سالوستيي أن الجيش الذي رابط على تخوم الأراضي النوميدية وقع فريسة الفساد والرشوة من طرف يوغرطة.

3-3-1- معركة وادي المثول: عندما أختير ميتلوس قنصلا لسنة 109 ق.م وكلف بحرب نوميديا، "Erat haud longe ab eo itinere, quo Metellus pergebat, oppidum Numidarum nomine Vaga,…, praesidium imposuit,…. flumen oriens a meridie nomine Muthul, a quo aberat mons ferme milia viginti tractu pari,…, Eo modo inter se duo imperatores summi viri, certabant, ipsi pares" (Sallusti ,1971, XLVIII, LII) "أعاد تشكيل الجيش لقلة ثقته بالجيش القديم، جمع المتطوعين والمرتزقة وأحلاف، جهز أسلحة الهجوم، الدفاع، الأسلحة الثقيلة ومؤنا كثيرة... وإنطلق نحو نوميديا وغير بعيد عن مسار ميتلوس كانت هناك منطقة تسمى باجا،...، اتخذ من ذلك المكان نقطة إرتكاز بتثبيت فيلق هناك،...، نهر يدعى المثول، بعيدا بما يقرب عشرون ألف قدم... على هضبة عالية قمتها ممتدة بالطول،...، وتواصل الصراع بين هذين القائدين الجبارين"

بعد إخضاع باجا وهي مدينة نوميدية ذات طابع زراعي، غنية بالقمح، تأسست بها الأسواق منذ عصر نوميديا، لم يحدد موقع الخصمين اللذين وضعهما على الهضبة غير بعيد عن وادي المثول، فإختلف المحدثين في تحديد موقع الهضبة والوادي، وادي المثول بين وادي

ملاق (مسكيانة) الذي ينبع تبسة فخنشلة ويمتد إلى غرب الكاف شمال غرب تونس الحالية، ويلتقي بنهر مجردة، ليصبح أحد فروعه ويكون ميتلوس قد سار من باجا نحو الغرب بين الجبال والمرتفعات، بالإضافة الى التقارب في الحروف بين المثول والموسولاني أو الموسولامي أحد القبائل المغاربية التي تتموقع في هذه المنطقة، أما الرأي الآخر فيقول بأنه وادي تاسا (Tassa) ويفترض توجه ميتلوس نحو الجنوب الغربي حيث المدن النوميدية دوقة وزاما أين يمتد الطريق من باجا الى سيكا –الكاف الحالية– عبر الطريق من هنشير المطرية وهنشير الدوامس (Gsell, 1928, p.190).

حسب سالوستي فقد استولى ميتلوس منذ بداية زحفه على على سهول وادي مجردة ومدينة باجا التي جعلها قاعدة عسكرية، ثم توجه نحو وادي المثول أين وقعت المواجهة بينه وبين يوغرطة، إذ عمل هذا الأخير على مراقبته عند توجه نحو كيرتا، إلا أنه فهم خطة يوغرطة وأعاد تنظيم جيشه وجعل ماريوس مساعدا له (Marius) على رأس وحدات خفيفة، يتقدم في المسير لإقامة معسكره على ضفة نهر المثول، لكن يوغرطة ظل يراقبه وتمكن من مهاجمته في معسكره، مستخدما تقنية الكر والفر إذ يوشك على المواجهة مع الرومان ثم يفر لتتبعه الفرق الرومانية فتقع في فخ الفوضى والتشتت ويسهل اختراقها (حارش، 2014، ص 53).

كما استخدم أسلوب التأثير العاطفي كالتحفيز وبث الحماس في أوساط جنده وتذكيرهم بالكرامة والحرية التي لن يحضوا بها إلا تحت الراية النوميدية، وبهذا الصدد يشير فنطر الى روح الوطنية المبكر الذي عرفه المغاربة القدامى في هذه الفترة (فنطر، د. ت، ص 182)، لأن روح الوطنية بالإضافة إلى كونها ميزة يكتسبها الأشخاص بمقدار الوعي والإدراك للواقع السياسي الذي تمر به بلادهم، هي رد فعل غريزي ينشأ لدى الأفراد، فمثلما يحمي الإنسان جسده المادي يحمي أرضه ويدافع عن حريته بكل عفوية وتلقائية، لأنها تصبح جزءا من كيانه مثل باقي أعضاء جسده.

استمرت المعركة الى مغيب الشمس، أين أمر ميتلوس جيشه بالانسحاب الى المعسكر ولاحقهم النوميد الى هناك، تمكن الجيش الروماني من الإطاحة به وتكبيده خسائر فادحة، رغم أن سالوستي اعتبر هزيمة الجيش النوميدي انتصارا كبيرا فإن ميتلوس لم يقنع بهذا الانتصار الجزئي وراح يبحث عن نمط قتال مختلف يتبناه في حربه ضد يوغرطة يضمن له تحقيق انتصارا مجيدا ويعجل في القضاء على خصمه، لذلك ستراه يلجأ الى أسلوب النهب وتخريب

المدن والمدن الصغيرة غير المحصنة والأرياف التي سوف يمر بها يوغرطة ، لإرهاب أهلها وقطع المؤن والمساعدات عن جيش نوميديا، والابتعاد قدر الإمكان عن المواجهة المباشرة التي سوف تكون نتائجها متوازية وكفة النوميديين (عمران، 2017، ص 361).

واتبع يوغرطة أسلوب حرب الكمائن ينال من الجيش الروماني ويلوذ بالفرار الى مخبئه، كما عمد إلى تسميم المياه والأعشاب حتى لا يستفيد منها الرومان، وانعكس الأمر سلبا على ميتلوس وجنده دون إحراز النصر المبين الذي يتوقون اليه، أما عن السياسة العسكرية التي طبقها ميتلوس بعد معركة المثول حسب سالوستيي هي:

parem animum gerant: pro victoria satis iam pugnatum, relicuos labores pro praeda fore,…, Itaque in loca Numidiae opulentissima pergit agros vastat, multa castella et oppida temere munita aut sine praesidio capit incenditque, puberes interfici iubet, alia omnia militum praedam esse. Ea formidine multi mortales Romanis dediti obsides (Sallusti ,1971, LII, LIII).

لحد الآن حاربنا من أجل النصر لكن من هنا فصاعدا من أجل الغنائم،...، توغل في المناطق الأكثر ثراء في نوميديا وطبق سياسة الأرض المحروقة، وقتل كل من يمكن أن يحمل السلاح، وترك البقية لغضب ووحشية الجنود، وهكذا حصلوا على العديد من الرهائن وكميات من القمح.

تجاهل سالوستيي القيم الأخلاقية والفضيلة، أمام النصر الذي حققه القائد الروماني، ولا بأس بانتهاج أسلوب القتل والحرق غير المبرر في الحرب التي كانت ذريعة خوضها القتل والوحشية دون مبرر التي تبناها يوغرطة تجاه خصومه، مظهرا تحيزا صريحا للبراغماتية الرومانية.

3-3-2-سياسة يوغرطة واستراتيجيته العسكرية: اتبع يوغرطة أسلوب حرب الكمائن ينال من الجيش الروماني ويلوذ بالفرار الى مخبئه، كما عمد إلى تسميم المياه والأعشاب حتى لا يستفيد منها الرومان، وانعكس الأمر سلبا على ميتلوس وجنده دون إحراز النصر المبين الذي يتوقون اليه.

ac post paulo cohortibus Siccam missum, frumentatum cum paucis cohortibus Siccam missum, quod oppidum primum omnium post malam pugnam ab rege defecerat, Romanis in porta pugnam facit, simul magna voce Siccensis hortatur, uti cohortis ab tergo circumven iantpostea sese in regno, illos in libertate sine metu

aetatem acturos. Ac ni Marius signa inferre atque euadere oppido properauisset, profecto cuncti aut magna pars Siccensium fidem mutauissent: tanta mobilitate sese Numidae gerunt (Sallusti ,1971, LVI).

أرسل مع بعض الكتائب للتمون بالقمح من سيكا أول المدن التي تخلت عن القضية الملكية، وصل الى هذه المدينة ليلا مرفقا بفرسان منتقبين، وفي الوقت الذي كان الرومان يتأهبون للخروج، بدأ القتال على الأبواب، وبصوت عال طلب(يوغرطة) من الأهالي ان يحيطوا بالكتائب بالمرور خلفها فالثورة تعطيهم فرصة أن استغلوها أن يعيشوا دون خوف هو في مملكته وهم أحرار خرج ماريوس سالما من المدينة، تخلى كل السكان أو أغلبهم عن قضيته مادامت أحاسيس النوميديين متغيرة

كما تصدى أهل زاما لضربات الرومان عندما اتجه ماريوس اليها وحاصرها وما كان من المحاصرين إلا "رمي الحجارة الملتهبة ورماحا من كل نوع"، أما يوغرطة فتوجه الى معسكر ميتلوس ونكل بحراسه، الى أن تفطن ميتلوس المرابط على أسوار زاما الى ما وقع بمعسكره فأرسل مساعده وجنوده الى هناك، حيث أشار سالوستيي الى أن جند يوغرطة فروا منهزمين من المعسكر الروماني و" تحقق ميتلوس من غرور مخططه المستحيل لإحتلال المدينة، فيوغرطة لا يحارب إلا فجأة أو على أرض مناسبة"(Sallusti ,1971, LIX, LX)

تمكن يوغرطة وجيشه بالتنسيق مع سكان مدينتي سيكا وزاما، من تشتيت جيش ميتلوس والتضييق عليه وبث الرعب في أوساطه بين أسوار مدينة زاما وأبواب سيكا وخيام معسكره، ولا يتسنى مثل هذا العمل إلا لقيادة راشدة عرفت كيف تحكم شعوبها، وشعوب واعية بأهمية الالتفاف حول القائد في الأزمة.

ولم يتمكن ميتلوس من تحقيق نتائج حاسمة لصالحه، مما جعله يُؤْثِر الانسحاب الى المقاطعة الإفريقية لقضاء فصل الشتاء هناك، وتمكن يوغرطة في فترة غياب ميتلوس من استرداد معظم المناطق التي استولى عليها الرومان، كما تمكن من تأليب سكان باجة ضد الحامية الرومانية التي تركها ميتلوس في المدينة، فلم يخرج منها أحدا سالما سوى قائد الحامية في ديسمبر 108 ق.م، مما جعله ينتقم منها بحرقها (حارش، 2014، ص 55).

3-3-3- ميتلوس وحبك المؤامرات: في ربيع 108 ق.م يعود ميتلوس لينتقم من سكان باجة ويهزم يوغرطة ويجعله يتجه نحو تالا، وقد جمع ميتلوس بين العمل العسكري وبين حبك المكائد بشراء ذمم مساعدي يوغرطة والجنود النوميديين، حسب ما يفهم من نص سالوستيي:

gitur Bomilcarem, qui Romae cum Iugurtha fuerat et inde uadibus datis clam de Massiuae…multis pollicitationibus aggreditur si Iugurtham viuum aut necatum sibi tradidisset, fore ut illi senatus impunitatem et sua omnia concederetfacile Numidae persuadet, cum ingenio infido tum metuenti, ne, si pax cum Romanis fieret, ipse per condiciones ad supplicium traderetur. (Sallusti ,1971, LX).

تذكر بوميلكار،...، وهو من استخدمه ميتلوس بوعود كثيرة، نجح أولا في استدعائه والتزم بشرفه اذا سلم يوغرطة حيا أو ميتا أن يعفيه مجلس النواب من العقاب... في أول فرصة بادر بوميلكار يوغرطة بأنه قلق وخائف على مصيره،...،كل المواجهات مع الرومان كانت خسائر،...، ووصل بيوغرطة إلى الإستسلام، وأرسل نواب مكلفون يؤكدون للقائد الروماني أن الملك سيخضع دون تحفظ"، كما استخدم نابدالسا نبيل ثري محبوب بين مواطنيه" ينوب يوغرطة في كل الشؤون التي يتركها له عندما يكون تعبا أو مشغولا.

حيث اتفق الإثنان بوميلكار ونابدالسا على تسليم يوغرطة لميتلوس، لكن الملك النوميدي تفطن للأمر وقضى على بوميلكار وتمكن نابدالسا من الفرار(Sallusti, 1971, LXIX).

في هذه المرحلة لم يكن الرومان أقل خسائر من يوغرطة، لكن ميتلوس عرف كيف يستخدم الحرب النفسية (الدباغ، 1998، ص 17) ضد يوغرطة، بإستخدام أقرب مساعديه وذراعه اليمين الذي كان حاضرا في كل أعمال يوغرطة، ومن بين القلائل الذين يثق في آرائهم وهو ما أدخل الشك وعدم اليقين من النصر ليوغرطة، لم يتوانئ بوميلكار في إحباطه بالتهويل والمبالغة في قوة الرومان وخسائر النوميديين، والتهوين من قيمة الإنتصارات التي حققها النوميديين وملكهم، مما دمر مقاومته المعنوية وجعله يفكر في الإستسلام.

وكانت شروط الاستسلام التي أملاها ميتلوس كالتالي: "Metellus propere cunctos senatorii ordinis ex hibernis accersi iubet; eorum et aliorum, quos idoneos ducebat, consilium habet. Ita more maiorum ex consili decreto per legatos Iugurthae imperat argenti pondo ducenta milia, elephantos omnis,equorum et armorum aliquantum" (Sallusti, 1971, LXII). " تسليم 200.000 وزنة ذهبية، وكل الفيلة، الخيول، الأسلحة، ويكون التسليم فوري دون تأخير، كذلك تسليم الفارين (الرومان)

مقيدين بسلاسل، نقذ الأمر كله تقريبا"، لكن يوغرطة استأنف القتال ضد ميتلوس من جديد وجهز جيشه.

لم يسلم الميدان العسكري من المؤامرات والفساد حسب سالوستيي الذي يرى أن سحب القنصلية من ميتلوس، كان سببه مساعده ماريوس، عندما خان ميتلوس دهاؤه وخسر ورقة الملك النوميدي غودا الملك الموعود بولاية عرش نوميديا بعد القضاء على يوغرطة، عندما طلب هذا الأخير سرية روماني تحرس خيمته فرأى ميتلوس أن هذا الأخير ليس أهل لهكذا طلب، فما كان من ماريوس وبعض الجنود" أن ألب رأس الملك الضعيف ضد ميتلوس وجعلوه يشتكي الى مجلس الشيوخ، وهو الأمر الذي أثار العامة ضد النبلاء، وأضاف سالوستي:" المطالبة بماريوس قائدا، وبهذا تشكل بين منتخبين أكثر إئتلافا مشرفا لدفع ماريوس الى القنصلية، وفي هذا الوقت بالذات، عظمت العامة شأن الرجال الجدد لمواجهة النبلاء " (Sallusti,1971, LXIII)

3-4- ماريوس "الرجل الجديد" ونهاية يوغرطة 107-106 ق.م:

3-4-1- نوميديا عند قدوم ماريوس:

تم تعيين ماريوس في قنصلية 107 ق.م، ليخلف ميتلوس في حرب نوميديا، يصفه سالوستي بــ"الرجل الجديد" الذي سيخلف ميتلوس، على الرغم من أن بلوتارك كاتب السير الإغريقي يرى أن مَقْدَم ماريوس لم يضف للحرب الكثير، فقد رسم ميتلوس خطوطها النهائية ليأخذ ماريوس التاج والنصر(Plutarque, 1885, MARIUS,10) ، حيث عمل على تدمير أهم المدن الحيوية ليوغرطة، باجا، تالا، وكبسة، وهو الرأي نفسه بالنسبة لكاسيوس، كان من الأسهل على ماريوس أن يشوه ميتيلوس، لأن الأخير ينتمي إلى رتبة النبلاء وكان بالفعل قائدًا عظيمًا: على العكس من ذلك ، حتى الآن بدون تألق وغير معروف تمامًا لذلك كان الدافع وراء الجماهير هو الرغبة في التقليل من شأن ميتلوس، وفي نفس الوقت عملت من أجل رفع ماريوس بسبب وعوده لهم، بالإضافة لأن ميتيلوس -كما قيل- سخرية ماريوس من ترشح ماريوس عندما طلب إجازة ، إجازة للترشح لمنصب القنصلية وقال: "يجب أن تعتبر نفسك محظوظًا إذا كنت قنصلًا مع ابني"، وقد كان إبنه صغيرا آنذاك (Casius, 1945, Frg CCXI à CCCXXX, CCLXVI).

من دون شك أن الصراعات الحزبية في روما أثرت تأثيرا قويا على مجريات الأحداث ومسار الحرب ضد يوغرطة بين الأرستقراطيين والشعبيين، أما في نوميديا فقد ظل أهل تالا على إخلاصهم للملك وتمسكهم بالحرية، ما إن اقترب الجيش الروماني من المدينة حفروا خندقا الى جانب سور المدينة، وقاموا بتجميع ممتلكاتهم وكنوزهم في القصر الملكي، وبعد حفلة أقاموها أضرموا النار فيها وأحرقوا أنفسهم، مفضلين الموت على الاستسلام.

لقد ظل أهل تالة على إخلاصهم للملك وتمسكهم بالكرامة والحرية ، مفضلين الموت على الاستسلام للعدو، فعند رؤيتهم اقتراب الجيش الروماني من المدينة حفروا خندقا الى جانب سور المدينة ، وقاموا بتجميع كل ممتلكاتهم الثمينة من ذهب وفضة في القصر الملكي، وبعد حفلة أقاموها أضرموا النار في ممتلكاتهم وأحرقوا أنفسهم ، مفضلين الموت على الاستسلام للعدو.

في تفسيره لردة فعل أهل تالة والاحتفال الذي قاموا به ثم حرقهم لأنفسهم وممتلكاتهم، يرى محمد حسين فنطر أنه نابع من تأثير الديانة البونية على النوميديين، التي تقضي بتقديم القرابين البشرية لإرضاء الآلهة خاصة في الحروب والأزمات السياسية (فنطر، د. ت، ص 215)، لكن المحرقة لم تكن في المعبد حتى تربط بالطقوس الدينية، بل كانت في قصر يوغرطة، وفي هذا الموضع تصبح دلالتها سياسية بتقديم أهل المدينة أرواحهم وأموالهم قربانا للمملكة، فالأنفس والثروة والجاه تزول بزوال سلطة الملك والقصر الذين ينتمون اليه سياسيا، ولا يمكن لأجنبي أن يكون له سلطان عليهم، لابد أن أهل المدينة على دراية بحجم الخسائر والضعف الذي نال من يوغرطة ومملكته لكنهم آثروا الموت على الحياة في قبضة الاحتلال.

وسوف تأخذ الحرب مجرى آخرا عندما يحاول يوغرطة الحصول على الدعم من شعوب نوميديا في رفارف الصحراء، حيث يقول سالوستي:

> Iugurtha postquam amissa Thala nihil satis firmum contra Metellum putat, per magnas solitudines cum paucis profectus pervenit ad Gaetulos, genus hominum ferum incultumque et eo tempore ignarum nominis Romani,…, Praeterea regis Bocchi proximos magnis muneribus et maioribus promissis ad studium sui perducit, quis adiutoribus regem aggressus impellit (Sallusti ,1971, LXXX).

بعد أخذ تالا فهم يوغرطة أن لا قوة قادرة على مقاومة ميتلوس فانطلق عبر صحاري كبيرة ليصل الى الجيتول،...، جمع كتلة عودها على السير في الصفوف

متبعة الراية، مطيعة للأوامر،...، زيادة على ذلك ...استطاع استقدام من كانوا قريبين من الملك بوكوس وبمساعدتهم اقنعه بالدخول في الحرب على روما.

كما حدث التقارب بين يوغرطة وملك الموريين في فترة قنصلية ميتلوس، نظرا للأسباب التي ذكرها سالوستي: Bocchus initio huiusce belli legatos Romam miserat foedus et amicitiam petitum, quam rem opportunissimam incepto bello pauci impediuerant caeci auaritia,…,Et iam antea Iugurthae filia Boccho nupserat, verum ea necessitudo apud Numidas Maurosque leuis ducitur, quia singuli pro opibus quisque quam plurimas uxores, denas alii, alii pluris habent (Sallusti ,1971, LXXX).

كان بوكوس قد أرسل وفدا إلى روما طالبا معاهدة للتحالف والصداقة، رُفِضَت حينها على مزاياها من رجال أعماهم الطمع،...، ومن جهة أخرى كان يوغرطة، قد تزوج ابنة بوكوس، لكن الزواج عند النوميديين والموريين ليس وثاق ثقيل.

وقد خطط الملكين للاستيلاء على كيرتا، وعند علم ميتلوس بتحالف الملكين بمحض الصدفة ذلك الذي كبده خسائر كبيرة، مقدرا أنه من الأحسن أن يتعرف على المور أعداؤه الجدد، ليتجه بالمعركة إلى أحسن الظروف، لكن الأمور سارت على غير ما شاء لها ميتلوس وجاءته رسالة تولي ماريوس قيادة جيش نوميديا (Sallusti 1840, LXXX).

3-4-2-جهود ماريوس من أجل القبض على يوغرطة:

قام ماريوس منذ الوهلة الأولى لقرار تعيينه على رأس جيش نوميديا بإصلاحات تخص المنخرطين في التجنيد، فقد شكل فرقا دون تقسيمات اجتماعية كما يحدث في السابق، فرجال الطبقة العامة هم الدعم لذلك اعفوا من دفع المال، بما إنهم لا يملكون شيئا حيث اعتبرهم سيبلون بلاء حسنا في المعارك بسبب طمعهم في تلقي الغنائم، وانطلق نحو إفريقيا بجنود أكثر مما وافق عليه النواب (Sallusti ,1971, LXXXIV)

عندما علم الملوك بوصول القائد الجديد، تفرقا كل واحد منهما في اتجاه، وقد اختارا أماكن يصعب الوصول اليها، أما بالنسبة لماريوس فقد أراد نصرا مجيدا، بقدومه تم حرق آخر ورقة رابحة لدى يوغرطة وهي تحالفه مع بوكوس، حيث تمت استمالة ملك موريطانيا الى كفة الرومان، عندما أشار بلوتارك الى المهمة شبه المستحيلة التي تنتظر ماريوس للانتصار على يوغرطة، عندما صمم على جعل بوكوس يخون يوغرطة سرا، أرسل إليه سيلا (أمين مال)

ماريوس الذي قدم في هذه الحرب عدة خدمات إلى بوكوس، وأخيرا أعطى يوغرطة لسيلا على قيد الحياة (Plutarque, 1885, MARIUS, 10).

أما سالوستي فيقول بأن ميتلوس قبل نهاية خدمته في نوميديا أرسل وفدا إلى بوكوس يطلب منه،...، عدم خلق عداء مع روما دون مبرر،...، والأحسن أن لا يستبدل ما هو أكيد بما هو مريب،...، وبإختصار عليه أن يفكر في عرشه"(Sallusti ,1971, LXXXI)

أما ما أحتفظت به شذرات ديون كاسيوس فقد جاء فيها أن بعدما وقعت كيرتا تحت طائلة الإستسلام ، أرسل بوكوس نوابه إلى ماريوس يطلب منه التحالف واشترط عليه أولاً ولايات يوغرطة كمكافأة على القرار الذي اتخذه، وبعد أن لم يحصل عليها طلب السلام ببساطة، أرسل ماريوس السفراء إلى روما: خلال هذه المفاوضات، تقاعد يوغرطة إلى أكثر المناطق مهجورة في مملكته (Casius, 1845, Frg, CCXI à CCCXXX, CCLXVIII).

بعد إستلاء ماريوس على كيرتا والتعرف عن كثب عن طريقة يوغرطة في القتال، قرر الاستيلاء على مدن نوميديا ونهبها، استولى على كبسة المدينة الثرية في 107 ق.م، التي يصف صاحب كتاب يوغرطة طريقة تدميرها كالآتي:

> uelocissimos pedites cursu tendere ad Capsam et portas obsidere iubet;…, Ceterum oppidum incensum, Numidae puberes interfecti, alii omnes venumdati, praeda militibus divisa. Id facinus contra ius belli non auaritia neque scelere consulis admissum, sed quia locus Iugurthae opportunus, nobis aditu difficilis, genus hominum mobile, infidum (Sallusti ,1971, LXXXIX).

> أعطى ماريوس الامر الى الفرسان والمشاة ليركضوا نحو ققصة لاحتلال الأبواب،... سلموا المدينة للنيران، قتل النوميديين البالغون، وبيع كل المتبقين وقسمت الغنائم،...، إخترق ماريوس قوانين الحرب ليس بنية الطمع أو اقتراف جريمة، ولكن لأن المدينة كانت بالنسبة ليوغرطة موقعا يعطيه الكثير من الامتيازات.

من المبررات التي دأب الرومان على إقناع الجيوش والعامة بها، أن روما دائما على حق، وكان مبرر الحرب أن القضية التي تقاتل من أجلها الجيوش هي قضية عادلة، فينجر عنها شعور بالعدل الفطري والزهو بالإنجاز الذي يستحق التمجيد(الحلاق، 2020، ص 27)، وصف بوليب قتل السكان العزل في قرطاجنة الإسبانية أثناء الحرب البونية الثانية بأنه إجراء

يهدف إلى بث الرعب في القلوب، حيث كان تأييد الوحشية والدموية لدى الجيوش الرومانية بوصفه إجراء لترهيب الأعداء وردعهم.

بعد إبادة كبسة، ينتقل سالوستي إلى الغرب مباشرة إلى الحدود النوميدية الموريطانية في موضع غير بعيد عن نهر ملوية بجوار "moenibus sese tutabantur, sed pro muro dies noctisque agitare, male dicere Romanis ac Mario"(Sallusti ,1971, XCIV) "حصن صغير، لا سبيل للوصول اليه إلا بدرب ضيق،...، هذا هو الموقع الذي أراد ماريوس أخذه بالقوة، فيه يغلق يوغرطة على كنزه" وتمكن من هزيمة جيش يوغرطة هناك".

من المآخذ التي تحسب ضد سالوستي هو الإنتقال السريع لماريوس بين الشرق والغرب، دون أي ذكر لمجريات الأحداث التي تبعت تنقله على مسافة تقدر بحوالي 800 كلم، ما يستلزم مواجهات عسكرية، وإحتياجات لتموين الجيوش وقبل ذلك لمعرفة دقيقة بالجغرافية الطبيعية للمكان والطرق المؤدية للحصن الذي يخبأ فيه يوغرطة كنوزه. لكن من وجهة نظر ستيفان جزيل فالهدف الذي جعل ماريوس يقطع كل هذه المسافة هو إخضاع نوميديا الغربية وترهيب حليف يوغرطة الملك الموريطاني، حيث استغرق الأمر طيلة حملة ماريوس لسنة 106 كاملة تقريبا (Gsell ,1828 p. 213).

لا يعرف مصير كيرتا في هذه الفترة، سوى ما أشار إليه بولس أوروسيوس بأنها أستعيدت من طرف يوغرطة، هذا الأخير الذي يقول عنه سالوستي أنه عندما علم بمقدم ماريوس الى مضاربه الشتوية "أرسل وفدا إلى بوكوس يدعوه لتعبئة الجيش الى نوميديا،...، لكنه أعلم أن بوكوس حذر ولا يعرف ماذا يختار السلم أو الحرب،...، فوعده يوغرطة بربع نوميديا" لكن منيا الجيشان بهزائم ثقيلة(Sallusti ,1971, XCV) .

فالحادثة لدى سالوستي تقول بإرسال ماريوس وفدا من بوكوس يطلب صداقة روما، كما طلب رجلين ثقة للتباحث معه من أجل مصالح الشعبين(Sallusti ,1971, C)، كما يوجد صدى هذه المعلومة لدى كاسيوس الذي يقول بعد استسلام كيرتا أرسل بوكوس نوابه إلى ماريوس مطالبا بولايات يوغرطة، كمكافأة مقابل خدمة الرومان، بعد رفض شروطه طلب السلام ببساطة وأرسل ماريوس السفراء إلى روم، خلال هذه المفاوضات، تقاعد يوغرطة إلى أكثر المناطق مهجورة في مملكته (Casius, 1845, Frg CCLXVIII).

ولم يبق بعد موافقة مجلس الشيوخ الروماني على صداقة وحلف الملك الموريطاني سوى التنسيق بين قائد الجيوش الرومانية في نوميديا وبوكوس حول طريقة القبض على يوغرطة، لكن عند سالوستي يضيف حوارا دار بين سيلا وبوكوس حول تسليم يوغرطة، حيث يظهر تردد ملك موريطانيا من الغدر بيوغرطة، ويصفه بالكاذب والمراوغ لأن الجشع هو الذي جعله يسعى لطلب صداقة الرومان وفي نفس الوقت لا يزال لم يقرر تقديم يوغرطة الى الرومان

ut sceleris atque perfidiae Bocchi testis adesset, ex castris abire iubet. Ille lacrimans orare, ne ea crederet: nihil dolo factum, ac magis calliditate Iugurthae, cui videlicet speculanti iter suum cognitum esset. Ceterum quoniam neque ingentem multitudinem haberet et spes opesque eius ex patre suo penderent, credere illum nihil palam ausurum, cum ipse filius testis adesset. Qua re optimum factu videri per media eius castra palam transire (Sallusti ,1971, CVII).

لم أحارب ولم يكن في نيتي يوما أن أحارب روما، لكني حملت السلاح من أجل الدفاع عن حدودي من أناس يهاجموننا، لكني أسر بما أنكم أنتم أيها الرومان تطلبون ذلك، حاربو يوغرطة كما يحلو لكم، أما أنا فلن أجتاز نهر ملوية، ولن أسمح ليوغرطة بإجتيازها.

لكن سيلا أجبره على تقديم براهين ملموسة على تعاونه مع الشعب الروماني لا الوعود بعدم القتال ضدهم، ما جعل الملك الموري يستسلم لإرادته مستخدما أسلوبين الترغيب بما سيناله من تعاونه مع الفريق المنتصر، والوعيد في حالة هزيمة يوغرطة ومصادرة أملاكه والإنتقام من حلفائه.

كما يصور سالوستي مشهد بوكوس عند تسليم يوغرطة فيقول:

ac statim immutata voluntate remotis ceteris dicitur secum ipse multum agitauisse, uultu colore motu corporis pariter atque animo varius; quae scilicet ita tacente ipso occulta pectoris patefecisse Tamen postremo Sullam accersi iubet et ex illius sententia Numidae insidias tendit (Sallusti ,1971, CVXIII).

ترك الموري العنان لتفكيره طويلا، ولا أستطيع أن أؤكد إن كان تردده صادقا أو تظاهر به، بقي وحيدا يوازن الأمور وهو متغير الوجه والنظرة كما أحاسيسه وترك لصمته أن يظهر أسرار قلبه، وانتهى إلى حصار سيلا في أول اليوم الذي أعلن اقتراب يوغرطة، ووقف على ربوة بغاية تمكين أفراد المؤامرة من رؤية جيدة، تقدم

النوميدي أعزل، وعندما أعطيت الإشارة خرج رجال الكمين، وارتموا عليه، قيد بالسلاسل وسلم الى سيلا.

تظل مسألة تحالف ملك موريطانيا مع الرومان ضد يوغرطة حليفه وصهره مجهولة البيان، تختلف آراء الكتاب القدامى حول الطريقة التي جعلت ملك مريطانيا يتحالف مع الرومان بعد تحالفه مع يوغرطة، فالإختلاف بين بلوتارك وسالوستي هو في الشخصية التي أقنعت الملك بوكوس بالإنحياز إلى صف روما ميتلوس أو سيلا، أيهما أقنع الملك بمدى قوة الرومان والمصير الذي ينتظره إذا لم يتعاون معهم ، أما كاسيوس فينبأ بأن بوكوس هو من قدم خدماته للرومان مقابل منحه أراضي يوغرطة قبيل الحرب عندما أخضعت كيرتا، وأصبح انتصار الرومان مجرد وقت فقط، هرع بوكوس إلى روما يفتدي نفسه من مصير مشابه لمصير يوغرطة.

من خلال الحروب الرومانية السابقة في المنطقة، يسعى الرومان على الدوام لإيجاد حليف لتكوين أرضية صلبة يتمكنون من خلاله من تأمين ظهورهم في المنطقة، بحث سكيبيو عن التحالف مع سيفاكس(Livi, 1860, Lib XXIV, 48) ثم ماسينيسا في حالة نزوله إلى افريقيا في الحرب البونية الثانية 203 ق.م(Livi, 1860, Lib XXIX, 29) ، لم يجد قادة الحملات ضد يوغرطة أفضل من ملك موريطانيا لهذه العملية، بالنسبة لمنطقة الشرق قد تم الهيمنة عليها تماما مثال ذلك حرق تالا وكبسة واستسلام كيرتا، مما أفضى إلى ضعف تدهور جيوش يوغرطة، بسبب نقص المؤونة والتسليح، بينما لا يزال الأمل الوحيد في الغرب نحو بوكوس، يفترض بالقادة الرومان الاتصال بملك موريطانيا، شارحين الموقف الضعيف ليوغرطة عدو روما الذي سينتهي بهزيمته والقضاء على مملكته، سيفكر بوكوس في مصيره ومصير مملكته المشابه إذا ما وقف في وجه روما وجيوشها حيث أن يوغرطة ميت لا محالة.

أثارت مسألة تسليم بوكوس ليوغرطة جدلا واسعا قديما وحديثا، شكك سالوستي في تردده واعتبره نوع من المراوغة، بينما يرى بلوتارك أن بوكوس لم يقدم طيلة تحالفه مع يوغرطة سوى مساعدات ضعيفة، حيث لم تكن نيته صادقة في تحالفه مع صهره، بل كان خوفه من تعاظم قوته، وعندما لجأ اليه يوغرطة كان دافعه الخوف من الفضيحة أكثر من العطف عليه (Plutarque, 1885, MARIUS,10)، كما يتحدث سترابون عن حملات بوكوس ضد الإثيوبيين الغربيين (Stabon, 1888, Liv XVII, III, 5)، مما يجعل طموح هذا الملك وأهدافه

لتوسيع مملكته قادرة على أن يقدم جيرانه بل أصهاره إلى الرومان مقابل التوسع على حساب ممالكهم.

كما ظلت نظرة الكتاب الإغريق والرومان الى الحياة السياسية والاجتماعية في المغرب القديم على أنها تجمع فوضوي خاضع للغرائز والأهواء سواء على مستوى العلاقات الاجتماعية التي لا تحترم فيها الأطراف مواثيق الإرتباط، أو على مستوى العلاقات السياسية فالبربري يخضع ولاؤه لمزاجه وهواه(Gsell, 1828,pp. 37-38) وهي حالات خاصة لا يمكن تعميمها على جميع المغاربة، بل إن مختلف الحضارات مرت بظروف مشابهة لما مرت به بلاد المغرب القديم من فترات صراع على السلطة وتوسع الممالك، بل الرومان أنفسهم بنيت حضارتهم على سفك دم الأخ أخاه راموس وروميلوس في ظاهره سبب ازدراء تعاليم النبوؤة الإلهية وواقع الأمر تنافس وصراع على الحكم هو السبب الخفي (Livi, 1897, Lib I, 7).

4- نتائج الحرب ضد يوغرطة:

من مميزات الكتابة التاريخية لدى الرومان، جعل روما وأحداثها وشخصياتها الحادثة المركزية، فاتسم التاريخ لديهم بروح الدولة وأصبح كاتب التاريخ مثله مثل أحد موظفيها، غايته إبراز روح القوة والسلطة التي يحاولون إبرازها (يزبك، 1990، ص 20)، مثل ما تمثل نظرة سالوستي نظرة السياسي المتحيز لاتجاه معين، قدم وجهة نظره التي تهتم بسير الرجال اللامعين في روما خاصة الطبقة العامة وحزب الشعبيين اللذان ينتمي اليهما وما يقابلهم من ملوك البرابرة، أحدهما مرتش وفاسد، والآخر مراوغ، جشع وكاذب، فلم يكن تعنيه نتائج وانعكاسات هذه الحرب على نوميديا وموريطانيا، بالقدر الذي اهتم بنفوذ ومكانة قائد العامة ماريوس خاصة وأوضاع روما عموما، التي أعادت انتخاب ماريوس قنصلا لسنة 105 ق.م واسندت له حرب الغال(Sallusti ,1971, CVXII).

كما أن حرب الغال جعلت روما تسند حكم نوميديا إلى إثنين من ملوك المنطقة غودا، فبحسب الإشارات البسيطة التي تشير إلى إنفصال لبدة الكبرى في بداية الحرب، بالإضافة إلى الإشارة التي تحمل مشروع منح نوميديا الى "غودا بن مستتبعل الذي أوصى مسيبسا بأن يكون وريثه الثاني،...، فبعد كل هذا فهو ملك وحفيد ماسينيسا، فلو نجحا في قتل يوغرطة أو إلقاء القبض عليه، سيؤول عرش نوميديا له، وهذا ما سيحدث قريبا"(Sallusti ,1971, LXIII)

في حين أخذ بوكوس ملك موريطانيا "ربع نومبديا" الذي وعده يوغرطة به ، ثم اشترطه على الرومان مقابل تسليم يوغرطة، وعلى الرغم أن ديون كاسيوس يقول بأن ماريوس رفض شروطه(Casius, 1845, Frg CCLXVIII)، لكن بحسب ديودور الصقلي يقول أن الرومان استجابوا لكل مطالبه واعتبر صديقا وحليفا الرومان، وقد دعم روما في ثورة العبيد التي هددت روما بجيوش من موريطانيا (Diodore de Sicile, 1865,Liv Frg, XXXVI, 5,4) .

و يعتقد أن القسم النوميدي الغربي الذي منح لبوكوس يمتد من نهر ملوية حتى وادي فليتون غرب بوجي (بجاية)، وبين موريطانيا الموسعة ونوميديا الشرقية نشأت مملكة جديدة أشار شيشرون ملكها ماستنوسوس في 62 ق.م حسب ما يفهم من إشارة شيشرون:

atque inde in Africam? fuerisne, quod sine senatus consulto tibi facere non licuit, in regno Hiempsalis, fuerisne in regno Mastanesosi "ومن هناك إلى إفريقيا؟ هل كنت في مملكة هيمبصال، التي لم يكن مسموحًا لك أن تفعلها دون مشورة مجلس الشيوخ، هل كنت في مملكة ماستنسوس" (Cicéronis, 1995,P. Vatinum Testem Interrogatio,5)

انحصر اهتمام سالوستي على مجريات الحرب وتتبع مسار القناصل وحملاتهم ولم يعبأ بالقوانين التي أصدرها مجلس الشيوخ الروماني، مثل قانون سارتورنوس (Sartunus) في 103 ق.م القاضي بمنح الأراضي الزراعية للجنود الذين خدموا في حرب يوغرطة، تقدر مساحتها بـ25 هكتار في المناطق الداخلية الإستبسية التي سيمر بها خط الليمس الروماني في بلاد المغرب القديم، بالإضافة إلى اعتبار نوميديا بمقتضى حق الانتفاع الروماني وجعلها ملكا للشعب الروماني، وهو إجراء دأب الرومان على تطبيقه على كل الأراضي التي يتم الاستيلاء عليها (غانم، 2010، ص ص 179-180).

خلاصة الفصل:

ما يمكن استخلاصه في نهاية هذا الفصل الذي يهتم بمشروع السيادة النوميدية ليوغرطة وموقف الرومان منه:

– أولا بالنسبة لسالوستي مؤلف هذا الكتاب، على الرغم من موقفه تجاه الحزب الأرستقراطي والمسيطر على الحياة السياسية في روما، لم يتجاوز نظرة الرومان الذاتية، التي تحمل الإستعلاء على الشعوب الأجنبية التي يصنفونها ضمن الأتباع والخاضعين، سواء باسم الصداقة والتحالف أو السيطرة والخضوع العسكري وفق القانون الروماني الذي يحدد طبيعة العلاقات السياسية والقانونية والأخلاقية بين روما وأتباعها، حيث يعتبر يوغرطة من بين الشخصيات التابعة للرومان وفق القانون الروماني، يتم وضعه مع زمرة الطبقة الأرستقراطية الفاسدة التي تقدم المال مقابل شراء الذمم والسكوت عن الجرائم، بل يتجاوزه لكل البرابرة فلم تكن نظرته لبكوس أكثر إحتراما.

–ما يمكن أن نستخلصه كذلك، كان الملك النوميدي صاحب مشروع سيادي كبير، يرفض التدخل الروماني في شؤون مملكته، ويطمح للإستقلال من الهيمنة الرومانية والتبعية الخارجية، استخدم كل الوسائل من أجل الوصول إلى هدفه من مناورات سياسية، ودبلوماسية مثلما لجأ إلى قوة السلاح.

–لم تكن الشعوب النوميدية بعيدة عن مجريات الأحداث السياسية التي تمر بها بلادهم، يدل تضامنهم مع ملكهم على رفض التبعية الرومانية ومساندته في مشروعه السيادي، لذلك انتقم الرومان منهم بحرق مدنهم.

قائمة المراجع:

I – المراجع العربية:

1-الأحمد سامي سعيد. (د.ت). *تاريخ الرومان*. بغداد: جامعة بغداد.

2- بولخراص حمادوش. (2015). *نوميديا من ماسينيسا إلى يوغرطة. مجلة الحكمة للدراسات التاريخية* . مج5، ع6، ص ص 47-63.

3- حارش محمد الهادي. (2013). *دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر*. الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع..

4- حارش محمد الهادي. (2014). *التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء مسينيسا العرش الى وفاة يوبا الأول 203-46 ق.م*. الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.

5- الحلاق بطرس. (2020). *الإعلام والحرب النفسية*. د.م: منشورات الجامعة الإفتراضية السورية.

6- الدباغ مصطفى. (1998). *المرجع في الحرب النفسية*. عمان: دار الفارس للنشر والتوزيع.

7- شارن شافية. (30 6، 2001). *الرشوة عند الرومان من خلال كتاب حرب يوغرطة لصالوستيوس. دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية*، مج 1،ع1، ص ص 363-370.

8- عمران عبد الحميد. (2017). *يوغرطة في حرية ضد روما 112 – 104 ق.م. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*. مج7، ع13. ص ص 353-370.

9- غانم محمد الصغير. (2010). *مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم* (ج1). قسنطينة: دار الهدى للنشر والتوزيع.

10- فنطر، محمد حسين. (د. ت). *يوغرطة من ملوك شمال افريقيا وملوكها*. تونس: الدار التونسية للنشر والتوزيع.

11- سرحان، أبوبكر. (2014). *الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم (تونس- الجزائر- المغرب الأقصي) وموقف الممالك الأهليه منه. مجلة الشئون الأفريقية*،مج2، ع. ص ص 1-19.

12-محمد عبد الغني محمد السيد. (2000). *نماذج من الكفاح الجزائري القديم ضد الهيمنة الرومانية*. القاهرة: المكتب الجامعي الحديث.

13-نصحي ابراهيم. (1973). *تاريخ الرومان (133-44 ق.م)* ج2. ليبيا: منشورات الجامعة الليبية.

14- يزبك قاسم. (1990). *التاريخ ومنهج البحث التاريخي*. بيروت: دار الفكر اللبناني.

II –المراجع الأجنبية:

1 -Appien Alexandrin. (1559). *De la guerre Lybique*, Trd: Claude de Seyssel. Paris: Libraire iuré de L'Université.
2 - Camps, G.(1999). *Glussa. Encyclopedie Berbére*. 21. pp. 3243-3245. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.1816.
3 - Casius, D. (1845). *Histoire Romain.Tom II, Frgmnt CCXI- CCCXXX*, (Trd: E. Gros). Paris: Libraire Frmin Didot.
4 -Casius, D. (1868). *Histoire Romain.Tom IV, Liv XLII*, (Trd: E. Gros). Paris: Libraire Frmin Didot.
5 -Cicérons; M. T. (1995). In P. Vatinum Testem Interrogatio Oratio.Boston: B. G. Teubner.
6 - Commentaria in C. Iulii Solini Polyhistora, et Lucii Flori de Romanorum rebus gestis.(1757). Basileae [Basel]:Per Henrichum Petri. Cum Caesareae maiestatis gratia & priuilegio.
7 -Doidore de Sicile. (1865). *Bibliothéque Historique*. Tome III, Lib XXXIV, Frgmnt XXXVI, (Trd: Ferd Hoefer). Paris: Libraire Hachette.
8- Dupont, F. (2020). H*istoire littéraire de Rome(De Romulus à Ovide. Une culture de la traduction)*. Paris: Armand Colin.
9 - Ikherbane, M. A. (2017). *Suthul? Etat de La Question. Jugurtha affronte Rome*. Alger: ENAG Edition. pp. 289-296
10- Gaffiot, F. (1934). *Dictionnaire Latin Français*. Paris: Hachette Editeur.
11 - Gsell, S. (1828). *Histoire Ancienne de L'Afrique du Nord*, Tome VII. Paris: Libraire Hachette.
11 - Livi, T. (1860). *Ab Urbe Condita, lib XXI- XXX. Berolini*: Sumptilus Ferdinandi Dummleri.
12 -Livi, T. (1897). *Ab urbe condita (Lib 1- XXI-XXII)*. Boston: Allvn And Bacon.
13- Mannert, K. (1842). *Géographie ancienne des états Barbaresques*. Paris: Librairie Encyclopédique de Roret.
14- Maximi, V.(1888). Factorum et dictorum memorabilium libri novem. Lipsiae: In Aedbus. B.G. Teubneri.
15- Plini, S, C. (1851). *Naturalis historiae libri XXXVII,(Lib I- V)*. Hamburgi et Gothae: Sumptibus Friderici et Andreae
16- Plutarque. (1845) *Vie Des Hommes Illustres, Tome II*, (Trd: Alexis Pierron). Paris: Charpentier, Liberaire- Editeur.
17- Polybe. (1847). *Histoire Générale, Tom III, Liv XXVIII*, (Trd: Félix Bouchot). Paris: Charpentier, Liberaire- Editeur.
18- Sallusti, C, C. (1971). *Jugurthime* . Campridge: At The Univesity Press .
19- Strabon Strabon. (1880). *Géographie, Tom. III , Liv XVII*, (Trad: Amédé Tardieu). Paris: Libraire Hachette.

II- انعكاسات الحياة السياسية الرومانية على بلاد المغرب القديم أواخر العصر الجمهوري

1 – ملوك نوميديا والحرب الأهلية الرومانية الأولى 88- 51 ق.م

2 – الحرب الأهلية الرومانية الثانية وتأثيرها على أوضاع بلاد المغرب القديم

3–الحرب الإفريقية 49- 46 ق.م ومصير نوميديا

لا تهتم الكتابات الأدبية الرومانية ببلاد المغرب القديمة إلا من خلال الأحداث ذات الصلة بما يحدث في روما، ومن الأحداث الخطيرة التي هزت الجمهورية الرومانية والتي تركت آثارها على الممالك المغاربية الحروب الأهلية، الأولى بين ماريوس وسيلا، ثم الحرب الثانية بين قيصر وبومبي، ورغم أن كل من الحربين كانتا رومانية الأسباب إلا أن تأثيرها كان شديدا على بلاد المغرب القديم، كيف قدم الكتاب الرومان دور الشخصيات المغاربية الفاعلة في هذه الحرب وكيف تم النظر إلى نتائج وإنعكاسات هذه الحرب على المنطقة؟

1 – نوميديا أثناء الحرب الأهلية الأولى 88-51ق.م:

1-1- علاقة ملوك نوميديا بقادة الحرب الأهلية الرومانية:

تعتبر الفترة ما بين القضاء على يوغرطة 105 ق.م وتنصيب ملوك خاضعين للرومان في نوميديا، والحروب روما الأهلية الأولى بين ماريوس وسيلا، والحرب الثانية بين قيصر وبومبي (Pompée) فترة غامضة في تاريخ بلاد المغرب.

تشير المصادر التاريخية القديمة إلى الملك النوميدي هيمبصال الثاني بن غودا الذي يذكره سالوستي عند الإشارة إلى أصل سكان بلاد المغرب القديم وهو على ما يبدو "أن اهتمامه بالعلم والآداب فاق شؤون الحكم والسياسة" (Sallusti,1971, LXIII)، يرجح أنه أطلع على المؤلفات البونية التي أهداها الرومان لملوك نوميديا عند حريق قرطاجة، والذي يُعتقد أنه عاش في الفترة ما بين 105-62 ق.م، (Bénabou, 1988,p 203).

وقد وصفه شيشرون بالملك الصديق للشعب الروماني قائلا:

quaestuosa exceptio, quae teget eos agros de quibus foedere,… non numquam ex hoc loco, possidere agros in ora maritima regem Hiempsalem quos P. Africanus populo Romano adiudicarit, ei tamen postea per C. Cottam consulem cautum esse foedere. Hoc quia uos foedus non iusseritis, ueretur Hiempsal ut satis firmum sit et ratum…. foedus totum accipitur, quod regi amico cauet non reprehend. (Cicéronis, 1783, Orat .Leg. Agr, XVI. XXII).

إن الملك هيمبصال الذي يمتلك أراضي على سواحل إفريقيا التي منحها سكيبيو للشعب الروماني، وقام القنصل كوتا بضمانها مع الملك بمعاهدة، بما أنك لم تصادق عليها فإن هيمبصال يخشى أنها ليست آمنة أو قانونية ماذا اقول؟ ،...، سيتم الحفاظ على ممتلكات الأمير الصديق.

في هذا الموضع يشير شيشرون إلى القانون الزراعي (Lex Agraria) الذي يقضي بعدم السماح بإمتلاك أكثر من خمسمائة يوجيرا للأثرياء ونصف تلك المساحة لأبنائهم، هذا الإجراء أوقف طمع الأغنياء لبعض الوقت، ونجح في مساعدة الفقراء الذين يمكن أن يبقوا في الممتلكات التي تم تأجيرها لهم والتي استغلوها منذ البداية، وفي وقت لاحق قام الأغنياء بتحويل إيجارات المزارع إليهم، ثم احتلوا علنًا معظم هذه الممتلكات، ترك الفقراء الأراضي وعادوا للإنخراط في الحملات العسكرية، لم يتم احترام القانون من طرف بعض الشخصيات المتنفذة في روما، ومن أجل إنقاذ المظاهر التي تتم عن طريق المعاملات الاحتيالية؛ والعدد الأكبر يتحدى القانون، ويبدو أن الملك النوميدي قد تمكن من اقتناء الأراضي القرطاجية الواقعة بجوار مملكته بوساطة رجال الدولة الرومانية، حيث استغل وأمواله ونفوذه وعلاقته بمجلس الشيوخ الروماني لتوسيع مملكته(Cicéronis, 1783, Orat XVI. Leg. Agr, XXII) .

لكن هذا الصديق عندما دب الخلاف بين الرومان، كان عليه أن يختار أحد الجانبين للوقوف معه ودعمه، في الخلاف بين ماريوس وسيلا إنحاز الى صف سيلا وعند فرار ابن ماريوس الى بلاطه، عزم على اعتقاله حسب ما ورد لدى بلوتارك أنه بينما هيمبصال تتجاذبه قرارات متضاربة حول المعاملة المشرفة لإبن ماريوس، لكن عندما أراد هذا الشاب الرحيل وجد الملك يتحجج لإعتقاله (Plutarque, 18 45, MARIUS, 44).

ماهي الأسباب التي دفعت هيمبصال إلى الإنحياز إلى سيلا ضد ماريوس؟

حسب المعطيات التاريخية، إحتدم الصراع السياسي أواخر العهد الجمهوري في روما بين طبقتي النبلاء وطبقة العامة حزب الديمقراطيين يمثله ماريوس، هذا الأخير الذي ظل متربعا على عرش روما، منذ هزيمة يوغرطة 105 ق.م وهو يتزعم العامة، وتمكن من الفوز بستة قنصليات، لكن منذ القنصلية السادسة بدأ نجمه في الأفول، فقد ثقة الشعبيين ولم يحظ بقبول النبلاء، لينطفأ مرة واحدة في السابعة وتعود طبقة النبلاء والشيوخ لتصدر الريادة، وتنفجر الحرب الأهلية في 88 ق.م (Appien,1808,Liv I, VII, LVI) .

جُنِد ماريوس على رأس حملة نحو الشرق ضد مثردات وانتصر سنة 95 ق.م، وفي تلك الفترة عمل الأرستقراطيون على تقوية نفوذهم وحفظ التوازن بين مختلف الفئات الاجتماعية، لكن عرفت هذه الفترة صعود فئة الفرسان على منصة السياسة الرومانية، وحدث شرخ بين العامة والأرستقراطيين وبين الفرسان نتج عنه الحرب الإجتماعية 90–88 ق.م، ما إن انطفأت هذه

الحرب لتشتعل الحرب بين طبقة العامة تتمثل في قائدها ماريوس، وطبقة النبلاء في شخص سولا سنة 88 ق.م(Appien,1808,Liv I, VII, LVII).

يُرَجَح أن التنافس بين الرجلين –ماريوس وسولا– بدأ منذ حرب يوغرطة، عندما وضع بوكوس مجسما يصور مشهد لحظة القاء القبض على يوغرطة من طرف سولا، إنزعج ماريوس وطلب من الملك الموريطاني إزالة هذا التمثال، بالإضافة الى بروز سولا كقائد بارع في القتال كما التواصل مع جنوده، تمكن من القضاء على ثورة السمانيين إبان الحرب الإجتماعية، وهو ما أهله الى منصب القنصلية 88 ق.م و قيادة الحملة على مثردات، لكن في 86 ق.م وبعودة الديمقراطيين وماريوس الى منصب القنصلية وألغى كل قرارات سولا، وبعودة هذا الأخير من الشرق وجد جيش ماريوس مهيأ للحرب ضده في83 ق.م، ولتتوسع الحرب وتصل إلى بلاد المغرب القديم (Plutarque, 1845, MARIUS, 10, 35).

1-2- نتائج الحرب الرومانية الأولى على نوميديا:

لا تشير النصوص الرومانية للوضع في بلاد المغرب القديم إلا بما يتعلق بالشخصيات الرومانية، حيث يخبر بلوتارك أن ملكا آخرا يدعى هيرباس تحالف مع دوميتيوس (Domitus) أحد قادة ماريوس، ويرى أنه استغل فترة انشغال سولا بحروب الشرق، وتمكن من إخضاع مملكة هيمبصال وطرده منها، وعند عودة سيلا كلف القائد بومبي بالحرب في إفريقيا حيث بمرسوم من مجلس الشيوخ يأمره بشن الحرب على دومتيوس الذي جمع جيشا كبيرا من إفريقيا، أجرى بومبي كل استعداداته واتجه نحو إفريقيا، وما إن اقترب أسطوله من أوتيكا حتى انضم اليه سبعة آلاف من جنود دومتيوس، وتمكن من هزيمة عدوه، ومن بين الذين سقطوا قتلى القائد دومتيوس نفسه (Plutarque, 1845, POMPEE, 21,22)، كما أشار أبيان الى تكليف بومبي بمهمة الحرب ضد أعداء سيلا، فأرسل الى إفريقيا لمطاردة أصدقاء كاربون، الذين لجأوا الى هناك وإعادة تثبيت هيمبصال الذي طرده النوميديون .(Appien, 1808, Liv I, IX, 80).

ويضيف بلوتارك بعد هزيمة دومتيوس راحت مدن البلاد تسقط تباعا بيد بومبي وكان بعضها يستسلم دون حرب وبعضها يؤخذ بالقوة، وقع في الأسر هيرباس الملك وحليف دومتيوس، ومنحت مملكته لهيمبصال، وتوغل بومبي في قلب البلاد وأخضع كل منطقة يدخلها فانبعثت في شعوب المنطقة هيبة الرومان مجددا التي كادت تنطمس، تمكن في فترة

قصيرة لا تزيد عن أربعين يوما من الانتصار على اعدائه وتوطيد أمور الممالك في سائر البلاد (Plutarque, 1854, POMPEE, 21,22).

تبعث هذه الأحداث عن التساؤل عن شخصية هيرباس التي تم تهميشها في النصوص الرومانية من تكون؟

تتحدث الفرضيات عن تقسيم نوميديا الى ثلاث أقسام بعد وفاة غودا، قسم حكمه هيمبصال الثاني بن غودا في أقصى الشرق من المقاطعة الإفريقية تحديدا في منطقة البيزاسيوم وهذا لا يستبعد وفقا لنص شيشرون السابق الذي يضع الأراضي التي اشتراها على الساحل الإفريقي لتمتد أراضي مملكته الى كيرتا، ومملكة أخرى يدعى ملكها ماستنسوسوس (Mastanesosus) ، كما عثر على نقيشة في صقلية تؤرخ لهذه الفترة لكنها للاسف غير كاملة دون عليها بداية إسم ماستن (Mastan)، وهي بالتالي تقارب إسم ماستنسوسوس أو مستنبعل، وثالث مملكة يحكمها هيرباس، من كيرتا الى وادي الشلف، ثم مملكة بوكوس (Camps, 1998, p. 2996)، أما إتجاه آخر فيرى ان نوميديا قسمت الى مملكتين فقط القسم الشرقي من المقاطعة الإفريقية الى صلداي يحكمه غودا ثم ابنه هيمبصال ، والقسم الغربي من صلداي الى نهر ملوية منح لبوكوس، والمنطقة من كيرتا الى صلداي جاعلين منها منطقة حيادية بين الملكة النوميدية ومملكة بوكوس حتى يمنع الرومان النزاع بينهما (حارش، 2014، ص 78)، كما أصبحت سوقا حرة يستفيد منها رجال المال والأعمال الرومان والإيطالين، ربما تحولت هذه الأخيرة الى مملكة منحت لهيرباس بما أن الحزب الديمقراطي في روما كان يعمل على تحجيم ثروات النبلاء (شنيتي، 1985، ص 40).

ما يمكن إستخلاصه من النصوص التاريخية والنقوش الأثرية، أنه بعد القضاء على يوغرطة لم تتقلص مساحة المملكة النوميدية – بمنح القسم الغربي الى بوكوس– فقط بل عرفت الإنقسام والتشرذم، لكن السؤال الذي لم تجب عنه المصادر كيف ومتى حدث الإنقسام هل في فترة حكم غودا الذي تصفه المصادر بالضعيف الشخصية، فلم يعرف كيف يحافظ على ملكه وانفصل زعماء القبائل عنه، أم أنه منذ نهاية حرب يوغرطة كافأت روما حلفائها بمنحهم لقب الملك والممالك على الأراضي النوميدية على غرار غودا و بوكوس.

وما يفهم من الأحداث أن الملك النوميدي هيمبصال، كانت له امتيازات ونفوذ إستفاده منها مع طبقة النبلاء في روما، وبالتالي لن يكن محبوبا من طرف العامة، حاول مسايرة

ماريوس عندما كانت القنصلية في يده خوفا من قرارات تجعله يفقد ممتلكاته وامتيازاته ويتجلى ذلك من خلال المعاملة في المرحلة الأولى لأبنه، لكن على ما يبدو أن ماريوس ورجاله وقفوا إلى جانب خصمه هيرباس، لكن سيلا أعاد له حقه في العرش والممتلكات.

2- الحرب الأهلية الرومانية الثانية وتأثيرها على أوضاع بلاد المغرب القديم :

ظلت الممالك النوميدية حوالي عقدين من الزمن خاضعة للرومان، الى غاية وصول يوبا الأول بن هيمبصال الثاني الى سدة الحكم، والذي كان عكس والده ميالا الى القوة والتوسع، وقد تزامن توسعه مع بداية أزمات روما الداخلية، وهذه المرة بين بومبي ويوليوس قيصر.

2-1-ظروف روما عشية الحرب المدينة الثانية:

بعدما انتصر سيلا على خصومه في إفريقيا سنة 81 ق.م، قام بإصلاحات سياسية وإدارية في روما، منها تصفية ما تبقى من خصومه ومصادرة أملاكهم، كما كافئ أصدقاؤه، ثم ما لبث أن اعتزل السياسة وشؤون الحكم في 80 ق.م، وهكذا فقد استعاد مجلس الشيوخ نفوذه وهيمنته في روما، إلا ان هذه الهيمنة لن تدوم، فبعد عشر سنوات ثار العامة وطبقة الفرسان على دستور سيلا، الذي وسع من نفوذ مجلس الشيوخ والنبلاء، وقد كان بومبي خليفة سيلا ميالا لمجلس الشيوخ، في حين كان يوليوس قيصر نصيرا للشعبيين وطبقة العامة، وفي هذه الفترة أصبح صوت السلاح أقوى من صوت الحوار على مستوى الساحة السياسية الرومانية (Appien, 1808, Liv II, 25).

في العام 68 ق.م حدث تقارب بين قيصر وبومبي، ونتج عنه فوز قيصر بالقنصلية، يدعمه في ذلك كرسوس(Cresus)، حيث شكل الحلف الثلاثي المتكون من بومبي، قيصر وكرسوس، كان الهدف من هذا التحالف إحتواء مجلس الشيوخ والعامة على حد سواء، من بين الأعمال التي قام بها الحلف الثلاثي مؤتمر لوكا الذي أقر إنتخاب بومبي وكرسوس لقنصلية 55 ق.م، ويتولى بومبي حكم آسيا وإفريقيا، أما كرسوس فيتولى حكم سوريا، ويتولى قيصر غالا لمدة خمس سنوات (Appien, 1808,Liv II,17; Suétone, 1865, César, XXIV).

بعد هزيمة كرسوس ووفاته أثناء حملته ضد البارثيين، التي أراد بها مجدا يوازي مجد قيصر في غالا، أو الصيت الذي بلغه نجم بومبي بتموين الجماهير الرومانية بالأسلاب التي يجلبها من اسبانيا وافريقيا، تم تعيينه قنصلا وحيدا بعد وفاة زميله في القنصلية، كما سعى قيصر للفوز بالقنصلية للمرة الثانية، فحث النقباء العشرة لسنة 52 ق.م لإصدار قانون يسمح

بالترشح للقنصلية وهو متغيب عن روما، وكانت فترة قنصليته في غالا ستنتهي في مارس 49 ق.م، فيعود إلى روما كمواطن عادي مجرد من الحصانة السياسية والعسكرية، ثم يترشح بعد ذلك لمنصب القنصل من جديد إذا رغب في ذلك، قوبل الطلب بالرفض من طرف مجلس الشيوخ، وعرضت فكرة بديلة وهي إنهاء قنصليته بمبرر نهاية الحرب، كما طرح كوريون تربيون العامة وصديق قيصر، تخلي القنصلان عن منصبهما وتسريح جيشهما، وقد لاقت الفكرة استحسانا من طرف مجلس الشيوخ، كحلا مؤقتا لتجنب الحرب في حالة تمسك الطرفين برفض التنازل عن القنصلية وقيادة الجيش (Suétone, 1865, César, XXVI)

حاول قيصر إزالة أسباب النزاع بينه وبين خصومه النبلاء، وقد وافق على مطلب مجلس الشيوخ طلب الترشح لمنصب القنصلية، وبواسطة صديقه أنطونيوس أرسل اقتراح الإستقالة هو وزميله بومبي، فما كان من مجلس الشيوخ إلا الموافقة وبأغلبية ساحقة ، ماعدا أتباع بومبي الذين رفضوا المقترح، وتم إصدار حكم في مجلس الشيوخ بعودة قيصر من غالا، مجردا من أسحلته وجيوشه، وإلا سيعتبر عدوا للشعب الروماني لكن قيصر إخترق تعليمات مجلس الشيوخ، وعبر نهر روبكون (Rubicon)[1]، على رأس فرقة عسكرية واحدة، وعند دخوله إلى إيطاليا، قام بتجهيز فيالق جديدة من الأسرى والمتطوعين، من كل المدن الإيطالية التي مر بها(César,1886, Liv II, 1).

أما بالنسبة لخصمه بومبي، فلم يكن يملك من القوات ما يجعله يصطدم بقيصر، فانسحب هو وعدد من مجلس الشيوخ والنبلاء الى مقودنيا، وكلّف أتيوس فاروس (Tlius Varus) بمواجهة قيصر، لكن هذا الأخير تمكن من السيطرة على إيطاليا، وأعلن نفسه ديكتاتورا، ودفعت له المدن الإيطالية الضرائب، فحدث الانقسام في روما، بين قيادة واحدة في مقدونيا والأخرى في روما، حيث سيعرف الرومان حربا أهلية أخرى سيكون أحد مسارحها بلاد المغرب القديم(Plutarque, 1853, POMPEE,22).

[1] – نهر روبكون: هو مجرى مائي يمثل الحدود الفاصلة بين غالا القريبة (Gaule Cisalpine) وإيطاليا الرومانية، عينه أعضاء مجلس الشيوخ كمعلم جغرافي يمنع على أي قائد عسكري عبوره بجيوشه دون إذن منهم، لكن قيصر فعل ذلك في شتاء 49 ق.م، ومن هنا جاءت عبارة "عبور الروبيكون" مرادفة للانتهاك المتعمد، للمزيد ينظر: (Laulan, 2012, p. 87).

2-2- أسباب تحالف يوبا الأول مع البومبيين:

ورد في كتاب حرب إفريقيا المنسوب لقيصر أنه "Leptitanos, quorum, superioribus annis, bona Iuba diripuerat, et ad senatum questi per legatos atque arbitris a senatu, datis receperant XXX centenis milibus pondo olei in annos singulos multat, ideo quod initio, per dissensionem principum societatem cum Iuba inierant " (César, 1905,XCVII)، "سكان لبدة الذين كان يوبا في السنوات السابقة قد نهب أملاكهم والذين إستجاب مجلس الشيوخ لشكاويهم بسفارة أعادت لهم حقوقه، بتغريمه 30 ألف سنتينز سنويا"

كما وردت إشارة له في الحرب الاهلية الثانية حول الثورات التي خاضها يوبا ضد سكان لبدة قائلا: "lubam reyocatum finitimo bello et controversiis Leptitanorum restitisse in regno" (Caesar, 1886, Lib II,38). "أعاقته الحرب التي خاضها ضد بعض الشعوب المجاورة ونزاعات سكان لبدة"

ويصف لوكان توسعات يوبا والشعوب التي أخضعها لم يمتلك ملك قبله إمبراطورية أكبر من مملكته، امتدت أراضيه غربا إلى الأطلس المجاورة لقادس وفي الجنوب إلى واحة آمون كما احتلت مساحة إثيوبيا والشعوب التي تتبع جوبا(Lucain, 1835, Lib IV, 670-677)، على الرغم من مبالغة الشاعر في وصف الامتداد الجغرافي لمملكة يوبا الأول، لكن هذا مؤشر على جهوده نحو التوسع، والذي يصفه شيشرون بأنه متجاهل لرعاية روما لوالده عند الإشارة إلى معاهدة شراء أراضي الساحل القريب من قرطاجة حيث قال: "quod non gratis fit indico. Volitat enim ante oculos istorum Iuba, regis filius, adulescens non minus bene nummatus quam bene capillatus" (Cicéron, 1848, Lib II, 22) "عدم إعترافه يوبا بجميل الرومان، عندما تم تثبيت المعاهدات التي اشترى بها والده الأراضي القرطاجية، أنا أمدح هذه الرعاية، ولكن أعتقد أن هذه الرعاية مُتَجَاهَلَة تماما، كما أعتقد في صورة جوبا ابن الملك"

بالإضافة الى نوايا القيصريين في إلحاق نوميديا، بروما حيث أشار قيصر الى ذلك في العبارة التالية: " كان هذا الملك مثل أب، مرتبط ببومبي بروابط الضيافة، وكان يكره كوريون محامي الشعب، الذي أراد بمقتضى القانون مصادرة مملكته (Caesar, 1886, Lib II, 25).

وهو السبب الذي ذكره لوكان في قصيدته بأن قيصر لم يكن مستعد للحرب في إفريقيا، لكن الغضب الذي إجتاح يوبا فانتهك جميع القوانين البشرية والإلهية، عندما عرض كوريون بموجب سلطة التربيون انتزاع مملكته وضمها إلى روما، تذكر ذاك الألم واعتبر هذه الحرب مثل الصولجان الذي ينتقم به (Lucain, 1835, Lib IV, 687-694).

كما يستدل بقصة خلاف جرت أحداثها بين يوبا وقيصر، كانت سببا في زرع بذرة العداء بينهما، أوردها المؤرخ الروماني سويتون في معرض سيرة يوليوس قيصر قال:

> Masintham,nobilem juvenem, quum adversus Hiempsalem regem tam enixe defendisset , ut Jubæ regis filio in alter catione barbam invaserit, stipen diarium quoque pronuntiatum, et abstrahentibus statim eripuit, occultavitque apud se diu: et mox, ex prætura proficiscens in Hispaniam, inter officia prosequentium. (Suétone, 1865, César, LXXI).
>
> دافع عن ماسينثا، الشاب ذو الأصول النبيلة، ضد الملك هيمبصال ، وبعناد شديد لدرجة أنه، في خضم الجدل، أمسك جوبا ابن هذا الملك من لحيته،..،بعد الحكم الذي أعلن أن موكله رافد لهيمبصال، سلبه من أيدي أولئك الذين جروه بعيدًا وأخفاه لفترة طويلة في منزله.

في حين يرى مؤرخون آخرون انه من الصعوبة بمكان، أن تغدو هذه الحادثة سببا مباشرا في إنحياز يوبا الأول للبومبيين، على الرغم من صيت وشهرة قيصر في تلك الفترة، لكنها كانت أحد الأسباب عمقت الأزمة بين يوبا وحزب العامة، ودفعت بملك نوميديا أن يعلن الحرب ضد قيصر.

وبالنظر إلى مسار تطور نفوذ السلطة الرومانية التدريجي في نوميديا، والذي أثر على سياسة السلطة الملكية حيث الملك النوميدي المستقل، الذي يمتلك من الحرية ما يخوله لإتخاذ قرارات سيادية داخل وخارج مملكته، تتكشف هذه الحرية في إطار من العلاقات التي ارتبطت بشدة بالقوانين الرومانية والمعاهدات، التي هي أساس النظام الأرستقراطي للعملاء ، والصداقة التي هي المصطلح السياسي الذي ينضوي تحته التحالف أو بشكل أكثر دقة خضوع الملك لروما منذ مسينيسا حسب القانون الروماني، ومن جهة أخرى جاء جميع الحماة والرعاة الأقوياء من الرومان للملوك النوميديين من عائلة سكيبيو، وهكذا فإن كورنيليوس ميتلوس بيوس سكيبيو (P.Cornelius Metellus Pius Scipio) كان راعيا ليوبا الأول(Coltelloni-Trannoy,

2003)، مما جعل هذه الرعاية تدفع هذا الأخير إلى معسكر البومبيين ضد قيصر، وهو ما جعله يصف إعلان الملك جوبا "صديقا وحليفًا" للشعب الروماني من قبل مجلس الشيوخ البومبي و"العدو العام" من قبل مجلس الشيوخ القيصري (César, 1905, IV,1)

لا بد أن بومبي انتهز مشاعر العداء التي يكنها يوبا لقيصر، وأدرك أنه في حالة نقل الحرب إلى إفريقيا فإنه سيستفيد من عدة عوامل على أرض البلاد المغاربية، أولا قوة الجيش النوميدي، حيث كان الفرسان النوميديين، موضع الإعجاب والسعي وراءهم في جميع الأوقات، كما عرف يوبا بتجديد الجيش من خلال تشكيل وحدات مجهزة على الطراز الروماني، كما كان للموقع الجغرافي كلمته، على أبواب المقاطعة الرومانية، وهي ميزة تضاعف بسبب ثراء تربتها.

كما كان لمنهج التوسع الذي انتهجه يوبا الأول مخيفا بالنسبة للرومان، وإحكام سيطرته على المناطق التي كانت تتواجد بها أراضي الفرق العسكرية المساعدة من الجيتول في جيش ماريوس التي ظلت على وفائها لذكرى ماريوس وقرابة قيصر له جعلتهم ينحازون له ضد يوبا الأول (Cassius, 1868, Lib XLII, 4)، مثلما هو الحال مع سكان لبدة الذين منذ حرب يوغرطة تحالفوا مع الرومان ضد الملك النوميدي، وبالتالي تعد محاولة إخضاعهم إنتهاكا لتقاليد الصداقة والتحالف بين ملوك نوميديا والرومان.

لقد اجتمعت عدة أسباب لدى يوبا الأول للوقوف ضد يوليوس قيصر، منها التدخل الروماني في شؤون مملكة نوميديا، أطماع الجزب الشعبي في الإستبلاء عليها وتجريده من عرشه وعرش أجداده، بالإضافة الى قوة شخصيته، واهانة سفارة رسمية موفدة من طرف الملك هيمبصال الثاني حليف وصديق الرومان وعلى رأسها إبنه من طرف قيصر، تجعل من هذه الشخصية تنحاز الى البوميين وترمي بكل ثقلها في هذه الحرب.

2-3 - مجريات الحرب وأهم المعارك:

عندما إندلعت الحرب الأهلية الرومانية الثانية سنة 49 ق.م وأحكم يوليوس قيصر سيطرته على مدينة ارينيوم الإيطالية، فرَّ فاروس (Attius Varus) الى إفريقيا كما أشار قيصر الى ذلك قائلا :

> Tubero, cum in Africam yenisset, inyenit in proyincia cum imperio Attium Varum, qui ad Auximum, ut supra demonstravimus amissis cohortibus protinus ex fuga in Africam pervenerat atque eam sua sponte vacuam occupayerat delectuque habito duas legiones effecerat, hominum et locorum notitia et usu

eius provinciae nactus aditus ad ea conanda, quod paucis ante annis ex praetura eam provinciam obtinuerat. Hic venientem Uticam navibus Tuberonen portu atque oppido..,sed sublatis ancoris excedere eo loco cogit (Caesar, 1886, Lib II, XXXI).

عند وصول تيبيرو إلى افريقيا، كانت القنصلية محتلة من طرف اتيوس فاروس الذي كما قلنا انسحب الى افريقيا واستولى عليها وشكل فرقتين لم يكن صعبا عليه معرفة الرجال والمحليين في هذه المقاطعة التي كان حاكما عليها ورفض دخول تيبرون الذي وصل مع اسطوله لميناء أوتيكا ... واجبره على الإنسحاب.

عثر على نقيشة في بتونس سنة 1894، تفيد بأن أتيوس فاروس وكنسديوس لونكوس (Considius Longus) البروبريتور السابق للمقاطعة، قد تقاسما السلطة كمفوضين عن البروبريتور (Legatus Propraetore)، لكن بعد ذلك في الفترة ما بين سنتي (48- 47 ق.م)، أصبح اتيوس فاروس حاكما منفردا (Moinier, 1901, p. 291) أما كنسيديوس فقد انضم إلى جيش بومبي حسب ما يذكر صاحب إفريقيا أن عند وصول قيصر الى حضموتوم(سوسة)، حيث حامية البومبيين تحت قيــادة كايـوس كنسيديوس، ظهر له على الساحل من جهة قليبية كينيوس بيزون (C .Pison) رفقة خيالة حضرموتيم ,Caesar, 1886) .II, 24)

2-4-المواجهة الأولى بين يوبا الأول وكريون (C. Curion) 49 ق.م:

بعد أن اتخذ البومبيون مدينة أوتيكا كقاعدة عسكرية في إفريقيا، وتحالفوا مع يوبا، أرسل قيصر مساعده كيريون لمواجهتهم حيث أقام معسكر كورنيليوس وهي منطقة محصنة ليست ببعيدة عن أوتيكا إلا بـ ألفي خطوة، وقرر محاصرة أوتيكا، وكادت المدينة أن تستسلم لو لا قدوم نواب يوبا معلنين عن وصوله، حيث ورد في الحرب الإفريقية الآتي:

Saburram, eius praefectum, cum mediocribus copiis missum Uticae appropinquare,…, His rebus inpulsus3 equitatum omnem prima nocte ad castra hostium mittit ad flumen Bagradam; quibus praeerat Saburra, de quo ante erat auditum,..., Numidae enim quadam barbara consuetudine nullis ordinibus passim consederant, Hos oppressos somno et dispersos adorti, magnum eorum numerum interficiunt,…, atque ita proelians interficitur (Caesar, 1886, Lib II, 38, 42) .

عندما علم بجيش الملك على بعد خمسة وعشرون ميلا من أوتيكا ترك الحصار ورحل الى معسكر كورنيليوس يجمع العدة،...، وقرر القتال وأرسل جميع فرسانه الى

نهر باغرادا الى معسكر العدو بقيادة سابورا (ملازم يوبا)،...، وعلى حين غرة لأن النوميديين حسب أعراف البربر يعسكرون مشتتين ودون ترتيب فاجأهم في هذه الحالة وقتل عدد كبير،...، ويقتل أثناء المعركة.

ويذكر أبيان أنه عند تراجع يوبا الى الوراء عند وصوله إلى نهر باغرادا، كان الفصل صيفا، سار كوريون عبر طريق رملي خال من المياه وأرسل شخصا لخداعه فهرع كيريون الى المرتفعات حتى نال منه التعب والعطش وعندما رأى جيش يوبا في هذه الحالة عبروا النهر مستعدين للمعركة نزل كيريون وجنوده لأحاطة الفرسان النوميديين، ثم حاول التراجع لكنه وقع في مأزق جعله يلجأ مرة أخرى الى المرتفعات، بعد القتال بجرأة سقط مع جميع جنوده، تم قطع رأسه وإرساله الى يوبا (Appien,1808, Liv II, 45-46).

يرى بعض المؤرخين أن كوريو لم يكن الرجل المناسب لهذه المعركة فقوته تتجلى في مواهبه السياسية، وليس مكناته كقائد عسكري، حيث يصف كاسيوس كريون "أقوى مؤيدي قيصر والذي منحه أفضل الآمال" (Cassius,1868, Lib XLII, 41) لكن التأييد السياسي والقانوني مختلف الدعم العسكري والقتال في المعارك، التي كان لعنصر المباغتة دور فعال في القضاء على الجيش الروماني، ورغم ذلك صاحب إفريقيا، لم يعترف بها.

كما يرى المعاصرون بأن من دوّن كتاب حرب إفريقيا جندي من جيوش قيصر، وليس من تأليف قيصر نفسه، بسبب مستوى لغة الكتابة، أو حتى لغة الخطاب التي يستخدمها الكاتب التي توحي بأنه شخصية أخرى ليست قيصر، ومن خلال تعبيره يفهم أنه كان جنديا بسيطا، ولم يكن من المقربين من قيصر، ويثني النقاد على دقة ملاحظاته، والإفادة بشؤون المعارك والخطط الحربية(César, 1905, Intro, XXXIV)، ورغم ما يتميز به من صفات العسكرية واتقانه الفنون الحربية، لكنه لم يستطع التخلص من نظرته الدونية للبرابرة على أنهم أقوام همجية غير منظمة، ولم يستطع أن يرى أي ميزة إيجابية في حرب الكمائن والعصابات التي تشتهر بها الجيوش المغاربية القديمة.

أما بالنسبة لنتائج المعركة فجاءت ثقيلة على معسكر القيصريين، حتى على الجنود الناجين من المعركة حسب قيصر نفسه فهي:

Itaque perterritis omnibus sibi quisque consulebat. Qui in classe erant, proficisci properabant. Horum fuga navium onerariarum magistros incitabat: pauci lenunculi ad officium imperiumque conveniebant. Sed tanta erat completis iitoribuscontentio,.., ut

muititudine atque onere nonnulli deprimerentur, reliqui boc timore propius adire tardarentur,..., vaierent aut naves adnare possent, recepti in Siciliam incolumes peryenirent (Caesar, 1886, Lib II, 43)

في وسط الفزع العام كل فرد فكر في نفسه... سارعوا الى الرحيل على متن الأسطول ... وغطت الحشود الساحل وغرقت الكثير من القوارب بسبب الحولة الزائدة ... لم يكن هناك إلا عددا قليلا من الجنود الذين ...فازوا بالسفن وتمكنوا من الوصول آمنين وسليمين الى صقلية.

2-5 –أولى المواجهات بين قيصر ويوبا الأول:

ذكر بلوتارك أن بعد انتصار قيصر في معركة فرسال (Phersal)[1] لاحق أنصار بومبي كاتو (حفيد كاتو الكبير) وسكيبيو اللذان فرا الى بلاد المغرب القديم، لطلب المساعدة من الملك يوبا، فقرر قيصر ملاحقتهم إلى هناك(Plutarque, 1845, CESAR,57) .

كما أعلن قيصر وأنصاره في مجلس الشيوخ أن يوبا عدو الشعب الروماني حسب ما ورد لدى المؤرخ الروماني ديون كاسيوس أن يوبا إمتلأ بمرتبات الشرف من طرف بومبي ونواب مجلس الشيوخ (البومبيين) حتى أنه حصل على لقب ملك، لكن قيصر وأعضاء مجلس الشيوخ (القيصريين) أعلنوا أنه مجرم وعدو عام، ومنحوا إسم الملك لبكوس وبوغود أعداء بومبي (Cassius,1885, Lib XLII, 41).

أما أنصار بومبي فقد عرفوا في بلاد المغرب القديم خلافات حول القيادة كما أشار ديون كاسيوس أن بسبب الصراع بين فاروس وسكيبيو حول موضوع القيادة، لأن هذا الأول منذ وقت طويل على رأس الفرق، ويوبا بسبب نصره يطلب المركز الأول، لكن سكيبيو وكاتو اللذين تجاوزا المكر والخديعة، اقنعوا الآخرين بمنح الصلاحيات الى سكيبو لأنه كان يعتقد أن إسم سكيبيو لا يمكنه مواجهة سوء الحظ في افريقيا (Cassius,1885, Lib XLII, 57).

وقد أفاد بلوتارك بموالاة سكان أوتيكا لقيصر، لذلك جاءت أوامر يوبا تطلب ذبحهم وإبادتهم جميعا وتدمير مدينتهم، لكن آراء حلفائه تباينت بين الإستجابة والرفض، فرغب سكيبيو في الأمر، إلا أن معارضة كاتو كانت شديدة (Plutarque, 1845, CATON, 75)، أثارت هذه

[1] – معركة فرسال: وقعت أحداث المعركة بين البومبيين والقيصريين، في بلاد الغال، على إحدى ضفتي نهر الأونيبي (Enipée) في شمال ثيساليا (Théssalia) شمال بلاد الإغريق، للمزيد ينظر: (Rambaud, 1959, p. 346).

المعارضة غضب الملك، لكن عدائه لقيصر هو الذي جعله يستمر في هذا الحلف، الأمر الذي جعله يقاتل كحليف غير مجبر على طاعة الرومان (Gsell, 1928, T VIII p.35).

أمام هذه التطورات السياسية والعسكرية في المجال المغاربي وبداية آثار التصدع في المعسكر البومبي حليف يوبا، ومشاعر عدم الرضى التي إجتاحت هذا الأخير، أبحر قيصر من روما الى صقلية ثم نحو حضرموتيم أين عسكر هناك لعدة أيام ثم رفع معسكره واتجه نحو روسبينا، واتجه نحو لبدة وتمكن سالوستي من الاستيلاء على جزيرة قرقنة، وانضم سوتويوس لبوكوس لمهاجمة ممكلة نوميديا من الخلف ليشغلوا يوبا الأول عن مساعدة سكيبيون شرقا، وما إن تدعمت قوة قيصر بوصول قوات إضافية تقدم نحو أوزيتا، وقرر محاصرة مدينة تابسوس.

2-5-1- خطة قيصر في إضعاف قوات يوبا الأول:

2-5-1-1- استمالة الخصوم والحلفاء: من خبرته العسكرية الطويلة أدرك قيصر أنه يستحيل عليه النصر إلا بالبحث عن حلفاء يدعمونه، كما لم يدخر جهدا في إستمالة خصومه وهذا للتخفيف من حجم الضغط النفسي والعمل العسكري على جيشه، حيث أشار صاحب الحرب الإفريقية إلى ذلك في الفقرة الآتية:

> P. Sittius interim et rex Bocchus coniunctis suis copiis, cognito regis Iubae egressu, propius eius regnum copias suas admouere, Cirtamque oppidum opulentissimum eius regni adortus paucis diebus pugnando capit et praeterea duo oppida Gaetulorum,…, Inde progressus agros oppidaque uexare non destitit. Quibus rebus cognitis Iuba, ...capit consilium satius esse sibi suoque regno subsidio ire, quam dum alios adiuturus proficisceretur (César, 1905,XXV).

وحد بوبليوس سيتيوس والملك بوكوس قواتهما، عندما علما بغياب يوبا، ودخلا إلى مملكته، حاصرا واستوليا في أيام قليلة على كيرتا، أغنى مدن المملكة ومدينتين جيتوليتين، أسرا وقتلا سكان الأخيرتين ....، توغلوا في الأرياف،....، فكر يوبا...أنه من الأفضل نجدة مملكته عوض فقدانها من أجل نجدة الآخرين"

من خلال هذه الفقرة التي تخبر بمدى مساهمة هذا التحالف الثلاثي في تشتيت قوة يوبا الأول وتركيز انتباهه منذ الوهلة الأولى لمجيئ القيصريين، إلا أن مؤلف الحرب الإفريقية على الرغم من إجماع جل الباحثين على عدم إمتلاكه الموهبة الكتابية التي يتمتع بها يوليوس قيصر، ويضعونه كعمل لأحد الجنود وليس لقيصر، لكنه أكد على إبراز الصعوبات التي

تعرض لها قيصر وجنوده في بلاد المغرب القديم حيث كانت كل الظروف تقف ضده، بما فيها الظروف الطبيعية والمناخية، (César, 1905, Intro, XXXIV).

أما بالنسبة لكاسيوس فإن قيصر كان متفوقًا جدًا في فن الحرب على معاصريه، "فلن نجد عند التأمل شيئًا أكثر إثارة للدهشة من هذه الخاصية"، كما يذكر بانتصاراته الباهرة في فصل الشتاء، عندما هاجم خصومه بشكل غير متوقع وعلى غفلة منهم، الأمر الذي جعله منتصرا في جميع المناسبات، ضف إلى ذلك بسرعته وحركاته غير المتوقعة في الوقت الذي لم تكن إفريقيا قد استحوذ عليها بعد (Cassius, 1885, Liv XLII, 56).

لقد جمع قيصر بين الإستراتيجية العسكرية والدهاء السياسي، في الميدان العسكري ظهرت عبقريته في غزو بلاد الغال، وإنتصاراته في الحرب الأهلية ضد بومبي والمحافظين، إلى جانب حذاقته العسكرية وولاء جنوده الذين كانوا يؤلهونه في الحياة والموت، وبحسب تحليل المدارس الحربية المعاصرة ربما يكون من القلائل الذين لم يفشلوا في أي عمل عسكري فشلا ذريعا، ومن جهة أخرى تحسب له العبقرية السياسية في الوقت الذي شهدت الجمهورية الرومانية التعفن والفساد السياسي، أدرك ما يمكن القيام به من إصلاحات، فكانت له الخطة السياسية المناسبة لإعادة الإستقرار (Hubert Zehnacker, 2013, pp. 113-119).

جعلته خبرته السياسية والعسكرية يزاوج بين العملين الحربي والديبلوماسي، استفاد من الخلاف بين يوبا وجيرانه الجيتول ما جعله يستميل هذه الشعوب ويجندها لحسابه، كما استغل طموح منافسه بوكوس الثاني الذي يطمع في توسيع مملكته نحو الشرق.

يقول صاحب إفريقيا بأنه كنتيجة للمحادثات التي لم تخف عن قيصر فوائدها، استغل بعض الجيتول من الخيالة الملكية، الحراس الأشراف وقادة الفرسان الذين عمل أقاربهم مع ماريوس للالتحاق بمعسكر قيصر بخدمهم وخيولهم بحوالي ألف فارس، كما اتصل قيصر ببعض القادة من معسكر سكيبيو ويوبا، حيث رأى سكيبيو ماركوس كوينيوس يتحدث الى كايوس سازيرنا (Caius Sasirna) فأمره سكيبيو بعدم محادثة الأعداء، أما عن بوبليوس سيتيوس فلا يعرف عنه شيء في نصوص الحرب الإفريقية سوى أنه " وحد بوبليوس سيتيوس والملك بوكوس قواتهما عندما علما بغياب يوبا عن مملكته (César, 1950, LVI, LVIII, XXII)، إلا أنه بعد نفيه من إيطالي أصطحب معه مجموعة من المرتزقة وعبر الى موريطانيا، جمع القوات وعمل كقائد تحت إمرة بوكوس، وعلى الرغم من أنه لم يتلق أي

معروف سابق من قيصر، ولم يكن يعرفه على الإطلاق، فقد تعهد بمساعدته في الحرب ومساعدته في التغلب على صعوباته الحالية(Cassius, 1885, Liv XLIII, 3, 1-2).

لا تجيب نصوص قيصر ولا كاسيوس على طريقة الإتصال بين المرتزقة الإيطالي والملك الموريطاني ولا زمنها، ولا حتى أسباب توحيد قواتهما في الظروف الحربية التي تمر بها المنطقة، ما الذي يجعل سيتيوس وجنوده يختارون بوكوس، وهو الحلقة الأضعف في المنطقة إذا تم التسليم بأن تواجد سيتيوس في المنطقة كان قبل انتقال الحرب الى المنطقة؟

حسب ما ورد في المصادر الرومانية سالفة الذكر، فقد تمتع يوبا الأول بشخصية طموحة ذات نزعات توسعية، عمل على التوسع شرق وجنوب شرق نوميديا وعلى أراضي المدن الجيتولية، التي رفعت شكواها الى مجلس الشيوخ الروماني (César,1905,XCVII; Lucain, Lib IV, 670-679)، وهذا لا يمنعه من التوسع غربا على أراضي موريطانيا وهو ما دفع ببكوس بالإتفاق مع سيتيوس لدفع قوات يوبا عن الحدود الموريطانية المرسمة منذ حرب يوغرطة، خاصة أن ما يفهم من كاسيوس أنه عبر الى موريطانيا باتخاذ الطريق من ايطاليا نحو بلاد غالا ثم إسبانيا، وليس عبر صقلية وقرطاجة وهو الطريق المختصر من ايطاليا لبلاد المغرب القديم، إلا إذا كان هناك ما يمنع من التواصل من نوميديا نحو موريطانيا، وجود تصادم في العلاقات بين المملكتين أو دخولها في حرب، زاد من وطيسها انتقال قيصر والبومبيين الى المنطقة.

أما عن سبب اختيار ستيوس التحالف مع بوكوس، يُطرح التساؤل ألم يتصل هذا القائد المنفي بيوبا وعرض خدماته عليه في وقت اضطراب الأوضاع سواء بين المملكتين النوميدية والموريطانية أو بين يوبا وقيصر؟

إذا ما تم الأخذ بما جاء في المصادر الأدبية فإن ملك نوميديا كان يزدري الرومان من الطبقة النبيلة إلى أخر السلم الإجتماعي، وعند تحالفه مع البومبيين يقول قيصر أنه ندم على هذا الإتفاق لكنه أكمل الحرب وكأنه يقاتل بجيش مملكته بمفرده، لذلك لن يقبل بالتحالف أو الاتفاق مع مرتزقة محكوم عليه بالنفي، وهذا ما يدفع للقول بأن يوبا الأول هو وجه آخر ليوغرطة جديد في المنطقة.

أما قيصر فلا يضيع فرصة تقربه من الانتصار، ليس بقوة السلاح والجنود فقط، بل باستمالة شعوب المنطقة وقادة الجند وحتى الملوك، لم يدخر جهدا في الاتصال بحلفاء أعدائه

يوبا وسكيبيو حسب ما جاء في كتاب الحرب الإفريقية، وما يشير إليه كاسيوس الذي يقول بأن قيصر " δὲ Ἰόβαν μετεπέμπετο, καὶ αὐτῷ, ἐπειδὴ μὴ ὑπήκουέν οἱ, πάντα τὰ ἐν τῇ Ἀφρικῇ τοῖς Ῥωμαίοις ὄντα χαρίσασθαι ὑπέσχετο (Cassius, 1885, Liv XLIII, 4,6) "استمر في إرسال الرسل إلى يوبا، بما أن هذا الأخير لم يرد عليه، وعد سكيبيو بجعل جميع الأراضي التي كان الرومان يمتلكونها في إفريقيا هدية له"، كما لا يستبعد إرساله السفارات لإستمالة ملك موريطانيا مقابل توسع مملكته.

2-5-1-2-- ضم الجنود من من الجيتول لمعسكر قيصر: ورد في حرب إفريقيا:

Gaetuli interim perfugae quos cum litteris mandatisque a Caesare missos supra docuimus,….,Quorum auctoritate facile adducti Caesarisque nomine persuasi, ...,contraque regem facere non dubitant. Quibus rebus cognitis Iuba, distentus triplici bello neces sitateque coactus, de suis copiis quas contra Caesarem adduxerat sex cohortes in fines regni sui mittit, quae essent praesidio contra Gaetulo (César, 1905, LV)

وصل الجيتول الفارون الذين أرسلهم قيصر محملين برسائل إلى مواطنيهم الذين أقنعوهم بصيت واسم قيصر،...، بسهولة على التخلي على جانب يوبا، وحملوا السلاح ضد، وعلى إثر هذا الخبر وجد يوبا نفسه يحارب على ثلاث جبهات، أرسل ست كتائب لحماية مملكته من الجيتول.

لم تكن حدود بلاد الجيتول ونوميديا مميزة جدا عن بعضها البعض، فقد استقر الجيتول في مدن نوميديا نفسها، بالإضافة إلى أولئك الذين خدموا في جيش ماريوس ومنحهم الأراضي والمزارع والأموال وبعد إنتصار سولا أصبحوا أتباعا للملك هيبصال والد يوبا، يتولون مناصب عسكرية قيادية في مملكته "خيالة ملكية، وحراس أشراف، وقادة فرسان" الذين عمل قيصر على استمالتهم (César, 1905, LVI).

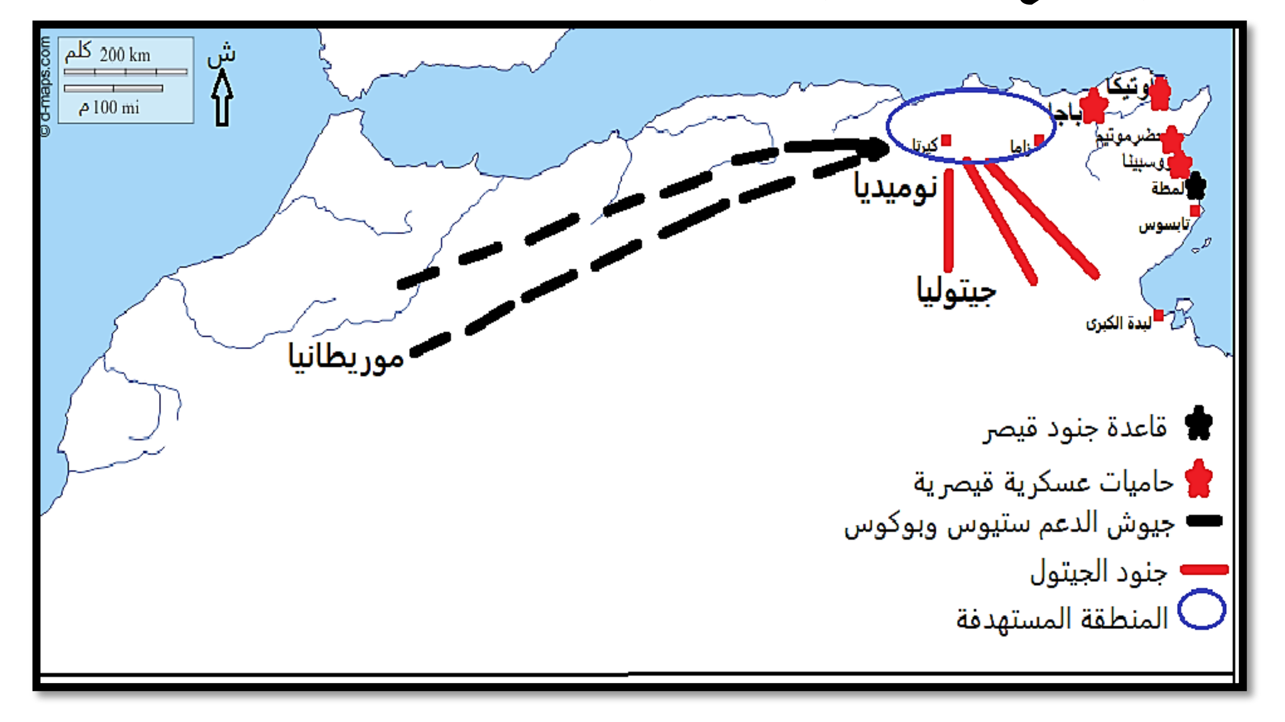
2-5-1-3-- تثبيت الحاميات العسكرية في المدن: بعد استمالة الخصوم والحلفاء وضمها لمعسكره وإخضاعها بالقوة أو اللين عمد قيصر إلى وضع حاميات في كل المدن التي استسلم سكانها وحتى يضمن عدم تراجعها عمد إلى "atque praesidio Lepti Ruspinae Acyllae relicto Cispio Aquilaeque classe tradita , ut alter Hadrumetum, alter Thapsum mari obsiderent" (César, 1905, LXVII) "ترك الحاميات في لبدة و روسبينا

و أشولا ، وسلم الأسطول إلى كيسبيوس وأوكله بمهمة سد طريق البحر على حضرموتيم وعلى تابسوس".

في هذا الصراع كان لمدن البيزاسيوم أهمية إستراتيجية بسبب ثقلها الاقتصادي والسياسي والعسكري (Ait Amra, 2021, p.36)، سمحت هذه الإجراءات التي يمكن وصفها، بتطويق يوبا من جميع الإتجاهات من الشرق وضع الحاميات العسكرية، والجنوب شعوب جيتوليا، والغرب ملك موريطانيا ومرتزقة سيتيوس وهو ما سيسهل العمليات العسكرية (ينظر الشكل رقم01).

شكل 01:

خريطة توضح خطة حصار قيصر وحلفائه ليوبا الأول



المرجع: (إنجاز الباحث)

2-5-2- خطط الإشتباكات العسكرية:

2-5-2-1- مهاجمة حاميات البومبيين: سيطر البومبيون على عدة مدن في شرق نوميديا ووضعوا بها حمايات عسكرية دائمة وشبه دائمة، فكان قيصر يشن الهجوم على هذه المراكز لإضعاف قوتها والتمكن من الإستيلاء عليها، والتي تكون عادة وفيرة بالقمح والثروات مثال ذلك مدينة تيجيا(Tégéa)[1] حيث يقول:

ubi praesidium equestre circiter numero habere consuerat . Eo equitatu dextra sinistra derecto ab oppidi lateribus, ipse legiones ex castris eductas atque in iugo inferiore instructas, non longius fere mille passus ab suis munitionibus progressus, in acie constituit. Post quam diutius in uno loco Scipio commorabatur et tempus diei in otio consumebatur, Caesar equi tum turmas suorum iubet in hostium equitatum (César, 1905, LXXVIII).

حافظ سكيبيو بشكل دائم على حامية تضم حوالي ألفي فارس، قام بوضع سلاح الفرسان، يمينًا ويسارًا على كل جهة من جهات المدينة، وأخرج جحافله، وأقام نفسه في الصف في أسفل الارتفاع، دون أن يتقدم بأكثر من ألف خطوة من تحصيناته، بقي سكيبيو في نفس المكان يضيع ساعات اليوم في التقاعس، يعطي قيصر أسرابه الأمر بشن هجوم ضد سلاح فرسان العدو المتمركز تحت أسوار المدينة.

2-5-2-1-معركة تابسوس وهزيمة يوبا والبوميين:

ab Aggar XVI milia nocte progressus,…,ipse cum reliquis copiis lunatis castris Thapsum,..,operibus circummuniuit,…,Caesar peruenit et animaduertit aciem pro uallo Scipionis constitutam elephantis dextro sinistroque cornu conlocatis,…circumeundo exercitu ani maduertit hostes circa uallum trepidare atque ultro citroque pauidos concursare, et modo se intra portas recipere,…, signo Felicitatis dato, equo admisso in hostem,…,Interim Thapso qui erant praesidio, ex oppido eruptionem porta maritima faciunt, et siue ut suis subsidio occurrerent, siue ut oppido deserto (César, 1905, Bull Afr, LXXIX, LXXX, LXXXIII, LXXXV)

خرج من أغار وعلى مسيرة 16 ميل،...، سار برفقة جنوده وأقام تحت أسوار تابسوس،...، نصب معسكره،...، عند وصول قيصر رأى الخط الذي وضعه سكيبيو

---

[1] – ورد خطأ في إسم المدينة لدى صاحب إالحرب الإغريقية، حيث لا تذكر المصادر مدينة بهذه التسمية، سوى مدينة إغريقية في أركاديا، للمزيد ينظر: (Gaffiot, 1934, p. 1548).

وضع الأفيال على الجانب الأيسر والأيمن، أثناء تجوله حول الجيش، لاحظ أن العدو كان في حالة ذعر من الأسوار، وأن الرجال المصابين بالذعر ركضوا جيئة وذهابا، وكانوا يتراجعون عند البوابات،...، أعطى إشارة النصر وهرع ضد العدو،...، فرت القوات التي تحمي تابسوس عبر باب البحر وصولا الى البر.

من خلال الخطة التي حبك خيوطها أمام بوابة تابسوس، يبدو أن قيصر ومن خلال اقامته في بلاد المغرب القديم تمكن من التعرف على المنطقة، إلى جانب أنها أحد عواصم يوبا الأول، فهي خزانا للحبوب لذلك كانت أكبر أهدافه التي أراد الإستيلاء عليها، أما من أجل تحقيق النصر فقد اقتبس من المهارات القتالية للنوميديين، كما استخدم الفيلة في المعركة، على عكس الرومان الذين لا يروقهم استخدام هذا الحيوان (Ait Amra, 2021, p. 34).

لكن كاسيوس لا يعترف بهذه المهارات القتالية العالية، التي أثمرت بالاستيلاء على تابسوس بل يرى أن لو لا العقبات التي وضعت في وجه يوبا التي افتعلها قيصر بغزو عاصمته من جهة وتأليب المدن الجيتولية ضده، لما كان قيصر ليقاوم، لم يجرؤ حتى على مواجهة سكيبيو بمفرده في البداية، لأنه كان لديه خوف كبير من الأفيال وقدراتهم القتالية، ولكن في الغالب لأنهم استمروا في إحداث ارتباك في سلاح الفرسان، وظل كذلك حتى وصله دعم الجنود الجيتول، وحسب كاسيوس جاء ولاء الجيتول لقيصر بسبب ولائهم لذكرى ماريوس ال\اي كان مقربا من قيصر (Cssius, 1885, Liv XLII, 2,2-4).

3– مصير نوميديا ويوبا بعد الحرب الإفريقية:

يقول صاحب إفريقيا بأن سكان زاما أرسلو مندوباً إلى قيصر يطلبون منه المساعدة، قبل أن يجمع الملك القوات ويهاجمهم، وقد كانوا مستعدين للحفاظ على أنفسهم ومدينتهم وتسليمها لقيصر، وقد إستجاب قيصر لرسل المدينة، وطلب منهم أن يسبقوه ويعلنوا وصوله، وفي طريقه نحو زاما، جاء إليه العديد من قادة القوات الملكية يطلبون العفو منه، وانتشرت شائعة لطفه ورأفته، حيث تم استقباله من طرف فرسان المملكة المملكة تقريبًا، وبذلك لم يبق ليوبا الثاني سوى الفرار بعد تنكر أهل المدينة له.

ورد في كتاب الحرب الإفريقية فيما يخص موقف سكان زاما من يوبا الآتي:

Rex interim Iuba ut ex proelio fugerat, ..., confectis in regnum peruenit, atque ad oppidum Zamam , ubi ipse domicilium coniuges liberosque habebat, quo ex cuncto regno omnem pecuniam carissimasque res conportauerat, quodque inito bello operibus maxi mis muniuerat,

accedit. Quem antea oppidani, rumore exoptato de Caesaris uictoria audito (César, 1950, XCI).

فرّ الملك يوبا من القتال،...، ووصل أخيرًا إلى مملكته، ووصل إلى مدينة زاما حيث كان يقيم بها زوجاته وأبناؤه، أحضر أمواله وكنوزه من جميع مناطق، التي كان قد حصنها بقوة في بداية الحرب، لكن السكان الذين سمعوا بالفعل، لرضاهم الكبير عن انتصار قيصر، منعوه من المدينة لأنه أعلن الحرب على الشعب الروماني.

أما عن السبب الذي جعل سكان زاما يتصرفون بمثل هذا التصرف تجاه ملكهم يقول صاحب إفريقيا: "in oppido Zamae lignis congestis maximam in medio foro pyrar construxerat, ut si forte bello foret superatus, omnibus rebus eo coaceruatis, dein ciuibus cunctis interfectis eodemque proiectis, igne coniugibus ciuibus cunctaque gaza regia cremaretur" (César, 1905, XCI) "لقد أحضر الخشب إلى زاما وأقام حصة هائلة في منتصف المنتدى،...، إذا هُزم في الحرب فإنه سيجمع في هذه المحرقة جميع ممتلكاته، ويُعدم جميع السكان ويلقي بهم هناك، وبعد إشعال النار فيها سيقتل نفسه في النهاية".

تم إغلاق أبواب المدينة في وجهه، ولم تنفع محاولاته لفتح الأبواب بتهديد السكان ثم بالصلاة للآلهة، ولما رأى أنه لا جدوى من ذلك طلب منهم زوجاته وأبنائه، لكن السكان لم يستجيبوا لطلبه، فغادر زاما دون الحصول على أي شيء، وذهب مع بيتريوس (Pétréius) وبعض الفرسان لأحد ممتلكاته(César, 1905, XCI).

أما نهاية يوبا حسب قيصر فيقول:

Rex interim Juba ab omnibus ciuita tibus exclusus, desperata salute, cum iam omnia onatus esset, cum Petreio, ut cum uirtute inter fecti esse uiderentur, ferro inter se depugnant, atque firmior inbecilliorem Iubam Petreius facile ferro consumpsit. Deinde ipse sibi cum conaretur gladio traicere pectus neque posset, precibus aseruo suo impetrauit ut se interficeret, idque obtinuit .(César, 1905, XCIV)

لكن الملك الذي اغلقت كل أبواب المدن أمامه يئس من خلاص نفسه. في النهاية قرر مع بتريوس أنهم سيقاتلون بالسيوف ليعطوا لأنفسهم مظهر الموت السخي، وسيف بتريوس القوي تغلب بسهولة على يوبا الضعيفة. بعد ذلك، حاول بتريوس دفع سيفه إلى الداخل في صدره؛ ولم ينجح، فقد جعل أحد عبيده يقتله، وهذه المرة كان راضيًا.

أما رواية كاسيوس فتذكر إشارة صغيرة إلى سبب غلق بوابات زاما الملكية، هو تهديد مرتزقة سيتيوس حليف قيصر وبوكوس السكان بعدم فتح الأبواب، ثم بعد هروب يوبا مباشرة أخذ قيصر القلعة ونفذ مجزرة في كل الذين كانوا في طريقه، بما في ذلك من أرادوا الانضمام اليه(Cassius, 1885, Lib. XLII, 9).

يختلف سبب إغلاق أبواب زاما بين رواية صاحب إفريقيا وكاسيوس، الأول شاهد عيان على الحرب لكنه ليس من المقربين من قيصر، والثاني يعود إلى القرن الثالث للميلاد وتجهل مصادره حول هذه الحرب أو على الأقل كتاب الحرب الإفريقية ليس واحدا منها، لكن بتتبع تعامل قيصر مع المدن التي أخضعها والتي حظيت بصداقته، لم يسبق وأن أعمد القتل وبيع الممتلكات في إحداها إلا إذا أخضعت قصرا، وإذا ما تم مصادرة الممتلكات فهي ممتلكات الفئة المعادية له، بالإضافة إلى ترك حاميات في كل المدن التي استسلم أهلها وتعامل معهم كأحلاف وأصدقاء، إلى جانب إرسال المبعوثين للحفاء وتابعي يوبا ربما يغيرون الحليف وينتقلون إلى حزبه، لكن الوضع مع أهل زاما مختلف على الرغم أن الرواية تقول أنهم أرسلوا له مبعوثين يطلبون صداقته ووافق على ذلك، لكن بعد وصوله للمدينة يتغير الوضع ويعمد فيهم القتل ولم يستثن أحدا حتى الذين طلبوا التحالف، ومن جهته كاسيوس يشير إلى تواجد مرتزقة ستيوس في المدينة وأجبروا السكان على غلق أبوابها، في ظل تواجد مرتزقة سيتيوس وجنود قيصر في المدينة فيعد استلاء على المدينة من طرف الرومان وإخضاع أهلها وليس كما ورد في الحرب الإفريقية.

وقد اعتبر قيصر يوبا الثاني أحد ممتلكات روما في حين قام ببيع ممتلكات يوبا الأول في المزاد العلني، أخذ ابنه في موكب النصر ودخل به روما أين احتفل بأربع انتصارات في آن واحد على الغال وضم نوميديا وإخضاع مملكة البونت (Pont)، وأخذ بن يوبا وهو لا يزال رضيعا في موكب النصر وعهد بتربيته إلى شقيقته جوليا (Appien, 1808 Liv II, 101) .

وحول تقسيم نوميديا حسب كاسيوس منحها قيصر لسالوستي من ناحية نظرية ليحكمها ومن ناحية عملية لنهبها، أما يوبا وعندما يئس من سكان زاما تقاتل ضد بيتريوس حتى الموت (Cassius, 1885, Lib XLII, 9) أما بالنسبة لأبيان فيضيف بأن القسم الأفضل من أراضي ماسنيسا والد أرابيون (Arabion) الذي تحالف مع يوبا منحها قيصر الى سيتيوس وبوكوس ملك موريطانيا كمكافأة على خدماتهما (Appien, 1808, Liv IV,54) .

لقد ظلت نوميديا مصدر قلق للرومان، وهذا ما جل القيصريين يطرحون مشروع احتلالها على مجلس الشيوخ وتم رفضه تحت تأثير البومبيين حلفاء يوبا، وما إن سنحت الفرصة حتى فتكوا بملكها ونصبوا حاكما رومانيا عليها.

3- أوضاع بلاد المغرب ما بين الحرب الأهلية الثالثة الى غاية الحاق بالامبراطورية الرومانية (46 ق.م - 42م):

3-1 - مقاومة آربيون للوجود الروماني:

بعد ترتيبات قيصر السياسية وتقسيم نوميديا، بين سيتيوس ومرتزقته والقسم الآخر لبوكوس الثاني، وبعد مقتله في 44 ق.م، وعند اندلاع الحرب الأهلية الرومانية الثالثة، بين كايوس اوكتافيوس وماركوس انطونيوس، نشب الصراع بين حاكمي الإفريقيتين الجديدة والقديمة وكان كل منهما يسعى الى توحيد المقاطعتين تحت لوائه، سيكستيوس(Sextius) حاكم إفريقيا القديمة وممثل اوكتافيوس (الإتفاق الثلاثي)، وكورنفسيوس (Cornificius) حاكم الولاية الجديدة ممثل مجلس الشيوخ، واغتنم ارابيون الفرصة لإستعادة عرش آبائه، كما تقول رواية أبيان بأنه هو من قتل سيتيوس، وقد ظل هذا الأمير مترددا مع أي الحزبين سيقف، وسرعان ما قرر التحالف مع سيكستيوس(Appien, 1808, , Liv IV, 56; Cassius, 1885, Lib XLVIII, 22).

أما بالنسبة للكتاب الرومان لم تشغلهم أحداث إفريقيا، بسبب ما يحدث في روما بعد مقتل قيصر، خاصة الشأن القانوني والسياسي، يقول شيشرون في رسالة لصديقه أتيكوس يشرح له أوضاع روما بأن:"Arabioni de Sittio nihil irascor" ليس لدي أي موقف تجاه آرابيون في موضوع ستيوس".(Cicéronis, 1840, Epst Atticus, Lib. XV, A. XV, 17)

أما ما كتبه ديون كاسيوس حول :

Καταφυγόντα τε αὐτὸν πρὸς τὸν Σέξτιον ἐξαιτήσας καὶ μὴ λαβὼν ὀργήν τε ἐποιήσατο, καὶ ἐς τὴν Ἀφρικὴν ἐμβαλὼν τῆς μὲν χώρας ἐκάκωσεν, ἀντιστρατοπεδευσαμένου δὲ αὐτῷ τοῦ Σεξτίου μάχαις βραχείαις μὲν πολλαῖς δ´ οὖν ἡττήθη, καὶ διὰ τοῦτ´ ἐς τὴν Νουμιδίαν αὖθις ἀνεκομίσθη. Καὶ αὐτῷ ὁ Σέξτιος ἀντεπελθὼν ἐλπίδα μὲν ὡς καὶ διὰ βραχέος τῇ τοῦ Ἀραβίωνος μάλιστα ἱππείᾳ νικήσων ἔσχεν, ὑποτοπήσας δέ τι καὶ δολοφονήσας ἐκεῖνον οὐδὲν ἔτι τότε γε ἔπραξεν· (Cassius, 1885, Lib. XLVIII, 22)

بعد أن لجأ أربيون إلى سيكسيتوس، غضب فونغون،...، وألقى بنفسه على إفريقيا (قرطاجة) ودمر جزءًا من البلاد، بعد أن سار سيكستيوس لمواجهته، هُزم في ارتباطات

طفيفة ولكنها متكررة، ولهذا السبب تراجع إلى نوميديا، انطلق سكستيوس في مطاردته، يأمل بفضل فرسان أربيون، يستطيع أن يهزمه في وقت قصير؛ ولكنه قتل أربيون غدرا.

كما يمكن الإستدلال بما جاء لدى ابيان كذلك عن هرب أرابيون الى ابن بومبي، لكنه عاد الى إفريقيا بعد مقتل قيصر وطرد بوكوس من اراضيه وقتل سيتيوس على حين غرة، وانضم الى سيكستيوس، حيث قام مع بعض رجال معسكر كورنفسيوس دون أن يراهم أحد بالاستيلاء على المعسكر، حيث تم قتل حراس الإسطبل حتى يتمكنوا من الظفر بالجياد والحيوانات التي من خلالها يمكن السيطرة على الجيش، أما كورنفسيوس صديق وحليف أرابيون في هذه المهمة كان مرهقا من آثار الحروب التي خاضها، أخذ في الإنسحاب ليأخذ بعض الراحة، فقتله فرسان أرابيون، وانتحر ليليوس أحد رجال سيكسيتوس أيضا عندما رأى ما حل بالمعسكر، ومع موت القادة، خشي سيكسيتيوس من قوة أرابيون ومنح سيكستيوس الكثير من الغنائم الى ارابيون (Appien, 1808, Liv. IV, 56)

يرى أبيان أن هذه الحرب كانت قليلة الأهمية بالنسبة الى السرعة التي حدثت بها"، قد تكون كذلك بالنسبة للرومان(Appien,1808, Liv. IV, 56) ، لكنها في بلاد المغرب القديم أحدثت تغييرا على المستوى السياسي فقد تمكن هذا الأمير من استرجاع مملكة والده وربما أراضي أخرى، كما استنهض النوميديين للمقاومة لو لا أنه أغتيل ما بين 41 – 40 ق.م.

لم يذكر هذا الأمير سوى شيشرون وديون كاسيوس في اشارات عابرة أثناء الحروب الأهليه الرومانية، كما لا يعرف شيئا على نشأته ولا حتى مقتله، وفي الواقع إن موته يناسب كل الفصائل المتواجدة في منطقة ستيوس، والمقاطعة الإفريقية ستبسط هيمنتها على اراضيه ويتمكن بوكوس من استعادة الأراضي التي استعادها ارابيون و يمكن تصور المشروع الطموح لهذا الملك الذي يتجسد في استرجاع مملكة آبائه الأمر الذي عجل بتصفيته.

3–2 – مملكة موريطانيا والرومان:

لا يعرف على وجه الدقة ترتيبات المملكة الموريطانية بعد سقوط نوميديا، وما نصيب الملك بوكوس من المكافاءة التي منحها له قيصر نظير تحالفه وتعاونه معه، وما جاء في الأدبيات الرومانية لا تفيد بالكثير، أما ما ذكره ديون كاسيوس بأنه في عهد أوكتافيوس

Ἥ τε Κλεοπάτρα Ἰούβᾳ τῷ τοῦ Ἰούβου παιδὶ συνῴκησε· τούτῳ γὰρ ὁ Καῖσαρ τραφέντι τε ἐν τῇ Ἰταλίᾳ καὶ συστρατευσαμένῳ οἱ ταύτην τε καὶ τὴν

"βασιλείαν τὴν πατρῴαν" (Cassius, 1868, Li LI, 15) "تزوجت كليوباترا من يوبا بن يوبا ومنح قيصر لهذا الأمير مملكة آبائه، لأنه نشأ في إيطاليا" وفي موضع أخر يقول Καὶ τῷ μὲν Ἰούβᾳ τῆς τε Γαιτουλίας τινὰ ἀντὶ τῆς πατρῴας ἀρχῆς, ἐπείπερ ἐς τὸν τῶν Ῥωμαίων κόσμον οἱ πλείους αὐτῶν ἐσεγεγράφατο, καὶ τὰ τοῦ Βόκχου τοῦ τε Βογούου ἔδωκε (Cassius, 1868, LIII, 26)· "منح ليوبا (الثاني) تعويضا عن مملكة آبائه، الذي كان القسم الأكبر منها مدرج في نطاق الإمبراطورية الرومانية، وقسم من جيتوليا، وممتلكات بكوس وبوغود"، أي قسم من نوميديا وموريطانيا الى جانب جنوب نوميديا وموريطانيا.

وقد سلم أغسطس المملكة الى يوبا الثاني حوالي 30 ق.م، لكنها لا تنطبق على مملكة آبائه إلا جزئيا، فمعظم نوميديا تم ضمها الى مقاطعة إفريقيا الجديدة بما فيها ذلك الجزء الذي منح لسيتيوس، أما مملكة ماسينيسا الثاني فقد استولى عليها بوكوس، ويضيف ديون كاسيوس أنه في فترة الصراع بين انطونيوس واوكتافيوس بأمر من انطونيوس أو من نفسه التحق بوغود باسبانيا، وقد لحق به الكثير من الضرر عندما غادر مملكته، ووجد بوكوس استولى عليها وبعد إنتصار أوكتافيوس، أعلن ملكية بوكوس على قسم موريطانيا الذي كان لدى بوغود بموجب الحق الروماني الذي يعلن بوكوس وعندما غادر بوكوس الحياة لم يعين قيصر حاكما جديدا عليها، بل وضع مملكته ضمن المقاطعات الرومانية.(Cassius, 1885, Lib XLXIX, 43) .

كما لا يعرف على وجه الدقة تاريخ انقسام موريطانيا الى مملكتين احدهما تحت قيادة بوكوس والأخرى تحت حكم بوغود، وكانت عاصمته أيول، مدينة شرشال الحالية، ذكرها بليني الكبير (Plini, 1851, Lib V, II, 9) كما أشار إليها بأنها مدينة قديمة لبوغود أعاد بناؤها يوبا والد بطليموس الذي غير اسمها الى قيصرية"(Strabon, 1867, Liv XVII, III,12)

وفي حدود 25 ق.م عندما أَوْكَلَ الامبراطور مملكة موريطانيا الى يوبا الثاني وذلك ما تسمح به عملات يوبا التي تعود لهذا التاريخ (Desanges, 1964, p. 33)، تخلى عن مملكة آبائه، التي الحقت بإفريقيا القديمة، بينما يقول سترابون بأن في الماضي كان المور أصدقاء الرومان، وعند وفاة بوغود وبكوس ولم يتركا وريثا لعرشيهما، ذهب الى يدي يوبا الذي حصل عليه كهبة من قيصر ليضيفها الى ولايته الوراثية (Strabon, 1867, Liv XVII, III,7).

عين أوغسطس الملك يوبا الثاني على رأس نوميديا أولا ثم موريطانيا، ليس مجرد حاكم فقط بل ملك تابع وكان هذا الإجراء من ضمن التنظيم الجديد الذي أولاه لإمبراطوريته، لحشد

السكان المحليين وجذبهم فلم يجد أفضل من تنصيب ملك نوميدي العرق، روماني الشخصية، حكم حوالي خمسون سنة وبعد وفاته خلفه ابنه بطليموس، حسب اشارة سترابون ترك وريثا ابنه بطليموس من ابنة انطونيوس وكليوبترا(Strabon, 1867, Liv XVII, III,7).

يصف مارسيل بنابو (Marcel Benaou) موقف أوكتافيوس بالحذر وعدم التسرع في الضم الصريح لإقليم كان الوجود الروماني فيه بالكاد محسوسًا، بل وخطيرًا أيضا لما يستدعي من نظام دفاعي جديد في المنطقة، كان سيشكل عقبة أمام تهدئة نوميديا، ولذلك فهو مجبر على التريث والاستعداد لعملية الإنتقال إنشاء إحدى عشرة مستعمرة(Bénabou, 2005, p.48) .

أمام صمت المصادر فيما يتعلق بحياة بطليموس وحكمه، فإن المصادر المادية، من بينها تمثال نصفي يصوره عندما لقب بالملك، أما القطع النقدية فتقول بأن بطليموس قد ارتبط بالجمهورية الرومانية ارتباطا وثيقا بالاضافة الى حلي النصر ذات الطابع الإمتناني لمجلس الشيوخ، كما يصفه المؤرخون من خلال ملامح وجهه في التماثيل والقطع النقدية بالتهور و الكسل والبذخ ويستشهـــدون بمقوله بلين الكبيـــر(Gsell, 1828 , p.280-283) "أكبر طاولة من خشب الأرز لدى بطليموس ملك موريطانيا" (Plini,1779, Lib XIII, XXIV,2).

لكن إذا اعطت التماثيل والعملات وغيرها من المصادر المادية فكرة حول الأوضاع الإقتصادية والاجتماعية ومدى الإستقرار السياسي لموريطانيا، فأنه من الصعب أن يعطي تمثالا من القرن الأول ميلادي تعرض لكافة أنواع التلف والأضرار الطبيعية البشرية، صورة دقيقة حول الشخصية الحقيقية، طباعها، ميولاتها ورغباتها، حتى لو تم التسليم بعلم الفراسة وقراءة الوجه.

أما الصفات السلبية كالبذخ بسبب امتلاكه لأكبر طاولة في العالم القديم، إذا كانت النصوص القديمة تذكر موريطانيا أنها المُصَدِر رقم واحد للرومان لهذه الأخشاب(Strabon,1867, Liv XVII, III, 4)، فمن الطبيعي أن يمتلك ليس فقط ملوكها مناضد من خشب الأرز بل وشعوبها أيضا، وبهذا الصدد تجدر الإشارة الى نقطة مهمة وهي توظيف المؤرخين المحدثين للنصوص القديمة بطريقة توحي إما بالتسرع في قراءتها وعدم إدراك الواقع التاريخي أو بالتحيز والنظرة غير الموضوعية .

وقد اغتاله الإمبراطور كايوس قيصر (Cauis César) المسمى كاليجولا (Caligula) الذي وصل الى الإمبراطورية سنة 37 م، و كان يعاني من إضطراب نفسي وغيرة شديدة من كل المحيطين به، كما ورد لدى سويتنيوس:

Ptolemæuin regis Jubæ filium, consobrinum suum ,...quibus omnibus, pro necessitudinis jure, proque meritorum gratia, cruenta mors persoluta est,… de quo retuli, et accersitum e regno , et exceptum honori fice , non alia de causa repente percussit, quam quod edente se munus, in gressum spectacula, convertisse bominum oculos fulgore purpureæ abolla animadvertit (Suétone, 1865, CALIGULA, 26, 35).

بطلموس ابن الملك يوبا وابن عم كاليجولا،...، مات موتًا دمويًا، لم يكن أكثر احتراما ولا أكثر إنسانية،...، هذا الأمير الذي حضر من ولاياته، والذي استقبله بشرف، تحت ضرباته فقط لأنه عند دخوله المدرج حيث كان كايوس يلعب الألعاب جذب انتباه الجمعية من تألق ردائه الأرجواني.

إن اللباس الأرجواني زيا خاصا بالملوك، تغدق روما به على من تعتبرهم حلفاء وأصدقاء للشعب الروماني تمنحه لهم لإرتدائه في مجالس الحكم الخاصة بهم، وبالمقابل فإن الأرجواني لدى ملوك البلاد المغاربية هو رمز السلطة الملكية، يذكر في نصوص الحرب الإفريقية أن يوبا منع سكيبيو قائد الجيش الروماني من اللباس الرداء الأجواني وأمره بلباس الأبيض، قد يشعر الإمبراطور بنوع من التحدي لباس الملك النوميدي الموريطاني.

ويرى بعض المؤرخين أن سبب إغتياله لم يكن معطفة الأرجواني، لكنه صك العملة الذهبية بإسمه، وفي بروتكول الملوك هو إشعار بالإستقلال، الأمر الذي جعله يدبر مكيدة قتله وإلحاق المملكة بالإمبراطورية الرومانية، وبمقتله تنتهي آخر سلالة الملوك المحليين، وتلحق آخر منطقة ببلاد المغرب بالإمبراطورية الرومانية سنة 42 م (شنيتي، 1985، ص 98).

لقد إجتمعت عدة عوامل ساعدت على أفول آخر الممالك المحلية، حالة الإستقرار السياسي الذي عاشته كل من روما وموريطانيا، بدليل صك هذه الأخيرة العملة الذهبية ، وبمصادفة الإمبراطور المغرور الذي انهى عهد الملوك المحليين، وحقق هدف الإمبراطورية بشكل أو بآخر.

خلاصة الفصل:

بعد التعرض بالدراسة للبلاد المغرب القديم أثناء الحروب الأهلية الرومانية ومن خلال كاتبين إثنين أحدهما معاصرا للأحداث بل يوليوس قيصر أو الشخصية التي وصفت الحرب الإفريقية، والآخر يعود الى القرن الثاني للميلاد، اقتبس من مدونة الحرب الإفريقة، نخلص إلى الآتي:

- مرت العلاقات الرومانية النوميدية منذ الحرب البونية الثانية بتدرج نحو الهيمنة والإخضاع منذ عهد ماسينيسا الذي ربطته علاقات سياسية وأخرى شخصية بالرومان وقد اعتبر ندا لهم ، وقد حافظ إبنه ميكبسا على هذا التحالف فمنعت روما نفسها من التدخل في الشؤون الداخلية لمملكته .

- منذ بروز شخصية يوغرطة الرافضة للخضوع تحولت العلاقة من تحالف وصداقة الى علاقة وصاية على شعوب وممالك بلاد المغرب حيث أصبح التدخل في شؤون المملكة النوميدية سافرا، و استخدام سياسة أثبتت نجاعتها في اخضاع المنطقة وهي تقسيمها الى ممالك صغيرة متصارعة أكثر منها متحالفة.

- ولم تتغير نظرة التابع حتى عندما اشتعلت الحروب بين الفصائل السياسية الرومانية ، لكن تم ابتكار وسيلة جديدة للهيمنة بأقل الخسائر وهي تنصيب ملوك مترومنين المشروع الذي مهد له يوليوس قيصر بجلبه ابن يوبا الأول وتنشئته نشأة رومانية ، ونفذه الإمبراطور أغسطس ولما اشتد ساعد روما وإمبراطوريتها من جهة وأصبحت بلاد المغرب مهيأة للإلحاق بالإمبراطورية من جهة أخرى تم إلحاقها.

قائمة المراجـــع:

I – المراجع العربية:

1 – شنيتي محمد البشير. (1985). *الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم (سياسة الرومنة 146ق.م – 40م)*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

2– حارش محمد الهادي. (2014). *التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء مسينيسا العرش الى وفاة يوبا الأول 203–46 ق.م*. الجزائر: هومة للنشر والتوزيع.

II – المراجع الأجنبية:

1 - Ait Amra, O. (2021). *Thapsus, la bataille et le rôle de Juba Ier*. Actes du 6e colloque international Byzacium, Byzacéne, Muzag: Occupation du Sol et Mode de Vie , (pp. 29-53). sousse.

2 - Appien. (1808). *Histoire des guerres civiles de la république romaine (TII) Liv II*, Trd: Combes-Dounous. Paris: imprimerie des frères Mame.

3 - Bénabou, M. (1988). *Les Trois Fidéltés du Bon Roi Juba. Le Genre humain*, Vol 1-2, n° 16-17. pp. 201 - 214.

4 -Bénabou, M. (2005). *La résistance africaine à la romanisation*. Paris: La Découverte Editeur.

5 -Caesar, J. (1886). *Commentarii de bello civili.* Lipsiae: In Aedibtjs B. G. Teubneel.

6 -Camps, G. (1998). *Gauda*. *Encyclopédie Berbère*, 21. pp.2995-2996. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.1854.

7 -Cassius, D. (1868). *Histoire Romain*. (Trd: Gros),Paris: Libraire de Firmin Hachette Frères.

8 -César,J.(1905).Bellum Africanum. Berlin: Weidmannsche Buchhandlung.

9 -Cicéronis, M, T. (1783). Opera, cum indicibus et variis lectionibus, Oratio De Lege Agraria. Oxoniae: E Typographeo Clarendoniano.

10- Ciceronis, M, t. (1840) epistolarum ad Atticum, libri XVI, Lib XI. Cambridge: W. P. Grant.

11 -Coltelloni-Trannoy, M. (2003). *Juba*. *Encyclopédie berbère*, n° 25. pp. 3914-3938. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.1520.

12- Desanges, J. (1964). *Les territoires gétules de Juba II*. Revue des Études Anciennes, 66, n° 1-2. pp. 33-47. DOI : https://doi.org/10.3406/rea.1964.3713.

13 - Gaffiot, F. (1934). *Dictionnaire Latin Français*. Paris: Hachette Editeur.

14 - Gsell, S. (1828). *Histoire Ancienne de L'Afrique du Nord, Tom VII*. Paris: Libraire Hachette.

15 -Hubert Zehnacker, J.-C. F. (2013). *Littérature latine* . Paris: Presses Universitaires de France.

16 -Lucain, M. A. (1835). *Pharsale*, T I, Trd: M. Greslou. Paris: C. L. F. Panckoucke.

17 -Laulan, A-M. (2012). *Franchir le Rubicon* ?. *Hermès, La Revue* (Cognition, communication, politique), 2. N° 63. P. 87. https://doi.org/10.4267/2042/48324.

18 -Moinier, C. (1901). *Compagne de J. César en Afrique. Revue Africaine*.

19 -Plini, S, C. (1779). *Naturalis historiae libri XXXVII, Tom III*, (Lib XII-XVII). Parisiis:Typis J. BarbouVil Mathurinnensium.

20- Plutarque. (1845). *Les Vies de les Hommes Illustres, Tome II, (Trad: Alixice Pieron)*. Paris: Charpenter Libraire-Editeur.

21 -Plutarque. (1853). Les Vies de les Hommes Illustres, Tome III, *(Trad: Alixice Pieron)* . Paris: Charpenter Libraire-Editeur.

22 -Rambaud, M. (1959). *Le Soleil de Pharsale. Historia*: Zeitschrift für Alte Geschichte,3 , n°3. PP. 346–378.

23 -Sallusti, C, C. (1971). *de Bello Jugurthino liber* . Campridge: At The Univesity Press .

24- Strabon, *Géographie, Liv XVII*, Trd: Amédé Tardieu. Paris: Librairie Hachette et Cie.

25-Suétone. (1865). *Les Douze Césars*. Trd: De La Harpe Paris: Garnier Frères Libraires- Editeurs .

III– التحولات السياسية، الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب القديم في العصر الإمبراطوري

1 – الوضعية السياسية

2– التحولات الاجتماعية

3– الاقتصاد المغاربي في خدمة السلام الروماني

افتتح الرومان العصر الإمبراطوري بإعادة تشكيل المؤسسات السياسية والعسكرية في روما، وهو ما انعكس على المقاطعات من حيث التسيير والإدارة، ضف إلى ذلك مختلف التحولات الإجتماعية في المنطقة، وتأثير الهيمنة السياسية على الواقع الإقتصادي في بلاد المغرب القديم، لكن الكتابات الرومانية في هذه الفترة تزداد شحا وندرة عن الفترات السابقة، ومن خلال إشارت الكتاب الرومان والكتابات الإغريقية سيتم التعرف على منظورهم للمنطقة والتحولات التي طرأت عليها.

I – الوضعية السياسية:

1–إدارة المقاطعات:

من بين الإجراءات التي فعّلها إمبراطور روما الجديدة أوكتافيوس هي تقسيم الولايات الرومانية بينه وبين مجلس الشيوخ، وهو المشروع الذي تأجل بموت قيصر، بموجبه يحتفظ كل منهما بمداخيلها، حيث تعود موارد الولايات الإمبراطورية إلى خزينة الإمبراطور، وعائدات المقاطعات التابعة لمجلس الشيوخ لخزينة مجلس الشيوخ (Cassius, 1868, Liv. LXIII,12).

وفي بلاد المغرب القديم تم التقسيم على النحو الآتي:

1-1- إفريقيا البروقنصلية وافريقيا الجديدة: ألحق قسم من نوميديا (إفريقيا الجديدة) إلى أراضي إفريقيا القديمة لتصبح مقاطعة واحدة، وأسند أوغسطس حكمها إلى قنصل برتبة بروقنصل، وخولت له المهام المدنية والعسكرية في المقاطعة التي يتواجد بها الفيلق الأغسطي الثالث، وظل الأمر على ما عليه حتى وصول كايوس قيصر كاليجولا إلى سدة الإمبراطورية سنة 37م، والذي استحدث منصب ليقاتوس(Légatus) الذي يتولى المهام العسكرية في البروقنصلية، حسب ما يفهم من نص تاكيتوس:

> Legio in Africa, auxiliaque tutandis imperii finibus, sub divo Augusto Tiberioque principibus, proconsuli parebant. Mox C. Cæsar,..., ablatam proconsuli legionem, misso in eam rem legato tradidit; æquatus inter duos beneficiorum numerus et, mixtis utriusque mandatis, discordia quæsita, auctaque pravo certamine. Legatorum vis adolevit diuturnitate officii, vel quia minori bus major æmulandi cura; proconsulum splendidissimus quisque securitati, magis, quam potentiæ consuleban (Taciti, 1858, Lib. IV, XLVIII).

كانت الكتيبة المرابطة ومعها الفرق المساعدة من الجيش مكلفة بمهمة حراسة الحدود، هناك وضعت في عهد المؤله أغسطس وتيبيريوس تحت سلطة البروقنصل، وبوصول

كايوس قيصر،...، أعفى البروقنصل من قيادة الكتيبة وأخضعها لسلطة ليقاتوس
الذي أستحدث منصبه لهذا الغرض، أخذ الفيلق من البروقنصل، وسلمها إلى ليقاتوس
من ثم تقاسما المهام، لكن من خلال الخلط في مهامهما نشأ تنافس شديد بينهما.

بالنسبة لوضعية نوميديا كان الوضع السياسي فيها مختلطا وكان أكثر منه تبعية الى المقاطعة البروقنصلية على وضعية المقاطعة المستقلة (Bénabou, 2005, p. 46)، فقد اصبحت تحت حكم ليقاتوس أو قائد الفرقة الاغسطية الثالثة منذ فصل كاليجولا سلطات البروقنصل سنة 37 ق.م (Taciti, 1858, Lib. IV, XLVIII) .

عمل أوكتافيوس على ربط المقاطعتين ببعضها البعض بسبب الثورات السكان المتواصلة طيلة فترة حكمه، وعلى الرغم من تهدئة الأوضاع في نوميديا من طرف الجيوش الرومانية المرابطة هناك، إلا أنه سرعان ما تعود المقاومة إلى الواجهة، لذلك رأى من الأنسب تركيز المهام في يد واحدة، وهو الأمر عينه الذي حدث مع الموريطانتين اللتين يتم توحيدهما كلما وقعت ثورة أو تمرد، فعندما تتحد المقاطعتان يسهل تسييرهما دون تضارب في المهام والقرارات بين الحكام (Bénabou, 2005, p. 47)، وهو ما جاء لدى سويتنيوس الذي يقول بأن أوكتافيوس تولى مسؤولية المقاطعات التي لم يكن من السهل ولا من الآمن تكليف القضاة بها، وترك نواب مجلس الشيوخ يقسمون المقاطعات الأقل عرضة للثورة والعصيان عن طريق القرعة (Séutone,1865, Octavius, 47).

حافظ أوكتافيوس على هذا التقسيم على الرغم من أنه بالكاد يتفق مع المبدأ الذي يقضي بتقسيم المقاطعات بين الإمبراطور ومجلس الشيوخ، حيث قد كان مخططه، بأن يحرم مجلس الشيوخ من البروقنصلية المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمصالحهم الإقتصادية وأهدافهم السياسية، حتى لا يمكن فصلها عن مركز القوات في القسم الجديد (Lepelley, 1998, pp. 77-78).

شكل وضع السلطة المدنية والعسكرية في يد رجل واحد خطر، حيث تعتبر سلطة البروقنصل سلطة مطلقة في المقاطعة، وهو ما يغريه بالإنفصال عن الإمبراطورية، فتخسر روما مقاطعة غنية، ويرجح أنه هو سبب التنافس بين الليقاتوس والبروقنصل فيما بعد، لذلك تم تقسيم المهام بين الحاكمين بطريقة متداخلة تجعل الإثنان في حالة مراقبة أحدهما للآخر، وبالتالي يضمن الإمبراطور عدم التمرد (مسرحي، 2015، ص ص 208−209)، وفي عهد السفيريين تم فصل الإدارة المالية لنوميديا عن البروقنصلية، وكلف بها وكيل امبراطوري، أما

مهام وسلطات اللقاتوس على الأغلب ظلت كما هي عليه منذ عهد كاليجولا وحتى 260م أو تتجاوزه لعهد الإمبراطور أوريليانوس (Aurelianus) سنة 270م، حيث أصبحت السلطة المدنية في يد البرايسوس (حارش،2013، ص173).

1-3- موريطانيا:

تم ضم موريطانيا إلى الإمبراطورية الرومانية في40م والتي أشار إليها بليني قائلا بأنه تم "terrarum Mauritanise appellantnr, usque ad C. Caesarem Germanici filium regna, sievitia ejus in duas divisae provincias" (Plini, 1851, Lib. V, 1,1) "تقسيم أرض موريطانيا في عهد ك. قيصر بن جيرامنكوس إلى مقاطعتين"، بالإضافة إلى ما جاء لدى كاسيوس حول تقسيم كاليجولا إلى الموريطانيتين: موريطانيا الطنجية والأخرى المقاطعة القيصرية وقد عهد بهما إلى الفرسان (Cassius, 1886, Lib. LX,9).

وقد عين على رأس موريطانيا القيصرية وكيل إمبراطور (برايسيسور) مثلما يفهم من نص تاكيتوس "nuntii venere Luceius Albinus, a Nerone Mauretaniæ Cæsariensi præpositus"(Taciti, 1858, Lib. II, 58)، "عين لوكيوس ألبينوس برايسيسور موريطانيا القيصرية بواسطة نيرون".

وكذا الأمر بالنسبة لموريطانيا الطنجية، التي أسندت إدارتها إلى برايسيسور يقيم في طنجة، كما عرفت حالة الجمع مع موريطانيا القيصرية، تحت حكم وكيل امبراطور واحد في بعض الأحيان مثل ما حدث في عهد هارديان وعهدي قالبا وألسفيريين، وكان يهدف هذا الإجراء إلى جمع القوات تحت قيادة واحدة (حارش، .

ومن ثم تختفي المعارف الأدبية بخصوص الوضع السياسي في بلاد المغرب القديم، بعد فترة حكم تراجان، يظهر التباين الثقافي للإمبراطورية بشكل أكثر في روما عاصمة الإمبراطورية والشرق الذي تُشَكِل الهيلينية نهضتها من جديد، وقد وصل تأثيرها إلى الأباطرة أنفسهم فقد كتب ماركوس أوريليوس كتابه الأفكار (Pensées) باللغة الإغريقية، كما ظهر في هذه الفترة العديد من الأدباء الإغريق بلوتارك، لوسيان من سامسوطا، أبيان وديون كاسيوس، لذلك يعتبر هذا العصر عصر نهضة الأدب الإغريقي وضعف الأدب اللاتيني (Gaillard, 2017, p. 144).

2- المقاومة ورفض الإحتلال في بلاد المغرب القديم في القرن الأول للميلاد:

2-1- مقاومة شعوب الصحراء: الجيتول والمارمريد 6 م:

نَقِمَ الجيتول على سياسة يوبا الثاني القائمة على الخضوع للسلطة الرومانية التي يكن لها الطاعة والولاء، فأعلنوا الثورة ضده وفتكوا بالأراضي المجاورة لموطنهم وقتلوا الكثير من قادة الجيش الروماني الذين قاموا بمواجهتم، ولكن قوتهم لم تدم طويلا حيث استطاع القائد كورنيليوس كوسوس (Cornelius Cosus) أن يلحق الهزيمة بهم حسب نص فلوروس الآتي:

"Sub Meridiano tumultuatum magis, quam bellatum est Musulanios atque Getulos, accolas Syrtium, Cosso duce, compescuit: unde illi Getulici nomen. Latius victoria patet. Marmaridas atque Garamantas Curinio subigendos dedit. Potuit et ille redire Marmaricus; sed modestior in æstimanda victoria fuit" (Florus, 1557, Lib. IV, XII).

"في الجنوب كانت هناك إضطرابات وليست حروب، قمع كوسوس ثورات الموسولامي والجيتول جيران السيرت وحصل على لقب الجيتولي وهذا اللقب أكبر من النصر الذي أحرزه، وتم إخضاع المارمريد والجرامنت التي عهد بهما إلى كيرنيوس، كان بإمكانه العودة بلقب المارمريدي لكنه كان متواضعا".

اعترض فلوروس عن إطلاق تسمية الحرب على ثورات شعوب رفارف الصحراء من جنوب نوميديا غربا إلى غاية السرت الكبير شرقا، بالإضافة إلى إقليم الجرامنت، وقد حاول التقليل من شأنها بوصفها بالإضطرابات، التي تمادى القادة العسكريين في تعظيمها، لكن الرومان لا يمنحون هذه الألقاب الفخرية دون مناسبة، حسب الواقع التاريخي فقد منح سكيبيو لقب الإفريقي بفضل إنتصاراته المتكررة، ومنح كورنيليوس كوسوس لقب الجيتولي لدحض ثوره هذا الإقليم المترامي الأطراف.

تم العثور على نقيشة تعود الى القرن الاول للميلاد في الجريد التونسي توزر ونفطة تؤرخ لمقاومة الجيتول في المنطقة مبرزة بداية توغل القوات الرومانية في هذه المنطقة، بالإضافة إلى تمردهم في الغرب على سلطة الملك يوبا فقد كانوا من رعاياه، ودمروا البلدان المجاورة وقتلوا العديد من الرومان الذين قاوموا تمردهم (Desanges, 1964, p. 36).

ويرجح أن عملية القمع التي قام بها يوبا في جيتوليا الغربية والتي تظهر من خلال العملات المعدنية في (31-33 ق.م)، كما أنه منذ بداية ثورة تاكفاريناس في 17م، يخبر تاكيتوس أنه نجح في قيادة تمرد المور جيرانه رعايا يوبا، وهو ما تم تؤكده عملات هذا الملك

ما بين (18–19م)، وفي العام السادس والأربعين (21–22م) وفي العام الثامن والأربعون (23–24م) أن إصدار العملات كان مرتبطًا بالانتصارات على تاكفاريناس وحلفائه على امتداد أراضي الجيتول والجرامنت (Coltelloni-Trannoy,2003, para 36)، لذلك يمكن القول بأن كل جيتوليا التحمت في هذه المقاومة شرقا وغربا شرق البروقنصلية ونوميديا وموريطانيا.

2-2- ثورة تاكفريناس 17-24م:

2-2-1- شخصية تاكفريناس وأسباب الثورة:

يصف تاكيتوس تاكفريناس كالآتي:

> Eodem anno cæptum in Africa bellum, duce hostium Tacfarinate natione Numida, in castris romanis auxiliaria stipendia meritus, mox desertor, vagos primum et latrociniis suetos ad praedam et raptus congregare dein, mure militi per vexilla et turmas componere; postremo, non inconditæ turbz, sed Musulanorum dux baberi (Taciti, 1839, Lib. II, LII).

كان تاكفاريناس نوميديًا فارًا من الجيوش الرومانية حيث عمل كمساعد، في البداية جمع فرقا متجولة معتادة على السرقة من أجل السرقة والغنائم، سرعان ما عرف كيفية تأديبهم وترتيبهم تحت العلم وتوزيعهم؛ وأخيرًا من زعيم المغامرين أصبح جنرالًا للمسولامي.

إهتم تاكيتوس بإطلاق النعوت التي تحط من شأن قائدة ثورة الموسولامي واتهامه بتنفيذ أعمال اللصوصية ضد المستوطنات والأراضي التي منحت للجنود القدامى متجاهلا الأسباب الحقيقية لثورة شعب الموسولامي، خاصة وأنه كان يخدم في الفرق المساعدة الرومانية، يمكن استنتاج أن سبب الثورة ليس سببا شخصيا متعلق أطماع فردية بل هي مسألة ذات صلة بالمحيط الذي ينتمي إليه مرتبط به أكثر من إرتباطه بالجندية الرومانية، وهكذا استغل تاكفريناس خبرته العسكرية في فرق المساعدة الرومانية، كما إستغل الكثرة العددية للقبيلة التي ينتمي إليها لكن ماهي الأسباب وراء هذه الحرب؟

يمكن الإستدلال بما ورد لدى تاكيتوس أن تاكفريناس خلال الحرب أرسل بسفارة إلى الإمبراطور يطالب بوحدة له ولجيشه، حيث قال:

> nam tacfarinas, quanquam saepus deplusus, reparatis per intima Africae auxiliis, huc arrogantiea venerat ut logatus ad Tibérium mittret, sedemque altro sibi atque exercitu suo postularet , aut bellum inexplicabile minitarrtur, Non alias magis sua populique

romani contumilia indoluisse caesarem ferunt, quam quod desertor et preado hostium more ageret (Taciti, 1839,Lib. III, LXXII).

دفع أخيرًا إلى الوقاحة حتى أرسل إلى قيصر سفارة، طالبت بمؤسسة له ولجيشه، وهددوا بحرب لا نهاية لها. يقال أنه لم يوجه إهانة للإمبراطور والشعب الروماني ساخطًا على تيبريوس لأنه رأى فيه فارًا ولصوصًا في قوة معادية .

بتتبع الأحداث التي عرفتها المنطقة التي تؤم الموسولامي، أولا بداية استقرار الفيلق الأوغسطي الثالث في أمايديرا، قبل تحويله إلى تيفاست، وهو الأمر الذي أعاق حركة تنقل هذه القبائل المرتحلة ونصف مرتحلة بين مراعيها الشتوية والصيفية نقرين تيفاست– المثول الكاف الشمال الغربي لتونس الحالية، حيث يعد الرعي نشاطها الرئيسي، كما أرتبطت هذه الحرب بأعمال شق الطريق الرابطة بين كاسترا أبيرينا (في تبسة) وقابس مرورا بأمايديرا مقر الفيلق الأوغسطي الثالث وكبسة والتي تعود مجرياتها إلى العام 14م، وهي ظروف من شأنها أن تحد من تحركات القبائل الرعوية، كما أن وجود المعسكر الذي تمر به الطريق محطة استراتيجية هامة لمراقبة تحركات السكان، فالموقع يرتبط بقرطاجة وفي الإتجاه الآخر نحو كيرتا، كما سيحصر الأراضي الزراعية من جهة، ومن جهة أخرى فإن مشاريع الإستيطان التي ستتبع شق الطريق وستعمل على انتزاع الأراضي الصالحة للزراعة من أصحابها وتوزيعها على المحاربين القدامى الرومان، والجاليات الإيطالية التي تم استقدامها إلى نوميديا في عهدي أوكتافيوس وتيبريوس وهو ما تؤكده البقايا المادية في أماديرا(André & Robert, 1912, pp. 69-70).

أما بالنسبة لإستعدادت تاكفريناس لهذه الحرب فقد ذكر تاكيتوس التالي:

sed Musulanorum dux baberi...., cepit arma Maurosque accolas in bellum traxit. Dux et his Mazippa divisusque exereitus; ut Tacfarinas lectos viros, et romanum in modum armatos, castris attineret, discpilina et imperiis sueceret; Mazippa, levi cum copia, incendia, et cædes, et terrorem srcumferret ompulerantque Cinithios, haud spernandam nationem (Taciti, 1839, Lib. II, LII).

ثم دربهم على أساليب القتال، جعل منهم مشاة وفرسانا منظمين، وما لبث أن تحول من زعيم عصابة إلى قائد عسكري للموسولامي الأشداء،...، حمل الموسولامي السلاح وجروا معهم المور الذين تزعمهم مازيبا، واقتسم القائدان الجيش حيث استثأر تاكفريناس بخيرة العناصر المدربة من الفرسان والمشاة، وأخذ يعودهم على النظام،...، تكفل مازيبا

بالعناصر االأخرى كلفت بزرع الرعب واشعال النيران والقيام بالمجازر والإغارة على مواقع الرومان، وأجبر الكنيثي وهي أمة معتبرة على القتال معه.

من خلال ما أشار إليه تاكيتوس يتبين بأن الظروف التي حركت شعب الموسولامي دفعت كذلك بالمور والكنيثي وكل الشريط الشرقي الذي يشكل المنطقة الشمالية من الصحراء قد تحالفت مع زعيم الموسولامي ودعمه في هذه الحرب، حيث حركتهم نفس الظروف وهي الزحف الروماني على أراضيهم.

2-2-2- هزيمة تاكفريناس أمام فوريوس كاميلوس(Furius Camillus) مناسبة للإشادة بمجد عائلة كاميلوس:

لم يسهب تاكيتوس في الحديث عن مجريات أحداث أولى المعارك بين تاكفريناس والرومان سوى أنه:

Qum furius Camilius,proconsulAfricae,legionem,…,modicani manum, si multitudiuemu Numidanim atque Maurorum spertares; sed nihilaeque cavbatur quam ne bellum metu éludèrent: spe victoriae induct sont ut vincerentur,…,Nec Tacfarinas pugnam detrectavit: fusi Numidae, muitosque post annos Furio nomini partum decus militiae. Nam, post ilium reciperatorem urbis, filiumque ejus Camillum, penes alias familias imperatoria laus fuerat…,etde crevere patres triumphalia insignia (Taciti, 1839 , Lib. II, LII).

قاد بروقنصل إفريقيا الفيلق،...، ساروا مباشرة نحو العدو، كان عددهم قليل بالنسبة للنوميديين والمور، لم يرفض تاكفريناس القتال وتم هزيمة النوميديين، وبعد سنوات من غياب اسم كاميليوس[1] فاتح المدينة، إنتصر الجيش بشرف بعد أن كانت الشهرة في الإمبراطورية لعائلات أخرى،...، وأصدر مجلس الشيوخ مرسوماً بشارة النصر.

إجتمعت عدة أسباب في غموض سير أحداث الجولة الأولى بين تاكفريناس وفيلق الرومان لدى تاكيتوس، منها قلة كفاءته العسكرية مقارنة مع خبرته السياسية جعلته غير متمكن من شرح المناورات العسكرية، بالمقابل يظهر تاكيتوس نفسه أكثر اهتمامًا بالسياسة الداخلية للبلاط الروماني؛ ينصب مجمل إهتمامه على محيط الأباطرة ومهام مجلس الشيوخ، أكثر من الأحداث نفسها خاصة الأحداث المتعلقة بعصر تيبيروس الذي ظهرت فيه العديد من

---

[1]- عندما تعرضت روما إلى الغزو الغالي سنة 390 ق.م، تمكن القائد كاميليوس من دحر الغاليين وتحرير روما منهم، وإكتسب مجدا وشهرة واسعة نظير بطولاته، للمزيد ينظر: (Akar, 2002, p.206).

المحاكمات لرجال الدولة والسياسيين، لذلك يحاول تاكيتوس العودة بالقارئ من خلال إدانته لجرائم العهود الماضية بالإضافة إلى تسليط الضوء على المزايا النادرة للشخصيات والأسر التي تركت بصمتها في تاريخ الرومان (Zehnacke & Fredouille, 2013, pp. 295, 298-299).

في وقت سابق من عمر الجمهورية كان يشترط في رجال الدولة الرومانية الحنكة العسكرية، والخبرة السياسية إلى جانب اتقان فنون الخطابة والأدب، لذلك تمكن التاريخ من حفظ سير يوليوس قيصر، مرافعات شيشرون، وكتابات سالوستي أما في القرن الثاني من عمر الإمبراطورية وبسبب حالة السلام الروماني وانعدام مبرروات التدريب العسكري فقد جنح رجال البلاط إلى الحياة المدنية.

يرجح أن سبب هزيمة تاكفريناس هو عدم الوصول للخبرة العسكرية المنشودة لمواجهة الجيش الروماني، بالإضافة إلى الدعم الذي تلقاه كاميلوس من طرف الملك يوبا الثاني، وقد نال هذا الأخير تشريفا مشابها لتشريف كاميليوس، فقد خلد إنتصاره بسك العملة سنة 18 م، وعلى الرغم من كل هذه الإحتفالات المواكبة لهذا الإنتصار، لم يتم القضاء النهائي على تلك الثورة بل هي مجرد هزيمة في معركة.

2-2-3- حملات القنصل ل. أبرونيوس (L. Apronius) ضد تاكفريناس19-20م:

تغيب أخبار تاكفريناس بعد هزيمته في المصادر الرومانية، كما تجهل ألاحداث ما بين هزيمة تاكفريناس في 17م وحتى 19م عند عودة المعارك، حيث حقق النصر كما يذكر تاكيتوس: "vagis primum populationibus, et ob pemicitatem ioultis, dein vicos exseinder, trahere graves prædas, postremo haud procul Pagida flumine cohortem romanam sercumsedit" (Taciti, 1839, Lib. III, XX) ″في البداية كانت سباقات بسيطة، سرعتها أخفته عن كل الملاحقات، سرعان ما قام بنهب القرى، وجر وراءه غنائم هائلة، وينتهي به الأمر بمحاصرة جماعة رومانية بالقرب من نهر باجيدا(موقع مجهول)".

بعد الإشادة بأعمال كاميلوس جاء دور البروقنصل أبرونيوس الذي أراد إنقاذ شرف الرومان بعد موقعة باجيدا حسب تصريح تاكيتوس "comporta magis dedocore suorum quam gioria dedecora" "غضب من العار الذي ألحق بأبناء الوطن"، فعلى ما يبدو أن هزيمة باجيدا كان لها وقع سيئ على الجنود الرومان كما كان لقوة تاكفريناس ما جعل الرومان

يشعرون بالعار أمام الهزيمة التي أوقعها بهم، وقد عمد إلى تشكيل جيشه من "veteranoruni, non amplius quiogenti numéro, casdeiu Tacfarinas" "للمحاربين القدامى، الذين يتراوح عددهم الخمس ألاف في مواجهة تاكفريناس"(Taciti, 1839, Lib. III, XXI).

وتلقى المساعدة من الفرقة الأغسطية التاسعة المرابطة في إسبانيا وبعض عناصر الفرقة العاشرة كما توضحه النقوش المادية في أمايديرا (André & Robert, 1912, pp. 69-70) لكن تاكفريناس تمكن من الإنتصار بادئ الأمر والسيطرة على مناطق شاسعة في شرق وجنوب شرق نوميديا كامايديرا وتالا، وبعد وصول التعزيزات للجيش الروماني تراجع وانسح الى جنوب شرق الأوارس والمناطق المتاخمة للصحراء (Taciti, 1839, Lib. III, XXI).

أما بالنسبة لخطة أبرينيوس للقضاء على تاكفريناس فقد انتهج سياسة الترغيب والترهيب في أوساط السكان ومع جيش تاكفريناس، حسب حوليات تاكيتوس فقد "pulcherrimo populi romani fastigio, latro Tacfarinas pace et concessione agrorum redlimeretur, Dat negotum Blæso, ceteros quidem ad spem proliceret arma aine noxa ponendi; ipsius autem ducis quoquo luodü putiretur Et recepti ea venia plerique" (Taciti, 1839,Lib. III, LXXIII, LXXIV) "إفتدى اللص تاكفريناس السلام بإمتياز أراضي الشعب الروماني، أعطى الأمر لبليزيوس على أمل أغراء الآخرين لإلقاء أسلحتهم مقابل العفو، وقد نال معظمهم العفو".

كما تم تقسيم جيش حملته إلى ثلاثة أقسام: "Ex quis Cornelius Scipio legatus praefuit, qua prædatio in Leptinos" " قسم أغلق الممرات التي جاء العدو من خلالها لنهب بلاد لبدة يقودها كورنيليوس سيبيون" لمنع الدعم من القبائل المتحالفة مع الموسولامي مثل الجرامنت والجيتول، "ne Cirtensium pagi impune traherentur, propriam manum Blæsus filius duxit" "ذهب ابن بليزيوس لتغطية القرى التابعة لكيرتا "وحدة الوسط أو المركز" "medio, cum delectis , castella et munitiones idoneis locis imponens, dux ipse arta et infensa hostibus cuncta fecerat" "في الوسط كان الجنرال نفسه مع فيلق النخبة، أقام نقاط محصنة في أماكن مناسبة"، أعطت هذه الإستراتيجية نتائجها الإيجابية حيث تم محاصرة تاكفريناس وتتبعه الى الصحراء كما فقد شقيقه في هذه المرحلة، مما أستدعى من الإمبراطور بمنح بليزيوس التكريم والاحتفال (Taciti, 1839, Lib. III, LXXIV) .

كان لهذه الخطة الأثر الفعّال على إضعاف قوات تاكفريناس وتشتيتها، بمنع التواصل بجميع مراكز الدعم، من الشرق والجنوب الجيتول والجرامنت، كيرتا في الشمال، والغرب كان محصنا بقوات يوبا الثاني، وهو ما سيحقق النصر للرومان لبعض الوقت، بل جعلهم يستعجلون النصر، لكن النصر النهائي كان بعيد المنال.

2-2-4- حملة دولابيلا الأخيرة والقاضية:

شهدت الفترة ما بين 23-24م تطورات هامة في بلاد المغرب القديم، وفاة يوبا الثاني حليف الرومان وولاية ابنه بطليموس الذي لم يشهد له بكفاءة والده وهو ما سيجعل الجناح الغربي للرومان مكشوفا (Briand-Ponsart & Hugoniot, 2005)، كما عُيِنَ البروقنصل كورنيليوس دولابيلا لعهدة 23-24م، هذا الأخير الذي سيعمل جاهدا على الاستفادة من أخطاء من سبقوه، وإضافة خطة جديدة، تتمثل في حرب العصابات التي اقتبسها من قتال المغاربة، كما استعان بحبك الدسائس والمؤامرت، إلى جانب سياسة الترغيب والترهيب، العفو وقطع الرؤوس، وهو الأمر الذي أرهب النوميديون مثل ما أغراهم فحقق النصر وهزم تاكفريناس بعد محاصرته في توبوسكوم ثم أوزيا حيث يذكر تاكيتوس وكانت نتائج هذه المعركة لصالح الرومان بأسر تاكفريناس وابنه

pccorum modo, trahi occidi, capi. Infensus miles…. Differtur per manipulos Tacrarinatem omnes,nolum tot praIaes, consectentur non, nisi duce interfecto, requiem belli fore At ille, dejectis circum stipatoribus, vinctoque jam filiu, et effusis indique Romanis, ruendo in tala, captivitatem haud inulta morte effugit. (Taciti, 1839, Lib IV, XXV)

كانوا مثل القطعان يساقون على يد الجيش الروماني ...، إن موت تاكفريناس هو وحده الكفيل بوضع حد لهذه الحرب، وحين رأى ابنه مكبلا وحراسه قتلى، والرومان يحاصرونه من كل إتجاه فرمى بنفسه وسط الحراب حيث قتل ونجى من الأسر.

لكن تاكيتوس يعيب على الإمبراطور "Dulabellæ petenti abnuit triumphalia Tiberius, Sejano tribuons, ne Blæsi avunculi ejus laus absolesceret.Sed neque Blæsus ideo illustriur, et huic negatus honor gloriam intendit. Quippe minore exercitu, insignes captives,caedem ducis"

طلب الجنرال موكب النصر ولم يحصل عليه، كان تيبروس يخشى إنطفاء مجد بليزوس عمه المفضل، لكن بليزوس لم يكن أكثر شهرة، وزاد مجد دولابيلا بالشرف الذي

حرم منه، بجيش أضعف وأخذ أسرى بارزين وقتل زعيم العدو، واكتسب سمعة بإنهاء الحرب" (Taciti, 1839, Lib. IV, XXV).

يشكل عصر تيبريوس مرحلة من فترات السلام التي تقل فيها الحروب، وهو ما أكده تاكيتوس نفسه، وحسب جاك جيلاغد (Jacques Gailard) فإن المؤلف محروم من هذا الجانب من التأريخ التقليدي الذي يحفل بسير الأبطال والقادة العسكريين وعرض أعمالهم في أسلوب ملحمي، كما أن الفترة التي عاش فيها تاكيتوس ما بين 55–120 م، معاصرا للأسرة الفلافية التي تتميز بقوة جنرالاتها، خاصة فسبسيان الأب الذي نادت به القوات الرومانية لإنقاذ الإمبراطورية من شبح حرب أهلية مؤكدة أثناء أزمة الأباطرة الأربعة فأراد من سرد وقائع ثورة تاكفريناس أن تكون عملا مشابها لقصص الملاحم والمعارك يمجد فيها بعض شخصيات تلك الفترة (Gaillard, 2017, pp. 139-149).

كان لنهاية حرب تاكفريناس عدة نتائج لصالح الرومان ذكر تاكيتوس تاكيتوس "Sequeantur et Garamantum legati, raro in urbe visi, quos Tacfarinate caeso perculsa gens"(Taciti, 1839, Lib. IV, XXIV- XXVI) "جاء سفراء من الجرامنتيين، وهو مشهد نادرًا ما يُرى في روما مذعورين من سقوط تاكفاريناس" ، من خلال القضاء على تاكفريناس ضمن الرومان كسر حلقات سلسلة الإتحاد القبلي بين شعوب الجيتول وجيرانهم، حيث تواصل الزحق إلى الصحراء وتم إخضاع المنطقة إلى إرادة الرومان وضمان السلام لمدة من الزمن.

2–3– ثورة إيدمون 42م:

لا يعرف الكثير عن شخصية إيدمون وثورته في المصادر الأدبية الرومانية، سوى إشارة بليني الذي يقول: Romana arma primum, Claudio principe, in Mauritania bellavere, Ptolemaeum regem a C. Caesare interemptum ulcisoente liberto AEdemone,…, constat ad montem Atlantem (Plini, 1851, Lib. V, 11) "في عهد الإمبراطور كلوديوس توغلت الجيوش الرومانية لأول مرة في موريطانيا، بعد مقتل الملك بطليموس على يد كايوس قيصر (كاليجولا)، انطلق رجله المحرّر إيدمون بدافع الانتقام،...، واحتمى بجبل الأطلس"

حاول إيدمون وضع حد للسيطرة الرومانية على موريطانيا من خلال ثورته تلك، ورغم تجاهل الكتاب الرومان لها، عجز الفيلق الأوغسطي الثالث عن التصدي لها، إلا أن البقايا

المادية تثبت مدى قوتها وصداها في البلاط الروماني، فالنقش الذي عثر عليه في مدينة عين تموشنت يؤكد على العمليات العسكرية المرتبطة بهذه الثورة، كما طال التخريب عدة مدن في موريطانيا تامودا، طنجي، لوكسوس، وفولوبليس وغيرها من المدن، واتسع مجال الثورة إلى غاية جبال الأطلس جنوب موريطانيا، حيث تحالف ايدمون مع القبائل المتاخمة للأطلس، وهو ما دفع بالإمبراطور كلوديوس بتعبئة الفرق العسكرية من المقاطعات رومانية مختلفة، خاصة اسبانيا من مدينة بيتيكا، التي زودت موريطانيا بالفرقة المقدونية الرابعة (IV Cohors Macedonica) ، والفيلق العاشر جمينا (X Ligion Gemina) التي أنزلت على السواحل الأطلسية لموريطانيا في ليكسوس، طنجة،وفي موريطانيا القيصرية في أيول قيصرية، تنس وامتدت المقاومة الى المناطق الداخلية مثل تافيلالت بالمغرب الأقصى وسهل الشلف بالجزائر.

تصدى كلوديوس جرامنكوس خليفة كاليجولا إلى هذه الثورة وعين القائد ماركوس لوكينيوس كراسوس فروجي (Marcus Licinius Crasus Frug) ما بين 40و43م (مناصر، 2020، ص 27) ويشير بليني إلى سوتونيوس بولينوس الذي اخترق الأطلس طلبا لزعيم الثورة في موريطانيا"سوتونيوس بولينوس الذي رأيناه القنصل (عام 66 م)، هو أول الجنرالات الرومان الذين تجاوزوا الأطلس ببضعة آلاف من الخطوات" (Plini, 1851, Lib. V,14) والذي أعاد الهدوء إلى الاقسام الشمالية لموريطانيا، وهو الأمر الذي استدعى من الإمبراطور تقسيم موريطانيا إلى مقاطعتين الطنجية والقيصرية يفصل بينهما نهر ملوية، لكن هذا الأجراء لم يمنع من إستمرار المقاومة في جنوب موريطانيا.

على الرغم من عدم إسهاب الكتاب الرومان في تدوين أحداث هذه الثورات، بسبب قصر مدتها أو عدم أهميتها، إلا أنها أجبرت سلطة الإحتلال الروماني على استخدام عدة إجراءات لتأمين حدوده ووجوده في المنطقة، حيث اتخذ من الزحف على المناطق الداخلية والشبه صحراوية في موريطانيا القيصرية وسيلة لإخضاع القبائل الثائرة إما بأغراء زعمائها بالولاء للرومان أو طردها من أراضيها وزرع مستوطنات للجنود والجنود المسرحين فيها وعلى كل أطراف المقاطعات الى جانب خط الليمس لمنع القبائل المرتحلة والبدوية من إختراق مجال الإحتلال الروماني، كما جعل الرومان ينتهون إلى تقسيم موريطانيا الى طنجية، وقيصرية حتى يسهل التحكم بشعوبها التي أثبتت عدم إنصياعها (بولخراص، 2021، ص 77).

II–التحولات الإجتماعية:

في أواخر فترة الإحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم، انعكست التحولات السياسية على البنية الإجتماعية في المنطقة، فظهرت تسميات جديدة للشعوب والقبائل، كما تغيرت مواقع وتسميات قبائل أخرى، إلى جانب ظهور الإتحاديات القبلية، إلا أن الكتابات الرومانية التي تعنى بالحضور الإجتماعي في المنطقة خلال المرحلة الإمبراطورية نادرة جدا في هذه الفترة.

1–الكتابات الرومانية وشعوب بلاد المغرب القديم في القرن الرابع للميلاد:

من الكتاب الرومان الذي إهتموا بشعوب منطقة المغرب القديم يوليوس هونوريوس (Julius Honorius) في كتابه "Cosmographia" "وصف الأرض"، وهو ليس مؤلفا تاريخيا أو جغرافيا بمعنى الكلمة بل هو ملخصات دراسية اعتنى بجمعها تلاميذه، قُسِم فيها العالم القديم وعُدِّدت بحاره وبلدانه(Riese, 1878, p.XIX)، جمعها في القرن التاسع عشر فريدريك ألكسندر رايس (F. Alexander Riese).

أما بالنسبة لحياة وعصر هونوريوس فقد اعتبر أول مرة من الكتاب المتأخرين من القرنين الخامس أو السادس الميلاديين، لكن بعد اكتشاف اقتباسات الكاتب القوطي كاسيودور (Cassiodore) الذي عاش في أواخر القرن الخامس 496م من نصوص هونوريوس لم يدع مجالا للشك أنه عاش قبل ذلك ربما أواخر القرن الرابع (Vyver, 1931, p. 247)، كما يقترح مودارن تاريخ تأليف كتاب وصف الأرض إلى الفترة ما بين أواخر القرن الرابع وبداية الخامس حسب ما تعرض إليه هونوريوس عند إحصائه للمدن المغاربية حيث أطلق على مدينة كيرتا اسم قسطنطينة "Constantina" (Reise, 1869, Honorii, A44, p. 48) ، ولم يظهر هذا الإسم إلا بعد 312 م أي بعد حكم قسطنطين، لذلك يرجح أنه معاصر لأميان مارسيلين والقديس أوغسطين (Moderan, 2003, Para 39).

2– الإتحادات القبلية الكبرى في بلاد المغرب القديم أواخر فترة الإحتلال الروماني:

جمع رايس الشذرات التي تنسب إلى هونوريوس والتي سجلت شعوب بلاد المغرب القديم وهي: "Oceanus meridianus quas gente habeat…,Quinquegentiani gens, Bures gens, Mazices gens,…,Barbares gens,…,Bacuates gens".(Reise, 1869, Honorii, A48,P54). "العشائر التي تقيم قبل المحيط الجنوبي، ...الحلف الخماسي، ... ، المازيس الموسوني البربار،...، الباكوات."

1-2 -الباكوات: يشير إليهم هونوريوس على ضفاف ملوية في موريطانيا الطنجية:
Fluvius Malva nascitur sub insulas Fortunatas. circuiens extermam partem Mauritaniae, intercludens inter Barbares et Bacuates vergit in mari quod appellatur Columnae Herculis. (Riese, 1869, Honorii, A48, P53) "على ضفاف نهر ملوية على جزء من الأراضي الغنية، في أقصى حدود موريطانيا، يتواجد البربار مع البكوات حتى أعمدة هرقل". وفي فقرة أخرى يضع هونوريوس شعب الباكوات إلى جوار السالاماجينيت (سكان سالا أو السلاويين) (Riese, 1869, Honorii, A48, P53) (ينظر الشكل رقم1)

أما ديون كاسيوس الذي عاش في القرن الثالث فيضعهم في منطقة غير بعيدة عن المحيط الأطلسي في أعالي جبال الأطلس في موريطانيا الطنجية (Casius,1865, Liv. LXXV, 13) ويذكرهم بطليموس في القرن الثاني شمال قبيلة الماكونيت، وبجوار البانيوبي أو البانيور تحت إسم الواكوات(Ouakouatae) (بطليموس، 2004، ص 26)، أما الرحلة الأنطونية فتضعهم في منطقة إقامتهم بجوار مدينة سالا غرب موريطانيا الطنجية، ويضع كتاب الأجيال الباكوات مع الماكونيت كشعبين موريين "Mauri Baccuats et Massennas""الموري الباكوات والماسوناس (الماكونيت) (Riese, 1869, Lib Generationis, 5-10)

توحي هذه الدلائل بأن الباكوات فرعين، فرع شرقي على ضفاف نهر ملوية، والفرع الآخر جنوب موريطاني في سالا، أما النقوش الاثرية التي تؤرخ لوجود هذا الإتحاد القبلي وعلاقته بسلطة الإحتلال الروماني، فقد تم العثور على خمسة عشر نقشا من بداية القرن الثاني حتى القرن الثالث، تظهر الباكوات كطرف دبلوماسي قوي أرهقت قوته الرومان، من خلال العدد الكبير للنقوش التي تؤرخ لمعاهدات السلام بين الطرفين (Desange, 1962, p. 28).

أولها نقيشة تؤرخ لهجوم الباكوات على كارتينا (تنس) بموريطانيا القيصرية في فترة حكم هادريان، وتشير أحد عشر نقيشة على معاهدات الباكوات والرومان من أجل وضع خطوط السلام والهدنة في الفترة الممتدة ما بين 122-280م، من بينها ثمانية نقوش لاتفاقيات السلام وتجديد المعاهدات ما بين 140م عهد انطونيوس التقي وحتى فترة حكم الأسرة السفيرية 235م، وثلاثة نقوش تؤرخ لفترة قورديان الثالث (Gordien III)[1] ما بين 239-241 حيث عقدت

[1] – قورديان الثالث: تقلد حكم الإمبراطورية الرومانية وهو صبي ابن الثالثة عشر من عمره، في فترة تعج بالفوضى العسكرية والسياسية في العصر الإمبراطوري المتأخر ما بين 238-244 م، شارك حكم الإمبراطورية بمعية صهره فيلب العربي هذا الأخير الذي دبر أمر إغتياله فيما بعد، للمزيد ينظر: (الناصري، 1991، ص 361)

ثلاث معاهدات بين الباكوات والرومان في مدة لا تتجاوز ثلاث سنوات في فترة تميزت بالثورات ضد سلطة الإحتلال الروماني، ليتمتع الرومان بفترة سلام دامت أربع سنوات وتعود الثورة من جديد، ثم يوقع الطرفان اتفاق حول السلام مرة أخرى في 245، حيث عرفت الأوضاع فترة هدوء تقدر باثنين وثلاثين سنة، لكن أضطر الطرفان إلى تجديد الإتفاقية في 277م ثم في 280م (أعشي، 2004، ص ص 17-28، 38-58).

2-2- البربار (Barbares)، البابار أو البوار أو البافار: حسب هونوريوس فإن موقع البابار في موريطانيا الطنجية، لكن يعود ليشير إليها على الضفة الشرقية لوادي ملوية الذي يفصل الموريطانيتبن الطنجية والقيصرية (Riese, 1869, Honorii, A48, p.53) وفي إشارة أخرى لهذه القبائل ضمن تعداد القبائل المغاربية في كتاب الأجيال(Generationis) :
Barbares, Mazices, Maurii, Baccuat et,…,Gaetuli, Afri qui et Garamantes" (Riese,1869, Lib Generationis, A48, p.53) "المور والبكوات والجيتول والأفري ثم البربار والمازيس والجرامنت"، وعلى الرغم من إقتضاب الوصف فإن التفسير الذي منح لهذه الإشارة يقضي بتموقع قبائل المور، البكوات، والجيتول في الغرب، والأفري والبربار والمازيس في غرب موريطانيا القيصرية (مهنتل، 2016، ص ص 428 – 429).

يعود تاريخ أقدم نقيشة تشير الى البربار في فولبوليس وليلي بموريطانيا الطنجية، وتشير إلى إجتماع بين زعماء الباربار والباكوات في عهد الإسكندر سفيروس (Aléxande Sévere) ما بين 222-335م (Camps, 1991, p.1394)، وهو ما يوحي بالقرب الجغرافي بين القبيلتين، مثل ما ورد لدى هونوريوس موقع الباكوات في موريطانيا الطنجية والبوار في موريطانيا القيصرية يفصل بينهما نهر ملوية (Reis,1878, Honorii, A47, P53).

يشير أميان مارسلين (Ammien Marcellin) إليهم بجوار قبائل الماكسيس عند الخوض في مقاومة فيرموس (Firmus)[1] (Marcelin,1869,Liv XIX, V)، حيث كتبت التسمية دفار (Deveres) بدل بابار (Babares)، ويرجح كامبس موقعها بجبال الظهرة والونشريس، أو ربما إلى الغرب أكثر حيث نقيشتان من ريجيا أربال (Regia Arbal) وهران الحالية تعودان إلى الفترة مابين 366 و 496 ق.م تؤرخ إلى مقتل شخصين من البوار غرب موريطانيا القيصرية، ويؤكد

---

[1] – فيرموس: قاد ثورة ضد الاحتلال الروماني في الفترة ما بين 372 –375 م، تمكنت قورته من التوسع الجغرافي على مدى واسع من صلداي إلى نهر الشلف، للمزيد ينظر: (عمران، 2016، ص ص 127-130).

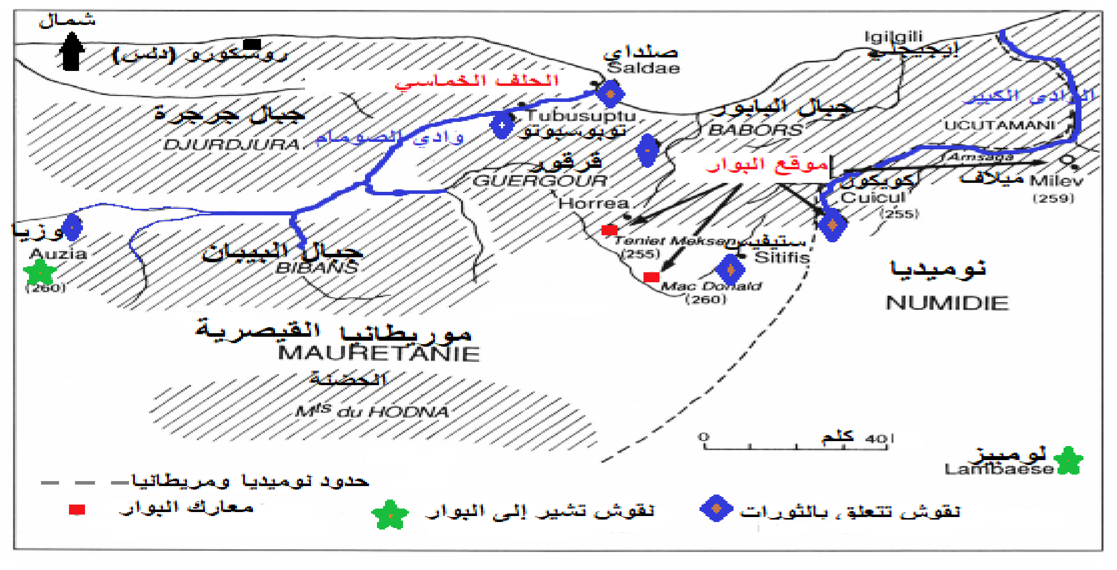
نصب النصر على أن البوار في مليانة فيشكر حاكم موريطانيا القيصرية أوليوس إليانوس (Aelius Aelianus) الآلهة على هذا النصر (Camps, 1991, p. 1394).

أما بوار الشرق في منطقة القبائل في أقصى الحدود الشرقية لموريطانيا القيصرية، على سفوح جبال البابور التي يرجح أنها اشتقت تسميتها منها، وتمتد مضاربهم بين وادي الصومام والوادي الكبير تحتل جزء كبير من ستيفيس، كويكول وميلاف، حيث يتكون هذا الإتحاد الفدرالي من أربع قبائل، على رأس كل قبيلة زعيم أو ملك (عقون، 2008، ص 160)، يؤرخ إهداء حاكم نوميديا ماكرنيوس ديكيانوس (C.Macrinus Decianus) في لومبيز الذي يعود إلى الفترة الممتدة ما بين 253 و256 م، إلى الأحداث التي وقعت على أطراف المقاطعة القيصرية أين تم إخماد ثورة البوار شرق موريطانيا القيصرية على حدود نوميديا (Laporte,2004, p.4005). (ينظر الشكل رقم01)

يمكن القول بوجود قبائل البوار الغرب وأخرى في الشرق، واحدة على الضفة الشرقية لنهر ملوية، وفي مليانة وجبال الظهرة والونشريس وكذالك وهران الحالية غرب موريطانيا القيصرية، وأخرى في حدود موريطانيا القيصرية والغرب النوميدي.

شكل رقم01:

خريطة توضح موقع قبائل البوار والحلف الخماسي



المرجع: (Camps, 1991, para9)

2-3- الحلف الخماسي"Quinquegentiani":

قسم اللغويون الإسم إلى قسمين، (Quique) ويعني الرقم خمسة في اللغة اللاتينية، أما (Gentiani) فتعني العشائر أو القبائل أو التجمع السكاني، وهو ما يعني القبائل أو العشائر

الخمس (Creuly, 1861, pp. 53-54)، لم يحدد هونوريوس موقع إقامتهم، كما أن النصوص الأدبية التي أشارت الى القبائل الخمسة لم تذكر مواقعهم بدقة.

فقد ذكر أوريليوس فكتور (Aurelius Victor) هذا الحلف، الذي هز الجيوش الرومانية في بلاد المغرب القديم، مثلما إهتز الشرق بفضل ضربات الفرس، ويصفهم بالأقوام الشرسين بسبب قوتهم كما يلجؤون إلى الحصون الطبيعية للإحتماء، حيث يصعب على الرومان مقاومتهم: Orientem Persae, Africam Iulianus ac nationes Quinquegentanae grauiter quatiebant (Aurelius Victor,1846, Valerius Dioclétien, XXXIX)، "اهتز الشرق بشدة من قبل الفرس، وإفريقيا من قبل جوليانوس وشعوب الحلف الخماسي" ، وأشار اليهم أوتروب (Eutrope) بالقول: Ita cum per omnem orbem terrarum res turbatae essent,…, Africam Quinquegentiani infestarent,…, Maximianus quoque Augustus bellum in Africa profligavit domitis Quinquegentianis et ad pacem redactis (Eutrope, 1865, Lib. IX, XV-XVI) "عندما كانت الإضطرابات تعم كافة العالم،..، وعصيان الحلف الخماسي،...، أنهى ماكسيميانوس أغسطس الحرب في إفريقيا، وأخضع الحلف الخماسي وأعاد السلام"، كما يذكر أميان مارسلين الحلف الخماسي عند سرد أحداث ثورة فرموس 372–375م(Marcellin,1869, Liv. XXIX, 5).

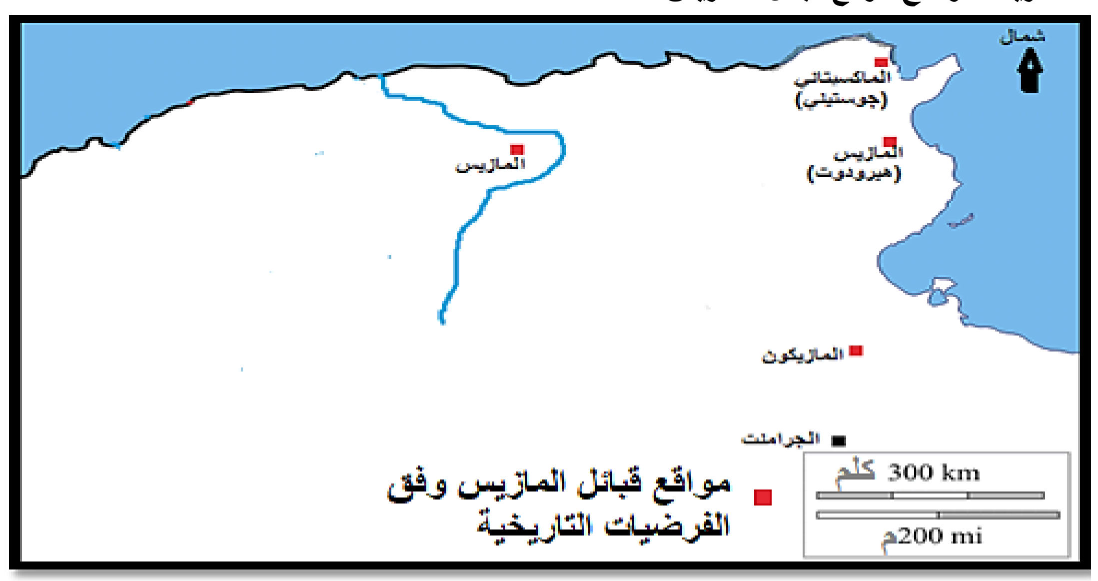
تدل النقوش المادية التي تعنى بالتأريخ لهذه القبائل على موقعها الذي يمتد ما بين صلداي وروسكورو (دلس) في المناطق الجبلية الوعرة (ينظر الشكل رقم1)، فنقيشة صلداي 253–256م، التي عثر عليها في 1861م (Carcopino, 1919, pp. 380-381)، وهو تاريخ الثورات التي خاضها الحلف الخماسي بالتحالف مع قبائل البوار، والتي استمرت إلى غاية 288م، نصت على إحياء ذكرى انتصار الرومان ضد قبائل الحلف الخماسي، أين قمع ثورتهم قائد جيوش الإمبراطورية الرومانية في المقاطعتين الموريطانيتين القيصرية والسطايفية أوروليوس ليتوا (Aurelius Litua) (Creuly, 1861, pp. 52-54).

من بين الفرضيات التي تحاول البحث في أصل هذه العشائر، القائلة بالأصل القوريني، حيث هاجرت مجموعات بشرية من قورينة إلى جبال موريطانيا القيصرية لكن المرجح حسب كرولي، أن الحلف الخماسي هو إتحاد قبلي من قبائل منطقة جرجرة تحالف مع الرومان ثم تمرد عليهم لأسباب مختلفة وفي مقدمتها الأوضاع الإقتصادية(Creuly, 1861, p.54).

2-4- المازيس(Mazices): هو اتحاد قبلي في موريطانيا القيصرية، يشير اليه هونوريوس بين الحلف الخماسي وقبيلة البور بجوار أرسوناريا (تنس) قريبا وربما أوبيديوم نوفا (عين الدفلى) وجبل زكار بالونشريس (Moderan, 2010, pp. 4799-4800)، وكذلك الأمر بالنسبة لأميان مارسيلين الذي يضعهم في جبل أنكوراريوس (Ancorarius)[1] حيث أخضعهم الإمبراطور ثيودوز (Théodore) عندما تحالفوا مع فيرموس (Marcellin,1968,Liv. XXIX, 5)، أما كتاب الأجيال فيضع المازيس بين الأفري البربري والجرامنت "Barbares, Mazice, Gramantes" (Reise, 1968, Lib Generationis, 5-10) "الأفري، البربري، المازيس، الجرامنت" (ينظر الشكل رقم02).

شكل رقم 02:

خريطة توضح مواقع قبائل المازيس



المرجع: (إنجاز الباحث)

يستدل الباحثون بمصادر أدبية متفاوتة الفترات الزمنية إلى إثنيات مغاربية أطلق عليها إسم المازيس أو ما يشبهه، أولا تاريخ هيردوت الذي يشير الى الماكسيس غرب بحيرة تريتون جنوب غرب تونس الحالية (Herodote, 1850, Liv. IV, 191)، و وشعب الماكستاني لدى جوستيني في رواية عليسا مؤسسة قرطاجة حيث طلب ملك هذه القبيلة الزواج منها وهددها بالحرب في

[1] – جبل أنكراريوس: تباين موقعهم بين الجغرافيين بسبب عدم الدقة في إشارة أميان مارسيلين إليه، من بين الفرضيات التي تحدد موقعه في سيكون مونس أنكوراريوس إما الجبل الذي يفصل وادي شلف عن منخفض وادي حمليل إلى جبل مجاجة، أو الجبل الذي يقع في أقصى الغرب الذي يحد سهل الشلف بمنطقتي القلعة وتيميسي، ويرى فيليب لوفو (Philipe Leveau) أن موقع أنكراريوس يتوافق مع السلاسل الساحلية في منطقة الشلف (Leveau, 1988, para, 3-5)

حال الرفض(Justini, 1830, Lib. XVIII, VI,6) شمال غرب تونس إلا أن مودران يريان أن لا علاقة للأولى بالثانية من حيث الحرف الساكن والمتحرك بين الإسمين يجعلهما من الناحية الصوتية والصرفية لا ينتميان لنفس جذر الإسم، وهو الأمر نفسه لدى إيف مودران اللذان يريان أنه لم يراع بنية الإسمين ومدى ترابطهما صوتيا ولغويا(Moderan, 2010, para. 5) .

والمجموعة الثالثة في نوميديا استنادا لما جاء في رسائل القديس أوغسطين عند ذكر الأساقفة المازيس في أعمال مجمع قرطاجة 412م، حيث لم يلق هذا الرأي معارضة، فوجود قبيلة بهذا الاسم في نوميديا يرجحه الباحثون، ويجعلون مضاربها في سلسلة الأطلس التلي بالإضافة الى ترومنه الكامل، فيما تظل قبيلة المازيس في موريطانيا القيصرية الفرع المازيسي الثائر ضد الرومان والذي تشير له نقيشة لومبيز بداية القرن الثالث Mazicum reg(ionis) (Montens(is) المازيس الملكي الجبلي(Moderan, 2010, para. 5).

أما الموقع الرابع للمازيس فيأتي شمال صحراء ليبيا الحالية التي يفترض الباحثون تواجدهم بها، حيث تشير النصوص الإغريقية خلال القرن الخامس، فسينسيوس (Séynésios) يشير إليها عند الحديث عن هجمات البرابرة على قورينة (Synésius, 1878,Letr, LXXIV)، وتذكر نصوص"Expositio totius mundi et gentium" "بحث حول كل العالم والأمم" لمؤلف مجهول يعود للفترة ما بين 359-360م، وتم ترجمة الكتاب من لغته الأصلية الإغريقية إلى اللاتينية في 1898 م من طرف جياكوم لومبروزو(Anonimo, 1903, p. 5) بشأن المازيس الآتي: "post Africae omnem regionem adiacet et deserta terra maxima in austri partibus: ubi aiunt in minima parte ipsius deserti habitare barbarorum paucam gentem …quae sic vocatur Mazicum" (Anonimo, 1903, 530-535). " خلف إفريقيا بأكملها، وأكثر الأراضي المهجورة في الجنوب: حيث يقولون إنه في جزء من تلك الصحراء تسكن أمة صغيرة من البرابرة ... والتي تسمى المازيسكوم" (ينظر شكل رقم 03).

ويشير فيلوستورج إلى غزو المازيس والأوسوريان المقيمين بين إفريقيا وليبيا قسما من مصر (Philostorge,1676, XI, 8)، وعلى الرغم من ذلك لا تذكر المصادر المصرية اسم المازيس على المهاجمين الليبيين، فيما يتحدث جون كاسيان (Jean Cassien) في 426 م عن إنقاذ المازيس لكاهنين مسيحيين في الصحراء الليبية، حيث كانت الصحراء مكانا يقصده الرهبان للزهد والتعبد (Cassien, 2021, II, 6).

أما مودران فيقترح وجود قبيلة مازيس واحدة في موريطانيا القيصرية، بالقرب من المجرى الأوسط لنهر الشلف، في شماله أو جنوبه (Moderan, 2003, para.4)، وكانت من القوة ما جعلها ترتبط بعلاقات مختلفة مع الرومان، ومن المحتمل أن يكون حارس نيرون الذي رافقه في رحلاته منها (Séutone, 1865, Nero, XXX).

إن هذا الغموض وعدم الدقة في تحديد مواقع المازيس خاصة في الشرق، يجعل الباحثون يحترسون من وضع أي فرضية من شأنها التعريف بموقعهم وظروف إنتشارهم في البلاد المغاربية من الغرب الى الشرق، تصنيف تجمعهم قبلي أو مجموعات تحمل نفس التسمية في مناطق مختلفة من البلاد المغاربية، خاصة اشارات المازيس في الشرق التي لا تدعمها وثائق مادية في الناحية الليبية أو نظيرتها المصرية، سوى نصوص مسيحية تعنى بالقيم الدينية والتربوية ولا تهتم بالدقة الجغرافية والطبوغرافية والإثنية.

2-5- الأوستارياني (Austuriani):

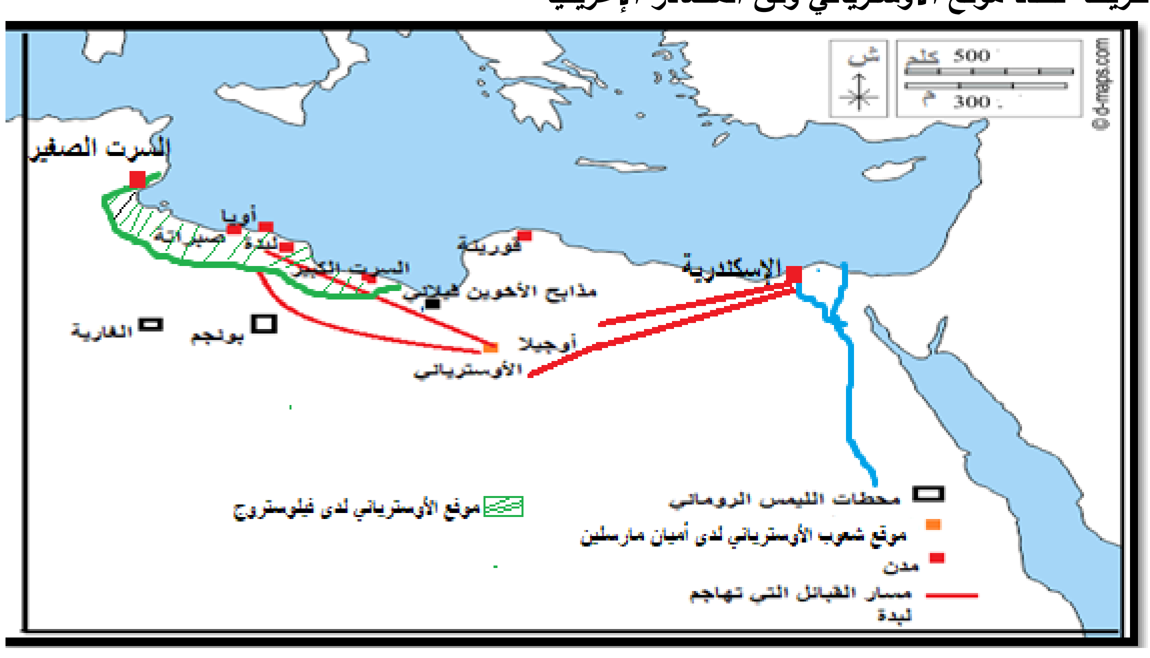
ظهر اسم الأوستارياني في القرن الرابع للميلاد على شعوب بدوية من راكبي الجمال تُغير على المدن الإغريقية، ويشير أميان مارسلين بالأوستارياني "Austuriani" على الأقوام القادمة من الصحراء الشرقية لتهاجم لبدة الكبرى في 363م (Marcelline, 1868, Liv XXIX, 7) ويصف سنسيوس الأوستارياني بالعرق البدوي البائس الذي يهدد المدن الإغريقية في ليبيا والإسكندرية (Synésius, 1878, Catastase, II, 2-3) (ينظر الشكل رقم03)، وفي القرن الخامس ميلادي يذكر فيلوستورج الأوستارياني أو الأوسرياني المقيمين إلى جانب المازيس ما بين افريقيا وليبيا من السرت الصغير حتى السرت الكبير (Philostorge,1676 , XI,8) .

تبرز الشواهد الأثرية سكان منطقة الوديان في طرابلس نت المنطقة الممتدة بين المناطق الداخلية حتى المنطقة الشرقية سكان مستقرين في مستوطنات محصنة، وهذا ما يجعل الباحثون يرجحون أن القبائل التي تغير على الأراضي الزراعية والمدن الإغريقية تقيم خلف الليمس الطرابلسي وتقوم بالإغارة ثم تعود من حيث أتت، أو ربما هي قبائل نصف مستقرة يقيمون في الليمس الطرابلس بجوار المدن والأراضي الزراعية (Modéran, 2003, pp. 209-210).

أخذا ببعض ما اشار به في أحدى رسائله القديس أوغسطين أنه تم ابرام معاهدة بين ملاك الأراضي الزراعية وسكان منطقة أرزوق (Arzuges) الذين يطلق عليهم اسم البرابرة كعاملين في زراعة الأرض أو حراس للمحاصيل الزراعية (Saint Augustin, 1858, Letr. XLVI, I-II)

شكل رقم03:

خريطة تحدد موقع الأوسترياني وفق المصادر الإغريقية



المرجع: (إنجاز الباحث)

حيث تتمركز في منطقة بين برقة وطرابلس حتى تكون عمليات الإغارة مقسمة بين المدينتين ووفقا للمنطقة التي عينها الباحثين ويرجح أنها مواقع إنتشار الأوسرياني هي أرزوق التي تظهر لدى أوروسيوس كمقاطعة تحمل عدة تسميات "Tripolitana provincia quae et Subventana vel regio Arzugum dicitur, ubi Leptis Magna civitas est, quamvis Arzuges per longum Africae limitem vocentur" (Reise,1869, Orosii, I,44, p.67) "مقاطعة طرابلس، والتي تسمى أيضًا سوبفنتانا، أو إقليم أرزوجوم، حيث تعتبر لبدة دولة عظيمة على الرغم من تسمية أرزوق تطلق على طول حدود إفريقيا".

ويطلق على سكانها "Gens Arzugum" "شعب أرزوق"، لذلك يفترض الباحثين أن قبيلة أرزوق هم الأوسترياني والأوسرياني في المصادر الأخرى، والبعض الآخر يرى أن الأوسترياني هم النساموبيين الذين فروا من بطش الأباطرة الرومان الى المناطق الجنوبية خلف الليمس إلى واحة أوجيلا موطن هجرتهم الموسمية في السابق، وواحة أمون (واحة سيوة) وربما أرزوق وهم انفسهم قبائل لواتة (Lauguatans) التي تتعرض لهم المصادر الأدبية في أواخر العصور القديمة (procope de césarée, 1852, Liv II, 21, 2).

لكن من خلال البحث عن معنى الكلمة "أوستيرياني" في اللغة اللاتينية، تشير "الأوستر "Austerus, Austros" إلى الرياح الجنوبية (Plinii,1851, Lib. II, XLVII,2; Apulée,

(De Mundo, p.392، كما تدل على اللون القاتم (Plinii,1832, Lib. IX, LX, 3)، وتفيد بمعنى الخشونة والقسوة (Plinii,1826, Lib. XII, LV,6; 1783, Lib. XV, XXXII, 1).

قد تكون التسمية عبارة عن وصف للجهة التي تأتي منها هذه القبائل للإغارة على المدن في قورينة والبروقنصلية، كأن يراد بها سكان الجنوب أو الشعوب الجنوبية أو الجنوبيين بالإضافة إلى وصفهم بالغلظة والقسوة، خاصة وأن القاعدة في تسمية شعوب المنطقة توصيف لبيئتهم أو نمط حياتهم فالنسامونيين هو سكان الصحراء في لغة الإغريق، واللتوفاجي هم أكلة اللوتس وغيرها من الأسماء.

من المرجح أن الإشارة الى هذه الشعوب والقبائل ارتبط ذكرها بأحداث المنطقة، كالثورات التي وقعت بين منتصف القرن الثالث والرابع للميلاد، حيث يذكر أميان مارسلين ثورة البوار مابين (238 –260م) والتي انضمت لها قبائل الحلف الخماسي من شعوب منطقة جرجرة، كما يشير الى إخضاع قبيلة المازيس من طرف تيودور، أرسلوا سفارتهم إليه بغرض طلب الهدنة. لذلك فالمناطق الهادئة أو الأقل ثورة لم يتم التعرف على شعوبها خلال الفترة مابين القرن الثالث والرابع وحتى بدايى القرن الخامس مثل شرق مارمريد.

ومن خلال رسائل القديس (Jérome) الأسقف الروماني الذي تبادل الرسائل مع أصدقائه في أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس، وفي كل مناسبة يصف البلاد المغاربية بإفريقيا وهي تسمية يسحبها على كل المنطقة، مثال على ذلك في إشارته " كل كنائس افريقيا إبتهجت لهذا الخبر" (Saint Jérome, 1824, Lettr De Démetiade)، وعند إشارته لمصير الرومان في أواخر مراحل حياة الإمبراطورية الغربية وهجرتهم من موطنهم إلى مختلف البلاد يقول:

"præsertim quum in Oriente eam consuetudinem et in Illyrico, et " inItalia,atque in Africa, omnibus in locis" (Saint Jérome,1842, Epist. VI) سادت هذه العادة خاصة في الشرق وفي إليريا، إيطاليا وإفريقيا وفي جميع الأماكن".

أما فيما يخص تسمية ليبيا فأصبحت تتوافق مع المنطقة الشرقية من منطقة السرت الكبير حتى مارمريد وهو ما يوافق ليبيا الحالية تقريبا، حسب ما يفهم من شذرات تاريخ القديس جيروم الذي وكان موضوعها سير الرسل المسيحيين يصف فيها حدود وجغرافية مدينة القدس يقول: " يحد القدس جزء من الشرق يسمى آسيا، ويحدها جزء من الغرب يسمى أوروبا. وفي الجنوب ليبيا وأفريقيا في الشمال" (Saint Jérome, 1867,Frgmnt,p.654)، وفي موضع الحديث عن

شتات يهود برقة في فترة حكم الإمبراطور الروماني تيتيوس فلافيوس سنة 70م، فإنه يفصل موريطانيا عن إفريقيا عندما يحصي البلاد "a Mauritania per Africam et Egyptum" (Saint Jérome, 1842, Epist Ad Hebraeos)" من موريطانيا إلى إفريقيا ومصر".

والوضع نفسه بالنسبة لجيتوليا فقد إختفت التسميات القبلية لهذه الشعوب التي أشار إليها بليني ولم يبق منها سوى سوى التسمية الجغرافية للجيتول، يقول أوغستين: "لماذا هذه الشعوب ليست جيتوليا، نوميديا، موريتانيا، بيزاسين؟" " مثل إشارة أوروسيوس إلى شعب الجيتول الجيتول (Reies,1869, Orosii,fragmnt Lib. I).

تتسم أسماء ومواقع الشعوب في بلاد المغرب القديم في العصر الروماني المتأخر بالغموض وعدم الدقة، وهذا مرده إلى الإنحدار الحضاري التدريجي الذي شهدته الإمبراطورية الرومانية، والذي أثر على مستوى الفكر والإبداع في شتى مجالات الكتابة، على الرغم من بروز الأدب المسيحي كنوع جديد من الكتابة الأدبية، يعنى بتفسير الكتاب المقدس وتاريخ الرسل والشهداء وآباء الكنيسة أكثر من أي غرض أدبي آخر، ويرفض تراث القدامى ويعتبره من مخلفات الأفكار الوثنية، فابتعد الكتاب المسيحيون عن منهج التاريخ الذي وضعه ثوكيديدس وبوليب، وحسب وجهة نظرهم تناول الأحداث التاريخية وتفسير الظواهر الإنسانية لا يرجو منه فائدة، وحلَّ المجاز والرمزية محل التفسير الناقد، وهو مما أثر على الكتابة التاريخية، فوردت سطحية تفتقر إلى العمق والتحليل (بارنز، 1964، ص ص 86-69، 87).

وبوصول القرن الخامس أصبحت المصادر الرومانية المسيحية أو حتى التي يطلق عليها بالكتابات الوثنية لا تذكر شيئا عن إنهيار إدراة الاحتلال الروماني والزحف الوندالي على منطقة بلاد المغرب القديم باستثناء تلك الإشارات البسيطة التي تذكرها رسالة القديس أنود (Ennode de Pavie) أصيل مقاطعة لومبادريا (Lombardie) الحالية المتوفي في 521م، الذي عاصر فترة الاحتلال الوندالي للمغرب القديم، حيث يصف حادثة نفي رجال الدين المسيحيين الكاثوليك على يد ملك الوندال تراساموند، الذي نفى مائتين وعشرين أسقفًا مغاربيا إلى سردينيا، وكان من بينهم الأسقف فولجانس(Saint Vulgence)، وقد زودهم البابا سيماخوس بالطعام والملابس

الضرورية، كما ساهم الملك ثيودوريك[1] نفسه على الرغم من كونه أريوسي في هذه الجمعيات الخيرية (Saint Ennodius, 1906, Lib II, Lettr XIV).

وهو ما يشير إليه أيضا بروكوب عند الإشارة إلى صفات تراساموند الذي حكم في الفترة ما بين (496–523م) كان يقوم باستبعاد أعدائه دون معاقبتهم عكس ما فعل سلفه هونريك (Huniric 477- 484م) الذي لم يكتف بنفي رجال الدين المسيحيين الكاثوليك بل عمل على حرقهم وقطع ألسنتهم(Procope,1852, Liv.I, IX,1)، ودون ذلك لا يجد الباحث في المصادر الرومانية التي تتطرق إلى إنهيار ادارة الإحتلال الروماني ولا الزحف الوندالي على المغرب القديم في الفترة المعاصرة للإمبراطورية الرومانية الغربية قبل سقوطها في 476 ق.م إلا نصوص الكتاب القوطيين في روما مثل كاسيودور(Cassiodore) الذي اختصر مؤلفه جوردناس (Jordenès) من القرن السادس للميلاد.

3- الاقتصاد المغاربي في خدمة السلام الروماني:

3-1- حيوانات الصيد وألعاب التسلية:

عرف الرومان ألعاب التسلية والترفيه وترويض الحيوانات منذ العصر الجمهوري في القرن الثاني قبل الميلاد في إنتصار فولفيوس نوبيليور (Fulvius Nobilior) على الأتوليين 186 ق.م بمكافأة الناس لأول مرة بعرض الأسود والنمور، أشار الى هذا العرض تيتي ليفي: "athletarum quoque certamen tum primo Romanis spectaculo fuit, et uenatio data leonum et pantherarum" (Livi, 1862, Lib XXXIX, 22,2)"كانت هذه هي المرة الأولى التي يستمتع فيها الرومان بمشهد قتال المصارعين بصيد الأسود والفهود" لا يعرف مصدر هذه الحيوانات، إلا أن بلوتوس في شذرات مسرحيته البوني الصغير(Poenulus)، أشار إلى أصل النعام والنمور الإفريقية والتي يرجع فرنوسوا بيرتروندي (François Bertrandy) أنها تعود الى ما بين 196 و186 ق.م، قبل الهيمنة على المنطقة (Bertrandy,1987, Marge n 4, p.21)، حيث كانت فقرة ترويض الحيوانات البرية من أهم الفقرات التي جلبت إهتمام المتفرجين (بن علال، 2008، ص41).

---

[1] ثيودوريك: ملك القوط الشرقيين بما في ذلك ايطاليا وصهر ملك الوندال تراساموند، تزوج من شقيقته أمالافريدا (Amalafrida) في العام 500م، للمزيد ينظر: (عمراني، 1980، ص 61).

وبعد الهيمنة الكلية على المنطقة، وبتطور المجتمع الروماني الذي باتت ألعاب الصيد والتسلية جزء لا يتجزء من حياة الروماني، عرفت حركة الصيد وتصدير الحيوانات المفترسة الى روما إرتفاعا ملحوظا، فمعظم الحيوانات التي كانت تقدم بها العروض تستقدم من بلاد المغرب عندما أصبح الروماني يترقب المزيد من التسلية وقد وظف بليني بالمقولة الإغريقية "Semper aliquid novi Africam afferre"(Plini, 1830, Lib VIII, XVII, 2). "من أفريقيا دائما يأتي الجديد" عند التعبير عن هوس الرومان بمشاهدة الحيوانات المتوحشة كالأسود والفهود، لذلك يوصي أوغسطس أوكتافيوس بتنظيم ألعاب الصيد، عندما فهم مدى تأثير مظاهر الترفيه والتسلية على استقرار الأوضاع السياسية في روما، ففي فترة حكمه نظم أكثر من ستة وعشرين عرض لألعاب الصيد والقنص، أبيد فيها أكثر من ثلاث آلاف وخمسمائة من الحيوانات المختلفة، استقدم أغلبها من بلاد المغرب القديم(Res gestae divi Augusti, 1886,22) .

شكل رقم 04:

صورة فسيفساء توضح مشاهد الصيد



المصدر:(بن علال، ص 53)

وقد جلبت روما الأسود من بلاد المغرب القديم وعن أول مشهد لقتال الأسود فيقول بليني: "Leonum simul plurium pugnam Romæ princeps dédit Q. Scævola, P. filius, in curuli æd il ita te. Centura olem jubatonim primus omnium L. Sylla, qui postea diclator fuit, in prætura. Post eum Pompeius Magnus in Cira ne,…;Cæsar dictator" (Plini, 1830,LibVIII,XVIII;XX,1).

تقاتل سكفالوس بن بوبليوس مع الأسود، أثناء خدمته الكروية، وسيلا الذي كان آنذاك ديكتاتورًا، قاتل أول مائة أسد خلال فترة ولايته، من بعده خاض بومبي العظيم قتال 600 أسد في السيرك،....، والديكتاتور قيصر 400.

وعن حضور الفيلة في المغرب القديم يقول بليني بأنها تعيش خارج صحراء السيرت وفي موريطانيا، أما عن حضوره في السيرك الروماني، "Romæ pugnasse Fenestella traditprimum omnium in Circo, Clandii Pulchri ædilitale cnruli, M. Antonio,

A. Postumio coss., anno l'rbis sexcentesimo quinquagesimo quinto. Item post annos xx, Lncullorum ædilitate curnli adversus tauros.Pompeii quoqne aitero consuiatu" (Plini, 1830, Lib VIII, VII,2; XI,1). "إن المعركة الأولى للفيلة التي شوهدت في روما حدثت في السيرك، خلال فترة خدعة كلوديوس بولشر ، تحت قيادة إم. أنطونيوس في وقت لاحق، كانت هناك معركة بين الأفيال ضد الثيران ، تحت رعاية الأخوين لوكولوس، تحت ولاية بومبي الثانية(53 ق.م).

وقد لفتت فراء النمر والفهد المنشرة بكثرة في افريقيا، لكن مجلس الشيوخ الروماني منع إدخالها إلى السيرك، ولم يذكر بليني مبرر المنع سوى أن:

Senatus consullum fuit vêtus, ne licerel Africanasin llaliam advehere. Contra hoc tulit ad populum Cn. AuSdius tribunus plebis, permisitque Circensium gratia importare. Primus autem Scaurus ædilitate sua variascentnm qninqnaginta nniversas misit: dein Pomperas Magnes quadringentas decem: divus Augustus quadringentas viginti (Plini, 1830, Lib VIII, XXIII,1; XXIV,1).

كان هناك مجلس الشيوخ القديم الذي منع جلب الفهود من إفريقيا إلى إيطاليا، كان أوفيديوس، تريبون العامة (670 سنة من بناء روما)، قد كسر القاعدة من قبل الجمعية، وسمح باستيرادها لألعاب السيرك، كان سكوروس (696 سنة من بناء روما)، أول من ظهر بـ 150 منهم في السيرك، وكل من يُدعى متنوعًا، ثم ظهر بومبي ب 410؛ وظهر المؤله أغسطس ب 420.

يحدد تاريخ أول عرض لمشاهد الصيد في روما بتاريخ انتصار فولفيوس نوبيليور (Fulvius Nobilior) على الأيتوليين عام 186 ق.م، فاحتفل مع سكان روما بمشهد صيد الأسود والنمور، لكن لا يعرف على وجه الدقة مصدر الحيوانات إذا كانت مغاربية الأصل أو من منطقة أخرى، وقد تم عرضها على الرومان قبل هذا التاريخ، لكن بعد ألعاب سنة 186ق.م، حظر مجلس الشيوخ الذي تمت استشارته باستيراد الأسود إلى روما منذ 170 ق.م، وتم إلغاء القرار من قبل تريبون العامة أفيدوس (Afidus) ومنذ تلك اللحظة لم تتوقف مشاهد الصيد في المدرج (Bertrandy, 1987, pp. 211-212).

ومن خلال مشاهد الفسيفساء التي يعود تاريخها الى الفترة ما بين القرنين الثاني والثالث للميلاديين، تظهر مشاهد الحيوانات المتوحشة وألعاب السيرك، ومن بين هذه الأعمال فسيفساء تمثّل انقضاض فهد على أحد المحكوم عليهم بالإعدام، وفسيفساء الصيد الأكبر بمتحف جميلة

بسطيف الحالية وترمز الصورة إلى موضوعين موضوع الصيد الذي يمثله القسم الأعلى من اللوحة، ومشهد مصارعة الأسود في القسم السفلي من اللوحة، فضلا عن لوحة مصارع الأسود المحفوظة بمتحف مدينة جميلة في الجزائر (الشكل رقم04) ومشهد صيد الأسود على جدران حمامات لبدة في ليبيا الحالية (Bertrandy, 1987, pp. 215-218).

إذا ما تم التوقف لدى جدارية أغسطس القائلة بأن في عهده تم القضاء على 3500 حيوان مفترس، وإذا أخذ في الحسبان أن فضاءات الترفيه زاد الطلب عليها في الفترات التي جاءت بعده إلى غاية 523م أين صدر قرار امبراطوري يمنع الألعاب التي تتضمن الحيوانات المتوحشة، ليس فقط في السيرك، بل كذلك جانب الإستفادة من جلودها وأنيابها في شتى مجالات الحياة التي تم ذكرها سابقا (Martial, 1835, II, 9) ، فكم العدد الإجمالي الذي قضت عليه الإمبراطورية الرومانية من الحيوانات في سبيل ترف مواطنيها، هذه العملية التي ستهدد الوسط الطبيعي والإخلال بالنظام البيئي للمنطقة.

وهو ما جاء في رسالة صياد روماني في فترة حكم تراجانوس في القرن الثاني للميلاد، أرسلها إلى صديقه في روما، مفادها أن تزايد حملات صيد الحيوانات المفترسة لتلبية رغبات مواطني روما وشغلهم عن الاضطرابات، الذين يطالبون في كل مرة بمشاهد تسلية جديدة وأكثر إدهاشا، أنه قد قضى على حيوانات العالم القديم بما فيها إفريقيا، ما جعل هذا الصياد يبحث في موريطانيا الطنجية، والقيصرية ثم اتجه الى جنوب نوميديا، حتى يلبي صفقة الإمبراطور من الحيوانات (بشاري، 2015، ص ص 319–320)، حيث أن الثروة الحيوانية التي تحدث عنها بليني في القرن الأول التي كانت بوفرة الى درجة البذخ تسير نحو الإنخفاض أو الإنقراض، وليس فقط الصيد غير المنظم الذي أدى إلى انقراض بعض الحيوانات من المنطقة، بل كذلك الإستغلال غير العقلاني للغطاء النباتي قد ساهم في تغير المناخ وكان سببا في التصحر وزوال الغابات.

اكتسبت الحيوانات المفترسة مكانة كبيرة لدى الرومان، فعكفوا على تصوير الوحوش على العملات الرومانية إلى جانب الأباطرة، حيث يرمز الإمبراطور إلى ممثل الإله في الأرض، ينخرط في الصراع الأزلي ضد أتباع الجحيم والبرابرة والوحوش، وتمثل مشاهد الصيد والحرب على أنهما لحظات من هذا الصراع المستمر حيث تتضمن لوحة الإمبراطور أوغسطس أوكتافيوس رمزية الحفاظ على الكون وخلاص البشرية، وهذا ما يفسر ارتباط مشاهد الصيد مع

صور الفسيفساء التي كانت بلا شك ذات قيمة فنية ودعائية، ثم ستتبنى المسيحية هذه الرمزية دون تعديلها بعمق، حيث ظل الصراع بين الشهداء والوحوش الظالمة موضوعا قائما بحد ذاته حتى بعد تكريس المسيحية ديانة الإمبراطورية الرومانية (Charles-Picard, 1951, p. 84).

يعتبر بليني من أصحاب الاتجاه الرواقي الذين يمجدون الطبيعة ويعتبرها الأم الأولى والمشتركة لكل الكائنات الحية، ويدافع عنها أمام جشع الذين يعملون على إتلافها مقابل الربح والثروة (Zehnacker& Fredouille, 2013, p. 272)، كما يعتبر نفسه الوحيد من بين الرومان الذين عرفوا هذه الحقيقة، ويختتم كتابه السابع والثلاثين بعبارة: salve, "parens rerum omnium, Natura; teque nobis Qniritium solis celebratam esse numeris omnibus tuis, bve" (Pline L'Ancien, 1850, Lib XXXVII, LXXVII, 3) "السلام عليك أيتها الطبيعة أم كل شيء وبما أننا الوحيدين في الأوكومين الذين إحتفلنا بك وبجميع أقسامك فكوني مواتية لنا".

3-2- قمح بلاد المغرب وضريبة التموين (الأنونة):

أشاد الرومان القدامى بقمح بلاد المغرب وأثنوا على انتاجيته وحجم حبة القمح، حيث يصف عالم الزراعيات الروماني (116-27 ق.م) منطقة البيزاسيوم بأن الحبة من القمح تعطي مئة dicunt etiam cum centesimo redire solituin, In Syria…, et in Africa ad Byzacium item ex modio nasci centum" "ويقال إن العائد العادي يبلغ مائة ضعف،...، في سوريا، وفي البزاسيوم في إفريقيا" (Les agronomes latins, Varron, 1872, Lib I, XLIV)، وهو ما وصفه بليني أيضا "in Byzacio Africæ ilium centena qninquagena fruge fertilem campum" (Plini, 1830, Lib VII, III, 12) "في بيزاسيوم في إفريقيا، تنتج مائة وخمسين حبة للواحدة". وهو ما يقدر بثلاثين قنطارا للهكتار الواحد، في حين يذكر سترابون ما يفوق هذا التقدير عند حديثه عن محصول قمح الماسيسيل الذين ينتجون محصولين في العام الواحد في الربيع ثم الصيف، ويبلغ ارتفاع ساق نبات القمح حوالي المترين، أما مردودة الحبة الواحدة فيصل إلى 240 ضعف (Strabon, 1887, Liv XVII, III, 17) وهذه تعتبر من الخوارق التي تحدث عنها القدامى، يعثر على مثل هذه الظاهرة لدى بليني عندما قال: quale in Byzacio Africae campo, centeni quinquageni modii reddantur. Misit ex eo loco divo Augusto procurator ejus ex uno grano (vix credibile dictu) quadririgenta paucis minus germina, exstantque de ea re epistolæ.

Misit et Neroni similiter ccclx stipulas ex uno grano (Plini, 1882, Lib XVIII, XXI.) كما هو الحال في بيزاسيوم في إفريقيا كانت التربة مواتية، ينتج 150 بوشل، أرسل وكيل الإله أوغسطس ساق قمح من هذه المقاطعة خرج منها ما يقرب من 400 ساق وهو شيء يصعب تصديقه، من حبة واحدة: لدينا الرسائل المتعلقة بهذه القضية.

كما أشاد سالوستي بخصوبه أرض بلاد المغرب القديم "ager frugum fertilis" "تربتها خصبة" (Sallusti, 1971, XVII)، ويوكد ميلا على ذلك من خلال وصفه لتربة موريطانيا الطنجية حيث يقول بأن "solo quam viris melior"(Mela, 1843, Lib I, V) "تربتها أحسن من سكانها"، كما يضع سترابون وصفا لا يخلو من المبالغة حيث يقول أن الأرض تنتج محصولين في السنة، ولا يحتاج المزارع بذر البذور في التربة، بل يكتفي بما سقط من موسم الحصاد السابق .(Stabon, 1887, Liv XVII, III) أما جوزيفيوس فلافيوس فقد اعتبر المغرب القديم مستودع روما للقمح (Joséphe, 1838, Liv II, 4) .

لم تكن كل تربة البلاد المغاربية خصبة وموائمة لزراعة القمح، لكن كانت هناك مناطق ذات خصوبة فريدة مثل المنطقة الشمالية والشمالية الغربية من المقاطعة البروقنصلية وحوض باغرادا (مجردة)، والأراضي الشاسعة في نوميديا مثل ما يُظهر نقش مكثر، حيث يرمز الى جنود من البدو يجتازون كل عام في حرارة الجو حقول نوميديا (Cagnat, 1916, p. 250) وهي المناطق التي تم إخضاعها تحت سلطة الاحتلال الروماني وطرد سكانها منها، فمن الطبيعي جدا أن تكون الإحصائيات في هذه المناطق التي اعتمد عليها كتاب النصوص القديمة ذات جودة عالية ومردودية مرتفعة.

يمكن لمردود الهكتار أن ينتج من ثلاثين إلى أربعين قنطارا فيما يقابل 150 أو 240 حبة قمح في بعض السنوات وليس تقليدا دائما، وفي مناطق معينة كأحواض الوديان لما تتمتع بع من رطوبة، وعندما تبذر الأرض فإنها تبذر بشكل خفيف عن المعتاد، ليترك المجال لإنشطار حبة القمح المزروعة بفعل الرطوبة العالية، فكلما كانت الأرض ضيقة ورطبة يكون الإنشطار أكبر، أما في الأراضي الواسعة منخفضة الرطوبة تنخفض نسبة الإنشطار بدورها ويتضاءل مردود الهكتار كذلك، وفقا لتجربة سنة 1902 سجل مردود حبة واحدة من القمح يقابلها 102 حبة، في مساحة تقدر بثماني هكتارات مغمورة بالمياه، أما في مساحة اجمالها 42.5 هكتار لم تنتج حبة القمح الواحدة سوى عشرين حبة فقط (بشاري، 2015، ص 274).

حسب معطيات النصوص القديمة السابقة الذكر فإن مردود الهكتار الواحد يتراوح ما بين الثلاثة وأربعة قنطار من القمح في الهكتار الواحد، لكن بالعودة إلى قانون تيودوز لسنة 371م الذي حدد الضريبة على زراعة القمح على مردود الهكتار الواحد المقدر ما بين 2.5 و2.25 قنطار للهكتار الواحد، أما قانون فالنتيان في 445م فقد حدد انتاج الهكتار ب 2.16 قنطار وهي نسب متقاربة مع مردودية الهكتار في بداية القرن العشرين التي تقدر ب 2.22و 2.11 قنطار للهكتار، لذلك يعتقد محمد الحبيب بشاري أن وصف القدامى يحمل بعضا من الواقعية في حالات خاصة واستثنائية ولا يمكن تعميمها على كل أقطار البلاد المغاربية المنتجة للقمح، إذا ما وضع في الحسبان إمكانيات الفترة الرومانية (بشاري، 2015، ص 188).

بعد الهيمنة الرومانية على العالم القديم، عرف المجتمع تحولات مختلفة؛ منها هجران الأرض الزراعية، بعدما نال التعب والإنهاك الفئات العامة التي كانت تشارك في الحروب وتهجر أراضيها، فيصبح أمر الرجوع إليها صعبا على الملاكين الصغار بإمكانياتهم المحدودة بعدما تتحول إلى أراضي بور، أما بالنسبة للأراضي التي منحت للجنود المتقاعدين، فكانوا أقل خبرة من المزارعين الحرفيين لم تأت بالإنتاج المطلوب، كما أفضت حروب روما التوسعية إلى فقدان الكثير من اليد العاملة، فأدى ذلك الى نقص العاملين في قطاع الزراعة، وهو ما أدى بدوره إلى خلل إقتصادي (أنديشة، 2015، ص 440).

ترتب عن هذه التحولات الإجتماعية والإقتصادية وضع جديد في عاصمة الإمبراطورية حيث اتسعت دائرة البطالة في وسط العامة التي تشكل قوة ضاغطة ومؤثرة في الحياة السياسية وهو مما اضطر الأباطرة لضمان استقرار الحكم بتموينها بالقمح، ولأن قمح إيطاليا لا يلب الحاجة المتزايدة على هذه المادة الأساسية في الغذاء، لجأت روما إلى قمح بلاد المغرب القديم.

بدأ العمل بالأنونة منذ إعتلاء أغسطس عرش الإمبراطورية الرومانية، عندما عصفت بروما مجاعة، فقام بتعيين مسؤول تحصيل الأنونة الذي يراقب الإنتاج من القمح في المقاطعة وحتى وصوله إلى روما، أما نيرون فقد أعلن أنه سيحكم وفق مبادئ اغسطس، وطمأن العامة على حصص القمح المجانية (Séutone, 1865,OCTAVIUS, X; NIRONII, XI).

عرف حكام المقاطعات المغاربية كيف يستغلون قمح بلاد المغرب ضد البلاط الروماني ففي عام 68م في فترى حكم نيرون اندلعت ثورة حاكم البروقنصلية كلوديوس ماكر (Clodius Macer)، لا يعرف السبب الحقيقي لإنتفاضته والتفكير في الإنفصال عن روما، من الباحثين

من يرد ذلك رغبته في إنشاء مقاطعة مستقلة، وإعادة روما إلى التقاليد الجمهورية، من الآليات التي اتخذها ضد عاصمة الإمبراطورية منع الإمدات الغذائية عليها (Sella, 2015, p. 7).

ينظر تاكيتوس إلى الضرر الذي قد تسببه انتفاضته من تجويع الشعب الروماني، حيث يقول : "transgressa in Africam ad instigandum in arma Clodium Macrum, famem populo romano haud obscure molita" (Taciti, 1840, Hist, Lib I, LXXIII)، "هذه المرأة ذهبت إلى أفريقيا لتحريض ماكر على التمرد، وحاولت علانية تجويع الشعب الروماني"

وعندما تكرر الموقف بعد عامين ضد فسبسيان – تأخر الإمدادات بالقمح–، تخيل الناس أن حاكم إفريقيا ل. بيسون (L. Pison) إنقلب ضد فيسبسيان، فيعلق تاكتوس على الحادثة بقوله:
L. Pisone Ist præerat provinciae, nequaquam turbidus ingenio: sed quia naves saevitia hiemis prohibebantur, vulgus alimenta in dies mercari solitum, cui una ex republica annonæ cura, clausum littus, retineri commeatus, dum timet (Tacite, 1840, Lib IV, XXXVIII)، "ل. بيسون بريتور البروقنصلية ليس رجلاً خطرًا أو طموحًا أو صديقًا للمتاعب، لكن قسوة الشتاء حالت دون خروج السفن، واعتقد الناس بسبب خوفهم أن الموانئ أغلقت والقوافل متوقفة، دفع بيسون رأسه مقابل هذا الخطأ".

أما كمودوس (Comodus) فقد أنشأ اسطولا خاصا بقمح إفريقيا في 186م بعد المجاعة التي تعرضت لها روما، وقد ظل القمح الإفريقي وسيلة ضغط على الأباطرة الرومان(Séutone, 1865, Comodus, X)، حيث اتبع نفس الخطة إتبعها جيلدون في 397م ونفس الذعر الذي عرفته إيطاليا عندما قرر حصار روما ومنع رحيل أسطول الحبوب.

يعتبر كتاب سوتنيوس حياة القياصرة الإثني عشر من المؤلفات الأولى للأدب الذي يعرض سير الأباطرة، وما تخللها من أحداث في أرجاء الإمبراطورية وردود أفعال الإمبراطور حولها، حيث كان القيصر هو محور التاريخ، كما أن سويتنيوس لم يكن مؤرخا أو مهتما بالسير بل لديه مؤلفات في أخرى عن الملوك والألعاب الإغريقية إلى جانب عادات وتقاليد أسلاف الرومان، كما أنه كتب باللغتين الإغريقية واللاتينية، لكن ما يعيبه النقاد على تاريخ القياصرة الإثنا عشر هو الإسهاب في تاريخ الأسرة اليوليوكلاودية بينما جاءت سير القياصرة اللذين بعدهم مقتضبة مثل سير الأسرة الفلافية، وهذا ما يجعل الباحثون يرونه بعيدا عن روح الكتابة التاريخية، ويجعلونه مجرد هاو للكتابة وجمع الأخبار، بالإضافة إلى غرض الكتابة نفسه الذي

يصنف ضمن الكتابة التأبينية (Elagia) للأباطرة وعناصر الدولة وهو بمثابة الخطب التي تحفظ سيرهم عند فقدهم، وتسمح بإبقاء صدى أعمالهم مستمر، فيكون التركيز على البطولات والمآثر أكثر من أي حدث آخر (Zehnacker & Fredouille, 2013, pp.318-319).

حيث لا تظهر الأحداث المتعلقة بالمقاطعات، فهي تعتبر أحداثا ثانوية لا تهم الإشارة إليها إذا ما لم تكن في إطار الحرب وإخماد الثروات، وكذا الأمر بالنسبة لإشارات المؤلفين التي تم تقديمها حيث تعنى بسياقات موضوعية مختلفة ولا تعنى ببلاد المغرب القديم.

خلاصة الفصل:

بعد دراسة أهم الجوانب الحضارية في بلاد المغرب القديم في العصر الإمبراطوري، الذي تندر فيه أكثر من أي وقت مضى المصادر الرومانية يمكن الوقوف على أهم النتائج وهي:

– تراجع الكتابة الأدبية الرومانية، ليس فقط التي تهتم ببلاد المغرب القديم بل في جميع المجالات، فمنذ بداية القرن الثاني للميلاد شهد الأدب اللاتيني تراجعا لحساب الأدب الإغريقي ثم في القرن الثالث والرابع تشهد الكتابة الدينية المسيحية صعودها، لذلك تظل الكثير من التفاصيل غائبة بسبب عدم الدقة والشح الكبير في المعلومات.

– بالنسبة للأوضاع السياسية لبلاد المغرب القديم في المصادر الرومانية لاستثناء منتصف القرن الأول للميلاد حيث تذكر المصادر التقسيم السياسي والإداري للمنطقة غي عهد الأباطرة اليوليوكلاوديين أوكتافيوس، تبيريوس ، كلوديوس وكاليجولا .

– على الرغم من أن النصف الأول من القرن الأول للميلاد لم تهدأ فيه الثورات في المنطقة خاصة في المنطقة ما قبل الصحراء والمنطقة الصحراويةلكن النصوص المتعلقة بهذه الثورات تأتي أخبارها سطحية وغير دقيقة تهتم بسير القادة والعسكريين أكثر من الإهتمام بسرد الوقائع الخاصة بالضفة المغاربية.

– من خلال النصوص المتأخرة يمكن ملاحظة تغير التركيبة الإجتماعية لسكان المغرب القديم، من خلال ظهور الغتحاديات أو الكونفيدرليات القبلية التي تمتد على رقعة جرافية واسعة تسمح لها بالهيمنة عليها ومن ثم يكون اهتمام الرومان بها إما بموالاتها وكسبها أو بإخضاعها.

– استخدمت روما القمح وحيوانات التسلية كإحدى الوسائل للمحافظة على إستقرار عاصمة الإمبراطورية، وبالقدر الذي أسهب بليني في الحديث عن حيوانات وقمح المغرب بالقدر الذي تجاهل إنعكاسات الأمر على المنطقة وسكانها.

قائمة المراجع:

I – المراجع العربية:

1- أعشي، مصطفى. (2009). أحاديث هيرودوت عن اللبيين الأمازيغ. الرباط: المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.

2- أنديشة أحمد. (2015). الإمبراطورية الرومانية والقمح الإفريقي، مجلة البحوث الأكاديمية، ع3، ص ص 354-453.

3- بارنز، هاري المر. (1945). تاريخ الكتابة التاريخية، ج2، تر: محمد عبد الرحمن برج. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

4- بشاري، محمد الحبيب (2015). روما وزراعة المقاطعات الإفريقية بين 146 ق.م- 285م. قسنطينة: دار الهدى.

5 - بولخراص، حمادوش. (30 9، 2021). المقاومات الشعبية في موريطانيا وأثرها على الوجود الروماني. مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج 4، م 2، ص ص 71-82.

6- بن علال، رضا. (2008). ألعاب الصيد ومبارزة الحيوانات المجسدة على مواد مختلفة في المغرب القديم. مجلة الإتحاد العام للأثريين العرب،ع9. ص ص 39-54.

7-شنيتي، محمد البشير.(1985). الإحتلال الروماني لبلاد المغربي (سياسة الترومن) 146-46ق.م. الجزائر : المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

8- عمران، عيد الحميد.(2015). مقاومة الإحتلال الروماني ثورة فيرموس سنة 372 م أنموذجا، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، مج6.ع 2. ص ص 124-137.

9 - عمراني، محد سعيد.(1985). مملكة الوندال في شمال إفريقيا. القاهرة: دار المعارف.

10 - مسرحي، جمال. (2015). المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني من سيفاكس الى تاكفريناس 203 ق.م-24م. الجزائر: موفم للنشر.

11- مهنتل، جهيدة. (2016). قبائل البوار في المغرب القديم على ضوء المصادر والنقوش اللاتينية. دراسات في آثار الوطن العربي.مج 19، ع 19. ص ص 427-441.

12- مناصر كريم. (جانفي، 2020). الإستحكامات العسكرية الرومانية في موريطانيا الطنجية. مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مج2، ع 1. ص ص 25-37.

II- المراجع الأجنبية:

1-Akar, P. (2002). Camille et la Concorde. Hypothèses, n°5, 205-215. https://doi.org/10.3917/hyp.011.0205.

2- André, P, & Robert, L.-V. (1912). Recherches archéologiques à Ammaedara (Haïdra). Mélanges d'archéologie et d'histoire, n° 32. pp. 69-229. DOI : https://doi.org/10.3406/mefr.1912.7068.

3 -Anonimo. (1903). Expositio totius mundi et gentium, Studio Giacomo Lumproso. Roma: Tipografia Dela R. Accademia Dei Lincei.
4 -Bénabou, M. (2005). La résistance africaine à la romanisation. Paris: La Découverte Éditeur.
5 -Briand-Ponsart, C, & Hugoniot, C. (2005). L'Afrique romaine (De l'Atlantique à la Tripolitaine - 146 av. J.-C. - 533 ap. J.-C). Paris: Armand Colin Éditeur.
6- Bertrandy, F. (1987). Remarques sur le commerce des bêtes sauvages entre l'Afrique du Nord et l'Italie (IIe siècle avant J.-C., IVe siècle ap. J.-C.). Mélanges de l'École française de Rome. Antiquité, Vol 99, n°1. pp. 211-241.
7- Camps,G. (1991). Bavares (Babares- Bavares). encyclopédie Berbere, 9, p p. 1394-1399. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2552.
8- Cagnat, R. (1916). L'Annone d'Afrique. Mémoires de l'Institut national de France, pp. 247-277.
9- Carcopino, j. (1919). L'insurrection de 253 d'après une inscription de Miliana récemment découverte. Revue Africaine, T LX, pp. 369- 383.
10- Cassien, J. (2021). Conférences. Bibliothek der Kirchenväter. https://bkv.unifr.ch. 25-06-2020.
11- Cassius, D. (1866). Histoire Romain, (TVIII), Liv LIV; LX; Trd: E. Gros. Paris: Libraire de Firmin Hachette Frères .
12- Cassius, D. (1866). *Histoire Romain*, (T. X), Liv LXXIX, Trd: E. Gros. Paris: Libraire de Firmin Hachette Frères
13- César, J. (1905). *Bellum Africanum.* Berlin: Weidmannsche Buchhandlung
14- Claudien. (1830). *Œuvres complètes* Volume 1, (Trd: M. M. Heguin de Guerle). Paris: C. L. F . Panckoucke Editeur.
15- *Commentaria in C. Iulii Solini Polyhistora, et Lucii Flori de Romanorum rebus gestis*.(1757). Basileae [Basel]:Per Henrichum Petri. Cum Caesareae maiestatis gratia & priuilegio.
16- Collection des Auteures Latins. (1869). Ammien Marcellin, Jornandès, Frontin, Végéce, Modestus, Trd: M. Nisard. Paris: Firmin Didot Frères et Fils.
17- Desange, J. (1962). Catalogue Des Tribus Africainnes De L'Antiquité Classique A L' ouest du Nil . Dakar: Publications de La Section de D'histoire.
18- Desanges, J. (1964). Les territoires gétules de Juba II. Revue des Études Anciennes,66, n°1-2. pp. 33-47. DOI : https://doi.org/10.3406/rea.1964.3713.
19- Eutrope. (1865). Abrégé de l'histoire romaine, Trd: Maurice Rat. Paris: Libraire Garnier Freres.
20- Gaillard, J. (2017). Introduction à la littérature latine (Des origines au Haut-Empire). Paris: Armand Colin Éditeur.
21- Herodote. (1850). Histoire, (T I), Trd: Larcher. Paris: Charpentre Libraire-Editeur.
22- Josèphe, F. (1833). Oeuvres complètes, Contre Apion, Trad: Théodore Reinach et Autres. Paris: Publications de la Société des études juives.
23- Les agronomes latins: Caton, Varron, Columelle, Palladius. Collumelle, De L'Agriculture. (1864). (Trd: M. Nisard). Paris: Firmin Didot Libraire
24- Laporte, P. (2005). Kabyle: Kabyle L'Antique, Encyclopédie Berbère, Vol 26, pp. 4000-4015. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.1400.
25- Lepelley, C. (1998). Rome et l'intégration de l'Empire 44 av. J.-C. – 260 ap. J.-C.-TII. Paris: Presses Universitaires de France.

26- Leveau, Ph. (1988). Ancorarius ou Anchorarius mons, Encyclopédie berbère, 5 . pp. 636-637. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2498.
27- Martial, M. V. (1835). Epigrammes. Paris: C. L.F. Panckoucke.
28- Livi, T. (1862). ab urbe condita libri, Lib XXXIX. Lipsiae: EX Officina Dernhardi Tauchnitz.
29- Mela, P. (1843). Géographie, Trad: Louis Boudet. Paris: C.L.F Panckoucke Editeur.
30- Modéran,y. (2003). Les Maures et L'Afrique Romaine (IV^e - VII^e Siecle). Rome: Écoles françaises d'Athènes et de Rome. https://doi.org/10.4000/books.efr.1395.
31- Moderan,Y.(2010). Mazices, Mazaces, Encyclopédie berbère.pp. 4799-4810. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.538
32- Philostorge.(1676). Histoire De L' Eglise, Trd: Coussin, Paris: Boutique de Pierre Rocoler.
33- Plini, S, C. (1832). Naturalis historiae, Pars IV. Rome: National Central Library of Rome
34- Plini, S, C. (1851). Naturalis historiae libri XXXVII,(Lib I- V). Hamburgi et Gothae: Sumptibus Friderici et Andreae.
35 -Plini, S. (1882). Naturalis Historiae (XVI- XXII), Lib XXI. Lepsiae: In Aedibus B. G. Teubneri.
36 -Plini, S. (1883). Naturalis Historiae, Lib XIV-XX. Londuni: Curante et Imprimente Aj Valpu A. M.
37- Plini, S. (1884). Naturalis Historiae, Lib XXIV- XXVII. Biponti: Extypographia Societatis.34- Plini, S, C. (1870). Naturalis historiae libri XXXVII,(Lib XVI-XXII). Lipsiae: in aedibus B. G.
38- Pline L'Ancien. (1850). Histoire naturelle, Tom II, Lib (Trd: M.E. Litrée). Paris: J.J. Debochet, Le Chevalier et Comp Editeur.
39- procope de césarée. (1852). Histoire des Vandales, Lib I,(Trd: Dureau de La malle). Paris: Libraire de Frmin Didot Freres.
40- procope de césarée. (1856). Histoire de Constantinople (T II), Trd: Coussin. Paris: Damien Foucault Imprimeur.
41- Riese, A. (1878). Geographi Latini Minores. S. L: Heilbronnae Apud Henningeros Fratre.
42- Saint Augustin. (1858). Lettres de Saint Augustin,Volume 1, (Trd: M. Poujoulat). Paris: Librairie Liturgique- Catholique.
43- Saint Ennoduis.(1906). Lettres, Tome I, Lib II, (Trd: L'Abbé S. Leglise). Paris: Alphonse Picard et Fils Editeurs.
44- Saint Jérome.(1824). Lettres Choisies, Tom II, (Trd: -----). Paris: Libraire Classique Elémentaire.
45- Saint Jérome.(1842). Mélanges, Tom III, (Trd: F. z. Callombet). Paris: Librairie Catholique De Frisse Freres.
46- Suétone. (1865). Les Douze Césars. Trd: De La Harpe Paris: Garnier Frères Libraires- Editeurs .
47- Strabon. (1880). Géographie, (Tom. III) Liv XVII, Trad: Amédé Tardieu . Paris: Libraire Hachette.
48 -Synésius. (1878). Oeuvre Completes, Trd: H. Druon. Paris: Librairie Hachette.
49 -Taciti,C. (1839). Annalium, Neapoli: ex Typographia Simoniana

50- Taciti,C. (1858). Historiarum Libri, Leipzig: Druck Und Velag Von B.G. Teubner
51- Vyver, A. v. (1931, Avril). Cassiodore et Son Œuvre. Speculum , n°2.pp. 244-292.
52- Victor, A. (1846). Origine du peuple romain: Hommes illustres de la ville de Rome, Histoire des Césars Vies des Empereurs Romains, Trd: M. N. A. Dubios, Paris: C.L.F. Panckoucke Editeur.
53- Zehnacke, H., & Fredouille, J.-C. (2013). Littérature latine. Paris: Presses Universitaires de France.


الخاتمـــــــــــة

بعد هذه الدراسة التي تهتم بتحليل ونقد الكتابات الرومانية المتعلقة بتاريخ البلاد المغاربية في الفترة الممتدة ما بين تأسيس قرطاجة 814 ق.م ونهاية الاحتلال الروماني للمنطقة 429م نخلص إلى النتائج الآتية:

I- النتائج المتعلقة بمعيار تطور الكتابة الأدبية لدى الرومان: شهدت روما اهتمام الأوائل بتاريخ المنطقة المغاربية، في فترة كان الأدب اللاتيني يقدم في قالب شعري شفوي وليس في شكله الكتابي، فلم تصمد هذه الأعمال أمام الزمن، ولم يبق منها سوى ما تناقلته المصادر في شكل اقتباسات، وهذه الفترة هي الفترة من أوائل الحكم الجمهوري إلى أواخر القرن الثالث، حيث لم تكن الكتابة واحدة من مهارات الرومان، وهي الفترة التي لاتزال روما لم تحتك بالعالم القديم ولم تطأ سواحل البحر الأبيض المتوسط.

ثم الفترة التي شهدت فيها الحياة الفكرية والثقافية في روما تطورا كبيرا في العصر الشيشروني نسبة إلى شيشرون الأديب والقانوني الذي ذاع صيت خطبه وثرائها بكل أصناف الأدب، حيث جاءت أحداث بلاد المغرب في خطبه ومناظراته في شكل إشارات وأمثلة للاستدلال بها في شرح وتفسير القانون، والأوضاع السياسية في روما، أما سالوستي العسكري والسياسي الذي ارتبط اسمه بقضايا الفساد الروماني، تعامل مع تاريخ نوميديا وشخصية المقاوم يوغرطة كتابع للجمهورية الرومانية، أسقط عليه كل الصفات والنعوت التي كانت سائدة في الطبقة الأرستقراطية الرومانية.

أما في العصر الإمبراطوري ظهر غرض جديد للكتابة الأدبية يعنى بإبراز مكانة الإمبراطور ودوره في إعادة بناء روما الجديدة، حشد الكتّاب والشعراء في البلاط، للكتابة وفق ما يراه مناسبا، تحكم في خطوط ومنهج الكثير من المقربين منه مثل: فرجيلوس، وليفي وطروغوس بومبيوس، كما يظهر تاريخ بلاد المغرب القديم خاصة قرطاجة في مقدمة الأعمال الأدبية، وقد تميزت الأحداث بالثراء والتنوع النسبي مقارنة بما سبقها من الأعمال، فاهتم فرجيلوس باللون الشعري الملحمي الذي يمتد من فرار إنياس الجد الأسطوري للرومان من طروادة المدينة الاغريقية المنهارة تحت ولقائه بعليسا ملكة مؤسسة قرطاجة، يصور العلاقات بين روما وقرطاجة في قالب رمزي يمتزج فيه التاريخ بالخيال الأدبي.

في حين كتب ليفي تاريخ الرومان من عصر الملكية وحتى نهاية العصر الجمهوري مهتما بتاريخ الحروب الرومانية التي خاضتها داخل ايطاليا وخارجها، مركزا على الحروب

الرومانية القرطاجية، كما أشار للممالك المحلية وملوكها النوميديتين وموريطانيا، أما طروغوس بومبيوس فقد اعتنى بتاريخ الممالك والإمبراطوريات قبل أن تهيمن روما على العالم، مسلطا الضوء على العلاقات القرطاجية الخارجية بينها وبين صور، وبينها وبين الإغريق، وكذا أيضا علاقتها بالجوار النوميدي، وابراز الطرف البوني جناحا يسعى إلى التوسع العسكري.

ثم يشهد مسار الكتابة ذات السمة التاريخية الرومانية فتورا في الفترة الممتدة ما بين منتصف القرن الأول وحتى أواخر القرن الثاني، حيث تعد فترة السلام الروماني في عاصمة الإمبراطورية والمقاطعات، وقد افتقرت الحياة السياسية والعسكرية الرومانية إلى الأحداث المحفزة للكتابة التاريخية والملحمية، فحاول تاكيتوس العودة بالكتابة التاريخية إلى فترات سابقة من الحماسة، كانت ثورة تاكفريناس 17-24 م، أهم الأحداث التي صاغها هذا الكاتب.

وبحلول القرن الثالث وانتشار المسيحية وبداية الكتابة الدينية التي أصبحت العنصر المسيطر على الكتابة الدنيوية، لم يعد الاهتمام بالكتابة الأدبية والتاريخية أمر من إهتمام الأباطرة أو رجال الدولة، أو حتى العامة التي تستهويها الكتابة، وكل ما تم تأليفه في هذه الفترة لا يرقى سوى أن يكون ملخصات وإقتباسات للكتاب السابقين مثل بوليب، وليفي وغيرهم.

II- النتائج ذات الصلة بذاتية الرومان ونفسية الكتّاب: بصفة عامة ينظر الرومان إلى باقي شعوب العالم القديم بنظرة الاستعلاء، وقد وصفوا الشعوب الأجنبية عنهم بالبربرية الخارجة عن دائرة الحضارة، حيث لا تتساوى هذه الشعوب مع الرومان لا في الحقوق ولا في الواجبات ولا حتى على المستوى الإنساني، كما وصفوا القرطاجي بالكاذب والمخادع، والنوميدي بالطائش الذي تحكمه غرائزه، والموري بالخائن والمنافق، وهو ما يجعل حكمهم على الأحداث والشخصيات والمنطقة المغاربية بعيدا عن ما تقتضيه الموضوعية.

وبالمقابل لا يمكن تجاهل تأثير البيئة السياسية والعسكرية على أحكام الكتاب الرومان حيث أسقط سالوستي الواقع السياسي والعسكري الذي تعيشه روما في عصره على شخصية يوغرطة ومملكة نوميديا، وكتب صاحب الحرب الإفريقية كتابه بعامل التقديس والتأليه لقيصر متجاهلا سواه من خصومه ومنافسيه، واعتبر أغسطس أوكتافيوس كتابة التاريخ الروماني شعرا ونثرا بمنظوره الخاص وفق مشروعه الدعائي هو حق إلهى لا يمكن الاعتراض عليه.

ناهيك عن الحالة النفسية والشعورية التي يعيشها الكتاب، فسالوستي الذي يحمل مشاعر التذمر من الأرستقرطية الرومانية اعتقادا منه أنها لم تعترف به واحدا منها بسبب أصله الوضيع، وبلغ به الأمر إلى الكراهية والإنتقام منهم بحبك المؤامرات ضدهم، والتشهير بهم في أعماله، وهو ما جعله مقصرا في سرد الأحداث المتعلقة بحرب يوغرطة مركزا على الشخصيات الرومانية التي تمثل الأحزاب المتصارعة في روما.

ضف إلى ذلك الأمراض النفسية والعصبية التي قد يتعرض لها الأدباء والتي تحول مسار أعمالهم من أتجاه نحو إتجاه آخر، هي الحالة المرضية التي مر بها سيليوس ايطاليكوس الذي أصابه مرض عصبي ثم لزمه اكتئاب حاد جعله ينهي عمله باكرا قبل أوانه، مختصرا الكثير من الأحداث، ليجعل حدا لحياته بالانتحار.

III – النتائج المرتبطة بتاريخ بلاد المغرب من خلال المصادر الرومانية:

لم يهتم الرومان بجغرافية بلاد المغرب القديم اهتماما حقيقيا، حيث ورد الكثير من الخلط والتداخل في ترسيم الحدود لدى بليني بين ما كانت عليه زمن الممالك، وما أصبحت عليه في فترة الاحتلال الروماني، فورد الخلط في تحديد مواقع الشعوب والمدن المغاربية، وذلك بسبب افتقار الجغرافيا الرومانية الى خريطة معاصرة للأحداث التي تمر بها المنطقة المغاربية.

وعلى الرغم من الاهتمام بالتاريخ القرطاجي، لكن الرومان لم يعنوا بتاريخ التأسيس بقدر ما اهتموا بالمؤسس والأدوار التاريخية التي لعبتها قرطاجة في الصراعات المتوسطية بادئ الأمر مع الإغريق ثم الرومان، ورغم الاقتباس من الأدبيات الإغريقية إلا أنهم تجاهلوا مرحلة التأسيس، وانصب الاهتمام على سير الشخصيات، سواء الشخصية المؤسسة أو الشخصيات النسائية صافونبعل أو قادة الحروب مثل هاميلكار، حنبعل وصدربعل، بالإضافة إلى الشخصيات النوميدية ماسينيسا وسيفاكس، وعملوا على تشويه صورة هؤلاء لتلميع الشخصية الرومانية، ومن جهة أخرى إبراز القوة العسكرية الذي مكن روما من التفوق على قرطاجة، لكن وعلى الرغم من ذلك و من خلال سير الزعامات السياسية للمنطقة المغاربية، يمكن التعرف على جانب من الفكر العسكري والسياسي والمشاريع الوحدوية التي تبناها القادة المغاربة والتي من شأنها الحفاظ على سيادة الكيانات السياسية في المنطقة.

وقد أثرت الكتابات الأدبية اللاتينية وشخصياتها المغاربية في الأدب المعاصر، حيث ألهمت الشخصيات النسائية أدباء عصر النهضة الأوروبية للإقتباس والكتابة على شاكلة الأدب اللاتيني واستحضار شخصياته النسائية، التي أصبحت أنموذجا تقتدي به المرأة الأوروبية.

أما من ناحية ظهور الأفكار السياسية والأيدولوجية، فتعود نشأة جذور الدبيلوماسية والقانون الدولي على الرغم من عدم اعتراف العالم اليوم إلى الجهود القرطاجية والنوميدية التي زرعت بذور سياسة التكتل والوحدة النوميدية وأولوية السلام عن الحرب، في حين جاءت الأفكار الأيدولوجية والتمييز العنصري من منشأ روماني يرفض الاندماج مع غيره من الشعوب الأجنبية التي يراها أقل شأن منه.

وهو ما يفهم من المصادر الرومانية والقانون الروماني المنظم لعلاقات الصداقة والتحالف بين الرومان وباقي الشعوب، أن مجلس الشيوخ اعتبر الملوك والشعوب المتحالفة معهم ممالكا أقل شأنا منهم لا تعلو سلطتها بل لا تتساوى مع الرومان، مثل ما هو الحال بالنسبة لمملكة نوميديا، لكن الواقع التاريخي لا يمنح روما منزلة المهيمن، حيث لا تزال قوتها عاجزة عن إخضاع نوميديا، وتطلب سقوطها في يد الرومان جهدا ووقتا طويلا.

لقد مرت العلاقات النوميدية الرومانية بعدة أدوار، حيث شهدت عهدا من التحالف والصداقة في عهد ماسينيسا، ثم التبعية في عهد مكيبسا من خلال الاستجابة لاقتراحات سكيبون، ثم التدخل السافر في عهد يوغرطة، مما جعل المواجهة حتمية بين هذا الأخير والرومان، والتي كان من نتائجها فقدان الاستقلالية التامة لنوميديا، وتقسيمها بين حلفاء روما وطيلة القرن الأول قبل الميلاد، ارتبطت الحياة السياسية ببلاد المغرب القديم بما يحدث في روما، وقد أثرت أزمات الجمهورية الرومانية في مسار البلاد المغاربية، أقحمت في العديد من الحروب التي كانت أسبابها رومانية، ومن اشد الحروب تأثيرا على نوميديا هي حرب قيصر ضد بومبي، التي كان أخطر نتائجها إخضاع نوميديا تحت الاحتلال الروماني.

من سلبيات النصوص الأدبية الرومانية شح المادة الخبرية في العصر الإمبراطوري حيث لا تكاد تعطي شيئا حول الوضع السياسي وتنظيم المقاطعات، يفتخر الرومان بعصر السلام الذي منحته الإمبراطورية للعالم الروماني والعالم القديم بصفة عامة، لكن هذا لم يمنع المغاربة من الثورة ضد الهيمنة الرومانية، وقد حاول الكتاب الرومان التقليل من حجمها، مثل ثورة

الجيتول، الجرامنت، وتاكفريناس، لكن ذكرها في الكتابات الأدبية إلا دليل على مدى تأثيرها في استقرار المقاطعات.

كما زاد الاهتمام بالجانب الاقتصادي للمنطقة التي تعتبر سلة الغذاء لعاصمة الإمبراطورية، يبرر المعاصرين تزايد الكتابة بهذا الشأن لتطور الكتابة الأدبية وظهور الأسلوب العلمي والكتابة التي تهتم بالعلوم المختلفة كالاقتصاد والصيدلة والطب، لكن المسألة ليست علمية محضة بقدر ما هي توفر الوثائق الأرشيفية المتعلقة بالجانب الاقتصادي من سجلات الضرائب، تعداد السفن والحمولات التي تجلبها الى عاصمة الإمبراطورية، وإحصائيات رؤوس الحيوانات، وجرد مخازن الحبوب وغير ذلك من الإجراءات الخاصة بتوفير الغذاء والترفيه للشعب الروماني، فلو كان تطورا حقيقيا للكتابة العلمية، لتطورت الجغرافية الرومانية بدورها التي ظلت حتى القرن الثالث لا تمتلك خريطة للعالم الذي تشد قبضتها عليه.

قائمة المصادر والمراجع

I-المصادر:

1-العربية:

1-أوفيد. (1992). *مسخ الكائنات.تر: ثروت عكاشة:* القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

2-بطليموس، كلاوديوس. (2002). *وصف ليبيا (قارة افريقيا) ومصر* (تر: محمد المبروك الذويب). بنغازي: دار الكتب الوطنية.

3-ساليستيوس. (د.ت). *من مصادر التاريخ القديم (الحرب اليوغرطية، الحرب ضد يوغرطة)*، تر: محمد البروك الذويب. بنغازي: منشورات جامعة بنغازي.

4 -العهد القديم. موقع الأنبا تكلاهيمانوت القبطي الأرثوذكسي (تراث الكنيسة القبطية الأرثوذكسيةالمصرية). https://sttakla.org/Bibles/BibleSearch/indexes/ot-chapters.html ، تم الإطلاع في 11-12-2020.

5-هوميروس. (2013). *الأوديسة، (تر: دريني خشبة)*. لبنان: التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.

2- اللاتينية:

1-Anonimo. (1903). Expositio totius mundi et gentium, Studio Giacomo Lumproso. Roma: Tipografia Dela R. Accademia Dei Lincei.

2-Caesar, J. (1886). Commentarii de bello civili. Lipsiae: In Aedibtjs B. G. Teubneel.

3-Cicéro, M, T. (1823). De République, Lib II. Bostoniae: Everett.

Cicéronis. (1834). Officiis, Lib II. Paris :Firmin Didot Frères, Fils Libraires.

4- Ciceronis, M, t. (1840) epistolarum ad Atticum, libri XVI, Lib XI. Cambridge: W. P. Grant.

5- Ciceronis, M, t.(1864).Tusculanarum Disputationum libri quinque. Lipsiae: Otto Hltze.

6- Cicéronis, M, T.(1783). Opera, cum indicibus et variis lectionibus, Oratio De Lege Agraria. Oxoniae: E Typographeo Clarendoniano.

7-Ciceronis, M. T. (1918). Orationes: Divinatio in Q. Caecilium. In C. Verrem, Lib II. Oxonii: E. Typographeo Clarendoniano.

8- Cicéronis; M. T. (1995). In P. Vatinum Testem Interrogatio Oratio.Boston: B. G. Teubner.
9- César,J.(1905).Bellum Africanum. Berlin: Weidmannsche Buchhandlung
10- Commentaria in C. Iulii Solini Polyhistora, et Lucii Flori de Romanorum rebus gestis.(1757). Basileae [Basel]:Per Henrichum Petri. Cum Caesareae maiestatis gratia & priuilegio.
11- Digesta vetus, seu pandectae iuris civilis,.(1606). Ventiis: Apud Luncas.
12- Italici,S. (1890). Punica, Vol Prius, Lib I- X. Lipsiae: in Aedibus B.G. Teubneri.
13-Justini.(1830).Historiae philippicae. Lipsiae: Apu C.HP. Hartmannum.
14- Livi,T. (1829). Ab Urbe Condita (Libri VI-X) Lib VII, IX. Oxonii: E Typographeo Clarendoniano .
15- Livi, T. (1860). Ab urbe condita (Lib XXI- XXX). Lib XXI, XXIII, XXIV,XXVIII, XXVIV, XXX. Lipsiae: Ex Officina Bernhardi Tauchnitz.
16 -Livi, T. (1873). Ab urbe condita, Lib XXXI- XXXVIII. Lipsiae: Umptibus Et Typis B. G. Teubneri.
17-Livi, Titi. (1875). Ab Urbe Condita, Lib I. Leipzig: Druck Und Verlag Von B. G Teubner.
18 -Livi, T. (1877). Ab urbe condita, (Lib XXXIX- XLXV Et Epitom Lib XLVI-CXI) . Lipsiae: Umptibus Et Typis B. G. Teubneri.
19-Livii,T.(1883).Ab Urba Condita, Lib XXIII. Berolini: Apud Weidmannos.
20- Livi, T. (1893). Ab urbe condita. Boston: Allyn and Bacon.
21- Livi, T. (1919). Ab Urbe Condita, T II, Libri VI-X. Oxonii: E Typographeo Clarendoniano .
22- Livi, T. (1897). Ab urbe condita (Lib 1- XXI-XXII). Boston: Allvn And Bacon.
23- Maximi, V.(1888). Factorum et dictorum memorabilium libri novem. Lipsiae: In Aedbus. B.G. Teubneri.
24- Orosii,P.(1738).Adversus paganos historiarum. Lib IV .Lugduni Batavorum: Gerar Dumpotvliet.
25- Paterculi, C. V. (1829). Historiae Romanae libri duo, notis adiectis. Lipsiae: Sumptibus Et Typis Car. Tauchnitil.
26-Plinii,C, S.(183**2**). Historae Naturalisa (Lib VII- XXVIII). Leipsig: Umptibus Et Typis B. G. Teubneri.

27-Plini, S. (1851). Naturalis Historiae, (Lib I- V). Lugduni: Cesar et Maiest Christiani Regis Galliarum.
28-Plini, S. (1882). Naturalis Historiae (XVI- XXII), Lib XXI. Lepsiae: In Aedibus B. G. Teubneri.
29- Plini, S. (1883). Naturalis Historiae, Lib XIV-XX. Londuni: Curante et Imprimente Aj Valpu A. M.
30- Plini, S. (1884). Naturalis Historiae, Lib XXIV- XXVII. Biponti: Extypographia Societatis.
31- Sallusti, C, C. (1971). de Bello Jugurthino liber. Campridge: At The Univesity Press .
32-Vergili, M. (1886). ænied. Lipsiae, B. Tavehnitz.
33- Taciti,C. (1839). Annalium, Neapoli: ex Typographia Simoniana.
34- Taciti,C. (1858). Historiarum Libri, Leipzig: Druck Und Velag Von B.G. Teubner.
35- Quintus, C, R. (1696). Alexandri Magni. Lugduni Batavorvm : Excudit Petrus vander Aa, bibliop.

3- الإنجليزية:

1-Diodorus of Sicily. (1947). The Library of History, , XIX. London: William Heinmann Ltd.
2-Homér. (1912). The Odyssey, (Rev: W. Lucas Collins). London: William Blackwood And Sons.
3-Orace.(2017). Odes, (Trs: N. Translator), BK II, Cambridge: Cambridge University Press

4- الفرنسية:

1- Ammien, M. (1849). Jornandés, Liv XIX. Trd: M. Nisard, Paris: Libraire Firmin Didot
2-Appien D'Alexandrin. (1559).Guerres des Romains, (Trad: Claude de Seyssel). Paris: Esloy Gybier à Orleans.
3- Appien.(1808).Des Guerres Civiles De La Repéplique Romain,Tome I, II, III, Liv. Ibrique, (Trd: J.J. Combe-Dounous). Paris: L'Impremerie des Freres Mame.
4-Apulée. (1837). Apologie. Anexómenos. Fragments, Tom IV, (Trd: M. V. Betolaud). Paris: C. L. F. Panckoucke.
XXVI), (Trad: M. Ferd Hoefer). Paris: Adolphe Delahays Libraire.
5-Cicéron.(1864). Lettres Familieres, Tome V, Lib XVI, (Trd: M. Nisard). Paris: Frmin Didot Fréres Libraires- Imprimmerie.
6-Cicéron.(1869). Œuvre Completes, Tom V, Ad Quintum, (Trd: M. Nisard). Paris: Firmin Didot Frères et Fils Libraires.

7- Cassius, D. (1845). Histoire Romain, Tom I, Frag I- C, (Trd: E. Gros). Paris: Frmin Didot Libraire.
8-Cassius, D. (1866). Histoire Romain, (TVIII), Liv LIV; LX; Trd: E. Gros. Paris: Libraire de Firmin Hachette Frères.
9-Cassius, D. (1866). Histoire Romain, (T. X), Liv LXXIX, Trd: E. Gros. Paris: Libraire de Firmin Hachette Frères
10-Casius, D. (1868). Histoire Romain.Tom IV, Liv XLII, (Trd: E. Gros). Paris: Libraire Frmin Didot.
11-Claudien. (1830). Œuvres complètes Volume 1, Trd: M. M. Heguin de Guerle. Paris: C. L. F . Panckoucke Editeur.
12- Collection des Auteures Latins. (1869). Ammien Marcellin, Jornandès, Frontin, Végéce, Modestus,(Trd: M. Nisard). Paris: Firmin Didot Frères et Fils.
13- Diodore de Sicile. (1851). Bébiliothéque Historique,Tom II, Liv V-XIV, Liv XIII, (Trd: Ferd Hoefer). Paris: Adolphe Delahays, Libraire.
14-Diodore de Dicile. (1851). Bibliothèque historique, Tom III, Liv XV-
15- Diodore de Sicile. (1851). Bébiliothéque Historique,Tom IV, Liv XIX- Frgm XL, (Trd: Ferd Hoefer). Paris: Charpentier Libraire-Editeur.
16-Doidore de Sicile. (1865). Bibliothéque Historique. Tome III, Frgmnt XXXVI, (Trd: Ferd Hoefer . Paris: Libraire Hachette.
17- Diodore de Sicile.(1868). Bibliothéque Historique, Tome I, Liv III, (Trd: Ferd Hoefer). Paris:Libraire Hachette.
18 -dion chrysostome.(2006). Disccour, (Trad: Cécile Bost Pouderon). Paris:Hellos
19-Donys de Halicarnasse**.**(1723). L'Antiquités Romaines, Tom I. Paris: Phelippe-Nicollas Librairie.
20- Italicus, S. (1881). Les Puniques. (T III) Lib XVII, Trad: Lefebvre De Villebrune. Paris: Approbation et Privilége.
21- Eutrope. (1865). Abrégé De L'Histoire Romain, (Trd: N. A Dubois).Paris: Garnier Freres Libraires- editeurs.
22-Hérodote. (1858). Histoire. Liv IV, (Trad: Larcher). Paris: Charpentier Libraire-Editeur.
23-Josèphe, F. (1833). Oeuvres complètes, Contre Apion, (Trad: Théodore Reinach et Autres). Paris: Publications de la Société des études juives.

24-Horace. (S.D). Odes, Liv IV, Belgique: Itinera Electronica http://agoraclass.fltr.ucl.ac.be/concordances/horace_OdesIV/texte.htm.
25- Les agronomes latins: Caton, Varron, Columelle, Palladius. Collumelle, De L'Agriculture. (1864). (Trd: M. Nisard). Paris: Firmin Didot Libraire.
26- Martial, M. V. (1835). Epigrammes. Paris: C. L.F. Panckoucke.
27-Lucain, M. A. (1836). Pharsal, Lib V, (Trad: M. J.J . Courtaud-Divernéresse). Paris: C. L. F. Panckoucke.
28-Lucien de Samosate. (1912). Toxaris ou L'Amitie. Trad:Augéne Talbot Paris: Edition Hachette.
29-Mela, P. (1843). Géographie, Trad: Louis Boudet. Paris: C.L.F Panckoucke Editeur.
30-Ovide. (1875). Les héroides: Le remède d'amour. Les pontiques. Petits poemes, Trd: V.H. Chappuyzi et Autres . Paris: Garnier Freres Libraire -Editeur.
31- Ovide. (1884). Des Fastes, T II, Lib III. Paris: Boucher Le Jeune Libraire.
32-Pausanias. (1731, Liv X, Ch XVII). Voyage Historique de La Grece. Paris: Didot.
33-Pline L'Ancien. (1848). Histoire Naturelle, (T 1), Trd: E. Litré. Paris: J.J. Dubochet, Le Chevalier et Comp, Editeurs.
31-Pline L'Ancien. (1829). Histoire Naturelle, Tome 1, II. (Trd: Ajasson de Grandesagne). Paris: C.L.F. Panckoucke.
34-Pline Le Jeune.(1809). Les Lettres, (T I), Trad: M. De Sacya. Paris: Chez L. Duprat – Duverger.
35-Pline L'Ancien. (S.d). Histoire Naturelle, Trd: Ajason De Grandsagne. Paris: C. L. F. Panckoucke Editeur
36-Philostorge.(1676). Histoire De L' Eglise, Trd: Coussin, Paris: Boutique de Pierre Rocoler.
37-Polybe. (1847). Histoire Générale, Tome I, IV,(Trad: Félix Bouchot) . Paris: Charpentier Liberaire-Editeur.
38-Polybe. (1856). Histoire Générale, T IV Liv XXVIII, (Trd: Félix Bouchot). Paris: Charpentier Libraire- Efiteur.
39-Plutarque. (1845) Vie Des Hommes Illustres, Tome II, (Trd: Alexis Pierron). Paris: Charpentier, Liberaire- Editeur.
40-Plutarque. (1853). Les Vies de les Hommes Illustres, Tome III, (Trad: Alixice Pieron) . Paris: Charpenter Libraire-Editeur.
41- procope de césarée. (1852). Histoire des Vandales, Trd: Dureau de La malle. Paris: Libraire de Frmin Didot Freres.

42- procope de césarée. (1856). Histoire de Constantinople (T II), Trd: Coussin. Paris: Damien Foucault Imprimeur.
44-Saint Augustin. (1858). Lettres de Saint Augustin,Volume 1, (Trd: M. Poujoulat). Paris: Librairie Liturgique- Catholique.
43-Saint Ennoduis.(1906). Lettres, Tome I, Lib II, (Trd: L'Abbé S. Leglise). Paris: Alphonse Picard et Fils Editeurs.
44-Saint Jérome.(1824). Lettres Choisies, Tom II, (Trd: -----). Paris: Libraire Classique Elémentaire.
45-Saint Jérome.(1842). Mélanges, Tom III, (Trd: F. z. Callombet). Paris: Librairie Catholique De Frisse Freres.
46-Strabon. (1880). Géographie, (Tom. III) Liv XVII, Trad: Amédé Tardieu. Paris: Libraire Hachette.
47-Strabon. (1805). Géographie, (Tom. I) Liv III. Paris: l'Imperimerie Impériale.
48- Synésius. (1878). Oeuvre Completes, Trd: H. Druon. Paris: Librairie Hachette.
49-Tite-Live, (1864), Histoire Romain, Tom I, Introduction, (Trd: M. Nisard). Paris: Frmin Didot
50-Thucydide. (1852). Histoire de la guerre du Peloponnese. Liv VI, (Trd: Jean Violquin). Paris: Charpentier, Libbraire-Editeur .
51-Victor, S. A. (1846). Origines du peuple romain, (Trd: M. N. A). Dubois. Paris: C.L.F. Panckoucke.
52-Vitruve. (1847). De l'architecture,(Trd: M. Ch.-L. Maufras). Paris: C. L. F. Panckoucke.
53-Zonaras. (1886). Hisroire Romain, (Trd: Coussin). Paris: Veuve de Damisn Faucoult Imprimeur.

II-المراجع:

1- العربية:

1- الأحمد سامي سعيد. (د.ت). *تاريخ الرومان*. بغداد: جامعة بغداد.
2- أبو المحاسن عصفور، محمد. (1981). المدن الفينيقية. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
3- أعشي، مصطفى. (2009). *أحاديث هيرودوت عن اللبيين الأمازيغ*. الرباط: المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.
4- أغطيس، مصطفى.(1991). *تمودة. تطوان*: جامعة عبد الملك السعدي.

5- أيوب، محمد سليمان. (1969). *جرمة من تاريخ الحضارة الليبية. طرابلس*: دار المصراتي للنشر.

6-بارنز، هاري المر. (1945). تاريخ الكتابة التاريخية، ج2، تر: محمد عبد الرحمن برج. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

7- بازامة، محمد مصطفى. (د. ت). *ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية*. بنغازي: منشورات مكتبة قورينا.

8- بن محمد الساسي العوامر، ابراهيم. (2007). *الصروف في تاريخ الصّحراء وسوف، تع: الجيلاني بن ابراهيم العوامر*. الجزائر: ثالة للطباعة.

9- برونية، الشاذلي و الطاهر ،محمد. (1999). *قرطاج البونية تاريخ وحضارة*. تونس: مركز النشر الجامعي.

10- بشاري، محمد الحبيب (2015). روما وزراعة المقاطعات الإفريقية بين 146 ق.م-285م. قسنطينة: دار الهدى.

11-تشايلد، جود. (1999). دراسات ليبية، (تر: عبد الحفيظ الميار، أحمد اليازوري). طرابلس: مركز جهاد الليبيين.

10- الحميرى، عبد الله بن عبد المنعم. (1974). الروض المعطار في خبر الأقطار. لبنان: مكتبة لبنان.

12- حارش محمد الهادي. (2014). التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الإسلامي. الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.

13- حارش محمد الهادي. (2014). التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء مسينيسا العرش الى وفاة يوبا الأول 203-46 ق.م. الجزائر: هومة للتشر والتوزيع.

14- الحلاق بطرس. (2020). الإعلام والحرب النفسية. د.م: منشورات الجامعة الإفتراضية السورية.

15- جراية، محمد رشدي.(2017).*حضارات بلاد المغرب خلال العصر الحجري القديم*. الجزائر: دار هومة للطبعاعة والنشر والتوزيع.

16- حمود، ماجدة. (2013). إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب.

17- خشيم، علي فهمي. (1975). *نصوص ليبية*. طرابلس: مكتبة الفكر.

18- الدباغ مصطفى. (1998). المرجع في الحرب النفسية. عمان: دار الفارس للنشر والتوزيع.

19- الدلال، سعد صالح عوض. (د. ت). *المجتمع الروماني في قوريني 96ق.م- 284 م*. بنها: كلية الآداب والآثار جامعة بنها.

20 - د. ادزارد، م.هـ. بوب، ف.رولينغ. (د.ت). قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين (السومرية والبابلية)، في الحضارة السورية (الأوغاريتية والفينيقية). بيروت: دار الشرق العربي .

21- دوكريه، فرونسوا. (1996). قرطاجة أو امبراطورية البحر. سوريا: الأهالي للطباعة والنشر.

22- الزغلول، عماد عبد الرحيم. (2008). علم النفس العسكري. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

23- سحنوني، محمد. (1999). *ما قبل التاريخ*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

24- السعدني، محمود ابراهيم. (2008). *تاريخ وحضارة اليونان -دراسة تاريخية أثرية-*. القاهرة: الدار الدولية للاستثمارات الثقافية.

26- سعد الله محمد على. (1988). الدور السياسي للملكات في مصر القديمة. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع.

27-سلامة، عمران رجب.(د.س). الفكر العسكري الروماني بين الدفاع والهجوم والتوسع والاستعمار حتى نهاية العصر الجمهوري 509- 31 ق.م. القاهرة: مكتبة الثقافة.

28- شفيق، محمد. (د. ت). حفريات في اللغة قد تفيد المؤرخ. د. م: منشورات توالات .

29- شنيتي محمد البشير. (1985). *الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146- 40م)*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

30- صالح، أحمد. (2000). *التحنيط (فلسفة الخلود في مصر القديمة)*. مصر، القاهرة: جماعة حورس الثقافية.

31- عتمان أحمد. (1989). *الأدب اللاتيني ودوره الحضاري*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

32- العقون، محمد العربي. (2008). الإقتصاد والمجتمع. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

33- عبد الحكيم، محمد صبحي عبد الحكيم والليثي، ماهر عبد الحميد. (1996). علم الخرائط. القاهرة: مكتبة الأنجلومصرية.

34-عقون، العربي. (2019). من التاريخ البلدي للجزائر القديمة خلال العهد الامبراطوري الأول – الكنفدرالية السيرتية-. قسنطينة: منشورات نوميديا.

35- غانم، محمد الصغير. (2005). مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم. عين مليلة: دار الهدى للنشر والطباعة والتوزيع.

36- غانم، محمد الصغير. (2003). معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر. قسنطينة: دار الهدى.

37- غانم، محمد الصغير. (2003). *مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم*. قسنطينة: دار الهدى.

38- غانم، محمد الصغير غانم. (2003). *التوسع الفينيقي في غربي المتوسط*. قسنطينة: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

39-غانم، محمد الصغير. (2006). المملكة النوميدية والحضارة البونية. عين مليلة: دار الهدى للنشر.

40- غانم محمد الصغير. (2010). مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم (ج1). قسنطينة: دار الهدى للنشر والتوزيع.

41- غنيمي هلال، محمد. (2008). الأدب المقارن. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

42- الفرجاوي أحمد. (1993). بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة. تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب.

43- فرحاتي، فتيحة. (2007). *نوميديا من حكم الملك غايا الى بداية الإحتلال الروماني – الحياة السياسية والحضارية 213 – 46 ق.م*-. الجزائر: منشورات أبيك.

44- فنطر، محمد حسين. (د. ت). يوغرطة من ملوك شمال افريقيا وملوكها. تونس: الدار التونسية للنشر والتوزيع.

45- كامب غابرييل. (2010). البربر ذاكرة وهوية، تر: عبد الرحيم حزل. الدار البيضاء: دار افريقيا الشرق.

46- كامبس، قابريال. (2009). في أصول بلاد البربر ماسينيسا وبداية التاريخ ، (تر: محمد العربي عقون) . الجزائر: المجلس الأعلى للغة العربية.

47- لزوانيلز، تشارلز. (1991). الجرمنتيون سكان جنوب ليبيا القادامى. طرابلس: دار الفرجاني.

48- محجوب، عبد المنعم. (2013). معجم تانيت. بيروت: دار الكتب العلمية .

49- محمد عبد الغني محمد السيد. (2000). نماذج من الكفاح الجزائري القديم ضد الهيمنة الرومانية. القاهرة: المكتب الجامعي الحديث.

50- مسرحي، جمال. (2015). المقاومة النوميدية للإحتلال الروماني من سيفاقس إلى تاكفريناس 203ق.م -24م. الجزائر: موفم للنشر.

51- ملحم، ابراهيم أحمد. (2008). قراءة الآخر. اربد: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.

52- الميار. (د. ت). التاريخ الليبي القديم. توالات.

53- النجدي، إيهاب. (2008). صورة الغرب في الشعر العربي الحديث. الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.

54- نصحي ابراهيم. (1973). تاريخ الرومان (133-44 ق.م) ج2. ليبيا: منشورات الجامعة الليبية.

55- يزبك قاسم. (1990). التاريخ ومنهج البحث التاريخي. بيروت: دار الفكر اللبناني.

2- الإنجليزية:

1-Bates, O. (1914). The Eastern Libyans An Essay. London: St Mrtin's Street.

2- Celestino, S, & Lopez-Ruis, C. (2016). Tartessos and The Phoenicians in Iberia. Oxford: University Press.

3- Gabriel, R. A. (2008). Scipio Africanus: Rome's Greatest General. Washington: Potomac Books.

4- Parker, J. (2001). Comparing Strategies of The 2D Punic War: Rome's Stragic Victory Over The Tactical/ Operational Genius, Hannibal Barca . Pennsylvania: U.S. Army War College, Carlisle Barracks.

5- Pomeroy, S. B. (1994). Goddesses, Whores, Wives And Slaves Women in Classical Antiquity. London: Pimlico An imprint of Random House.

3- الفرنسية:

1- Alexandropoulos, J. (2007). Les Monaies De L'Afrique Antique. Toulouse : Presses Univesitaires Du Midi.

2-Aron, R., Duroselle, J. (1962). Paix et guerre entre les nations: la théorie des relations internationales selon Raymond Aron. Paris: Fondation nationale des sciences politiques, centre d'études des relations internationales.

3- Bénabou, M. (2005). La résistance africaine à la romanisation. Paris: La Découverte Editeur.

4-Blin, A. (2020). Les grands capitaines D'Alexandre le Grand à Giápperrin. Paris: Perrin, un département de Place des Éditeurs.

5- Berrendonner, C. (2009). Les raisons du plus fort : La reconstruction par l'historiographie antique des liens entre la guerre de Pyrrhus et la première guerre punique. Pallas,79. pp. 249-266. https://doi.org/10.4000/pallas.14955.

6- Bonnechere, P. (2013). Victime Humaine et Absolue Perfection Dans La Mentalité Grecque. Dans R. G. Pierre Bonnechere, *Sacrifices Humains*. pp. 21-60. Liège: Presses universitaires de Liège.

7- Briand-Ponsart, C, & Hugoniot, C. (2005). L'Afrique romaine (De l'Atlantique à la Tripolitaine - 146 av. J.-C. - 533 ap. J.-C). Paris: Armand Colin Éditeur.

8-Brahmi, N. (2013). Volubilis, de la cité maurétanienne au municipe romain: ruptures et continuités religieuses. Hommes, Cultures et Paysages de L'Antiquité à La Période Moderne. Rennes: Presses universitaires de Rennes.

9-Ciprianiv, M., & Giovanni, A. (2007). Paestum: les temples et le musée. Firenze: Casa Editrice Bonechi.

10- Commelin, P. (1991). Mythomogie Grecque et Romaine. Paris: Clasique Garnier.

10-Cosme, P. (2021). L'armée romaine VIIIe s. av. J.-C. - Ve s. ap. J.-C. Paris: Armand Colin.

11- Delrieux, F., & Ferriès, M.-C. (2016). Portraits de femmes, profils de reines! Les femmes sur les monnaies provinciales romaines à la fin de la République et au début de l'Empire (43 av. J.-C. - 68 apr. J.-C. Grenoble : UGA Éditions.

12-Desange, J. (1962). Catalogue des Tribus Africaines De L'Antiquité Classique A L'Ouest Du Nil. Dakar: Publications De La Section D'Histoire.

13-Desange, J. (1980). Pline l’Ancien, Histoire naturelle, Livre V, 1-46. Commentaire. paris: les belles lettres.

14-De Saint Martin, V.(1863). Le nord de l'Afrique dans l'antiquité grecque et romaine: étude historique. Paris: Imprimerie Impériale.

15-Dupont, F. (2020). Histoire littéraire de Rome De Romulus à Ovide. Une culture de la traduction. Paris: Armand Colin.

16-Durban, F. (1845). Recueil Des Itinéraires Anciens (Comprenant L'Itinéraire D'Antonin, La table De Peutinger et Un Choix Des Périplrs Grecs. Paris: Impremerie Royale.

17-Fantar, M & Decret, F. (1981). L'Afrique de Nord Dans L'Antiquité -Des Origines Au V Siécle-. Paris: Payot.

18-Flandin, J. M. (S.d). *Le Songe Ou Le Coq*. Paris: Fernand Sorlot Edition.

19-Fauquier, M. (2020). Rome et Carthage 509- 29 av J.C. Paris: Armand Colin Editeur.

20-Cagnat, R. (1916). L'Annone d'Afrique. Mémoires de l'Institut national de France, pp. 247-277.

21- Chaliand, G., Mousset, S. (2002). L'héritage occidental. Paris:Odile Jacob.

22-Gaillard, J. (2017). Introduction à la littérature latine (Des origines au Haut-Empire). Paris: Armand Colin Éditeur.

23-Gertoux, G. (2015). *Jonah vs King of Nineveh: Chronological, Historical and Archaeological Evidence.* S.L: Lulu.com.

24-Gharbi, M. (2017). Le sacriice d’Hannibal dans le lac Averne ou la « descente aux enfers » d’un général : à propos d’un épisode de la seconde guerre punique. Guerre et religion dans le monde punique. Sousse: Laboratoire de recherche Histoire des Économies et des Sociétés méditerranéennes Université de Tunis.

25-Gsell, S. (1911). *Atlas Archéologie de L'Algerie.* L'Algerie: Adolph Jourdrdan Imprimeur Libraire- Editeur.

26-Gsell, S. (1911). *Le Climat De L'Afrique Du Nord Dans L'Antiquité.* Alger: Typographie Adolphe Jourdan Imprimeur-Libraire-Editeur.

27-Gsell, S. (1918). *Histoire Ancienne de L'Afrique de Nord (Tomes I, II, III,*. Paris: Librairie Hachette.

28-Gsell, S. (1927). Histoire Ancienne de L'Afrique du Nord Tome V. Paris: Librairie Hachette.

29-Gsell, S. (1828). Histoire Ancienne de L'Afrique du Nord, Tom VII. Paris: Libraire Hachette.

30-Humm, M.(2018). La République romaine et son empire(De 509 av. à 30 av. J.-C.). Paris: Armand Colin.
31- Inglebert, H. (2005). Le droit romain. Dans H. d. romaine, Hervé Inglebert (pp. 113-154). Paris: Presses Universitaires de France.
32- Jacob, C. (2021). Polybe. Dans : Jacques Brunschwig éd., Le savoir grec (pp. 852-860). Paris: Flammarion
33- Jacotot, M. (2013). Qustion D'Honneur(Les notions d'honos, honestum et honestas dans la République romaine antique). Rome: Publications de l'École française de Rome.
34- Jerphagnon, L. (2010). Histoire de la Rome antique. S. L: Libraire Arthéme Fayard Pmuriel.
35- Largeau, V. (1881). Le Sahara Algerien Les Déserts de L'Erg. Paris: Libraire Hachette.
36- Le Bohec, Y. L. (2017). Histoire des guerres romaines (Milieu du VIIIe siècle avant J.-C. – 410 après J.-C.). Paris: Tallandier Éditeur .
37- Mellah, F.(1987). Elissa La Reine Vagabonde.Paris: Edirion de Seuil.
38- Melliti, K. (2016). Carthage Histoire d'une métropole méditerranéenne. Paris: Edition Perrin
39- Muller,k. (1883). *Fragmenta historicorum graecorum*, Vol III, Parisiis: Editoribus Firmin- Didot et Sociis.
40 -Muller, C. (1885). *Fragmenta Historicorum Graecorum.* Parissis: Ed Amprosio Firmin Didot.
41- Mannert, K. (1842). Géographie ancienne des états Barbaresques. Paris: Librairie Encyclopédique de Roret.
42 -Modéran,y. (2003). Les Maures et L'Afrique Romaine (IVe - VIIe Siecle). Rome: Écoles françaises d'Athènes et de Rome. DOI : https://doi.org/10.4000/books.efr.1395.
43- Nony, D. (1997). La péninsule Ibérique. Rome et la conquête du monde méditerranéen (264-27 av. J.-C.), (T 2). Paris: Presses Universitaires de France.
44-Néraudau, J.-P. (1994). La littérature latine (L'époque républicaine). Paris: Hachette Education.
45- Noel, M.-P. (2014). Elissa, La Didon Grecque Dans La Mythologie et Dans L'Histoire. Les figures de Didon : de l'épopée antique au théâtre de la Renaissance, pp. 1-11 . Montpellier: lab. IRCL, Université Paul-Valéry Montpellier 3
46-Saint Beuve, C -A . (1857). Etude sur Virgile . Paris: Garnier Frères.
47-Schoell, M. (1825). Histoire de La Littérateure Grecque(T 8), (Ed 2). Paris: Libraire de Gide.

48-Vanotti, G. (2002). Storia, Mito E Rito Fondazione Di Carthagine. Mito y Ritual En El Antiguo Occidente Mediterraneo pp. 55- 71. Malaga: Servicio.

49-Viredaz, A. (2020). Fragmenta Saturnia Heroica. Berlin: Schwabe Verlag, Schwabe Verlagsgruppe AG, Basel, Schweiz

50-Zehmacher, H., & Fredouille, J. C. (2013). Littérature Latine. Paris: Presses Universitaires de France.

III-الدوريات:

أ- العربية:

1- الأحرش، عبد العزيز. (1999). بداية البحث الأثري في الجزائر -الفترة الإستعمارية- *مجلة آثار*، مج 4، ع 1، ص ص 65-84.

2- أزهار، هاشم شيت. (5، 7، 2021). عوامل قوة الجيش الاشوري. مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج5، ع1، الصفحات 45-72.

3- المغرب القديم. مجلة الإتحاد العام للأثريين العرب،ع9. ص ص 39-54.

4 - أنديشة أحمد. (2015). الإمبراطورية الرومانية والقمح الإفريقي، مجلة البحوث الأكاديمية، ع3، ص ص 435-453.

5- بوعزم، عبد القادر.(جويلية، 2013). *سيغا (Siga) تاكمبريت عاصمة الملك صيفاقس*. عصور، مج12، ع1. ص ص 30-12.

6- بولخراص حمادوش. (2015). نوميديا من ماسينيسا إلى يوغرطة. مجلة الحكمة للدراسات التاريخية . مج5، ع6، ص ص 47-63.

7 - بولخراص، حمادوش. (30 9، 2021). المقاومات الشعبية في موريطانيا وأثرها على الوجود الروماني. مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج 4، م 2، ص ص 71-82.

8-الحمصانى، ناهد عبد الحليم. (2016). مفهوم الرعاية الرومانيةPatrocinium وعلاقتها بإعلان حرية المدن اليونانية عام 196ق.م: "تبعية" clientelae أم "صداقة" amicitia . مجلة بحوث الشرق الأوسط. ع38. ص ص 161-214.

9- روبى مصدق. (2013). مدن موريطانيا القيصرية في أدبيات الإغريق والرومان. منبر التراث الأدبي، مج 1، ع1. ص ص 217-236.

10- ريغي، مراد. (9 ديسمبر، 2020). السفينة الحربية القرطاجية. المجلة الجزائرية التاريخية، مج4، ع2، ص ص 21-35.

11- قسيمية، محمد. (2021). ظروف تطور الدبلوماسية و القواعد المنظمة لها. مجلة الدراسات والبحوث القانونية. مج 6، ع 2. ص ص 269-282.

12- سرحان، أبوبكر. (2014). الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم (تونس- الجزائر- المغرب الأقصي) وموقف الممالك الأهليه منه. مجلة الشئون الأفريقية، مج2، ع. ص ص 1-19.

13- سلاطنية، عبد المالك. (2018). *التعمير البشري بمنطقة قالمة من خلال الشواهد الأثرية*. مجلة هيرودوت، مج2 ، ع3. ص ص 53-67.

14- سناني، إلهام. (2020). جدلية الأنا والآخر في بدايات الكتابة الروائية الجزائرية رواية مالا تذروه الرياح لعبد العالي عرعار ورواية المرفوضون لإبراهيم سعدي أنموذجا، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، مج 3، ع 1. ص ص 140-149.

15- شفيري، فتيحة. (2013). الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المعاصرة. مجلة الاداب واللغات، مج1، ع4، ص ص 144-162.

16- شنيتي، محمد البشير. (1 جوان، 1988). قضية السيادة النوميدية من خلال المصادر القديمة. مجلة الدراسات التاريخية. مج3، ع 2. ص ص 33-41.

17- السليماني، أحمد حسين. (1986). مدينة الله للقديس أوغسطين. حوليات جامعة الجزائر1، مج1، ع1. ص ص 253-260.

18 - العقون، أم الخير. (2005). إطلالة على الصلات بين مصر وشمال غرب افريقيا "في فجر التاريخ ومرحلة ما قبل الأسرات". دراسات في آثار الوطن العربي. مج8، ع8. ص ص 48-64. Dio: 10.21608/CGUAA.2005.39287.

19- العقيلي، فاطمة سالم عمر .(4، 2019). الصراع السياسي والعسكري بين الجرمنت سكان الصحراء الليبية والرومان من نهاية القرن األول ق م وحتى نهاية القرن الثاني الميلادي من خلال -المصادر الأدبية والمخلفات الأثرية. المجلة الأردنية الدولية، ع 1. ص ص 114-133.

20-عمران، عيد الحميد.(2015). مقاومة الإحتلال الروماني ثورة فيرموس سنة 372 م أنموذجا، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، مج6.ع 2. ص ص 124-137.

21- عمران عبد الحميد. (2017). يوغرطة في حربة ضد روما 112 – 104 ق.م. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. مج7، ع13. ص ص 353-370.

22- شارن شافية. (30 6، 2001). الرشوة عند الرومان من خلال كتاب حرب يوغرطة لصالوستيوس. دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 1،ع1، ص ص 363-.370

23- الشركسي محمد مصطفى. (1999). الغدامسيون هم فينيقيو الصحراء. مجلة البحوث التاريخية، مج 17، ع 1. ص ص 49-72.

24- الشريف أحمد الريفي الشريف. (2008). المعتقدات الدينية الفينيقية. مجلة جامعة سبها(العلوم الإنسانية)، مج 7، ع1. ص ص 18-24.

25 – مرغني، حيزوم بدر الدين. (8 جانفي، 2014). دور الأحلاف العسكرية حفظ الأمن اماعي الدو وفقا يثاق الأمم اتحدة . مجلة العلوم القانونية والسياسية، مج 5، ع 1. ص ص 91-104.

26 – منصوري، خديجة. (15، 4، 2008). *أصناف النساء في بلاد المغرب من خلال الآثار المادية والمصادر الأدبية. مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية*، مج 23، ع 1. ص ص 269-290.

27- مناصر كريم. (جانفي، 2020). الإستحكامات العسكرية الرومانية في موريطانيا الطنجية. مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مج2، ع 1. ص ص 25-37.

28- مهنتل، جهيدة. (2016). قبائل البوار في المغرب القديم على ضوء المصادر والنقوش اللاتينية. دراسات في آثار الوطن العربي. مج 19، ع 19. ص ص 427-441.

ب- الفرنسة :

1- Akar, P. (2002). Camille et la Concorde. Hypothèses, n°5, 205-215. https://doi.org/10.3917/hyp.011.0205.

2-André, P, & Robert, L.-V. (1912). Recherches archéologiques à Ammaedara (Haïdra). Mélanges d'archéologie et d'histoire, n° 32. pp. 69-229. DOI : https://doi.org/10.3406/mefr.1912.7068.

3- Amri,A.(2012).De Didon à Elissa: la réappropriation d'un mythe. Recherches & Travaux, n°81, pp. 65-74.

4- Aymard, A. (1957). Les deux premiers traités entre Rome et Carthage. Revue des Études Anciennes , Vol 59, n ° 3-4.pp. 277-293.

5- Baklouti, H. (1995). La conception de laguerre chez les Carthaginois. Les Cahiers De Tunisie, Tome XLVIII, N° 169-170, pp. 15-27.

6- Ben Romdhane, H. (2016). Afri et Bagani sur Deux Inscriptions de Thibicaae. Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik, n ° 199.pp. 300-305.

7- Benichou-Safar, H. (2002). Les Carthaginois sacrifiaient-ils vraiment leurs enfants ? Cahier des thèmes, Vol 2. pp. 247-249.

8-Bénabou, M. (1988). Les Trois Fidéltés du Bon Roi Juba. Le Genre humain, Vol 1-2, n° 16-17. pp. 201 - 214.

9-Bertrandy, F. (1987). Remarques sur le commerce des bêtes sauvages entre l'Afrique du Nord et l'Italie (IIe siècle avant J.-C., IVe siècle ap. J.-C.). Mélanges de l'École française de Rome. Antiquité, Vol 99, n ° 1. pp. 211-241.

10- Burgeon, C. (2016, Decembre). L'éléphant carthaginois dans les « Punica » de Silius Italicus :un symbole punique annonciateur de la victoire romaine. Consulté le 03 24, 2022, sur Extrait de lectronica Classica: http://bcs.fltr.ucl.ac.be/FE/32/TM32.html

11- Berrugger, A. (1866, Janvier). *Civitas Natabutum, Inscription Relevée a Omm Gurigche. Revue Africaine* , n °6. Pp.60-71.

12- Bonnet, C. (2011). Le destin féminin de Carthage. Pallas Revue D'Etudes Antiques, 85.pp. 19-29. https://doi.org/10.4000/pallas.3197.

13- Bourqui,C. (2022). Corneille, 1663: une Sophonisbe pour les dames, Études Épistémè, n° 42. mis en ligne le 15 décembre 2022, consulté le 20 Janvier 2023. doi: https://doi.org/10.4000/episteme.15888.

14- Camps, G. (1990). Autel. Encyclopédie berbère,n° 8 . pp. 1170-1175. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.151 .

15-Camps,G. (1991). Bavares (Babares- Bavares). encyclopédie Berbere, 9, p p. 1394-1399. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2552.

16- Camps, G. (1995). Djdai. Encyclopédie berbère, n°16. Pp.2422-2424.
17- Camps, G. (1995). Didon Elishat. Encyclopédie Berbére, 15.pp. 2310-2311. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2256.
18-Camps, G. (1998). Gauda. Encyclopédie Berbère, 21. pp.2995-2996. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.1854.
19-Camps, G.(1999). Glussa. Encyclopedie Berbére. N °21. pp. 3243-3245. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.1816.
20- Carcopino, j. (1919). L'insurrection de 253 d'après une inscription de Miliana récemment découverte. Revue Africaine, T LX, pp. 369-383.
21- Carcopino, J. (1953). Le Traité D'Hasderbal et La Responsabilité de La Deuxième Guerre Punique. Revue des Etudes Ancienne, 55,3-4. Pp.258- 293.
22- Choi, E. (2009). The Court, The Rule, And The Queen: The Faerie Queene As a Representation Of Elizabeth I . 영학논집, pp. 196-210.
23- Chron, M., Hugot, H., & Petit, N. (1974). Les Restes Humains de Meniet (Ahaggar). Bulletins et Mémoire de La Société D'Antherpologie, Serie XIII. (Vol2). Pp.293-311. https://doi.org/10.3406/bmsap.1974.2252
24- Claudine, A. (1992). Les Fétiaux, un collège religieux au service du droit sacré international ou de la politique extérieure romaine. Collection de l'Institut des Sciences et Techniques de l'Antiquité. n°463. pp. 1- 16.
25- Coltelloni-Trannoy, M. (2003). Juba. Encyclopédie berbère, n° 25. pp. 3914-3938. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.1520 .
26- Constans, A. (1914). Inscriptions de Gigthis (Tunisie) . Mélanges de l'école française de Rome ,n°34. pp.267-286.
27-Desanges, J. (1964). Les territoires gétules de Juba II. Revue des Études Anciennes, 66, n° 1-2. pp. 33-47. https://doi.org/10.3406/rea.1964.3713.
28- Desanges, J. (1989).Araraukeles ou Acrauceles. Encyclopédie berbère, n°6,pp. 850. DOI: https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2575
29- Desange, J. (1990). Autolatae / Autololes / Autoteles. Encyclopédie Berbère ,n° 8,pp. 1175-1176. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.154.
30- Desanges,J. (1998). Gamphasantes, Encyclopédie berbère, 19 , 2961-2962. DOI: https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.1987

31- Desange,J.(1998). Gétules. Encyclopédie berbère ,n° 20, 3063-3065. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.1910.
32- Desange, J. (2010). Masaesyli / Masaesyles. Encyclopédie berbère ,30, 4630-4631. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.478.
33- Deyrolle. (1909). Les Haouanets de Tinisie. Bulletins et Mémoires de La Société d'Antherpologie de Paris,Tome 10. pp. 155-170.
34- Dion, J. (2015, Mars). Auguste et Virgile: L'enigme du Culex. Acta Antiqua Academiae Scientiarum Hungaricae.n ° 55. pp.283-296.
35- Dubuisson, M. (1990). Caton et les Ligures : l'origine d'un stéréotype. Revue Belge de philologie, et Histoire. Vol 68, n° 1. pp. 74- 83.
36- Dussaud, R. (1946). Melqart. Syria. Archéologie Art et histoire, Tome 25 n°3-4, pp. 205-230. https://doi.org/10.3406/syria.1946.4467.
37- E.B.(1996). Edough. Encyclopédie berbère, n°17 . 1996, 2586-2588. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2127 .
38- Euzennat, N., & B, E. (1989). Arzila. Encyclopédie Berbére, n°6. Pp. 943-948. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2605 .
39- Euzennat, M. (1991). Banasa colonia Iulia Valentia Banasa, colonia Aurelia. Encyclopédie Berbére. N°9, pp. 1323-1328. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.1272.
40- Euzennat, M. (1993). Cerné Kepnh.. Encyclopédie berbère,n° 12, pp.1853-1854. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2093.
41- Février, P-A. (1986). Aux origines du christianisme en Maurétanie césarienne. Mélanges de l'École française de Rome. Antiquité, Vol 98, n° 2. pp. 935-977.
42- Fantar, M. (1992). Byrsa. *Encyclopédie Berbère*, n°11. pp. 1670-1673. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.1887
43- Fantar, M. H. (2010). Elyssa de Carthage Apports d'un mythe fondateur. *Mare internum: archeologia e culture del Mediterraneo*,n° 2. pp. 1-30.
44- Fustel de Coulanges. (1870). Les Institutions Militaires De La République Romaine. Revue des Deux Mondes,90, n°2. pp. 296-314.
45- Hamdoune, C. (1993). Ptolémée et La Localisation des Tribus de Tingitane. Melange de L'Ecole France de Rome, Tome 105, n°1 . 241-289.
46- Hugot, H. (1973). Camps (Gabriel): Amékni, Néolithique Ancien du Hoggar. Revue de L'Histoire, Outre Mers. Tome 60, n° 220. Pp.455-456.

47- Kiernan, B. (2003). Le Premier Génocide: Carthage 146 A.C. Diogène. n°3(203). PP 32- 48. https://doi.org/10.3917/dio.203.0032.

48- Kolb, R.(1997). Sur l'origine du couple terminologique ius ad bellum I ius in bello. Revue Internationale de La Croix Rouge, n° 827. Pp 593-602.

49- Kouka, M. (2015). Le rivage de la petite Syrte : apport de la sédimentologie à l'étude de la progradation du rivage dans les environs de - Gigthi (Tunisie méridionale), résultats préliminaires. Varia Physio-Géo, n° 53. pp. 1-16. https://doi.org/10.4000/physio-geo.4334

50- Kotula, T, & Peyares, J. (1985). Afri. Encyclopédie berbère, n° 2.pp.208-215. Dio: https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.886.

51- Kourou, N. (2002). Phéniciens, Chypriotes, Eubéens et la fondation de Carthage. Cahiers du Centre D'Etude Chypriotes,n32. pp. 89-114.

52-Moderan,Y.(2010). Mazices, Mazaces, Encyclopédie berbère.pp. 4799-4810. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.538

53- Lancel, S., Picard, G. C., Duval, N., & B, E. (1993, 02 1). Carthage. Encyclopédie Berbér, n°12, pp. 1780-1811. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2070.

54-Laporte, P. (2005). Kabyle: Kabyle L'Antique, Encyclopédie Berbère, Vol 26, pp. 4000-4015. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.1400.

55- Laporte, J-P. (2012). N'gaous (wilaya de Batna), antique Nicivibus (Numidie) : Histoire antique, médiévale et moderne. Encyclopédie berbère ,n°34, pp.5538-5549. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2736.

56- Laporte, J-P & M'Charek, A. (2010). Musulames. Encyclopédie berbère, n° 32. Pp. 5144-5155. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.670.

57- Lassus, J. (1956). Le site de Saint-Leu, Portus Magnus (Oran). Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 100e année, pp. 285-293.

58- Le Bohec, Y. (1995). Dimmidi (Demmed– Castellum). Encyclopédie berbère, n° 15. pp. 2345-2349. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2261.

59- Lepelley, C. (1998). Rome et l'intégration de l'Empire 44 av. J.-C. – 260 ap. J.-C.- TII. Paris: Presses Universitaires de France.

60- Le Roux, P. (2004). La romanisation en question. Annales. Histoire, Sciences Sociales, n°59, 287-311.

61-Louvat-Molozay, B. (2008). Frontières de la tragédie: La Silvanire, La Sophonisbe, La Sidonie. Littératures classiques , 1, n° 65.pp. 129-144. https://doi.org/10.3917/licla.065.0129.

62-Leveau, Ph. (1988). Ancorarius ou Anchorarius mons, Encyclopédie berbère, 5 . pp. 636-637. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2498.

63- Lequément, R. (1980). Le vin africain à l'époque impériale. Antiquités africaines,16. pp. 185-193. https://doi.org/10.3406/antaf.1980.1063 .

64- Leveau, P. (1973). L'aile II des Thraces, la tribu des Mazices et les praefecti gentis en Afrique du Nord. Antiquités africaines,7. pp. 153-191. https://doi.org/10.3406/antaf.1973.1450 .

65-Laulan, A-M. (2012). Franchir le Rubicon ?. Hermès, La Revue (Cognition, communication, politique), 2. N° 63. P. 87. https://doi.org/10.4267/2042/48324

66- Maleuvre, J.-Y. (1991). Virgile est-il mort d'insolation. L'antiquité classique, 60. pp. 171-181. https://doi.org/10.3406/antiq.1991.2311.

67- Morel, J.-P. (2013, April 01). Campanienne (céramique). Encyclopédie berbère ,11. pp. 1720-1725. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2044.

68- Maunoior, C. (1887). Lecture d'Un Rapport de M.Hamy Sur Le Bulletin nº22 de l'Académie d'Hippone. Bulletin de Géographie Historique et Descriptive.

69- Moinier, C. (1901). Compagne de J. César en Afrique. Revue Africaine.

70- Mrabet, A. (2013). Oea (Tripoli). Encyclopédie berbère, 35, p. 5706. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2797.

71- Naddari, L. (2008). Entre coloni et Musulamii: une opération de délimitation des terres sous Trajan dans la vallée de l’Ouèd Sarrat. Actes du 5e colloque international sur l’Histoire des Steppes tunisiennes (pp. 157-183). Tunis: N. E.

72- Naddari, L. (2014). Sufetua et Les Musunii. Voyages, déplacements et migrations (pp. 21- 32). Paris: l’Académie des Inscriptions et des Belles Lettres.

73- Nicolet, C. (2001). Rome et la conquête du monde méditerranéen (264-27 av. J.-C.). Tome 1: Les structures de l'Italie romaine.

Presses Universitaires de France. https://doiorg.sndl1.arn.dz/10.3917/puf.nicol.2001.01

74- Ouachour, F. (2012, August 06). Approche conceptuelle du métissage en Afrique du nord ancienne. Insaniyat /إنسانيات .n° 32-33. Pp.39-52. Consulté le 02 17, 2021, sur https://doi.org/10.4000/insaniyat.3315.

75- Pédech, P. (1952). Sur les sources de Polybe : Polybe et Philinos. Revue des Études Anciennes, 54, n° 3-4. pp. 246-266. DOI : https://doi.org/10.3406/rea.1952.3477

76- Philippe, B. (1907). Inscriptions funéraires de la nécropole de Bordj-Djedid à Carthage. l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 51, 3. pp. 180-185..

77- Parisot. (1876). Ruines Romaines de Bir Mohamed Ben Iounes, Situées au Sud- Ouest de Negrine. *Recueil des notices et mémoires de la Société Archéologique du Département de Costantine*.

78-Paul, J. (1990).Tite-Live et le métier d'historien dans la Rome d'Auguste. Bulletin de l'Association Guillaume Budé, n°1. pp. 32-47.

79- Rebuffat, R. (1967). Les Erreurs de Pline et de La Position de Baba Julia Campastris.AntiquitésAfricaine,n°1.Pp.31-57.Doi: https://doi.org/10.3406/antaf.1967.881 .

80- Rebufatt, R. (1971). Note Sur Les Premiers Temps de Carthage. *Revue des Etudes Ancienne*, 73, n° 159-175. https://doi.org/10.3406/rea.1971.3893

81- Rebuffat, R. (2001). Les Tribus en Maurétanie Tingitane. Antiquités Africaines, n ° 37. Pp. 23-44. https://doi.org/10.3406/cchyp.2002.1406.

82- Rebuffat, R. (1996). Emporia. Encyclopédie berbère,n°17. pp.2621-2627. Dio: https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2144 .

83 - Renier, L. (1866). Inscription Inédite Récemment Découverte en Algérie. Revue Archéologique , Vol 13. pp. 100-102.

84- Rouland-Mareschal, M. (1933). Le limes de Tingitane au sud de Sala Colonia. Mémoires présentés par divers savants à l'Académie des inscriptions et belles-lettres, 441-468.

85-Rambaud, M. (1959). Le Soleil de Pharsale. Historia: Zeitschrift für Alte Geschichte,3 , n°3. PP. 346–378.

86- Ripoll, F. (2003). Un héros barbare dans l'épopée latine : Masinîssa dans les Púnica de Silius Italicus. *L'antiquité classique*,n° 72. pp. 95-111. https://doi.org/10.3406/antiq.2003.2509.

87- Rognon, P., Camps, G., & Chker, M. (1986). Ahaggar. Encyclopédie Berbére, n°3. Pp. 269-305.
88- Salama, P. (1995). Djidjelli (Igilgili, Jijel). Encyclopédie berbère , n°16. pp. 2469-2476.
87- Sanchez, M. d. (2017, 4). Didon, le mythe, la femme et la magie. Consulté le 12 20, 2020, sur Culture Université de Liége: http://culture.uliege.be/jcms/c_3081971/fr/didon-le-mythe-la-femme-et-la-magie
88- Scheid, J., & Svenpro, J. (1985). Byrsa La Ruse d'Elisa et La Fondation de Carthage. *Annales (Economies, Sociétés, Civilisations),* 40, n°2. pp. 328-342. https://doi.org/10.3406/ahess.1985.283165.
89- Siraj, E. A. (2001). Ifrîkiyya. Encyclopédie berbère, n°24.pp. 3660-3666.
90- Texier, J-G. (2014). 192-182 avant J.-C. : regards et réflexions sur dix ans d'histoire spartiate. Dialogues d'Histoire Ancienne,n° 11. pp. 237-296. https://doi.org/10.3917/dha.hs92.0237.
91- Toutin, M. J. (1896). Les Romains et Le Sahara. Mélange de L'Ecole Française de Rome. n°16. pp. 63-77.
92- Strocka, V. M. (2005-2006). Troja — Karthago — Rom Ein vorvergilisches Bildprogramm in Terzigno bei Pompeii. Römische Abteilung , pp. 79-120.
93- Thébert, Y. (1992, septembre 1). Bulla Regia. Encyclopédie berbère,n°11.pp.1647-1653.
https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.1878 .
94- Thouret, C. (2009). es épreuves de la fidélité. La trahison dans les Sophonisbe sur les scènes italienne, française et anglaise aux XVIe et XVIIe siècles. Seizième Siècle, n°. pp. 93-114.
95- Trousset, P. (1993). Capsa. Encyclopédie berbère ,n°12, 1757-1760. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2056
96- Trousset, P. (1986). Alele. Encyclopédie berbère, n°3.pp. 439-440.
https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2409 .
97- Trousset, P. (1993). Carpis. Encyclopédie berbère, n°12. pp1779-1780. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2067 .
98 - rousset, P. (1994). Cidamus. Encyclopédie berbère ,n°13.pp. 1953-1954. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2279 .
99- Trousset, P. (1994). Curubis (Korba). Encyclopédie berbère, n°14,pp. 2157. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2349.

100- Trousset, P. (1995). Djerid (Jérid, Castiliya). Encyclopédie berbère ,n°16, 2461-2465. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2189

101- Trousset,J. Despois, Y. Gauthier, Ch. Gauthier and E.B. (1997). Fezzan (Phazania-Targa). Encylopidie Berbere. N°18 .pp. 2777-2817. https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.2083.

102- Salama, P. (1995). Djidjelli (Igilgili, Jijel). Encyclopédie berbère , n°16. pp. 2469-2476.

103-Vyver, A. v. (1931, Avril). Cassiodore et Son Œuvre. Speculum , n°2.pp. 244-292.

104- Zelanti,A. (2019). *Carthage et le contrôle des littoraux africains: les deux premierstraités. Revue historique*, n°690. pp.227-249. https://doi.org/10.3917/rhis.192.0227.

3- اللغة الإيطالية:

6-Montenegro, J., & Castillo, A. (2010). Tingi Beatica an Analysis of The Sources. Athenaeum, Studi Periodici,Di Letteratura a Storia Dell Antiehita, n- II. pp.413-428.

IV- الرسائل الجامعية:

1-الدكتوراة:

أ- اللغة العربية:

1- بن السعدي، سليمان. (2009). علاقات مصر بالمغرب القديم منذ فجر التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد . أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم. قسنطينة: جامعة منتوري.

2- فاضل، لخضر. (2018). تبسة في العصور القديمة، أطروحة دكتوراة في التاريخ القديم. وهران : جامعة وهران 1 أحمد بن بلة.

3- عيساوي، مها. (2010). المجتمع اللوبي في بلاد المغرب (من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الاسلامي. قسنطينة: جامعة منتوري.

4- الصرايرة، عامر جميل. (2013). جدلية العلاقة بين الشرق والغرب في نماذج مختارة من الرواية العربية المعاصرة من عام 2001-2011. رسالة دكتوراه في اللغة العربية. الكرك: جامعة مؤتة.

5- المؤدب، أنيس. (2008). الثقافة الموسيقية في تونس خلال الفترة البونية والرومانية. مذكرة دكتوراه في علوم التراث. تونس: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعبة.

ب- اللغة الفرنسية:

1- Chemain, J.F. (2015). L'Evolution de La Notion de "Bellum iustum" à Rome Des Origines à Saint Augustin. Thèse de Doctorat. Faculté de Droit. Université d' Angers Nantes.

2- Guet, R. (2022). *Chars à faux, éléphants, cataphractes et dromadaires dans les guerres hellénistiques: approche militaire, sociale et culturelle.* Nantes: Université de Nantes UFR Histoire, Histoire de l'Art et Archéologie.

3- Haouachi, D. (2016). Les personnages féminins chez Tite-Live : idéologie et art de la mise en scène.Thése se Doctorat en Langues et Littératures Ancienne. Strasbourg: université de Strasbourg.

4- Jean, C. (2014). Rome et la mer Des origines à la première guerre punique

5- Kirk,H, N. (2018).L'auteur dramatique et la conscience professionnelle (1610-1640). A thesis Of Doctor OF Philosophy. Western University.

6-Paul Vallette. (1908). L'Apologie d'Apulée, Thése de Docorat. Paris: Librairie C. Klincksieck .

2- مذكرات الماجستير:

1- بن عمر، إمام. (2008). الحروب الوقائية في الفكر الإستراتيجي الأمريكي - دراسة حالة العراق-. مذكرة ماجستير (غير منشورة) في العلوم السياسية والعلاقات الدولية. كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة بسكرة.

V- أعمال الملتقيات:

أ- العربية:

1-عبيد، حسني. (2016). الخندق الملكي بحوض وادي سليانة. ملتقى التخوم بالبلاد التونسية عبر العصور. تونس: ادارة التراث والإعلام والثقافة.

ب - الفرنسية

1-Ait Amra, O. (2021). Thapsus, la bataille et le rôle de Juba Ier. Actes du 6e colloque international Byzacium, Byzacéne, Muzag: Occupation du Sol et Mode de Vie , (pp. 29-53). sousse.

2- Ben Romdhane, H. (2017). Les Afri et Leurs Territoires à L'Epoque Romaine. Acte du 3eme Cloque Internationale 5-6 mais 2016 Le peuplement du Maghreb Antique et Médiéval . Sousse: Laboratoire de Recherche Occupation du Sol, Peuplement et Mode de Vie dans Le Meghreb Antique et Médiéval Faculté des Lettres et Des Sciences Humains. 103 -116.

3- Chalal, B. (2017). Portus Magnus, ville de la Maurétanie césarienne. Actes du colloque international La Numidie, Massinissa et L'Histoire . le 14-16 Mais 2016. Libyca.n II. pp.301-324.

4- Dupuis, X. (les 2 et 3 mai 1997). Cuicul, La Confédération Cirtéenne et Les Suburbures. actes de la table ronde Frontières et limites géographiques de l'Afrique du Nord antique (pp. 129- 138). Paris: Publications de la Sorbonne.

5- Ikherbane, M. A. (2017). Suthul? Etat de La Question. Jugurtha affronte Rome. Alger: ENAG Edition. pp. 289-296.

ج- الإسبانية:

1-Callegarin, L, & Moreau, J. (2009). Le Getule: Cet Autre insaisissable. Figures de L'Etranger Autour de La Méditerranée Antique , 203-222. Patis: Université de Paris I.

VI-القواميس:

أ- اللغة العربية:

1- إيفانز، غراهام ونوينهام جيفري. (2004). قاموس بنغوين للعلاقات الدولية. (تر: مركز الخليج للأبحاث). الإمارات: مركز الخليج للأبحاث.

ب- اللغة الفرنسية:

1-Gaffiot,F.(1934).Dictionnaire Latin Français. Paris: Edition Hachette.

VII-التقارير:

1- Callu J- P, et Autres. (1965).Thamusida I. Fouilles du service des antiquités du Maroc. Texte et Planches. Rome : École Française de Rome.

2-Desideri, j. & Autres.(2012). L'Andalousie Préhisroire, Voyage D'Etude 25-31 mars 2012. Genéve: Faculté de Sciences.

3- Desruelles, S, Autre. (2012, Mars 23). Approches géoarchéologiques des dynamiques hydrologiques et de leur gestion antique: les cas de Volubilis et deBanasa (Bassin du Sebou, Maroc). Consulté

le1er Septembre 2021, sur Archive ouverte HAL:https://hal.archives-ouvertes.fr/hal-01292373/document.

4- Marcheteau de Quincay, C. (2007). Document réalisé à partir du catalogue Didon abandonnée d'Andrea Sacchi - L'œuvre en question n°4. Caen: Musée des Beaux-Arts.

5- Reguin, O. (2021). Anciennes mesures de longueur et de superficie agraires Mutations et continuité de l'Antiquité romaine au XIXe siècle Essai de métrologie historique. Rapport de recherche. Montréal : Faculté des sciences humaines,Université du Québec. https://archipel.uqam.ca/13807/.

VIII- المواقع الإكترونية:

1-Appien.(2022). The Punic War, on the site: Perseus Digital Library, http://www.perseus.tufts.edu/hopper/text?doc.retrieve on: 22-6-2022 .

2-Scylax. (2010). Voyage De Scylax De Caryande, En Europe, En Asie Et En Lybie. Consulté le Novembre 5, 2020, sur Remacle L'antiquité grecque et latine: http://remacle.org/bloodwolf/erudits/skylax/table.htm.

3-Lemercier, O.(2006). Le Campaniforme et l'Europe à la fin du Néolithique. halshs-00087402f. Sur Hal Open Science https://shs.hal.science/halshs-00087402/, 10-10-2020.pp. 1-17.

IX– المحادثات الإلكترونية:

1– فنظر ، محمد حسين. (فيفري 2018). حول إسم لوبا. (محادثة إلكترونية).

X– مواقع التواصل الإجتماعي:

1- حارش، محمد الهادي. (2020). صافونبعل. تاريخ الاسترداد: ديسمبر 2020، https://www.facebook.com/mohamedelhadi.hareche.31

فهرس الأماكن

فهرس الأماكن

	الاسم	رقم الصفحة
أ	أفريكام	15، 25، 36.
	إفريقيا	15، 16، 17،19، 19، 20، 23، 24، 25، 26، 27،28، 28، 29 30، 34، 36، 37، 34، 36، 37، 62، 63، 66، 68، 72،70، 73، 89، 94، 105، 115، 123، 125، 151، 152، 154، 175، 178 182، 189، 190، 193، 201، 213، 214، 215، 216، 229، 240 252، 253، 257، 259، 278، 314، 331، 333، 336، 338 340 341، 342، 344، 345، 346، 347، 349، 351، 352، 354 355، 356، 357، 358، 359، 362، 365، 366، 367، 368 370، 371، 372، 373، 374، 376، 379.
	الأبروتيونيوم	64.
	الأهقار	97، 103.
	إبيروس	156، 174، 181، 207.
	ابيزا	128.
	أبولونيا	65.
	أتومولاكس	69.
	آثينا	226.
	الإيجاتس	214، 225.
	أجيزمبا	68.
	أخليديس	69.
	أخيلا	65.
	الإربس	20.
	أردي	174.
	أرزينا	47، 53.
	أرزيلة	44، 45.
	أرزيو	51، 58.
	أرسناريا	54، 58، 337.
	أرسونوي	69.

	أزفون	53، 56.
	أربيسي	228.
	أدرار إيفوراس	29.
	إسبانيا	24، 26، 28، 43، 44، 52، 59، 120، 121، 158، 176، 181، 196، 210، 219، 223، 236، 237، 240، 241، 242، 245، 252، 253، 256، 257، 258، 259، 287، 294، 306، 310، 350، 354، 357، 359.
	إسرائيل	120، 133.
	الإسكندرية	85.
	آسيا	15، 17، 18، 25، 119، 293.
	أشولا	65، 67، 305، 344.
	أصلدان	56.
	أعمدة هرقل	15، 35، 42، 77.
	أغار	47، 67، 353.
	الأغواط	26، 92.
	أكدامس	71.
	أكاي	100.
	الأقصر	30.
	ألالي	70، 71.
	أليا	209.
	أم البواقي	83، 100.
	الأمبرويا	59، 177، 178.
	أم كريكش	79، 80.
	أمايديرا	81، 98، 325، 328.
	أنتيوم	193.
	الأوراس	33، 76.
	أوس	57.
	الأمبري	226.

	أمكني	29.
	أوباري	71.
	أوبيديوم نوفيوم	54، 57.
	أوتيناس	119، 293.
	أوتيكا	64، 65، 121، 130، 152، 176، 181، 194، 195، 196، 299
		338، 345، 347.
	أوثينا أوذنة	66، 67، 68.
	أوجيلا	86، 102.
	أوروبا	15، 25، 26، 28، 34، 35، 36، 368.
	أوزيا	144،55.
	أوزيتا	348.
	إسبرطا	165.
	اثيوبيا	101، 104، 295.
	إفرن	20.
	أكاي	54، 57.
	أكوسيوم	59، 60.
	انجلترا	161.
	أولاد جلال	26.
	أوستيا	198، 211، 371.
	أوس	66، 178.
	أويا	67، 68، 84، 100، 183.
	أويتانس	25، 26، 67.
	أيبيريا	28، 35، 59، 195، 215، 219، 242.
	إيبيروس	194.
	إيجيجلي	53، 56، 57.
	إيطاليا	33، 34، 35، 141، 148، 161، 186، 194، 197، 198، 199
		207، 208، 211، 212، 213، 214، 219، 220، 246، 247
		250، 251، 252، 256، 257، 283، 292، 294، 308، 314

		317، 341، 350، 358، 368، 369، 371، 376، 377.
	أيول	51، 52، 53، 55، 56، 57، 60.
	إليريا	368
	ايوليو	53، 55.
ب	باجا	66،76، 67، 318، 319، 323.
	بارما	242.
	باليرمو	196.
	باتنة	79، 100.
	بياتشيرزا	242.
	باستيوم	212.
	بانوراموس	185.
	بناسا فلانتيا	، 267، 271، 280.
	ياناسا	73، 89، 45، 47.
	بجاية	283.
	البرباريا	27.
	برتاس	51.
	البارتينيوم	82.
	برج البحري	53، 55.
	برقة	67، 83، 339، 340.، 89
	برنيقة	69، 86.
	البروقنصلية	42، 62، 63، 66، 67، 69، 72، 79، 80، 81، 82، 83، 85، 98
		99، 105، 346، 347، 350، 367، 374، 376.
	بطيوة	51، 53.
	بسرياني	96.
	بسكرة	80، 94، 95، 96، 102، 103.
	بنغازي	73.
	بن قشة	98.
	البليار	193، 209.

	بير مقرة	21
	بيسودونيت	190
	بورتوس ماغنوس	51، 53، 371.
	بروتيوم	251.
	بلاد الرافدين	132.
	بولا ريجيا	61، 62.
	بومبي	130.
	بوزول	371.
	بوسيدونيا	196.
	بوغرارة	68، 80، 98، 328.
	البيزاسيوم	75، 165، 183، 291، 339، 351، 373.
	البيلوبونيز	208.
	بينيفينيوم	224.
	بيكينوم	226.
	بيوتيا	368.
	بيتكا	43، 357.
ت	تابسوس	64، 65، 174، 297، 348، 351، 353.
	تابوت	76.
	تاجيسنوس	67.
	تاجست	19.
	تدارت	58.
	تادولتي	81.
	تيجيس	82، 83.
	تارونت	198، 199.
	تيراسين	193.
	ترشيش	117، 194، 195.
	تافرا	67
	تاكاب	65، 66، 67، 68، 81، 178، 323.

	تالا	82، 90، 274.
	تاكتوا	61.
	تاموسيدا	47.
	تامنفوست	85.
	التنبري	29.
	تنجيتيرا	44.
	ترادوكتا	43، 44.
	تراغن	103.
	ترتيوم	56.
	تريزينيو	
	تشاد	68.
	تطاوين	71.
	تكلات	54، 58.
	تميسي	58.
	تيجافا	54.
	التلمسي	29.
	تنس	51، 52، 53، 64.
	تهودا	96.
	توبوسوبتوس	54، 57، 58.
	تودااليس	63، 65.
	توخيرا	68.
	توسكلم	256.
	توكا	59.
	توكولوسيدا	48.
	تونس	20، 21، 30، 31، 33، 37، 62، 70، 71، 121، 122، 137، 164، 165، 175، 183، 184، 201، 227، 270، 271، 285، 318، 319، 345، 371، 384.
	توزر	266.

	تيجافا	54، 58.
	تيفاست	171، 175، 318، 371.
	تيودونس	67، 87، 92، 93، 95، 97.
	تبيجونس	67.
	تبسة	59، 319
ث	ثامودا	46، 48.
	ثلغاي	81.
	ثلبت	80، 98.
	ثوبيدرومانس	66.
	ثوبونيسونس	66.
	ثورموبيل	186.
	ثوموسيدنياس	66.
	ثونيسن	67.
	ثيبيكايس	20.
	ثيدروس	80.
	أوثينا/ثينا	66، 67، 68، 178.
ج	جيتوليا	26، 88، 90، 91، 94، 100، 369، 370، 388.
	جيتولوا	88.
	جربة	67، 85، 98.
	الجزائر	20، 33، 34، 37، 38، 51، 54، 58، 73، 74،363، 392.
	الجلفة	26، 94.
	جميلاي	55.
	جيلا	152.
	جابيس	233.
	جكتيس	64، 68، 80، 98 ، 228.
	جرمة	68، 71، 73، 101، 102، 107.
	الجم	80.
ح	حضرموتيم	65، 67، 298، 345 ،348، 351.

	حلوان	.28
	حمام ريغة	54، 57.
	الحضنة	84، 102.
	الحمادة الحمراء	87، 101.
	حيدرة	98، 323.
خ	الخربة	54، 88.
	خنشلة	82، 271.
	خنقة ناصر	.82
د	دارفور	68، 103.
	دبريس	.71
	درعا	89، 93، 104.
	درنة	.86
	دشرة الجديدي	.44
	دقاش	.98
	دلس	53، 55، 58.
	دوقة	67، 271.
	دمشق	.116
	ديميدي	26، 92.
	الدانوب	.269
ر	راس ديماس	.177
	راس الطيب	122، 123، 162، 178.
	راس العين	.71
	راس التين	.69
	راس الفرطاس	.175
	راس مغراوة	.58
	راس بوقرعون	.78
	راس كاركور	.87
	راس غير	.104

	رأس النون	104.
	رمادة	71.
	روثيزيا	55، 56.
	روسادير	46، 48.، 86 ، 89، 92، 93، 104.
	روسبينا	65، 297، 348، 351.
	روسزوس	53، 56.
	روسكوريوم	53، 55.
	روسكونيا	53، 55.
	روسيكادا	56، 60، 61.
	روما	17، 37، 42، 47، 48، 50، 61، 70، 71، 92، 124، 127، 129 131، 132، 136، 145، 146، 147، 148، 153، 154، 155 159، 160، 164، 168، 180، 184، 187، 191، 192، 193 194، 196، 197، 198، 199، 200، 206، 207، 208، 209 211، 213، 216، 218، 219، 221، 222، 223، 226، 227 228، 230، 232، 233، 240، 241، 242، 243، 245، 246 249، 250، 251، 252، 255، 257، 258، 263، 264، 265 267، 268، 273، 274، 276، 277، 278، 279، 280، 281 282، 283، 284، 285، 286، 287، 289، 290، 291، 292 293، 294، 296، 297، 306، 307، 308، 311، 312، 313 314، 315، 316، 317، 324، 325، 326، 327، 329، 330 331، 332، 333، 336، 337، 339، 340، 341، 342، 343 348، 368، 372، 376، 389، 390، 391، 392، 394، 395 396، 397، 398، 399.
	ريجيوم	198، 199.
	ريجيا أربال	335.
ز	زاما	67، 266، 267، 270، 273، 274، 319، 321، 344.
	زغوان	22.
	زوجيتانيا	63، 183.

	زيليس، زلي	44.
س	ساجست	174.
	سبيطلة	82، 83 .
	ساجونت	241، 242، 244، 245، 258.
	سالا	43، 44.
	سالافيتانوم	67.
	سبها	71.
	سردينيا	29، 30، 31، 33، 34،117، 120، 123، 124، 169، 179، 182 185، 186، 193، 194، 195، 196، 197، 208، 209، 241 245.
	السرت	64، 67، 68، 69، 70، 79، 83، 85، 86، 87، 88، 94، 96، 100 101، 105، 178، 240، 311، 369، 386، 388.
	سفاقس	120، 165.
	سطيف	80، 81، 84، 392.
	سطيفيس	81، 335.
	سوثول	316، 317، 318.
	سوفتولا	82، 83، 84.
	سوسولا	228.
	سيدي بلعاتر	58، 59.
	سيدي بوشعيب	88.
	سيدي بوراس	58.
	سيدي علي بن أحمد	47.
	سيدي بوجمعة	48، 58.
	سيدي علي بوجنون	47.
	سيقوس	80.
	سيقا	50، 53، 58، 59، 78، 235، 249.

	السودان	68، 103.
	سواس	46.
	سور الغزلان	55.
	سوكوبار	54، 57، 67.
	سيراكوزا	170، 172، 178، 186، 187، 188، 189، 190، 191، 193، 199، 231.
	السنغال	209.
	سلولنت	166.
	السهوب	76، 88، 91.
	سيريسي	174.
	سكيث	238.
	سيكا	53، 82، 166، 321.
	سيلاميس	152، 165.
	سطيف	364، 369.
	سامسوطا	322.
ش	شرشال	51، 52، 53، 55، 308.
	شحات	69.
	شط البيضاء	82.
	الشكشاك	98.
	الشلف	54، 58، 78، 291، 377، 381، 383، 385.
	شمتو	66.
	شوراتوسكا	165.
	شولو	60.
	الشويرف	68.
	شط الفجاج	66.
ص	صبراتة	65، 67، 71، 84، 100 ، 178.
	صقلية	2928، 31، 34، 122، 123، 126، 152، 156، 169، 172، 174، 185، 186، 187، 188، 189، 190، 194، 195، 196، 198

		199، 200، 208، 209، 213، 214، 215، 221، 225، 226 229، 230، 231، 232، 233، 241، 245، 257، 339، 347 348، 350.
	صلداي	56، 58، 336، 339.
	صالداس، صيدا	53.
	الصويرة	92.
	صور	115، 118، 119، 120، 121، 122، 125، 129، 132، 133 134، 140، 151، 152، 153، 169، 170، 172، 173، 174 176، 177، 178، 179، 194، 195، 196، 200.
	صوليس	185.
	صيدا	224.
ط	طابورا	22.
	طوبوربو	66.
	طبرقة	61، 62 ،67، 175.
	طبنة	65، 83، 102.
	طرابلس	178.
	طروادة	114، 116، 121، 131، 132.
	طليمثة	69.
	طنجة	44، 45، 92.
	طنجي	42، 43، 44، 45، 371،
	طيبة	126، 127.
ع	العقيلة	69.
	عين شاقور	48.
غ	غالا	186، 187، 340، 341، 350.
	غدامس	71، 72، 73، 101، 103.
	غريان	101، 102.
	الغال	221، 225، 263، 264، 347، 349، 354، 356.
	عين الدفلى	54، 57.

ف	الفحص	.22
	فرسال	.347
	فريانة	84، 100.
	فزّان	70، 71، 72، 103، 104.
	فسيكرا	96، 102.
	فورتونتاس	.92
	فوليبول	.45
	فولوبوليس	48، 335.
	فيليترس	.131
	فينيقيا	115، 120، 124.
ق	قادش	151، 197، 237.
	قاديوفالا	.100
	قصر صبيحي	.100
	القصرين	.84
	قبرص	115، 117، 151.
	القدس	.153
	قرطاجة	15، 16، 18، 19، 20، 23، 24، 25، 27، 42، 49، 62، 63، 64 65، 66، 79، 83، 88، 89، 90، 94، 114، 115، 116، 117 119، 121، 122، 123، 124، 125، 129، 130، 131، 132 133، 134، 135، 136، 137، 140، 141، 144، 146، 148 149، 150، 151، 152، 154، 155، 156، 158، 160، 161 163، 164، 169، 170، 171، 172، 173، 174، 175، 176 177، 180، 181، 182، 183، 184، 185، 186، 187، 189 191، 192، 193، 194، 195، 196، 197، 198، 199، 200 206، 207 208، 209، 210، 211، 2012، 213، 214، 215 216، 217، 218، 219، 220، 221، 223، 224، 225، 226 227، 228، 230، 231، 232، 233، 240، 241، 242، 243 250، 251، 253، 254، 255، 259، 260، 266، 267، 268

		273، 276، 277، 278، 279، 280، 281، 282، 283، 284، 285، 286، 287، 289، 290، 291، 292، 293، 296، 298، 305، 308، 336، 342، 350، 357.
	قرقنة	177، 297.
	قابس	64، 68.
	قالمة	62.
	قصر البوم	82.
	قصر صبيحي	100.
	قليبية	60، 175، 345.
	قلعة سنان	82.
	قسنطينة	84.
	القنيطرة	47.
	قورينة	15، 17، 33، 69، 70، 86، 88، 105، 185، 312، 383، 384، 387.
	قونقو، قوراية	52، 53.
	قوربة	64.
	قيصرية	44، 48، 50، 51، 52، 53، 55، 56، 57، 59، 60، 61، 66، 72، 73.
ك	كبسة	80، 90، 101، 109، 275، 278، 279، 281، 325، 343.
	كاتابثمون	15، 69، 85.
	الكاف	20، 61، 62، 82، 319.
	كاربي	64.
	كارتناس	52.
	كارتيناي	52.
	كاميرنا	215.
	كركوان	152، 178.
	كريت	32، 35، 68.
	كريستوم	183.

	كستيلاي	98.
	كورسيكا	186، 194، 197.
	كوربيس	64.
	كونوبيتانوم	67.
	كولو	60، 61.
	الكفرة	71، 102.
	كيرتا	16، 33، 60، 61، 79، 81، 82، 89، 90، 100، 136، 141، 184 311، 313، 314، 326، 327، 339.
	كيلابا	71.
	كابوا	226.
	كمبانيا	226، 228.
	كوماي	222، 223.
	كناي	228.
	كيزا إكسنتانا	54، 58، 59.
	كينيا	190.
	كارتينا	51، 52، 53، 88.
	كارتيا	41.
	كويكول	335.
ل	لاتيوم	193، 194، 200، 225.
	لبيكوم	233.
	لبدة	15، 27، 28، 65، 67، 68، ، 84، 157، 175، 183، 267، 268 282، 294، 297، 342، 344، 348، 351، 374، 386، 387.
	لبنان	140، 392.
	لمطة	65.
	ليبيا	16، 17،18، 23، 26، 26، 27، 28 ،33، 37، 68، 70، 72،72 94، 95 98، 100، 102، 103، 104، 107، 114، 115،116، 124 125،129، 133، 134، 137، 141، 143، 147، 160، 162، 165 178، 180، 183.

	ليغوريا	171، 175.
	لوبا	16، 17.
	لورنت	193.
	لوسيريا	228.
	ليباري	39، 41، 43، 198.
	ليبيوم	16، 19.
	ليكسوس، لينكس، ليكسو	44، 45، 49، 69.
م	مازيتي	194، 195.
	ماكسولا	64
	ماسينيا	190.
	ماكسي	162.
	مصر	16، 17، 30 ،34، 37، 49، 50 ،70، 73، 82، 107، 124، 139 140، 147، 153، 164، 196.
	مادورو	82، 100.
	مدنين	80، 99.
	ماريوت	71.
	ماطر	67.
	مارسيليا– ماساليا	186.
	مارمريد	70، 85، 86، 87، 105، 223، 333، 340، 342.
	مراكش	92.
	ماكومادس	65، 66 ،67 ، 84، 184.
	مالطا	30.
	مرسى مطروح	86.
	المعادي	31.
	المغرب	15، 16،17، 19، 22، 25، 26، 28، 30، 32، 33، 35 ،36 37 42،44، 47، 61، 63، 77، 88، 89، 91، 92، 93، 105، 103 104، 105، 106، 120، 121، 125، 128، 142، 157، 163

		165، 181، 190، 193، 196، 197، 231، 207، 208، 210 214، 218ن 219، 252، 253، 254، 255، 257، 259، 263 267، 268، 269، 285، 286، 287، 309، 330، 333، 336 338، 340، 341، 343، 344، 345، 347، 348، 350، 352 353، 354، 356، 357، 358، 359، 360، 361، 362، 363 366، 368، 369، 375، 377، 378، 379، 382، 288، 389 390، 391، 393، 394، 396، 397، 398، 399.
	مستغانم	58، 83.
	مسيوا	64.
	مصراتة	101
	مقدونيا	148، 170.
	منيكس	88.
	مكثر	165، 394.
	مليانة	58، 88.
	منزل القرشي	67.
	المنية	29.
	موتيا	185.
	مودينا	242.
	موقادور	92.
	موريطانيا	42، 43، 44، 45 ،47، 48 ،49، 50، 51، 53، 59، 60 ،61 72،73 ، 77، 78، 84، 85، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 103 304، 311، 326، 328، 329، 288، 331، 350، 351، 352 356، 358، 359، 360، 368، 367، 377، 379، 380ن 381 383، 383، 384، 385، 392، 394، 399.
	المونستير	56، 57، 162.
	ميلاف	60، 61، 335.
	ميلية	86.
	مسكيانة	319.

ن	نابل	64، 177.
	نابولي	224.
	نفطة	100.
	نقرين	82، 94، 95، 96. 97. 98.
	نوميديا	18، 23، 25، 38، 50، 59، 60، 61، 62، 63، 65، 66، 68، 72 73، 78، 80، 81، 82، 83، 85، 88، 94، 98، 99، 104، 105 117، 118، 125، 137، 139، 141، 255، 267، 269، 279 285، 305، 307، 308، 311، 312، 315، 317، 318، 320 323، 324، 325، 326، 327، 328، 330، 331، 332، 333 336، 338، 339، 344، 348، 350، 351، 352، 354، 356 358، 359، 363، 366، 367، 369، 370، 371، 374، 381 384، 394.
	نورا	117، 120، 134.
	نولا	228.
	نيابوليس	60، 61، 64، 177.
	نيجر	68، 94، 102.
	النسامون	333.
هـ	هسبريديس	86، 87.
	هميرا	173، 182، 183، 184، 186، 187، 191، 195، 209.
	هنشير البقار	81.
	هنشير القصبات	66.
	هنشير طمبرة	22.
	هنشير المطرية	319.
	هنشير الدوامس	319.
	هيبو ريجيا	61، 62.
	هيبو ديرتو	63.
	هيبو	63، 157، 175، 318.
	هيراكليا	218.

و	وليلي	45، 47 ،48، 335.
	الواحات	91.
	واحة سيوة	30.
	وادي ريغ	97.
	وادي سوف	97، 98، 107.
	ورقلة	97.
	وهران	335.
ي	يوكوس	59.
	يوليا كونستانيا	44.
	زليس	44.
	يوليا بايا	44، 45، 47، 48.
	كامبستريس	

فهرس القبائل والشعوب

الحرف	الاسم	الصفحة
أ	الأفري	17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 28، 32، 36.
	الأثيوبيون	28، 87، 89، 90، 91، 94، 95، 96، 97، 100، 104.
	الإغريق	16، 17، 18، 19، 20، 27، 28، 29، 32، 33، 36، 43، 44، 49، 50، 62، 68، 69، 70، 71، 73، 86، 104، 114، 116، 117، 118، 120، 126، 127، 128، 130، 132، 135، 136، 141، 144، 151، 156، 169، 171، 172، 173، 179، 180، 185، 192، 194، 260، 267، 352، 347.
	الأوثيني	83.
	الأسبيست	83، 85، 86، 87.
	الأديرماخيداي	85.
	الأراروكيل	85، 86.
	الأرتانبيت	379.
	الأنابي	379.
	الأوسخيساي	86.
	الأتولول	89، 91، 92، 93.
	الألخراس	88.
	الأيكليكاس	96، 97.
	الأمانيننس	101.
	الأوجيليون	102.
	الأونيبي	102.
	الأترونت	103.
	الأجيبانس	104، 105.
	الأشوريون	169، 174، 176.
	الأوتروسك	194.
	الأوسكيس	193.
	الأرديون	178.
	الأوزينيون	226.
	الأوستريانى	385، 386، 387.

ب	البوني (ة)	33، 47، 48، 50، 52، 55، 56، 63، 65، 66، 74، 80، 114، 120، 125، 127، 135، 136، 137، 140، 144، 145، 148، 150، 151، 152، 156، 158، 160، 164، 165، 169، 171، 174، 177، 178، 179، 181، 184، 185، 187، 189، 190، 191، 195، 199، 200، 206، 207، 208، 209، 211، 212، 214، 215، 218، 219، 222، 225، 227، 228، 229، 230
	البسيل	233، 243، 245، 266، 267، 282، 283، 283، 294.
	البيروسيون	80، 89، 104.
	البنوار	91.
	البانيوبي	91، 92.
	البيبيوم	102.
	البيلوميس	104.
	الباكوات	379، 380، 381.
	البارزوفوليتاني	379.
	البوليانيون	226.
	البروتيين	226.
	الباريار	383.
	البوار البافار	381.
ت	التروجليدتاس	101، 104.
	التارونتيون	230.
ث		
ج	الجيتول	80، 81، 83، 85، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 97، 100، 101، 325، 369، 374، 376، 380، 388.
	الجندان	85.
	الجرامنت	77، 83، 84، 92، 93، 95، 96، 97، 98، 101، 102، 101، 369، 374، 376، 379، 380، 383.
	الجمفازنتاس	101.
	الجيمنيت	101.

ح	الحلف الخماسي	379، 382، 383، 387.
ر	الرومان	15، 16، 18، 19، 21، 23، 24، 25، 27، 28، 29، 36، 43 47، 49، 50، 55، 58، 59، 61، 62، 63، 64، 65، 69، 70 71، 77، 78، 79، 8082، 83، 84، 85، 86، 89، 90، 91، 95 99، 100، 102، 103، 105، 106، 114، 127، 128، 129 130، 131، 132، 136، 137، 140، 148، 152، 153، 154 155، 156، 158، 160، 169، 174، 176، 177، 179، 180 181، 184، 185، 187، 188، 189، 190، 191، 192، 193 194، 195، 196، 197، 198، 199، 200، 206، 207، 208 209، 211، 212، 213، 214، 215، 216، 218، 219، 220 221، 223، 224، 225، 226، 227، 228، 230، 231، 232 233، 234، 240، 241، 242، 244، 245، 248، 249/ 251 252، 253، 255، 256، 257، 259، 260، 261، 262، 263 264، 265، 266، 267، 268، 273، 275، 276، 277، 278 279، 281، 283، 286، 288، 289، 290، 291، 294، 295 296، 297، 305، 306، 307، 308، 309، 311، 312، 313 314، 315، 316، 317، 318، 319، 321، 322، 323، 327 328، 329، 330، 331، 332، 333، 336، 339، 341، 343 344، 347، 350، 351، 353، 356، 357، 361، 366، 369 372، 373، 375، 376، 377، 378، 380، 382، 383، 384 387، 388، 389، 390، 391، 393، 398.
س	السبربر	83، 85، 105.
	سيلاسي	84.
	الساتير	104، 108.
	السمانييون	192، 193، 196، 226، 229.
ص	الصوريون	171، 175، 176، 178، 207، 246.
ف	الفينيقيون	30، 43، 59، 116، 121، 124، 127، 129، 140، 141، 142 143، 149، 150، 161، 162، 171، 175، 179، 180، 185

		200، 201.
	الفاماكور	84.
	الفاروسيون	89، 93، 104.
	الفيزيون	91.
	فلوميناس	379.
	الفرانتس	379.
ق	قبول	77.
	القرطاجيون	17، 24، 50، 69، 87، 92، 97، 118، 121، 125، 129، 130، 137، 152، 153، 154، 156، 158، 159، 160، 162، 163، 164، 165، 167، 168، 169، 170، 171، 172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 180، 181، 182، 183، 184، 190، 191، 192، 193، 196، 197، 198، 206، 207، 208، 209، 212، 213، 214، 215، 218، 219، 220، 225، 226، 227، 228، 231، 242، 243، 249، 252، 253، 258، 259، 260، 261، 262، 263، 266، 267، 275، 276، 277، 278، 279، 280، 282، 283، 284، 288، 289، 296، 297، 305.
ك	الكابستاني	79، 80، 100.
	كيزوروس	97، 99.
	الكناري	92، 104، 108.
	الكير	178.
	كالاتيني	249.
	كوربيسونس	379.
ل	الليبيون	27، 89، 103، 129، 160، 165، 185.
	اللفينيقيون	79، 103.
	اللوتوفاجي	87، 88.
	لونجبوري	96، 97.
	الليبومصريون	103.
	اللوكواثيوبيون	104.
	الأوزنتسي	249.

	اللاتين	230.
	اللاكيدمونيون	205.
	اللوكانيون	226.
	الليقوريون	284، 290.
م	الموري	15، 18، 334.
	المور	75، 77، 78، 87، 92، 93، 103، 183، 184، 304، 325، 327، 328، 329، 359.
	الماسيسيل	50، 77، 78، 82.
	الماكورابي	78.
	الماسيل	27، 82، 127، 133، 333.
	الميسولاني	79، 80، 319.
	الموسولامي	80، 81، 82، 85، 105، 319.
	الميسولامي	80.
	الموسوني	83، 84.
	المركوبي	79، 84
	الملكوبي	84.
	الماكاي	85، 86، 87.
	المصريون	101.
	المامرتيون	190، 192.
	المقدونيون	195.
	الميتابونتون	226.
	المازيس	379، 380، 383، 384، 385، 386، 387.
	الماكونيت	379.
	الموسوني	379.
	الماسوناس	379.
ن	النوميدي	19، 22، 23، 42، 62، 74.
	النوميديون	59، 87، 90، 95، 97، 98، 107، 139، 140، 142، 143، 177، 178، 183، 246، 248، 253، 259، 260، 264، 265، 267، 268، 269، 270، 272، 273، 274، 275، 276، 277

		278، 290 ،294، 295، 296، 306، 307، 311، 312، 314 320، 321، 322، 323، 324، 325، 326، 343، 344، 345 346، 358.
	النبادوس	78.
	النتابودس	79، 80، 83، 85، 105.
	النسيف	82، 83، 85، 108.
	النسامونيون	85، 86، 87، 102، 104.
	النتريس	102.
	النناجي	103.
	النقريس	104.
	النباتي	379، 393.
هـ	الهيمونتوبوداس	104.
	الهيربيني	226، 229
	الهيراسكاميني	379

فهرس الأعلام

الحرف	الاسم	رقم الصفحة
أ	إزيس	17.
	أغسطس	22، 47، 52، 56، 62، 63، 70، 86، 95، 98، 100، 128، 146، 148.
	امنبيتاح	32.
	أوديسيوس	16، 32.
	أنتي	43، 45، 47.
	أنود	389.
	أوكتافيوس	47، 48، 52، 56، 65، 66، 96، 98، 127، 128، 129، 131، 132، 133، 146، 147، 148، 154، 214، 277، 189، 366، 367، 671، 390، 393، 387.
	إيدمون	330، 331.
	أميان مارسلين	57، 378، 381، 383، 385، 387.
	أرابيون	60، 61، 356، 357، 358.
	إليزابيت	161.
	إنياس	114، 144، 145، 146، 148، 149، 157، 161، 290، 291، 292، 295، 296.
	إليسا	128، 140، 141.
	إليسار	140.
	أدد	126.
	أوفيد	126، 137، 141، 164.
	أبيان	116، 127، 141، 156، 158، 159، 183، 226، 338، 346، 357، 358.
	أصدربعل	136، 143، 144، 159، 163، 177، 181، 182، 255، 256.
	أمنحتب	153.
	أجاثوكليس	171، 172، 187، 188، 189، 190، 191، 194، 200.
	أوزاليس	178، 304.
	أبوليوس	179، 180.

	الإسكندر المقدوني	170، 172، 173، 176.
	أوتروب	215، 231، 336.
	إكسونتيب	222.
	أنكوس مارسيوس	211.
	أوريليوس فيكتور	241.
	أذربعل	311، 313، 314، 316.
	أبيوس كلاوديوس	310.
	أوليوس إليانوس	381.
	أوريليوس ليتوا	336.
	أوغسطين	378، 384، 386.
ب	بليني الكبير	16، 26، 31، 21، 43، 44، 45، 46، 48، 49، 50، 51 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60 61، 62، 63 64، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 77، 78 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 87 88، 89، 90 91، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101 102، 103، 104، 105، 106، 128، 175، 179، 181 210، 218، 219، 347، 359، 368، 376، 377، 388 390، 391، 392، 393، 394، 398.
	بوسيدون	17.
	بلوتوس	17، 390.
	بوليب	18، 21، 37، 42، 49، 64، 68، 69، 79، 89، 90، 121 129، 158، 159، 175، 176، 191، 192 193، 194 206، 207، 208، 209، 212، 213، 215، 216، 218 219، 221، 222، 223، 225، 230، 231، 243، 262 266، 276، 278، 279، 280، 282، 284، 344، 354.
	بوزنياس	34.
	بومبينيوس ميلا	37، 42، 45، 47، 51، 53، 55، 56، 58، 59، 60، 62 88، 103، 394.
	بوكوس	89، 290، 291، 292، 301، 325، 326، 327، 328

		329، 330، 331، 338، 339، 348، 349، 358، 356 357، 358، 359.
	بطليموس	49، 57، 58، 60، 61، 63 ، 69، 71، 73، 78، 79، 81 83، 84، 87، 92، 103، 104، 117، 312، 359، 360، 375، 376، 379.
	بومبي	336، 310 ،338، 340، 341، 342، 343، 344، 345 347، 348، 349.
	بجماليون	114، 115، 117، 118، 119، 132، 133، 124، 142 143.
	بومايتون	117.
	بلوتارك	152، 279، 281، 282، 297، 337، 338، 347، 368.
	بارتيكلوس	132.
	بول أوروس	169، 170، 191، 207، 215، 216، 233، 241.
	بيروس	177، 192، 194،197، 198، 199، 207، 209، 213 218، 219، 223، 333.
	بركولوس	264.
	بوستينيوس ألبينوس	316، 317.
	بوميلكار	322.
	بوغود	347، 359.
	بوبليوس سيتيوس	350، 356.
	بتريوس	355.
	بليزاريوس	374، 375.
	بروكوب	289.
ت	ترنتيوس	17.
	تاكفريناس	58، 81، 83، 107، 330، 362، 370، 371، 372، 373 374، 375، 376، 399.
	تراجان	82.
	تبريوس	43، 57، 98، 371، 375، 376.
	تاكيتوس	81، 83، 366، 368، 369، 370، 371، 372، 373، 374

		375، 376، 396.
	تيمايوس	114، 116، 125، 129، 130، 135، 141.
	تروغوس بومبي	115، 127، 142.
	تيتي ليفي	89، 115، 125، 127، 131، 132، 151، 152، 153 154، 156، 157، 159، 160، 176، 177، 179، 180 182، 185، 190، 191، 192، 193، 194، 196، 200 206، 207، 215، 216، 222، 223، 224، 227، 228 230، 231، 240، 241، 243، 244، 245، 246، 249 250، 252، 253، 254، 255، 256، 257، 260، 261 263، 266، 267، 274، 275، 276، 277، 278 279282، 284، 289، 290، 293، 294، 295
	تانيت	211، 212.
ث	ثيودوز	383.
	ثيودورلي	389.
	ثوكوديدس	185.
ج	جوزيفيوس فلافيوس	132، 133، 134، 357.
	جوستيني	115، 119، 52، 130، 133، 134، 142، 143، 149 150،، 151، 157، 162، 169، 170، 171، 172، 173 175 ، 180، 182، 183، 184، 185، 186، 187، 188 189، 191، 197، 207، 209.
	جايا	163، 207، 209.
	جوستانيوس	232، 236،237، 238.
	جلوسا	265.
	جوليانوس	278، 305.
	جون كاسيان	382.
	جيليدون	385.
		397.
ح	حانو	166.
	حنون	171، 175، 183، 186، 195، 209.

	حانونيس	175.
	حنبعل	240، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248 249، 250، 251، 252، 257، 258، 259، 261، 267 283، 293.
د	دوميتيان	22.
	ديدون	116، 125، 140، 160، 161، 162، 163، 164.
	ديدو	115، 127، 131، 140، 141، 145، 157، 161.
	ديون كاسيوس	198، 199، 206، 225، 232، 265، 275، 278، 279 280، 281، 283، 312، 326، 327، 329، 331، 347 349، 350، 353، 354، 355، 356، 357، 358، 359368، 379.
	ديون من كرستوم	183.
	دونيس الهاليكارناسي	130، 274.
	ديودور الصقلي	151، 156، 170، 171، 172، 174، 183، 184، 188 189، 198، 199.
	داريوس	171، 172.
	دونيسيوس	170، 172، 186، 187، 190، 191.
	دوريوس	183.
	دويليوس	196.
	ديوسكوريدس	352.
ر	راموس وروميلوس	148، 153.
	ريجلوس	171، 218، 228، 231.
ز	زوناروس	225، 178.
س	سالوستي	15، 25، 26، 69، 80، 82، 88، 90، 93، 94، 100، 104 306، 307، 308، 309، 310، 311، 312، 313، 314 315، 316، 317، 318، 319، 320، 323، 326، 327 328، 329، 330، 331، 332، 336، 348، 356.
	سكبيو	17، 50، 137، 138، 152، 153، 156، 157، 158، 159 177، 186، 190، 193، 243، 246، 308، 329، 254

		256، 261، 281، 305، 306، 307، 262، 263، 266، 280، 282، 290، 293، 294، 295، 336، 343، 347، 349، 350، 351، 353، 354، 361.
	سليوس إيطاليكوس	25، 116، 292، 293.
	سبتيموس فلاكيوس	27.
	ساردوس ماكريس	34.
	سترابون	44، 45، 51، 53، 55، 56، 59، 69، 83، 86، 93، 116، 119، 121، 157، 194، 245، 266، 281.
	سيكلاكس	51، 56، 59، 69، 86، 87، 88، 97.
	سولينيوس	19، 60، 116، 131.
	سيتيوس	60، 61.
	سيفاكس	240، 252، 253، 254، 255، 256، 257، 258، 259، 260، 261، 262، 263، 267، 368.
	سرفيليا	154.
	سليمان	133، 134.
	سيلبيكسوس أوريليوس	222.
	سيلينوس جوليانوس	265.
	سيلا	326، 328، 329.
	سيلانوس	317.
	سيكستيوس	341، 356، 357، 358.
	سويتنيوس	367، 397.
	سوتينيوس بوليونس	377.
	سينيسيوس	384، 388، 394.
ش	شيشرون	156، 174، 187، 190، 211، 256، 331، 336، 339، 342، 357، 358.
ص	صافونبعل	140، 151، 152، 153، 154، 156، 157، 158، 161، 164.
	صافونمباليس	151.
	صافونبيس	151.

	صوفونيسبا	.151
ع	عليسا	114، 115، 117، 118، 120، 121، 124، 125، 126 127، 128، 129، 130، 131، 135، 140، 141، 142 143، 144، 145، 146، 147، 148، 149، 150، 158 160، 161، 162، 164.
غ	غودا	223، 331، 336، 339.
ف	فيرموس	57، 58، 335، 337، 341.
	فسبسيان	48، 58، 59، 61، 62، 87، 95، 96، 376، 396.
	فرجيلوس	100، 114، 116، 124، 125، 127، 128، 129، 136 141، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 149، 157 161، 162.
	فاليريوس فيستوس	.68
	فاريس	.172
	فرنتون	.180
	فاليريوس ماكسيموس	159، 215.
	فيجيوس	219، 224، 232.
	فيتروف	219، 220.
	فيليب	222، 228.
	فلوروس	212، 214، 218، 241، 323، 278، 279، 281.
	فلاكوس	.311
	فاروس	341، 344، 345، 347.
	فوريوس كاميلوس	372، 373.
	ماركوس فروجي	.331
	فيلوستورج	358، 386.
	فولفيوس نوبيلور	389، 391.
ق	قورش	179، 180.
	قورديان الثالث	.380
ك	كاتو	18، 278، 279، 281، 282، 284، 287، 289، 290 291، 297، 298.

	كلوديوس	38، 43، 46، 48، 49، 50، 52، 53، 58، 62، 68، 98 376، 377، 391، 396، 397.
	كاليجولا	37، 42، 43، 47، 48، 49، 60، 61، 62، 314، 366 367، 377، 397.
	كلوديوس	48، 51، 52، 53، 57، 62.
	كرنيليوس بالبوس	671، 102، 105.
	كلوديوس ماكر	98، 396.
	كلوديا	138.
	كونتوس كورسيوس	119، 132 ، 170، 171، 172، 173، 178، 178، 186
	كارتلون	169، 170، 369.
	كايوس جراكوس	224.
	كنتوس فلامينوس	246.
	كابوسا	237.
	كالبيرنيوس بستيا	267، 268.
	كريون	345، 346.
	كرنيليوس كوسوس	369، 374، 375.
	كرنيليوس دولابيلا	375.
	كلوديوس بولشر	391.
	كمودوس	396.
	كيروم	388.
ل	لوكان	25، 342.
	ليونداس	186.
	ليليوس	254.
	لوسيان	368.
	ل. بيسون	396.
م	ماتو	21.
	ماسينيسا	60، 62، 177، 178، 181، 183، 189، 258، 260، 261 263، 264، 266، 267، 304، 305، 306، 307، 309، 312، 316، 329، 331، 333، 359، 361.

	ميناندار الأفسسي	116، 132.
	ملقرت	118، 119، 120، 132، 137، 152، 169، 178.
	ماركوس أنطونيوس	131، 349، 356.
	ماجون	164، 206، 207، 262.
	ماهربعل	249.
	مازيتول	261.
	مكيبسا	305، 306، 307، 308.
	مسطنبعل	308.
	ماسيفا	267.
	ميتلوس	317، 318، 319، 320، 321،322، 323، 325، 326.
	ماريوس	319، 321، 323، 324، 325، 326، 327، 328، 330 331.
	ماستنوسوس	331.
	ماركوس لوكوينيوس	377.
	ماركوس اوريليوس	368.
	مازيبا	326.
	ماكرينيوس ديكيانوس	381.
	ماكسيمانوس	382.
ن	نابدالسا	322.
	نوما	273.
	نيرون	48، 61، 368، 385، 396.
هـ	هوميروس	16، 32، 33، 38.
	هيكاتي الملطي	17، 337.
	هيرودوت	17، 27، 28، 29، 33، 37، 69، 73، 83، 86، 94، 95 97، 100، 102، 103، 104، 183 ، 337، 348.
	هادريان	62، 76، 80، 183، 95، 96.
	هيرباس	124، 125، 130، 142، 150.
	هرقل	127، 142، 165.
	هميلكار	120، 173، 182، 183، 186، 187، 188، 173، 182

		191، 207، 209، 226، 231، 240، 241، 243، 245، 267.
	هيرون	206، 207، 230، 231.
	هميلكون	185.
	هيمبصال	309، 311.
	هوسيديوس	331.
	هونوريوس	332، 333، 334، 335، 336، 337، 340، 341، 342، 344.
ي	يوبا	42، 49، 50، 52، 55، 57، 60، 61، 81، 89، 92، 101، 104، 340، 341، 342، 343، 344، 345، 346، 347، 348، 349، 350، 352، 353، 354، 355، 356، 358، 359، 360، 362، 363.
	يوليوس قيصر	19، 50، 61، 101، 190، 336، 340، 341، 342، 344، 345، 346، 347، 348، 349، 350، 351، 352، 353، 354، 355، 356، 357ن 358، 359ن 360، 361، 362.
	يوليوس مارتينيوس	68
	يوغرطة	306، 307، 308، 309، 310، 311، 312، 313، 314، 315، 316، 317، 318، 319، 320، 321، 322، 323، 324، 325، 326، 327، 328، 329، 330، 331.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
قائمة المختصرات	
مقدمة	12-1
الباب الأول: الجغرافيون الرومان والجغرافية التاريخية لإفريقيا	13
I- التسمية ومدلولها التاريخي، الجغرافي والإثني	14
الإطار التاريخي والجغرافي في المصادر الرومانية	15
أصل تسمية شعب الأفري ومجال نفوذه	20
الهوية المغاربية وانتمائها الحضاري بين المصادر الرومانية والدراسات المعاصرة	25
II-مقاطعات ومدن إفريقيا	41
الموريطانيتان	42
موريطانيا الطنجية	43
موريطانيا القيصرية	50
نوميديا	60
المقاطعة الإفريقية(البروقنصلية)	63
إقليم زوجيتانيا	64
قرطاجة ونواحيها	64
البيزاسيوم	65
مدن إفريقيا الداخلية	68
السرت	67
شرق البروقنصلية وبلاد الجرامنت	69
قورينة	69
ليبيا ماريوت	70
صحراء فزّان أو بلاد الجرامنت	71
قائمة المراجع	77-74

III- شعوب وقبائل إفريقيا	79
شعوب المنطقة الممتدة من أعمدة هرقل إلى نهر باغرادا في عصر بليني الكبير (القرن الأول للميلاد)	78
الإتحادات القبلية الكبرى:	79
شعوب موريطانيا القيصرية	80
قبائل المنطقة الممتدة ما بين وادي باغرادا (مجردة) إلى السرت الكبير (شعوب إفريقية):	81
القبائل والشعوب غير الخاضعة للرومان	81
قبائل السرت الكبير	87
شعوب جيتوليا	90
القبائل الصحراوية	103
قائمة المراجع	112-109
الباب الثاني: قرطاجة في الكتابات الرومانية	113
I- قرطاجة: المؤسس وتاريخ التأسيس	114
الشخصية المؤسسة لقرطاجة	115
الظروف العامة في حوضي المتوسط التي أسهمت في تأسيس قرطاجة	119
رواية عليسا وجلد الثور لدى الكتاب الرومان	125
تاريخ نشأة قرطاجة بين المصادر الأدبية والأبحاث الأثرية	132
قائمة المراجع	141-139
II- نساء قرطاجيات في المصادر الأدبية الرومانية	142
الملكة المؤسسة: عليسا، عليشا وديدو	143
الأميرة صافونبعل	154
زوجة أصدربعل: أنموذج نسائي آخر	161
جانب من تأثير سير النساء القرطاجيات في الحضارة الأوروبية المعاصرة	163
قائمة المراجع	171-168

III- قرطاجة والعالم المتوسطي	172
قرطاجة والوطـــن الأم	173
العلاقات الدينية	173
العلاقات الاقتصادية	178
قرطاجة والوطن المستضيف	181
العلاقات الاجتماعية	181
العلاقات السياسية والعسكرية: من الصداقة إلى العداء	184
موقف الكتاب الرومان من الصراع الإغريقي القرطاجي	189
قرطاجة والرومان قبل الحرب البونية الأولى	196
قائمة المراجع	208-206
الباب الثالث: التاريخ العسكري قرطاجة من المنظور الروماني	209
I-قراءة في أسباب وامكانيات الطرفين أثناء الحرب البونية الأولى 264-241 ق.م	206
أسباب الحرب البونية الأولى	207
الامكانيات المادية للطرفين المتنازعين أثناء الحرب البونية الأولى	214
العتاد الحربي	214
الموارد البشرية	227
قائمة المراجع	240-238
II-الحرب البونية الثانية ميدان لتطور الفكر العسكري والسياسي	241
مدرسة حنبعل العسكرية	242
البيئة السياسية والعسكرية التي نشأ فيها حنبعل	242
القيم الدينية والإنسانية لدى حنبعل	246
العبقرية العسكرية لحنبعل	248
سيفاكس ومشروع الوحدة الجيوسياسية	255
سيفاكس يختبر العلاقات الدولية	255

سيفاكس يختار الدفاع عن المجال المغاربي	251
ماسينسا ووحدة نوميديا	263
علاقة الماسيل بقرطاجة قبيل الحرب البونية الثانية:	263
ماسنيسا ينتقل من المعسكر القرطاجي للرومان	263
ملكية ماسنيسا والسيادة النوميدية	266
قائمة المراجع	274-272
III-الحرب البونية الثالثة 146 ق.م مسرح لنشأة الإيدولوجية الإستعمارية الرومانية	275
مفهوم الحرب العادلة ونشأته في الفكر الروماني	276
مبررات الحرب البونية الثالثة	279
الحرب البونية الثالثة مصدر لدراسة العلافات الدولية من المنظور العرقي والأيدولوجي	284
الكتاب الرومان والصراع الحضاري بين الغرب والشرق	291
قائمة المراجع	304-302
الباب الرابع: الممالك المحلية من أواخر العصر الجمهورية إلى العصر الإمبراطوري	305
I -موقف الرومان من السيادة النوميدية ويوغرطة	306
تقاليد خلافة العرش النوميدي منذ عهد ماسينيسا الى مكبسا	307
شخصية يوغرطة وعلاقته بالرومان من خلال كتابات سالوستي	309
الحرب ضد يوغرطة (حملات الرومان على نوميديا)	317
حملة كالبرنيوس بستيا (Calpurnius Bastia) 111ق.م	317
حملة ألبينوس (S. Postunius Albinus) 110 ق.م	319
حملة ميتلوس (Q. Caeciluis Metellus) 109 ق.م	321
نتائج الحرب ضد يوغرطة	333
قائمة المراجع	337-336

II- **بلاد المغرب القديم في أواخر العهد الجمهوري وبداية الإمبراطورية 88 ق.م -42م**	338
نوميديا أثناء الحرب الأهلية الأولى 88- 51 ق.م	339
نتائج الحرب الأهلية على نوميديا	341
الحرب الأهلية الرومانية الثانية وتأثيرها على أوضاع بلاد المغرب القديم 50-46 ق.م	343
ظروف روما عشية الحرب المدينة الثانية	343
أسباب تحالف يوبا الأول مع البومبيين	345
مجريات الحرب وأهم المعارك	347
خطة قيصر	351
معركة تابسوس وهزيمة يوبا والبوميين	356
مصير نوميديا ويوبا فيقول قيصر:	357
أوضاع بلاد المغرب ما بين الحرب الأهلية الثالثة الى غاية الحاق بالامبراطورية الرومانية (46 ق.م - 42م)	360
مقاومة أرابيون	360
مملكة موريطانيا والرومان	361
قائمة المراجع	367-366
III-**التحولات السياسية والإجتماعية لبلاد المغرب القديم في العصر الإمبراطوري**	368
الوضعية السياسية	369
إدارة المقاطعات	369
إفريقيا البروقنصلية وافريقيا الجديدة	369
موريطانيا	371
المقاومة ورفض الإحتلال في بلاد المغرب القديم في القرن الأول للميلاد	372
مقاومة الجيتول والمارمريد 6م	372

ثورة تاكفريناس 17-24م	373
ثورة إيدمون 42م	379
التحولات الإجتماعية	381
الكتابات الرومانية وشعوب بلاد المغرب القديم في القرن الرابع الميلاد	381
الإتحاديات القبلية الكبرى في بلاد المغرب القديم أواخر فترة الاحتلال الروماني	381
الباكوات	382
البربار ،البابار أو البوار أو البافار	383
الحلف الخماسي"Quinquegentiani"	384
المازيس "Mazices"	386
الأوستريياني Austuriani"	388
قائمة المراجع	391-389
مظاهر من الإقتصاد المغاربي من خلال الكتابات الرومانية	392
حيوانات الصيد وألعاب التسلية	392
قمح بلاد المغرب وضريبة التموين (الأنونة)	396
قائمة المراجع	404-401
خاتمة	406
قائمة المصادر والمراجع	411
فهرس الأماكن	439
فهرس القبائل والشعوب	460
فهرس الأعلام	467
فهرس الموضوعات	477

ملخص الأطروحة

ملخص الأطروحة:

أهم ما يميز المصادر الأدبية الرومانية الذاتية وعدم الموضوعية والغموض، لذلك جاءت هذه الدراسة للخوض في الكتابات التاريخية الرومانية القديمة التي تتناول تاريخ بلاد المغرب، منذ تأسيس قرطاجة الى سقوط روما(814 ق.م– 476 م) على الرقعة الجغرافية الممتدة من أعمدة هرقل الى غرب النيل، بدءا بالمدونات والنصوص الجغرافية التي تطرقت الى جغرافية المنطقة، ثم الى الكتابات التاريخية والأدبية التي خاضت في التاريخ السياسي والعسكري لقرطاجة والممالك المحلية ورصدت العلاقات التي ربطت بين الكيانات السياسية المغاربية فيما بينها أو بالضفة الأخرى (الرومان خاصة)، وكذلك المدونات التي أبرزت أهم التحولات السياسية والاقتصادية في المنطقة أثناء الاحتلال الروماني الى غاية انهيار الإمبراطورية الرومانية، بأخذ هذه المواضيع بالتحليل والنقد، من أجل تقويم مسار تاريخ المنطقة ورفع أسس المدرسة التاريخية المغاربية وإبراز مساهمة التاريخ المغاربي في الحضارة الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: المغرب القديم، الكتاب الرومان، إفريقيا، قرطاجة، نوميديا، بليني الكبير، تيتي ليفي، الحروب البونية، حرب يوغرطة، مقاومة تاكفريناس.

Summary Of Doctorate Thesis;

The most important characteristic of Roman literary sources is subjectivity, objectivity, and ambiguity, Therefore, this study came to delve into the ancient Roman historical writings that deal with the history of ancient Maghreb, From the founding of Carthage to the fall of Rome (814 BC - 476 AD) On the geographical area extending from the Pillars of Hercules to the west of the Nile, Then to the historical and literary writings that delved into the political and military history of Carthage and the local kingdoms and monitored the relations that linked the Maghreb political entities among themselves or with the other side (the Romans in particular), As well as texts that highlighted the most important political, social and economic transformations in the region during the Roman occupation until the collapse of the Roman Empire, by taking these issues into analysis and criticism, By taking these topics through analysis and criticism, in order to evaluate the course of the region's history, raise the foundations of the Maghreb historical school, and highlight the impact of the region's history on human civilization.

keywords: ancient Maghreb, Roman writers, Africa, Carthage, Numidia, Pliny the Elder, Titi Livy, Punic wars, Jugurthine War, Tacfarinas resistance, African wheat.